الكاتب الفلسطيني

العدد ١٣ خريف ١٩٨٨ ت١ - ت٢ - ك١



الكاتب الفلسطيني

العدد ١٣ خريف ١٩٨٨ ت١ - ت٢ - ك١

مجلة فصلية تصدر عن
الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
لجنة العمل النقابية

الآراء الواردة لاتعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير

الاشتراكات السنوية

للأفراد - سوريا ولبنان ٢٠٠ ل. س
- بقية الاقطار العربية ٢٥٠ ل. س
- اقطار العالم ٢٥ دولار
للمؤسسات ٥٠ دولار

الفهرست

لماذا الكاتب الفلسطيني؟

حين صدرت الكاتب الفلسطيني أول مرة، في الأول من شباط ١٩٧٨، كانت المقاومة تواجه حملة التصفية الشرسة، وكانت غيوم الاستسلام تملأ الأفق. ولكن ارادة المقاومة والتحرير، كانت مازالت صلبة، والاستعداد للمواجهة، كان مازال قوياً. وفي تلك الأجواء، صدرت الكاتب الفلسطيني، لتعبر عن اسهام المثقفين في المعركة.

وكان اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين مازال قاعدة من قواعد المقاومة، وكانت قيادته وقيادات فروعه، نتاج عملية ديمقراطية نسبياً، تسمح بالتعبير عن ارادة الكتاب والصحافيين، رغم كل عمليات الضغط والتزوير، ورغم محاولات قيادة المنظمة بالسيطرة على الاتحاد، وقيادات الفصائل اقتسامه، مهما كانت النتائج . . .

ولقد أسهمت الكاتب الفلسطيني في التعبير عن ارادة التحرير والمقاومة، حتى اضطرت، مع الهجمة الشرسة على الاتحاد، إلى التوقف، في آيار ١٩٨٠، أي بعد المؤتمر الثالث (بيروت ١٩٨٠).

وفي هذه الأجواء، جرت محاولة اغتيال الشهيد حنا مقبل أمين سر الاتحاد، (تموز ١٩٧٨) ثم مالبثت عملية التصفية أن اتسعت، لتبدأ قيادة عرفات عمليات المطاردة والاعتقال، وقصف المخيمات.

كان السادات قد زار القدس، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧، ثم مالبث أن وقع اتفاقيتي كمب ديفيد وكانت القيادة الرسمية للمقاومة التي اضطرت للمعارضة شكلاً، تبحث عن طرق التفاعل مع كمب ديفيد. وكانت الحرب الأهلية في لبنان مازالت تتصاعد. وحاولت القيادة الرسمية أن تصفي اتجاه التحرير في المقاومة، فأطلقت دعوات التسوية، وخاضت معارك السيطرة على دوائر المنظمة، وفتح، والاتحادات والمنظمات الشعبية. وفي نيسان ١٩٨٠ حقق عرفات أول الخطوات الرسمية في السيطرة جزئياً على اتحاد الكتاب والصحافيين، عبر اشرافه على مؤتمر البوريفاج في بيروت.

ومنذ ذلك الحين، أخذ دور الاتحاد يتراجع، وعلى الرغم من ذلك، فإن القيادة المصممة على الاستسلام، واصلت، ضمن اطار سياستها للسيطرة على الاتحادات والمنظمات الشعبية، خطواتها التسلطية، فعمدت سنة ١٩٨٤ إلى عقد مؤتمر غير نظامي في صنعاء، لم يكتمل فيه النصاب، ولم يحضره ثلثا أعضاء الأمانة العامة، أدى إلى شق الاتحاد، وقيام أمانتين، واحدة في تونس، وأخرى في دمشق.

أمّا أمانة تونس، المنبثقة عن مؤتمر غير نظامي، وبالتالي، غيرشرعي فكانت وظيفتها منع الكتاب والصحافيين من أن يكون لهم صوتهم المعبر عن ارادة المقاومة، وبالتالي تأييد قيادة المنظمة الرسمية في سعيها نحو الاستسلام، وطبيعي ألا تكون هذه الأمانة معنية بالمحافظة على الاتحاد، والتمسك بدوره، أو معنية بالديمقراطية والثقافة الديمقراطية. وكان همها الرئيس خدمة سياسة القيادة الرسمية، في قمع الثقافة القومية (الوطنية) الديمقراطية، وفي ابراز ثقافة الاستسلام.

واتسم عمل هذه الأمانة بالسمات التالية:

١ـ الارتباط بالسياسة اليومية لقيادة عرفات الاستسلامية المعادية للثقافة. والدفاع عنها، استراتيجياً وتكتيكاً، والاصرار على تبنيها والتمسك بها، في كل ماترمي إليه.

٢ـ اتجاه نحو التغرب الثقافي، كما تعكسه مجلة «الكرمل»، والاندماج بالاتجاه الدولي ـ الغربي المتغرب في الثقافة والابداع.

٣ـ تبني اتجاه استسلامي في السياسة والثقافة، وظيفته الاولى الترويج للحوار مع القوى الصهيونية، تحت عناوين مختلفة.

٤ـ محاربة أي توجه نقابي أو ديمقراطي في الاتحاد، والغاء الحياة الداخلية فيه، من الأمانة العامة إلى الفروع.

وأما أمانة دمشق، فلم تكن حاسمة ولاموحدة، وكان بعض أعضائها يبحث سراً وعلناً عن

الاندماج مع الأمانة الأخرى. ولذلك رفضوا كل المبادرات لتنشيط أعمال الاتحاد، من الأمانة العامة إلى الفروع، وركضوا وراء الاندماج مع الأمانة غير النظامية في تونس، وأخرجوا ذلك، عبر الاتفاق على مؤتمر الجزائر (نيسان ١٩٨٧)، وبهذا تحققت وحدة شكلية بقيادة أبطال أمانة صنعاء وفي ظل برنامج القيادة الاستسلامي. وكان أهم ماحدث في هذا المهرجان الغاء الأسس الشرعية للاتحاد، وتكوين تجمع غير نقابي، وظيفته الأساسية محاربة الثقافة الوطنية الديمقراطية، وخدمة السياسات الاستسلامية والاستخفاف بكل ماهو نقابي، من شروط العضوية إلى انتهاك النظام الداخلي.

وبهذا استكملت القيادة الرسمية السيطرة على قيادة الاتحاد، فعطلت العملية النقابية الديمقراطية، وعينت أمانة عامة من الزلم والأتباع أساساً، وهم السكرتارية ومن أنصار الخط السياسي الرسمي، وهم سائر أعضاء الأمانة العامة.

وكانت القيادة الرسمية، منذ زيارة السادات القدس، ١٩٧٧ وحتى عقد دورة المجلس الوطني الثامنة عشرة في الجزائر ١٩٨٧ قد استكملت سيطرتها على دوائر المنظمة، واستولت على قيادات الاتحادات والمنظمات الشعبية. مستخدمة كل الوسائل الضرورية، من الرشوة إلى السجن، ومن الاستعانة بأموال الأنظمة إلى استخدام أجهزتها، ومن استثمار دماء الشهداء، إلى استثمار الحرص على الوحدة الوطنية.

وعملت القيادة الرسمية الفلسطينية، خلال هذه المدة على تجويف المنظمة: برامجها وشعاراتها ودوائرها. فبرنامج التحرير الشامل صار برنامج تسوية تصفوية. واذا كان الميثاق قد بقي، فقد تحوّل الى حبر على ورق، وساد برنامج التسوية في قرارات المجالس الوطنية، وسياسات قيادة المنظمة، وعدد من الفصائل. وباتت هناك برامج جديدة، الى جانب البرامج القديمة، ولغة جديدة الى جانب اللغة القديمة. ولكن اللغة الجديدة هي التي سادت وراجت، وصارت البرامج القديمة واللغة القديمة، مجرد غطاء للبرامج الجديدة.

وسقط شعار التحرير، ليرتفع شعار: العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة، دون تحديد المكان. وسقطت الجغرافية التاريخية والسياسية من البرامج والخطاب السياسي. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد تم الانتقال من شعار الدولة المستقلة الى شعار الكونفدرالية مع الأردن.. الخ.. الخ.

وفوق ذلك، عمدت قيادة المنظمة الرسمية الى محاولة عزل القضية الفلسطينية عن اطارها القومي والتحرري الثوري، وجعلتها مجرد قضية «تسوية سلمية». كأي خلاف حدود بين شعبين متجاورين تاريخياً. وبهذا حوّلت القيادة الفلسطينية الصراع العربي الصهيوني، الى خلاف فلسطيني صهيوني، وصراع الوجود الى خلاف حول قيام سلطة فلسطينية في جزء، اي جزء، من فلسطين، والصراع مع الامبريالية عامة، والاميركية خاصة، الى مجرد خلاف على دور القيادة الفلسطينية في التسوية.

أمّا دوائر المنظمة وأجهزتها، فقد تحوّلت الى تجمعات للموظفين والسماسرة والتجار، وبالتالي، فان جيش التحرير، لم يعد جيش تحرير، أو لم يعد موجوداً، والدوائر صارت مكاتب سمسرة. اما دائرة الثقافة،

ومركز الابحاث، فقد سُلّما لدعاة التسوية الاشداء، وصارت مهمتها غير ثقافية، إلّا ترويج ثقافة الاستسلام.

ولهذا كله.. ستصدر الكاتب الفلسطيني...

ان لجنة العمل النقابي لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، لم تلد مصادفة. فهي نتاج مخاض طويل، بدأ مع بداية المقاومة، وتبلور خلال صراعاتها. ولقد انعكس في هذه الصراعات، خليط من التجارب داخل المقاومة، وخارجها على الصعيدين العربي والدولي ولذلك، فان هذه التجربة، ليست فلسطينية فقط، ولا هي نقابية فحسب، انها تجربة فلسطينية تأخذ بعدها العربي كله، وتجربة نقابية، تأخذ بعدها السياسي كله. وهي بالتالي تجربة سياسية نقابية، امتزج فيها السياسي بالثقافي، وخبرات المقاومة الفلسطينية بتجارب النضال العربي والدولي.

ولجنة العمل النقابي، لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، لذلك، ترى القضية الفلسطينية في اطارها العربي الطبيعي. ولاتراها منفصلة عنه. لان الكيان الصهيوني قام، لضمان المصالح الامبريالية في الوطن العربي، ولمنع وحدة الوطن العربي وتقدمه، واقامة المجتمع الديمقراطي فيه. ولهذا، فان تحرير فلسطين مهمة قومية، وهي مهمة الجماهير العربية الكادحة، من العمال الى الفلاحين الفقراء، الى الشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة، وهذه المهمة، لذلك، هي جزء من مهمات الثورة العربية، لاتتحقق بدون هذه الثورة. واذا كانت القوى الحاكمة لم تحقق هذه المهمات، فان ذلك، لايبرر التوجه نحو طريق آخر. فلا طريق آخر للتحرير غير الثورة العربية. أمّا تبرير التوجه نحو التسوية، بعجز الانظمة، وتخاذل القوى الحاكمة، وتآمر معظمها على النضال العربي في فلسطين، فانه لايحرر فلسطين، ولايأتي بتسوية خارج اطار الاستسلام العربي. ومن هنا، فان المراهنة الآن، على تسوية فلسطينية، سيبرر للقوى العربيه المستسلمة استسلامها، وسيشرك فئة فلسطينية في الخيانة القومية، ولكنه لن يحل مشكلة الشعب الفلسطيني. مشكلة التحرير، مشكلة الأرض والشعب..

وعليه، فان لجنة العمل النقابي، ترى في استمرار رفع شعار التحرير الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وترى ان في التنازل عن هذا الشعار سقوطاً في خط الاستسلام العربي. ولذلك، فانها في الوقت الذي ستعمل فيه على أساس ان خط التسوية هو خط الاستسلام، فانها ستعمل على أن يظل شعار التحرير الشعار الرئيس الذي لايتبدل، وستعمل لاعطاء هذا الشعار ابعاده الحقيقية، في ميدان الصراع الثقافي والسياسي الذي نطمح أن يكون «الكاتب الفلسطيني» احدى منابره.

والبعد الأساسي الذي يحمي شعار التحرير، ويعطيه قوته، هو البعد القومي، فلا قوة للتحرير الا بالتوحيد القومي. ولا قوة للتسوية، الاّ بالتجزئة والتبعية. والقوى المعادية، من الامبريالية الى الصهيونية، هي التي تحاول توطيد حدود سايكس بيكو، وهي التي تحاول ات تزرع في كل قطر عربي الشعور، بأنه قومية مستقلة. وهذه القوى معنية، بأن تقوم الانظمة العربية بمعاداة الفلسطينيين، ومعنية ايضاً بان يقتنع

الفلسطينيون، أن هذا الوطن العربي الكبير، لايجبىء لهم الآ الآلام والمآسي. لان هذا يدفع الفلسطينيين الى البحث عن «سبل السلام». مع العدو الصهيوني. وهذا ماتفعله القيادة الرسمية الفلسطينية، التي ربطت خياراتها بالانظمة، لا بالجماهير، ثم أخذت تشكك بموقف العرب عامة، وتصرخ بأعلى صوتها: «ياوحدنا»، لتبرر قبول التعايش مع العدو، واعلان الاستسلام، ولتبرر الاستسلام بالعجز والتخاذل والتآمر «العربي».

ولايتعزز التحرير القومي، الآ بالتحرير الاجتماعي، لان قوى التحرير القومي الحقيقية هي قوى التحرير الاجتماعي: العمال والفلاحون الفقراء والشرائح الثورية والديمقراطية من البرجوازية الصغيرة!

هل يؤجل الرهان على التحرير القومي والتوحيد القومي والتحرير السياسي والاجتماعي تحرير فلسطين؟

إنّ تحرير فلسطين جزء من التحرير والتوحيد القومي والتحرير السياسي والاجتماعي، ويتحقق من تحرير فلسطين مايتحقق من التحرير القومي والتوحيد القومي. والرهان على تحرير فلسطين عبر التبعية والتجزئة، لايقود الى تحرير فلسطين. وهذا مافعلته القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينينة، لانها طرحت شعار: كل البنادق نحو العدو الصهيوني، ودعت الى تجميد الصراع السياسي والايديولوجي من اجل فلسطين، ولكن ذلك كله، لم يقد الانظمة الى الاتفاق على تحرير فلسطين، بل قاد قيادة المنظمة الى الموافقة على برنامج الاستسلام العربي.

واذا كانت فلسطين لاتحرر الا بقوى الجماهير العربية، فان القضية الفلسطينية لاتسوّى، ولا تصفّى الا بقوى الانظمة العربية. وعليه، فان برنامج التحرير، برنامج قومي عربي تحريري، وبرنامج التسويه برنامج رسمي عربي استسلامي. أمّا برنامج «التسوية الفلسطيني» فليس الآ جزء من برنامج الاستسلام العربي.

وواجب القوى الثورية في فلسطين، ان تحمي برنامج التحرير، وان تحبط خطط التصفية، لتحمي الحق القومي في فلسطين، ولتمنع قوى الاستسلام العربي، من انجاز مخططاتها، ولتسهم في الحشد العربي من اجل التحرير.

فاذا لم تستطع قوى الثورة العربية في فلسطين، حماية الحق القومي، فان قوى الاستسلام في فلسطين، لن تستطيع ان تقيم دولة فلسطينية، أو أن تنقذ اي جزء من فلسطين، الا عبر معادلة عربية رسمية، تملك من القوى مايسمح بأخذ بعض الأرض مقابل الاستسلام الكامل مؤقتاً.

ولذلك، فان لجنة العمل النقابي، وهي تعيش آلام الجماهير العربية الفلسطينية، في ظل الاحتلال، أو في مراكز التجمعات، خارج فلسطين، ترى ان هناك مسألتين مترابطتين ومختلفتين:

اولاهما: النضال لتحسين ظروف الجماهير العربية الفلسطينية، في طل الاحتلال، والتجمعات الاخرى خارج فلسطين المحتلة، وهذا لايتحقق الآ ضمن اطار الحركة النضالية لتحسين ظروف الجماهير

العربية كلها، ولتحريرها، وتطوير شروط حياتها. لان ظروف الجماهير العربية الفلسطينية في الاقطار العربية، من ظروف الجماهير العربية. ولان تطور ميزان القوى العربي الصهيوني سيفرض ارتفاع شأن الجماهير العربية في ظل الاحتلال.

ثانيها: النضال لحل المسألة الفلسطينية، وهو نضال تحريري، مرتبط بحركة الثورة العربية.

والقيادة الفلسطينية التي لاتفعل شيئاً لتحسين شروط حياة الفلسطينيين داخل الارض المحتلة او خارجها، تحاول ايهام الجماهير العربية الفلسطينية، بان هناك حلاً ضمن اطار الاستسلام، يرفع البؤس عن الفلسطينيين، ويعيد لهم الكرامة. فكيف يمكن ان يتحقق هذا الحل، اذا كان يعترف بالوجود الصهيوني، وبالتالي يبقي اللاجئين لاجئين، واذا كان يترك الجماهير العربية الفلسطينية المقيمة في الاردن، خارج فلسطين؟

ولذلك، فان النضال لتحرير فلسطين، وربط تحرير فلسطين بالتحرير والتوحيد القومي السياسي والاجتماعي، والعمل لرفع الظلم عن كاهل الفلسطينيين باعتبارهم جزء من الجماهير العربية، لايحقق الهدف القومي بتحرير فلسطين فقط، بل يرفع الظلم عن كاهل الفلسطينيين، كما يرفعه عن كاهل الجماهير العربية كلها.

ولجنة العمل النقابي، لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين، تقاتل دفاعاً عن هذه المبادىء، وتحارب السياسات الاستسلامية، وتعمل لتعميق الوعي بهذه المباديء، مبادىء التحرير والحرية والكرامة القومية في مواجهة سياسات الاستسلام القومي.

وبهذا يكون للكاتب الفلسطيني خطها السياسي، انه خط التحرير والتوحيد القومي، وهوخط قومي ديمقراطي شعبي جبهوي، يثق بقدرة الجماهير العربية الكادحة على تحقيق اهدافها، ويتفاعل مع كل القوى القومية ـ الديمقراطية والوطنية التقدمية، ويعبّر عن اهداف قوى الشعب العاملة والكادحة، ويحترم ارادة الشعب، وحق المواطنين في الدفاع عن قناعاتهم.

و«الكاتب الفلسطيني» منبر ديمقراطي، وهو للكاتب الفلسطيني بمقدار ماهو عربي، وللكتاب العرب، بمقدار ماتكون فلسطين جزءً من وطنهم.

والاسم «الكاتب الفلسطيني»، عنوان للالتزام بالقضية الفلسطينية، باعتبارها قضية قومية، وقضية نضال شعبي ضد الامبريالية والصهيونية، وباعتبارها عنواناً لمقاومة عربية للاحتلال. . .

هذا على الصعيد السياسي.

أما على الصعيد الثقافي، فان لجنة العمل النقابي، جبهة ثقافية عريضة، تضم كل المعنيين بالثقافة والفكر والادب والفن، وكل المستعدين للنضال من أجل حرية الثقافة، ودورها الحضاري في بناء الانسان والمجتمع، وهي من هذه الناحية جبهة ثقافية ديمقراطية، لانها تكونت طوعاً، ولانها معنية بالدفاع عن حرية الفكر وحقوق المواطن، ولانها مستعدة لخوض المعارك مع القوى المعادية للثقافة والابداع. .

وترى لجنة العمل النقابي، انها لذلك تواجه مهمات متعددة تتلخص بالتالي:

اولاً: العمل على حماية الثقافة العربية، وتأمين امكانيات تطورها في ظل الاحتلال الصهيوني ـ لان الاحتلال، لم يسرق الأرض فقط، ولم ينهب الثروة فحسب، انه يسلبنا ثقافتنا أيضاً، ويفرض علينا ثقافته. وفي هذا الصراع، فان حماية الشخصية الثقافية العربية، وضمان تطورها، أمران ضروريان لكسب المعركة... كيف نقوم بذلك، من يقوم به ماهي الوسائل والأساليب؟ هذا مايجب ان نجيب عليه، وهو مايحتاج الى دراسة معمقة والى اهتمام كبير.

ثانياً: العمل على تطوير الفكر والادب والفن عموماً، للتمكن من خوض الصراع مع عدو «متقدم»، ولاعطاء الصراع طابعه الحضاري، ولجعل المقاومة طريقاً لرقي المواطن العربي.

ثالثاً: اعادة الاعتبار للفكر والادب والفن، وكل أشكال الابداع، ودورها في المقاومة، وفي الصراع المصيري الذي نخوض.

وهذا كله يتطلب دراسة سياسة م. ت. ف الثقافية، والأساليب التي اتبعت لتصفية الخط الثقافي الديمقراطي، ولانتاج ثقافة استهلاكية استسلامية، وظيفتها قتل الابداع، وشل الارادة.

وبعد هذا كله، فان الكاتب الفلسطيني، تصدر لتسهم في هذا الصراع الكبير، ولتضع كتاب شعبنا وصحافيه وفنانيه، مع جماهير الشعب العربي، على طريق التحرير السياسي والاجتماعي والوحدة القومية، وبناء المجتمع العربي الديمقراطي...

وستظل فلسطين حاضرة في الكاتب الفلسطيني، لا باعتبارها «تكتيك تسوية»، بل باعتبارها قضية نضالية كبرى، وباعتبارها عنوان التحرير والصدام مع الاستعمار الاستيطاني، والنضال ضد الامبريالية عامة، والاميركية خاصة، والقتال ضد الاستسلام...

الكاتب الفلسطيني منبر لخط وطني ديمقراطي...

الكاتب الفلسطيني منبر لكل الكتاب والصحافيين والمبدعين العرب الديمقراطيين المعنيين بقضية الحرية...

والكاتب الفلسطيني مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية على الصعيد الفلسطيني. ولذلك، فانها ستكون منبراً مفتوحاً للآراء الحرة، والاعمال الابداعية الملتزمة بالوطن والشعب والمقاومة، والكتاب والادباء والفنانين والصحافيين الذين يدافعون عن حرية الكلمة وكرامة الانسان...

لذلك كله، تصدر الكاتب الفلسطيني، والساحة الفلسطينية اكثر ماتكون حاجة اليها...

وسيزيد صدورها مسؤوليات لجنة العمل النقابي، ومسؤوليات كل الذين يتبنون هذا الخط السياسي ـ الثقافي... (١).

«الكاتب الفلسطيني»

(١) كتبت هذه الافتتاحية وأعد لعدد، قبل قرارات الدورة التاسعة عشر للمجلس الوطني (التحرير).

أزمة حركة التحرر الوطني العربية

الاسباب ـ التجليات ـ الحلول

جورج بطل*

في اصول النقاش

يدور الحديث منذ عقدين من السنين، على وجه التقريب، حول أزمة في حركة التحرر الوطني العربية، مازالت بحاجة الى التحديد والتدقيق في طبيعتها وفي أشكال تجليها وفي أسبابها. الا أن هذا الحديث الذي بدأ في شكل نقاش من جانب واحد طرحته بعض القوى الثورية، وفي مقدمتها حزبنا، اتخذ في فترات لاحقة ولاسيما في السنوات العشر الاخيرة طابع سجال سرعان ما كان يتطور ليتخذ شكل صراع. وليس في ذلك ما يغير لو ان هذا السجال وهذا الصراع كانا سجالا وصراعا بين أفكار يعرف أصحابها بعضهم بعضا معرفة حقيقية فيتجادلون عن سابق معرفة كل بفكر الاخر فيرفض جزءا ويوافق على جزء من هذه الافكار، فيؤدي الجدل وظيفته العلمية ويحقق هدفه السياسي. واذ نشير الى هذه المسألة ونحن ندخل في بحث نعتبره بالغ الاهمية بالنسبة لحركتنا الوطنية العربية، فلاننا نعتقد انه آن الاوان لكي يستقيم النقاش بين الفصائل الثورية العربية وبين المفكرين الثوريين العرب. ولا يستقيم هذا النقاش، وليس بمقدوره

* عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني

وترى لجنة العمل النقابي، انها لذلك تواجه مهمات متعددة تتلخص بالتالي:

اولاً: العمل على حماية الثقافة العربية، وتأمين امكانيات تطورها في ظل الاحتلال الصهيوني ـ لان الاحتلال، لم يسرق الأرض فقط، ولم ينهب الثروة فحسب، انه يسلبنا ثقافتنا أيضاً، ويفرض علينا ثقافته. وفي هذا الصراع، فان حماية الشخصية الثقافية العربية، وضمان تطورها، أمران ضروريان لكسب المعركة.. كيف نقوم بذلك، من يقوم به ماهي الوسائل والأساليب؟ هذا مايجب ان نجيب عليه، وهو مايحتاج الى دراسة معمقة والى اهتمام كبير.

ثانياً: العمل على تطوير الفكر والادب والفن عموماً، للتمكن من خوض الصراع مع عدو «متقدم»، ولاعطاء الصراع طابعه الحضاري، ولجعل المقاومة طريقاً لرقي المواطن العربي.

ثالثاً: اعادة الاعتبار للفكر والادب والفن، وكل أشكال الابداع، ودورها في المقاومة، وفي الصراع المصيري الذي نخوض.

وهذا كله يتطلب دراسة سياسة م. ت. ف الثقافية، والأساليب التي اتبعت لتصفية الخط الثقافي الديمقراطي، ولانتاج ثقافة استهلاكية استسلامية، وظيفتها قتل الابداع، وشل الارادة.

وبعد هذا كله، فان الكاتب الفلسطيني، تصدر لتسهم في هذا الصراع الكبير، ولتضع كتاب شعبنا وصحافيه وفنانيه، مع جماهير الشعب العربي، على طريق التحرير السياسي والاجتماعي والوحدة القومية، وبناء المجتمع العربي الديمقراطي...

وستظل فلسطين حاضرة في الكاتب الفلسطيني، لا باعتبارها «تكتيك تسوية»، بل باعتبارها قضية نضالية كبرى، وباعتبارها عنوان التحرير والصدام مع الاستعمار الاستيطاني، والنضال ضد الامبريالية عامة، والاميركية خاصة، والقتال ضد الاستسلام...

الكاتب الفلسطيني منبر لخط وطني ديمقراطي...

الكاتب الفلسطيني منبر لكل الكتاب والصحافيين والمبدعين العرب الديمقراطيين المعنيين بقضية الحرية...

والكاتب الفلسطيني مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية على الصعيد الفلسطيني. ولذلك، فانها ستكون منبراً مفتوحاً للآراء الحرة، والاعمال الابداعية الملتزمة بالوطن والشعب والمقاومة، والكتاب والادباء والفنانين والصحافيين الذين يدافعون عن حرية الكلمة وكرامة الانسان...

لذلك كله، تصدر الكاتب الفلسطيني، والساحة الفلسطينية اكثر ماتكون حاجة اليها..

وسيزيد صدورها مسؤوليات لجنة العمل النقابي، ومسؤوليات كل الذين يتبنون هذا الخط السياسي ـ الثقافي... [1].

«الكاتب الفلسطيني»

---

(1) كتبت هذه الافتتاحية وأعد لعدد، قبل قرارات الدورة التاسعة عشر للمجلس الوطني (التحرير).

أزمة
حركة التحرر الوطني العربية

الاسباب ـ التجليات ـ الحلول

جورج بطل*

في اصول النقاش

يدور الحديث منذ عقدين من السنين، على وجه التقريب، حول أزمة في حركة التحرر الوطني العربية، مازالت بحاجة الى التحديد والتدقيق في طبيعتها وفي أشكال تجليها وفي أسبابها. الا أن هذا الحديث الذي بدأ في شكل نقاش من جانب واحد طرحته بعض القوى الثورية، وفي مقدمتها حزبنا، اتخذ في فترات لاحقة ولاسيما في السنوات العشر الاخيرة طابع سجال سرعان ما كان يتطور ليتخذ شكل صراع. وليس في ذلك ما يغير لو ان هذا السجال وهذا الصراع كانا سجالا وصراعا بين أفكار يعرف أصحابها بعضهم بعضا معرفة حقيقية فيتجادلون عن سابق معرفة كل بفكر الاخر فيرفض جزءا ويوافق على جزء من هذه الافكار، فيؤدي الجدل وظيفته العلمية ويحقق هدفه السياسي. واذ نشير الى هذه المسألة ونحن ندخل في بحث نعتبره بالغ الاهمية بالنسبة لحركتنا الوطنية العربية، فلاننا نعتقد انه آن الاوان لكي يستقيم النقاش بين الفصائل الثورية العربية وبين المفكرين الثوريين العرب. ولا يستقيم هذا النقاش، وليس بمقدوره

---

* عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني.

ان ينتج فكرا ثوريا حقيقيا، فكر تغيير ثوري يحقق التقدم الحقيقي لمجتمعاتنا العربية، الا اذا كان في اساسه قائما على الديمقراطية. والديمقراطية هنا هي ان يعترف الواحد بالاخر، بحقه في الوجود وحقه في الاختلاف، وان ينطلق كل طرف في نقاشه الطرف الاخر ليس من موقع النفي والنقض بل من موقع احتمال الاتفاق والالتقاء، ان لم يكن في الفكر بعامة والفكرة المحددة بخاصة، ففي الهدف النهائي على الاقل. والهدف في مفهومنا هنا، بالمطلق، هو في تحقيق التغيير الثوري وتقدم المجتمع العربي. هنا بالذات تطرح الاسئلة الآتية: هل نعرف حقا بعضنا بعضا المعرفة الضرورية؟ هل نعرف افكار بعضنا بعضا، هل نقرأ جيدا ما ينتجه الواحد منا من فكر أيا كان تقديره لمستوى هذا الفكر؟ هل نستمع حقا لبعضنا عندما يجري جدال بين واحدنا والاخر؟ ام ان كل ذلك مفقود وان نقاشنا بعضنا لبعض هو نقاش قائم على افكار مسبقة وتغييب مقصود أو غير مقصود، لافرق للفكر الاخر؟

ولنفترض ان كل شيء يجري على مايرام في الميدان، وهو افتراض في غير محله، لان الواقع هو عكس ذلك، فما هي الادوات الحقيقية التي ينبغي ان يمتلكها من يتصدى لمثل هذا النقاش، ادوات المعرفة والبحث والجدل؟

اننا نطرح هذه الاشكاليات المنهجية من أجل ان يكون لنقاشنا في هذه الندوة الجدوى التي تنشدها. ونحن ننطلق في الواقع من رغبة حقيقية في ان تتحول ندوتنا هذه، وان يتحول معها مؤتمر الشعب العربي، الى مرتكز من المركزات الاساسية في الوطن العربي لمعالجة قضايا تطور بلداننا وشعوب امتنا العربية وتحريرها من كل ما يعيق هذا التطور الذي نريده ان يحقق، في نهاية المطاف، ثلاثة أهداف مترابطة:

١) التحرر القومي والاجتماعي
٢) الاشتراكية
٣) الوحدة القومية

في تحديد الازمة

نبدأ الان في معالجة الموضوع الاساسي، موضوع الازمة.

ومن أجل ان نكون منسجمين مع المنهج الذي نقترحه لابد ان نعلن بان الفكر الذي نستند اليه في بحثنا هو الفكر الماركسي لذلك فادوات المعرفة وادوات البحث التي نستخدمها هي الادوات التي يقدمها لنا هذا الفكر. هذا اولا. ثم اننا ننطلق في بحثنا هذا من نقاش سابق اجريناه ولانزال نجريه مع فكر آخر، أو منظومة من الافكار المتعددة المختلفة. ولذلك، حتى ولو لم نتصد بالاسم لاصحاب هذا الفكر او هذه المنظومة من الافكار فاننا نضعها امامنا ونأخذها بعين الاعتبار ونوليها ما تستحق من اهتمام. علما باننا لانزعم معرفة كل ما كتب وقيل من افكار حول موضوع بحثنا عن الازمة. نضيف الى ذلك بان الماركسية التي نستند اليها كفكر وكمنهج وكادوات معرفة وبحث ليست ملكاً مطلقا لاحد، بل هي، في الواقع المعروف، مجال تعدد في فهمها وفي مستوى ادراكها وفي تفسيرها وفي استخدامها كمنهج وفي محاولات تطويرها واغنائها. لذلك ليس مستغربا ان نجد انفسنا في وضع نناقش فيه ماركسيين آخرين ونختلف

معهم حتى التناقض.

نعتقد أن من واجبنا قبل كل شيء ان نستوحي الماركسية في تحديد مفهوم الازمة. فالازمة كما نفهمها. نحن كماركسيين، تتحدد في علاقة الصراع والتناقض بين الحاجات الموضوعية للتطوروبين العوائق التي تقف في وجه هذا التطور وتحول دون ان يسلك هذا التطور طريقه الى التحقق، اي عندما يتحول التناقض الى تناقض تناحري لايمكن حله الا بالكسر، اي بازالة هذه العوائق وفتح كل الآفاق امام التطور في حركة التاريخ باتجاه التقدم الى الامام في شكل قفزة نوعية يطلق عليها في اللغة المعروفة، في مختلف الميادين، اسم الثورة. وتجدر الاشارة في هذا المجال، بالذات، الى ان العوائق التي تقف في وجه التطور ليست دائما من نفس النوع ونفس الطبيعة. . وليس تحديدها امرا سهلا، وهي في حالات كثيرة ذات علاقة بتطور المجتمعات، يندمج الموضوعي فيها بالذاتي، بنسب متفاوتة وغير مستقرة يتبادل فيها هذان العاملان الادوار فيتحول الذاتي الى موضوعي وبالعكس.

اذا اعتمدنا هذا التحديد لمفهوم الازمة يصبح في تقديرنا، من الممكن، برغم كل الصعوبات التي يفرضها، في موضوع تطور المجتمعات وحركة التاريخ، تعدد العوامل، ان ندخل في تحديد الازمة، في حركة التحرر الوطني العربية، موضوع بحثنا في هذه الندوة. الا ان السؤال الذي يفترض ان نطرحه على انفسنا وان ننخرط في الجواب عليه منذ البدء هو: لماذا نعلن عن وجود أزمة في حركة التحرر الوطني العربية، ونعتبر ان ذلك من البدهيات؟

في الحقيقة هنا تكمن المسألة.

لم نكن لنطرح هذه المسألة لو ان البلدان العربية تسير في تطورها في طريق واضح، وان التقدم في مجتمعاتنا العربية يتحقق بصورة منسجمة، وان الحركة الوطنية الثورية في هذه المجتمعات تأخذ موقعها في هذه العملية بشكل منسجم. الا ان الواقع هو عكس ذلك. وليس بمقدور احد ان ينكر وجود واقع صارخ في تخلفه لايستثنى فيه اي من المجتمعات العربية، رغم التفاوت القائم في تطورها. ولا نعتقد ان احدا يجرؤ على القول بان التطور الذي شهدته وتشهده البلدان الاخرى، الرأسمالية والاشتراكية، هو من خصوصيات هذه البلدان في حركة التاريخ العالمي وان بلداننا مستثناة من هذه الخصوصية ومستثناة من هذه الحركة. ذلك لايعني ان هذا الواقع، بالذات، هو وحده ميدان تحديد الازمة. فالازمة في حركة التحرر الوطني العربي تتحدد بالاستناد الى جملة من العناصر والعوامل نستطيع ان نلخصها بالمعادلة الاتية: المجتمعات العربية هي مجتمعات مختلفة متفاوتة في تطورها، تربطها بعضها في بعض عوامل غير مكتملة من أجل وحدتها، وتفرقها بعضها عن بعض عوامل التجزئة التي يعود بعضها لفعل خارجي (الاستعمار القديم والجديد)، ويعود بعضها الآخر لمجرى تاريخي معين. وتتداخل هذه العوامل فلا تستكمل تطورها الذاتي ولا ينفي بعضها البعض الاخر. وهذا التعايش داخل هذا التناقض يشكل احد المصادر الاساسية في ازمة تطور هذه المجتمعات باتجاه التقدم والوحدة القومية. الا ان كلا من هذه المجتمعات العربية، المتفاوتة في تطورها، والتي نمت في ظل تطورها، المستقل المجزأ المتفاوت، خصوصيات تحدد طابعها المميز دون ان تلغي ما هو مشترك فيما بينها، في الماضي والحاضر والمستقبل، انما تشكل في حالاتها المنفردة ازمتها الخاصة. وهذه الازمة هي بالذات ازمة تطورها، اي أزمة عجزها الراهن عن الانتقال من حالة التخلف

الى حالة التقدم. وهي حاجة موضوعية لايمكن تجاوزها ولابد لها من ان تجد حلا معينا. يعمّق هذه الأزمة في المجتمع المعيّن كون الطبقات التي تسود، وهي هنا، في مثالنا في البلدان العربية، البرجوازية بكل شرائحها، وبرامجها، وايديولوجياتها، هي ذاتها تواجه ازمة في تحقيق تقدم هذه المجتمعات على طريق تحويلها الى مجتمعات رأسمالية متطورة، آخذين في عين الاعتبار ان البرجوازية في البلدان العربية لم تحقق كامل البرنامج الذي تحدده لها عملية الانتقال من التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية السابقة للرأسمالية الى التشكيلة الرأسمالية، وهي قد فشلت، خلافا للبورجوازيات في البلدان الاخرى، في تحقيق الوحدة القومية للبلدان العربية. نصل هنا الى الجزء المتعلق بحركة التحرر الوطني العربية من الازمة التي نحن بصدد بحثها. فالمفروض ان تكون مهمة هذه الحركة، كحركة للتغيير الثوري بمضامينه المتعددة، حل ازمة المجتمعات العربية عبر استخدامها، كبديل ثوري، الموقع الذي تحتله البرجوازية، بكل شرائحها، موقع السيادة والسيطرة، فتحل مسألة تطور المجتمعات العربية منفردة ومجتمعة، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعلميا وروحيا، وتحقق التقدم الاجتماعي والوحدة القومية. في حين يثبت الواقع نقيض ذلك. فحركة التحرر الوطني العربية التي تحمل برنامجا للتغيير الثوري للمجتمعات العربية وللوحدة القومية تدخل في ازمة من حيث كونها عجزت حتى الان عن تحقيق هذه المهمات التي يحددها لها برنامجها، وتشكل بأزمتها هذه جزءا من أزمة المجتمعات العربية التي تصبح قضية حلها مهمة أساسية يزيل تحقيقها العوائق امام تطور هذه المجتمعات وتقدمها. نقول ذلك استنادا الى ما هو متعارف عليه في تحديد مفهوم حركة التحرر الوطني العربية من انها حركة ثورية للتغيير وللتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حركة ذات طابع قومي عربي اساسه ان ما يجمع الشعوب العربية ويوّحدها ليس فقط مجرد وجود مشاعر قومية وحدوية هي امتداد لتاريخ مشترك وثقافة مشتركة ولغة مشتركة وعادات وتقاليد مشتركة وتكوّن نفسي وروحي مشترك، بل ايضا انتهاء الى امة عربية - لايهم كونها لم تتجسد حتى الان في دولة واحدة - نعتقد ان قيامها في الظروف المعاصرة للبلدان العربية، ولاسيما فيما يتعلق بمستقبلها ومصائرها، وبمستقبل ومصائر تطورها وتقدمها، يصبح اكثر فاكثر حاجة موضوعية. نعم ان مصالح البلدان العربية وشعوبها والاوضاع الخاصة في كل منها وثرواتها وآفاق الافادة من هذه الثروات في عملية التنمية، والدور الذي يعود لها في حجمها وموقعها في عالمنا المعاصر وما تطمح اليه من اسهام في بناء الحضارة استكمالا للدور الذي لعبته في مرحلة من تاريخ الانسانية، ان كل هذه المصالح تستدعي قيام هذه الوحدة القومية حتى ولم تتوفر كل العناصر المكونة للأمة، في اي من التعريفات التي يجري الاستناد اليها لتحديد مفهوم الامة.

اذا كان هذا مفهوم حركة التحرر الوطني العربية فان هذه الحركة واقعة فعلا في ازمة. اما اذا كان التحديد لهذا المفهوم مختلفا، اي اذا كان ينظر الى حركة التحرر الوطني العربية على انها خليط من قوى طبقية مختلفة متناقضة من الطبقة العاملة الى البرجوازية تقيم فيما بينها تحالفا حول مهمات ذات طابع وطني عام وظرفي، فان المسألة تختلف، وعندئذ تصبح هذه الحركة من حيث كونها حركة غير منسجمة، يطغى في قيادتها وبرنامجها وفكرها دور البرجوازية على الطبقات الاخرى، تصبح جزءا من البرجوازية ومن ازمتها، اي من الازمة العامة للرأسمالية. وفي هذه الحالة يطرح السؤال اين هو البديل الثوري اذن وما هو دوره وما هو موقعه وما هو شكل وجوده؟

وفي هذه المسألة نميل، دون جزم، الى الاعتقاد بان مفهوم حركة التحرر الوطني اليوم هو غيره في مرحلة النضال من أجل الاستقلال الوطني. وحول هذه المسألة جرت في السنوات الاولى لتكوين الاممية الشيوعية بعد انتصار ثورة اوكتوبر الاشتراكية نقاشات حادة بهدف تحديد طبيعة الحركة الناهضة في بلدان الشرق المستعمرة والتابعة من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية وبناء دولها القومية المستقلة ومنها وطننا العربي بتأثير مباشر من ثورة اوكتوبر وافكارها وشعاراتها والانجازات الاولى التي حققتها. وجوهر النقاش كان يدور حول مضمون هذه الحركة وحول آفاقها اخذا بعين الاعتبار انها حركة شعوب تضم طبقات مختلفة، الطبقة العاملة فيها ضعيفة والبرجوازية ناشئة والمجتمعات متخلفة. ففي حين كان يسود رأي بانها في ظروف العصر الجديدة، ظروف ما بعد ثورة اوكتوبر، جزء من الثورة الاشتراكية العالمية، برز رأي آخر في فترة لاحقة، يعطيها تحديدا اكثر دقة فيفصل، على اساس طبقي، بين الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والمثقفين الثوريين من جهة، وبين البرجوازية والاقطاع، من جهة ثانية، والتناقض بينهما في المصالح والبرامج والتحالف المفروض في النضال من أجل الاستقلال مما يعطي الحركة بما هي تحالف طبقات ثورية، مضمون الحركة المعادية للامبريالية المناضلة من أجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والاشتراكية. ورغم ان الرأي الثاني كان اقرب الى الدقة والى التحديد العلمي فان التطورات التي حصلت، على الصعيد العالمي، في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن، لاسيما في البلدان المستعمرة، والتابعة خلقت صعوبات جعلت من الصعب ان يكون هناك فهم واحد واضح عند جميع المعنيين بهذه الحركة في بلدان المتروبول وفي المستعمرات والبلدان التابعة. وقد تجسد هذا الاختلاط في الفهم وفي تحديد المفهوم في كون الاحزاب الثورية، والاحزاب الشيوعية والعمالية بخاصة، قد وقعت في خطأين باتجاهين متناقضين: الاتجاه الاول بالغ في الفصل بين طرفي النضال من أجل الاستقلال اي بين الطبقات الثورية وبين البرجوازية والاقطاع بشكل ادى الى عزلة الحركة الوطنية الثورية وانفراد البرجوازية، عمليا، في قيادة هذا النضال. الاتجاه الثاني الذي بالغ في الربط بين طرفي النضال هذا انطلاقا من ان الحركة الوطنية في هذه البلدان هي حركة شعوب بكاملها، بطبقاتها المختلفة، وانها تشكل بذلك جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية. وقد شكل الاتجاه الثاني الاساس في الالتباس الذي نشهد اليوم ومنذ ما بعد الحرب العالمية الثانية وانهيار نظام الحكم الاستعماري، نتائجه المباشرة على مجمل تطور الحركة الثورية في بلدان ما نسميه اليوم بلدان العالم الثالث ومنها، بشكل خاص، البلدان العربية.

ان هذه الاشكالات هي التي تجعلنا نميل الى اعتماد مفهوم آخر لحركة التحرر الوطني تتغير فيه الصيغة القائمة ويتغير فيها المضمون وتتغير المهمات والبرامج والفكر. ذلك اننا، اليوم في عشية العقد الاخير من القرن العشرين مدعوون، في مواجهة واقع بلداننا الراهن، لاعمق وادق ما يمكن من المعرفة بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية والروحية والتاريخية، مما يتيح لنا امكانية صياغة المفهوم الصحيح لما ينبغي ان تكون عليه الحركة المطلوب ان تقود عملية التحرر الوطني والاجتماعي وتحقق التطور والتقدم لمجتمعاتنا العربية على طريق الاشتراكية والوحدة القومية. هذه الحركة في تقديرنا، في هذا الضوء، لايمكن الا ان تكون حركة وطنية ثورية حقيقية منسجمة في فكرها وبرنامجها وفي المصالح التي تمثلها وفي الطبقات والفئات الاجتماعية التي تتكون منها. وهذا التحديد لاينبغي ان يفهم على انه عزل لهذه الطبقات

الثورية عن العلاقات التي تفرضها المهات المطروحة لتطور المجتمعات العربية عن الطبقات الاخرى، بما فيها البرجوازية. على العكس من ذلك فان الاستقلال الذي ينبغي ان تتمتع به الطبقات الثورية، وفي طليعتها الطبقة العاملة عن البرجوازية، هو وحده الذي يشكل الاساس لاقامة علاقات صحيحة بين طبقات المجتمع في ظل التناقضات بما فيها التناقضات التناحرية القائمة بين هذه الطبقات.

الا ان هذه المسألة بكل جوانبها تحتاج الى نقاش. وقبل ان يتحدد الموقف النهائي من هذه المسألة، ولكي نكون منسجمين مع طبيعة البحث الذي نحن بصدده الان سنعتمد المفهوم المتعارف عليه للحركة، اي حركة التحرر الوطني العربية، برغم كل مايحمله هذا المفهوم من التباس. على هذا الاساس يصبح من الممكن تحديد الازمة في حركة التحرر الوطني العربية على النحو الاتي: انها ازمة تتجسد في لتناقض القائم بين التركيب الطبقي لهذه الحركة وبين المهات المطروحة امامها. فهي حركة تتكون من طبقات اجتماعية مختلفة ومتناقضة، الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الصغيرة والمتوسطة من المنتجين في المدينة والريف، من جهة، وشرائح من البرجوازية تتناقض سياسياً مع الامبريالية دون ان تتحرر، في مواقعها المختلفة، من تبعيتها للامبريالية ونظامها الرأسمالي العالمي، من جهة ثانية. فكيف يمكن ان تكون مثل هذه الحركة حاملة برنامج تغيير ثوري؟ من الممكن، وهو احتمال حقيقي في رأينا، ان تنخرط مثل هذه الحركة في نضال سياسي ضد الامبريالية والصهيونية وتنخرط في الوقت ذاته، بنسب متفاوتة، من الاستقلالية والتبعية، في عملية تطوير المجتمع. من هنا تنشأ الازمة ومن هنا تنشأ الحاجة الى حل لها. ذلك ان تطور المجتمع بذاته، كمهمة عامة مطلقة موضوعة أمام كل قوى المجتمع لايمكن ان تسير في اتجاه تحققها بشكل منسجم الا اذا لعب دورا اساسيا في تحقيقها التحالف الثوري الذي يملك برنامجا للتغيير الثوري باتجاه التقدم الاجتماعي والوحدة القومية. الازمة هنا، اذن، هي أكثر من كونها أزمة قيادة طبقية برجوازية لحركة التحرر الوطني العربية، انها، بالاضافة الى ذلك، ازمة بنيوية بفعل التناقض القائم بين الطبقات المكونة لها. فضلا عن انها تحمل في ذاتها ازمة من نوع آخر، هي أزمة تكوين البديل الثوري، ليس من حيث وجوده، فهو موجود في داخل هذه الحركة، بل من حيث تبلوره ككيان مستقل، من جهة، وتبلور برنامجه بما يتفق مع المهات المطروحة أمامه، من جهة ثانية، والممارسة الثورية الحقيقية التي تنسجم مع الدور الذي يضطلع به هذا البديل وبرنامجه وفكره. وككل أزمة، فان هذه الازمة في حركة التحرر الوطني العربية لايمكن ان تحل الا بنوع من الكسر مع الواقع القائم، وقيام حالة نوعية جديدة تتوافق مع الحاجات الموضوعية للتطور، كما نفهمه نحن الثوريين العرب: التطور باتجاه تحقيق تقدم حقيقي في المجتمعات العربية وتغيير ثوري فيها وتحقيق الوحدة القومية. انها اذن عملية ثورية. محصلتها في رأينا قيام حركة ثورية عربية تحمل فكرا ثوريا حقيقيا وبرنامجا ثوريا حقيقيا، وكلا الفكر والبرنامج يستندان الى واقع بلداننا السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتاريخي، والى تجارب النضالات الثورية وتياراتها المختلفة، والى الفكر الثوري العالمي في تطوره، والى تجارب كل الثورات وكل الشعوب.

ان هذه الازمة في حركة التحرر الوطني العربية هي، كما أشرنا الى ذلك في البدء، جزء من أزمة أوسع وأعمق تشمل مجتمعاتنا العربية كلها. الا ان حل هذه الازمة، أي أزمة حركة التحرر الوطني العربية هو المفتاح لحل أزمة المجتمعات العربية مجتمعة ومنفرده ولذلك ترتدي هذه المسألة الاهمية التي تكتسبها

والتي تشكل ندوتنا الراهنة واحدة من المبادرات الهامة التي تتصدى لمعالجتها.

واذا كنا نصر على اعطاء الوضع السائد في حركة التحرر الوطني العربية صفة الازمة فلاننا كما حددنا في مطلع هذا البحث، منهجنا العلمي، لا نرى سوى الازمة صيغة لوصف هذا الوضع ولتحديد طبيعته. والمسألة في رأينا، ليست مسألة خلاف في اللغة وفي الصايغة، علما بان وظيفة اللغة هي ان تعطي للمفاهيم مدلولاتها ومعانيها ومضامينها، ولا هي مسألة اخلاقية، بل هي مسألة تحديد علمي دقيق لواقع قائم. لذلك اكدنا على ضرورة امتلاك ادوات عليمة للمعرفة والبحث من أجل اكتشاف ورؤية الظاهرات، واسبابها، واشكال تجلّيها، وتحديد الموقف منها وتثبيت ما هو طبيعي منها وازالة ما هو عرضي وما يشكل عائقا امام التطور.

ظاهرات الازمة وتجلياتها

لن نعود الى الجذور التاريخية للازمة في حركة التحرر الوطني العربية بتفاصيلها، سنكتفي بالاشارة الى واقع حكم تطور هذه الحركة في تاريخها المعاصر هو، في رأينا مهم جدا في كونه يساعدنا في تحديد ملامح ومعالم الازمة الراهنة. الواقع الذي نشير اليه هو ان الحركة في بداياتها، منذ اواخر القرن الماضي حتى مرحلة الاستقلال، كانت تحمل برنامجا واضحا لا اختلاف بين الطبقات الاجتماعية حوله وحول مضمونه. نعني به برنامج النضال من أجل الانفصال عن السلطنة العثمانية والتحرر من السيطرة الاستعمارية وتشكيل الدولة العربية المستقلة الواحدة. وايا كان تقدير ما تم الوصول اليه في النضال على أساس هذا البرنامج اليوم، في الموقف من الحركة الاستقلالية هذه والموقف من التجزئة والمقارنة التي نشأت بين السلطنة العثمانية والدول الامبريالية في العلاقة مع القضية العربية، فان ما تم انجازه في هذا النضال، على أساس هذا البرنامج، في ظل موازين القوى الداخلية والخارجية، وفي ظل مستوى الوعي الذي كان سائدا، هو انجاز كبير، لابد من الاقرار به وباهميته، هذا هو رأينا على الاقل. فرغم موقفنا المبدئي والواضح من التجزئة فلا يمكن الا ان نكون مع الاستقلال عن اية سيطرة أجنبية. واي ربط شرطي، كما يجري عند بعض المفكرين العرب والباحثين في المسألة القومية وفي مسائل تطور البلدان العربية، بين التحرر من السيطرة الاجنبية والوحدة القومية هو في رأينا شكل من اشكال العدمية القومية وهو يتناقض مع منطق حركة التاريخ ومع الحركة الاستقلالية ذاتها التي لم تتخذ شكلاً واحداً والتي لم تتم في وقت واحد والتي اختلفت فيها الظروف والعوامل الداخلية والخارجية، فضلاً عن أن جانباً من هذا الموقف اتخذ فيما بعد عند بعض انصار الحركة القومية العربية الواحدة وعند بعض ممثلي بعض التيارات الاصولية الاسلامية طابعاً طائفياً بمعنى الدمج بين العروبة والاسلام احيانا ونفي هذه العلاقة بمعارضة قسرية مصطنعة بين الاسلام والعروبة داخل البلدان العربية، والتمييز بين مستعمر ومستعمر على اساس الدين.

الا ان المسألة اتخذت طابعا آخر بعد الاستقلال وتثبيت التجزئة والتطور على اساسها ومواجهة الاستعمار الجديد بديلا للاستعمار القديم، ونشوء مهات من نوع مختلف كيفيا عن السابق، وبروز قوى تحمل برامج مختلفة، من مواقع طبقية وفكرية وسياسية مختلفة ومتناقضة، في مواجهة هذا الواقع الجديد

والمهمات التي يطرحها.

هنا بالذات بدأت الازمة الحقيقية. وهي في جوهرها ازمة نمو وتطور، هذا النمو وهذا التطور اللذان كانا يحتاجان الى قوى تتطابق مصالحها، موضوعيا، معهما الا ان مستوى التطور القائم، في كل جوانبه، وهو مختلف بين بلد عربي وآخر، لم يسمح بالفرز الضروري الذي كان ينبغي ان تنشأ على أساسه وبفعله حركة ثورية منسجمة قادرة على ان تقود عملية التطور باتجاه التحرر الكامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وباتجاه تحقيق الوحدة القومية، او ان تلعب في قلب هذه العملية دورا طليعيا. فكان من نتيجة هذا المستوى من الوعي. وعدم تبلور هذا التمايز، وغياب حركة ثورية عربية واحدة منسجمة، ان دخلت القوى الراغبة في التغيير، المختلفة ببرامجها الطبقية والسياسية المتباينة في ايديولوجياتها، في صراع ضد العدو الخارجي والداخلي، وفي صراع فيما بينها، حول المهمات الجديدة المعقدة بكل انواعها. وقد ادى كل ذلك الى قيام احداث كبرى تمخضت عن انجازات تاريخية حملت معها، بفعل العوامل الموضوعية والذاتية التي اشرنا اليها، اسباب الاخفاقات والنكسات التي رافقتها وطغت عليها.

ما هي أبرز ظاهرات الازمة كما تبرز اليوم؟

قد لايكون من الصعب التوقف عند كل هذا الظاهرات بما تستحقه من البحث والتحليل والاستنتاج. فهي كثيرة، متعددة الاشكال، وتحتاج الى الاحاطة بها من جميع الجوانب، ثم الربط فيما بينها لانها تعبيرات متعددة الشكل عن جوهر واحد. فمهمتنا في هذه الندوة تنحصر في التوقف عند العناصر الاساسية التي تؤكد وجود هذه الازمة من أجل ان نضع امامنا مهمة التصدي لايجاد الحلول الصحيحة لها، وتحرير الطاقات والقدرات الكامنة امام شعوب امتنا العربية من الكوابح التي تحول دون انطلاقها في مهمة تغيير الواقع القائم تغييرا ثوريا.

سنتوقف عند الظاهرات التالية:

الظاهرة الاولى: هي ظاهرة تشتت الحركة وغياب مركز لها سياسي وجغرافي، وعدم وجود أي شكل تنظيمي ناظم للعلاقات بين فصائلها، وافتقارها الى فكر ثوري واحد ونظرية ثورية، والى برنامج سياسي موحد لنضالها واهدافها والمهمات المطروحة امامها. ان ظاهرة التشتت هذه تخفي، في الواقع، خلافا خطيرا لايجرؤ احد ان يعترف به جهارا حول تجاهل الحاجة الموضوعية الى قيام حركة ثورية قومية واحدة. والتحلل من الالتزام بما يمليه قيام مثل هذه الحركة من واجبات ومسؤوليات، وخلق تناقض، هو، في تقديرنا مصطنع، في المطلق، بين ما هو قطري من مهمات لاجدال في اهمية الالتزام به، من جهة، وبين ماهو قومي من مهمات لاتتقدم الحركة على صعيد القطر من دون الالتزام به، من جهة ثانية، فالعلاقة هنا بين القطري والقومي هي علاقة ترابط موضوعي تترافق مع استقلالية نسبية لكل منها ازاء الاخر. ان فقدان هذا التوازن الضروري في العلاقة بين القطري والقومي هو الذي تسبب في خلل يتفاقم شهدنا نماذج عنه في ربع القرن الاخير، ونشهد اليوم النتائج المدمرة له في حياتنا العربية المعاصرة، لاسيما في اخطر محور من محاور النضال الوطني الثوري العربي، نعني به القضية الفلسطينية اساسا، والصراع العربي - الصهيوني بصورة عامة. وقد تجلى هذا الخلل في خطأين اساسيين:

الخطأ الاول: هو الذي انطلق من كون القضية الفلسطينية قضية محورية مسخرا كل نضال في الوطن العربي في ما اعتبر انه في صالح هذه القضية المحورية، مغيبا اي موقع لاي قضية من القضايا التي تخص كل بلد من البلدان العربية، معتبرا ان مجرد الانخراط في النضال تحت راية الثورة الفلسطينية هو بذاته يخدم كل القضايا العربية في المرحلة الراهنة. وبالاستناد الى هذه الموضوعة المتعلقة بالقضية الفلسطينية نمت وتطورت اتجاهات مماثلة في بلدان عربية اخرى، بنسب متفاوتة، تحولت معها، في البلد المعين او عند الحركة المعينة، قضية ذات طابع قطري، في الأساس، الى قضية اعطت طابع القضية الاساس تختزل فيها كل القضايا القومية العربية وتحرر اصحابها من اي التزام بالقضايا القومية الاخرى. وبالتأكيد لايختلف احد بان للقضية الفلسطينية موقعا مميزا وهذا ما يعلنه الجميع بدون استثناء وجهارا. الا ان المبالغة، المتعددة المنطلقات والمتعددة الاشكال والجوانب في تقدير موقع القضية الفلسطينية، قد ادى، عمليا الى اضفاء طابع خاص مميز فوق الاعتبارات ليس للقضية الفلسطينية وهذا حقها وموقعها، بل للحركة الوطنية الفلسطينية المناضلة الشجاعة، في جوانب الصواب والخطأ في سياساتها، وممارساتها، بعامة، وسياسات وممارسات بعض فصائلها بخاصة، وهو الامر الذي جعل الجانب القطري يزداد ترسخا في هذه الحركة على الجانب القومي الموضوعي في القضية الفلسطينية الى الحد الذي اصبحت فيه هذه الحركة، بفعل ترسخ الطابع القطري فيها، نقيضا لما كانت عليه عند انطلاقتها من قطب جذب للجماهير العربية معبئة لطاقاتها دافعة لها في الكفاح، حركة اكثر انكفاء وقوقعة، واخطر نتائج هذا الوضع ما تشهده هذه الحركة من صراعات في داخلها ومن معارك جانبية بينها وبين قوى وطنية عربية أخرى، اسبابها متعددة لكنها غير مبررة، والمسؤولية فيها، وفي استمرارها وفي الطابع التدميري الذي اتخذته، لا يتحمله طرف واحد، الا ان المسؤولية الاكبر تقع، موضوعيا، على صاحب القضية وحامل لواء الكفاح من أجل انتصارها. ولعلنا نحن الوطنيين الثوريين اللبنانيين اكثر الفصائل الثورية العربية ادراكا لهذه الحقيقة المرّة وأكثرها دفعا للثمن الباهظ الذي ترتب على هذا الخلل في العلاقة بين القطري والقومي في القضية الفلسطينية وداخل الحركة الوطنية الفلسطينية، واليوم، بعد مضي أكثر من سبعة أشهر على بدء الانتفاضة الوطنية الفلسطينية وداخل الحركة الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة التي تمثل ذروة الكفاح الذي يخوضه الشعب الفلسطيني منذ عشرات السنين، والعجز المفجع عن ممارسة هذه الحركة العظيمة تأثيرها على الجماهير العربية، وتعبئتها في حركة قومية عربية شاملة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية، فان الثمن للخلل في العلاقة التي اشرنا اليها انما يدفعه الشعب العربي الفلسطيني الشجاع الثائر الاعزل في الأراضي المحتلة الذي يواجه كل ترسانة الصهيونية وحلفائها في الداخل والخارج، وتدفعه القضية الفلسطينية بالذات، أليست هذه المأساة مظهرا فظا من مظاهر الازمة في حركة التحرر الوطني العربية؟

هذا هو الخطأ الاول في العلاقة بين القطري والقومي.

أما الخطأ الثاني: فهو ما يمكن ان نطلق عليه صفة العدمية القومية انطلاقا من ان اصحاب هذا الخطأ يلغون بشكل تعسفي ومصطنع، ومتعارض مع كل منطق، كل قضية تعبر عن مصلحة قطرية في واقع التجزئة الراهنة، ويتجاهلون بالكامل الوقائع الموضوعية القائمة، فتصبح عندهم المسألة القومية،

مسألة مجردة غامضة غير محددة، بعيدة عن ادراك الجماهير ومتعارضة في معظم الاحيان مع قضاياها الملموسة. وغالبا ما يلتجىء هؤلاء، في ايامنا، الى مظلة القضية الفلسطينية، كما كانوا يستظلون سابقاً بشعار الوحدة العربية المجرّد، لفقدانهم اي موقع حقيقي بين الجماهير، في أي من الأقطار العربية، متوهمين بذلك أنهم يؤكدون إنتماءهم القومي الذي هو بنظرهم الانتماء الاساس، الذي، لايرتب عليهم في الواقع اي التزام حقيقي، على حساب انتماء الى قطر معين وقضايا ملموسة، بدونها لايستقيم اي انتماء قومي.

ان ظاهرة التشتت في الحركة الثورية العربية لاتنحصر، فقط، فيما اشرنا اليه، وهو خطير بذاته ويحتاج الى مزيد من التوضيح والتحديد والاستنتاج، بل هي تشمل جوانب أخرى لاتقل خطورة عنها تتجسد في ثلاثة أمور:

الامر الاول: هو الجانب التنظيمي. فاذا استثنينا بعض المظاهر غير الثابته كعلاقات وتحالفات واعمال مشتركة وجبهات قامت وتقوم بين فصائل متعددة سرعان ما تأتي احداث صغيرة او كبيرة تعطلها او تلغيها، فان الظاهرة الابرز هي العجز حتى الآن عن تحقيق الشعار الذي ارتفع على امتداد عشرات السنين في برامج معظمهم إذا لم يكن كل الفصائل الوطنية الثورية العربية، نعني به شعار وحدة القوى الثورية العربية. ومؤتمر الشعب العربي الذي نلتقي اليوم في رحابه في هذه الندوة كما التقينا مرات عديدة خلال السنوات العشر المنصرمة على قيامه، الذي وضع في اهدافه الاساسية منذ اليوم الاول لتأسيسه مهمة اقامة الجبهة العربية الواحدة لم يستطع ان يحقق خطوات ملموسة على هذا الطريق دون ان يعني ذلك بالضرورة ان المؤتمر هو المسؤول عن عدم تحقيق اهدافه، علمًا بانه ليس معفى من المسؤولية، الا يستدعي كل ذلك طرح السؤال المشروع: لماذا؟ لماذا لم نتمكن جميعنا رغم الاعلان الصريح في وثائق جميع فصائلنا عن الرغبة في تحقيق نوع من الوحدة بين فصائلنا لمواجهة المهمات الكبرى التي تطرحها الحياة ومجمل التطورات والاحداث امامنا. اليس هذا مظهراً من مظاهر الازمة تحتاج منا جميعاً الى التوقف عنده وبحثه وبحث اسبابه الموضوعية والذاتية.

الامر الثاني: هو الجانب المتعلق بالفكر وبالنظرية الثورية. هذا الموضوع هو اكثر تعقيداً رغم انه مرتبط بالجانب التنظيمي. والصعوبة هنا تكمن في ان فصائل حركة التحرر الوطني العربية، الاساسي منها بشكل خاص، قد تكون تاريخياً على قاعدة ايديولوجيات مختلفة. وخلق هذا الاختلاف، منذ البدء، تناقضاً وصراعاً لا يتحمل مسؤوليته طرف واحد بل يتحملها جميع الاطراف، وبرغم ما حصل من تطور في المعارك المختلفة وفي مواجهة المهمات المشتركة، ومن تقارب ما يزال يزداد تعمقاً بين هذه الايديولوجيات، فان الحذر لا يزال قائماً، ولا يزال التناقض يتخذ اشكالاً مختلفة، ولا تزال تتحمل مسؤوليات في ذلك جميع الاطراف. كيف يمكن ان نتصور قيام حركة ثورية واحدة ذات شكل تنظيمي واحد دون أن يكون لها فكر واحد ونظرية ثورية واحدة؟ الا ان صياغة هذا الفكر الواحد ليست قضية ارادية. انها تنبع في الحقيقة من وجود مصالح مشتركة، واهداف مشتركة، ومهمات مشتركة، يوحدها تحالف طبقي ثوري منسجم وليس تحالفاً طبقياً تختلف فيه المصالح وتتناقض مثلما هو الحال في حركة التحرر الوطني العربية في واقعها الراهن. اليس هذا ايضاً مظهراً من مظاهر الازمة؟

الامر الثالث: المتعلق بالبرنامج. وهذا الجانب يرتبط بالجانبين الاولين ولا يمكن ان نتصور صياغة برنامج لحركة ثورية غير متجسدة في شكل تنظيمي ولا تملك فكراً ونظرية ثورية ورؤية موحدة.

الظاهرة الثانية: هي ظاهرات التناقضات والصراعات والانقسامات داخل حركة التحرر الوطني العربية وبين فصائلها وداخل العديد من فصائلها. ان هذه الظاهرة شأنها شأن كل ظاهرة تعود في نشوئها الى اسباب موضوعية وذاتية. والاسباب الموضوعية عديدة اهمها ان حركة التحرر الوطني العربية نشأت بشكل احزاب وتنظيمات وانظمة من مواقع طبقية مختلفة وايديولوجيات مختلفة ومصالح واهداف تلتقي وتتناقض. واذا كانت الاحداث الكبرى التي شهدتها مرحلة ما بعد الاستقلال، اي المعارك الكبرى ضد الاحلاف والمشاريع والقواعد العسكرية الامبريالية، وفي مواجهة هجوم الاستعمار الجديد للتحكم في البلدان العربية وبثرواتها واسواقها وبمصائرها، وتعميق تبعية هذه البلدان للامبريالية، والمعارك والحروب التي اقترنت بقيام الكيان الصهيوني واغتصاب ارض فلسطين وحرمان شعبها من حقوقه القومية المشروعة، والنهوض الذي ولدته والنكسات التي ترافقت معه، والمعارك الكبرى من اجل تحرير الثروات القومية، تأميم قناة السويس وتأميم شركات النفط، والتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي جرت في الانظمة الوطنية في مصر وفي الجمهورية العربية المتحدة خلال الوحدة بقيادة عبد الناصر وفي سوريا والعراق في ظلم حكم حزب البعث، في الجزائر وليبيا واليمن الديمقراطية بعد انتصار الثورة في كل منها، ومعارك الوحدة العربية التي دشنها قيام الوحدة بين مصر وسوريا، وتجاربها بالصواب والخطأ فيها، اذا كانت كل هذه الاحداث وكل هذه المعارك والمجابهات الكبرى والتحولات قد ولدت نهوضاً استثنائياً شاركت فيه جميع الفصائل الوطنية العربية، فانها سرعان ما تحولت، في ظل الصعوبات الموضوعية وفي ظل الصراعات والتناقضات والانقسامات الى الحالة النقيض، الى التراجعات والهزائم والنكسات وخسارة الكثير من المكاسب التي تحققت. ولا يقلل من خطر هذه الحالة من التراجع جملة من الانتصارات ظلت تتواصل هنا وهناك دون ان تتمكن من تغيير المجرى العام الذي ظل يتجه نحو التراجع والازمة. والمسؤولية في هذا الذي حصل، في كل جوانبه، لا يتحملها طرف واحد، بل تتحملها جميع الاطراف بنسب متفاوتة يحددها حجم كل طرف في كل معركة من المعارك. وقد دفعت جميع الفصائل ثمن هذا الواقع المرير. الا ان الذي دفع الثمن الاكبر هو الجماهير العربية، وقضية الثورة والتغيير والتقدم والوحدة العربية، وقضية فلسطين التي تتجلى فيها المأساة والعجز العربي العام والازمة بشكل اكثر حدة من اية قضية اخرى. ان هذا التراجع وهذه الازمة قد أديا الى نكوص في حركة التحرر الوطني العربية مقابل تزايد في الهجوم من قبل الرجعية العربية المتحالفة او المتواطئة مع الامبريالية والصهيونية.

واذا كان لا بد من التذكير بالقضايا التي جرى حولها ولا يزال يجري التناقض والصراع والانقسام فان بالامكان الاشارة بشكل سريع الى القضايا الآتية:

١ - المسألة القومية، تحديدها وتحديد موقعها في الصراع. الخلاف يدور حول التحديد للمسألة القومية بين وجهتي نظر اساسيتين. وجهة نظر اولى تعتبر ان النضال القومي هو جانب من النضال الطبقي

وانه لا يمكن تصور النضال الطبقي بمعزل عن هذا الجانب . وان الاهتمام بالمسألة القومية ، بهذا المعنى ، هو جزء اساي من مهمات الطبقة العاملة وكل الحركة الثورية ، وان الموقع الذي تحتله المسألة القومية في الصراع مع الامبريالية ، في الوقت الراهن ، هو موقع رئيسي . وتؤكد وجهة النظر هذه ، ونحن من دعاتها ، ان النضال من اجل حل القضية القومية بكل مقوماتها لا يمكن ان ينفصل ، في ظروف بلادنا وفي ظروف العصر ، عن النضال ضد الامبريالية ، بشكل عام وعن النضال من اجل التغيير الثوري ، بشكل خاص . اما وجهة النظر الثانية فتفصل بين النضال القومي والنضال الاقتصادي الاجتماعي ولا تعتبر النضال القومي جزءاً من النضال الطبقي . وهنا تلتقي وجهتا نظر متناقضتان حول موقف واحد . وجهة نظر اولى تعتبر القضية القومية قضية كل الطبقات ، ووجهة نظر ثانية تعتبر ان القضية القومية ، هي ، في الاساس ، قضية البرجوازية ارتباطاً بالموضوعة التي تحدث عنها ماركس في القرن الماضي واتخذت في عصرنا ، ومنذ لينين وانتصار ثورة اوكتوبر ، طابعاً ومحتوى مختلفين ، فيتمسك اصحاب وجهة النظر هذه بنصوص ماركس ويهملون المنهج الماركسي ، ويهملون ايضاً ما أدخله لينين من جديد في عصر الامبريالية على الماركسية في هذه الموضوعة .

٢ - قضية فلسطين ، حول هذه القضية يدور الصراع الظاهر والخفي حول نوعين من المسائل ، النوع الاول يتمحور حول موقع القضية الفلسطينية في الحركة الثورية العربية ، بشكل عام ، فيبرز هنا تياران . تيار يقول بان القضية الفلسطينية هي قضية كل العرب وان الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية ليسا سوى جزء من الاهتمام العربي فيحرمهما من حق لهما اساسي ، وواجب عليهما ضروري ، في قلب هذا الاهتمام العربي العام في قضية هي ، اياً كان موقعها المتميز في قلب الحركة الثورية العربية ، تظل ، بالدرجة الاولى ، قضية الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية ، التي تحمل الآن اسم منظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية ، وينبغي ان تظل تتمتع باستقلالية نسبية ضمن الموقف القومي العام .

التيار الثاني ، يعتبر ان القضية الفلسطينية هي ملك للشعب الفلسطيني وحركته الوطنية وانهما وحدهما يقرران ، انطلاقاً من موقع القضية الفلسطينية في النضال القومي العام ، شكل المساهمة القومية وحدودها ، وان على الاطراف العربية ان تخضع لهذا التحديد ، فترتفع بذلك القضية الفلسطينية فوق جميع قضايا الشعوب العربية ، وترتفع الحركة الوطنية الفلسطينية فوق كل الحركات الوطنية العربية . ان هذا الموقف انما يعزز ، ليس فقط الاتجاهات القطرية عند الحركة الوطنية الفلسطينية ، بل عند كل الحركات الوطنية العربية ويعفي هذه الحركات من مسؤولياتها ازاء القضية الفلسطينية . والموقف الذي نعتبره الاكثر صحة هو الترابط القومي والمسؤولية القومية من جهة والاستقلالية الفلسطينية النسبية من جهة ثانية .

النوع الثاني من المسائل التي يجري حولها الخلاف في القضية الفلسطينية يتمحور حول الموقف من الحلول لهذه القضية يبرز في هذه المسألة تياران . تيار يعتبر ان حل القضية الفلسطينية الاول والاخير الذي لا اعتراف فيه بمراحل وبالمرحلية ، هو استعادة فلسطين كامل ومرة واحدة للشعب الفلسطيني صاحب الحق التاريخي فيها ، بمعزل عن توفر الظروف الموضوعية والذاتية والعوامل الخارجية والداخلية وبمعزل عن موازين القوى . والتيار الثاني ينطلق من جملة من الظروف والعوامل الداخلية والخارجية ومن موازين

القوى الاقليمية والدولية فيحدد برنامجاً مرحلياً واقعياً فيقف عنده ويضع كل ما يملك من طاقات وامكانات من اجل تحقيق هذا البرنامج ، ويقدم تنازلات بعضها مشروع وبعضها غير مشروع ، ويضع نفسه امام مهمات مستعجلة فيتحول الى أسير لها ، ويندفع في تقديم المزيد من التنازلات الى درجة تبلغ فيه التنازلات او الاستعداد لتقديمها ، مستوى التفريط بالمصالح الوطنية لكل الشعب الفلسطيني او لجزء منه ، فيقود ذلك عملياً الى التخلي عن البرنامج المرحلي الواقعي واجهاض النضال الذي تعبّر الانتفاضة ، اليوم ، عن مستواه المتقدم . اما الموقف الصحيح فهو الذي يستند الى هذا البرنامج المرحلي الواقعي ويعتبره برنامجاً مرحلياً ، بالفعل ، فرضته كل الوقائع وموازين القوى ، وان الحل النهائي لا يتحقق الا عندما يتاح لكل الشعب الفلسطيني في كل اماكن وجوده الراهنة حقه المشروع الكامل في العودة وتقرير مصيره بحرية مطلقة .

٣ - قضية الوحدة العربية ، الخلاف يدور في هذه القضية حول خمسة امور ، الامر الاول يتعلق بتحديد مفهوم الامة وهل هناك امة عربية ام لا ؟ . الامر الثاني يتعلق بامكانية وواقعية قيام وحدة عربية بعد ان ترسخت التجزئة الى حد باتت معه عائقاً امام الوحدة ؟ الامر الثالث هل ستكون الوحدة العربية وحدة اندماجية ام وحدات اقليمية تشكل اساساً لوحدة فيديرالية او كونفيدرالية ؟ الامر الرابع كيف ستقوم الوحدة ، هل ستقوم بالقسر ام على اساس ديمقراطي تمارس فيه الجماهير دورها لتحقيق طموحها في الوحدة ؟ الامر الخامس هل يشترط لقيام الوحدة سواء كانت بين بلدين او عدة بلدان ، او وحدة شاملة ، بانجاز التغيير الثوري في كل البلدان المنتمية الى الوحدة ، ام ان هذا الشرط ليس ضرورياً ؟

في رأينا ان مسألة وجود عناصر مكونة للامة كشرط للاعتراف بأمة عربية ليست مسألة ضرورية ، مع العلم بان معظم هذه العناصر متوفرة . ننطلق في موقفنا هذا من قناعة نطرحها للنقاش بان البلدان العربية لكي تتمكن من انجاز مهمات تطورها وتقدمها في ظل الاوضاع الملموسة لكل بلد من هذه البلدان ، هي بحاجة مطلقة الى نوع من الوحدة فيما بينها تبدأ بالحد الادنى الذي هو التكامل الاقتصادي والثقافي والتكنولوجي فضلاً عن السياسي والعسكري وصولاً الى الوحدة الشاملة او الوحدات الاقليمية التي تقيم فيما بينها علاقات بالاشكال الملائمة وهذا النوع من التكامل وصولاً الى الوحدة يمكن ان يقوم على اساس المصالح وهو ما نشهد نماذج معاصرة له ابرزها ، ما يجري في اوروبا الغربية من اندماج اقتصادي وجمركي سيتحقق في شكل كامل عام ١٩٩٢ ، وهي بلدان لا يجمعها اي جامع قومي بل بالعكس فانها نشأت على الصراعات والحروب فيما بينها طوال قرون ، ولا سيما في فترة تكوّنها كدول قومية . فلماذا لا يصح هذا على البلدان العربية ذات التاريخ المشترك واللغة المشتركة والتقاليد والعادات المشتركة والتكوين النفسي والروحي المشترك ؟

اما فيما يتعلق بشكل قيام الوحدة فنعتبر ان مسألة الديمقراطية هي مسألة اساسية وانه لم تعد ظروف الماضي التي تشكلت فيها الوحدات القومية بشكل قسري قائمة ، وان دور الجماهير والحركات الديمقراطية في قيام الوحدة مسألة اساسية . علماً باننا لسنا نرى ان قيام الوحدة بين بلدين او اكثر يشترط بالضرورة التغيير في هذه البلدان الا ان استمرار الوحدة التي تتشكل يتطلب التطور باتجاه التغيير الثوري وهنا يصبح ذلك شرطاً ضرورياً .

٤ ـ قضية التنمية وتحرير الثروات القومية ولا سيما النفط واستخدام عائداتها في التنمية وصياغة سياسة تحرر تدريجياً البلدان العربية من التبعية ، حول هذه القضية توجد افكار عديدة وتيارات مختلفة في اتجاهاتها . الا انها تعتبر من الناحية السياسية والعملية قضية بالغة الخطورة والأهمية . والمؤسف ان الابحاث التي جرت حول هذه القضية ضاعت في معظمها في متاهات الابحاث الاكاديمية وجرى احياناً فصل اعتباطي بين السياسي والاقتصادي وجرى احياناً كثيرة طغيان السياسي على الاقتصادي او العكس . وغاب بشكل عام الموقف الذي يحدد موقع هذه القضية ، بشكل دقيق ، بمجمل النضال الوطني العربي ارتباطاً بالمصلحة المشتركة للبلدان العربية ككل وتحررها من التبعية الامبريالية باتجاه التحكم بشكل مستقل بهذه الثروات من اجل التنمية . واهمية طرح هذه المسألة اليوم ، ونحن نؤكد على هذا الامر باصرار ، انما تنطلق من ان هذه الثروات تبدد بقسم كبير منها وتهدر بأشكال مختلفة في حين ان الظروف تتطور عالمياً او اقليمياً في الاتجاه الذي سيجعل من بلداننا العربية ، في مجموعة بلدان العالم الثالث مركز ثقل كبير بالنظر لاهمية ما تملكه من ثروات ومن موقع استراتيجي ومن علاقات ، ومن كونها تشكل عالماً مترامي الاطراف .

فصلاً عن ان التخلف الذي تعيش فيه معظم البلدان العربية لم يعد من الممكن القبول به كواقع في ظل احتمالات تطور حركة الجماهير وازدياد وعيها لمصالحها ، ونهوضها من اجل فرض حقوقها ومطالبها . هنا ستطرح بالتحديد ، وهذا ما ندعو الى مناقشته ، قضية اساسية امام كل القوى السياسية في البلدان العربية ، وامام القوى الثورية فيها بالتحديد ، هي قضية الانخراط بعملية النهوض بالمجتمع وتحقيق خطوات على طريق التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من اجل تلبية حاجات المجتمع التي لم تعد تحتمل التأجيل . والا فان التأخر بالقيام بهذه المهمة سيؤدي الى قيام حركات من انواع مختلفة قد يكون بعضها سليم وبعضها غير سليم ، مع كل ما تحمله من احتمالات تدمير . وقد اثبتت تجربة التنمية القطرية ، ورغم ما انفق فيها من ثروات ، عن عدم جدواها الاقتصادية ، بحكم التباين الشديد في البلدان العربية بين بلدان تملك ثروات هائلة ، وعدد محدود من السكان والخبرات واخرى غنية جداً بالسكان والخبرات وتعوزها الثروات ، اضافة الى ما يمكن ان تشكله التنمية القومية المشتركة من اسواق واسعة من توفير في هدر طاقات بشرية ومالية كبيرة . وهذه التنمية تشكل اضافة الى الجدوى الاقتصادية ، لكل البلدان العربية ، اياً كانت نظمها ، عامل مساعد في التقريب بين الشعوب العربية يفسح في المجال لخلق ظروف مؤاتية لمزيد من التكامل فيما بينها والتعامل المتعدد الوجوه على طريق الوحدة .

٥ ـ مسألة الديمقراطية : لهذه المسألة عدة وجوه . والاختلاف في فهم الديمقراطية يعود الى الموقع الذي منه ينطلق اصحاب المواقف المختلفة . الا ان هناك جانباً نعتبر انه اهم الجوانب بالمطلق في مسألة الديمقراطية ، الذي ينبغي ان يحتل في اهتمامات القوى السياسية على اختلافها مكاناً اساسياً ، هو ما يتعلق بحق الوجود والاختلاف والتعبير عن الرأي ، والعمل وممارسة النشاط السياسي والنقابي والثقافي ، وحق تنظيم الاحزاب والانتماء اليها ، وهذه جميعها تشكل جوهر الاقرار بحقوق الانسان واعتبار الانسان محور كل نشاط ونضال . لا سيما بالنسبة للذين يعتبرون انفسهم قوى ثورية مهمتها الاساسية تحقيق تطور المجتمع وتقدمه . وانطلاقاً من الاقرار بهذا الجانب الاساسي من الديمقراطية ، يمكن معالجة الوجوه الاخرى لهذه المسألة التي يبرز التباين بين القوى المختلفة في تحديدها وفهمها . نشير هنا الى بعض هذه

الوجوه من المسألة على سبيل المثال لا الحصر : نحن نعتبر ان التناقض الذي يجري الحديث عنه ، بين الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية السياسية هو تناقض مصطنع من اساسه وينبغي رفضه . كما نعتبر ان حق المواطنين وتنظيماتهم السياسية والنقابية والاجتماعية والثقافية في ان يستخدموا كل المؤسسات والمنابر الخاصة وذات الطابع العام ، السياسية والثقافية والاعلامية والتعليمية التي يشترط فيها جميعها ان تكون ديمقراطية لكي يكون بأمكان الجميع استخدامها والاستفادة منها ، كحق من حقوقهم لا كمنة او كمنحة . ان الديمقراطية ، لا تتجزأ فهي واحدة سواء كان الامر يتعلق بموقف السلطة من الجماهير او من تنظيماتها ، او العكس ، وفي العلاقة بين الاحزاب والتنظيمات ، وفي علاقة هذه الاحزاب والتنظيمات بالجماهير والعلاقة في داخلها . والقانون هنا بالنسبة للسلطة والنظام الداخلي بالنسبة للاحزاب والتنظيمات انما ينبغي أن تنحصر مهمتها في تنظيم هذه العلاقة وتأمين شروط عدم المساس بأي شكل، وتحت أية ذريعة بالديمقراطية ، اي بحق الفرد والجماعات والتعبير عن موقفها وفكرها وممارسة حقوقها التي هي حقوق الانسان كما اشرنا .

٦ ـ قضية التحالفات : ان هذه القضية انما تكتسب اهميتها في موضوع بحثنا من حيث كونها الاطار الذي ينظم العلاقة بين القوى التي تلتقي على برنامج ومهمات . والمواقف المختلفة من هذه المسألة انما تبرز عندما تجري المحاولة من قبل فريق من فرقاء هذا التحالف لفرض نفسه في موقع ليس موقعه، ولاعطاء صيغة للتحالف أقل أو أكثر مما يحتمله الظرف المحدد، والعلاقة التي يقوم على اساسها هذا التحالف. هنا الامثلة عديدة على انواع الخلافات والاختلافات التي رافقت قيام وانهيار العديد من التحالفات. وليست مسألة القيادة في التحالف هي المسألة الخلافية الوحيدة، بل هي تشمل حسب نوع التحالف والاطار الذي يتم فيه، في داخل السلطة او في صفوف المعارضة، القضايا الفكرية والسياسية وتحديد المهمات واولوياتها وحقوق اطرف التحالف واشكال العلاقة. في هذا الموضوع المسألة الاساسية هي الديمقراطية كناظم للعلاقة، وفي ظل غيابها يفقد التحالف اي معنى، فيصبح اما تحالفا قسريا، او ينهار فتتحول العلاقة بين اطرافه الى علاقة عداء. والحل الوحيد للخلاف عندما ينشأ ليست الحقوق والمواقع المكتسبة بل اللجوء الى الجماهير كحكم. والحزب الطليعي، او الحزب القائد انما يثبتان هذا الموقع بالممارسة وقبول الجماهير بذلك وليس بأي وسيلة اخرى أو حقوق تاريخية مكتسبة.

٧) ـ الاقليات القومية والدينية، ترتدى هذه القضية اهميتها نظرا لما يشهده عدد من البلدان العربية من تفجّر حركات يتخذ بعضها طابعا انفصاليا كشكل من اشكال الاحتجاج على عدم اعطاء هذه الاقليات حقوقها من قبل القومية الاكبر السائدة، القومية العربية، ومن قبل الدين السائد، الدين الاسلامي، وبالطبع لسنا نميل الى التعميم هنا، فالقضايا المطروحة هي قضايا ذات طابع محلي تختلف من بلد لآخر في شكلها وفي اسباب بروزها. واذ نطرح هذه المسألة فاننا نريد ان نشير اولا الى ان البورجوازية بكل شرائحها عجزت عن ان تجد حلولا صحيحة لهذه المسألة. ثم ان القوى الوطنية الثورية لم تولِ هذه المسألة كل ما تستحقه من اهتمام، فضلا عن ان غياب حركة ثورية عربية واحدة ذات فكر ثوري واحد وبرنامج ثوري واحد، وذات علاقة وثيقة بالجماهير قد ادى الى ظهور حركات حملت اسماء وشعارات مختلفة ووضعت نفسها في موضع الدفاع عن مصالح القوميات والاديان، كما توجهت الى الجماهير كبدائل، وهو

ما ينطبق بشكل خاص على التيارات الدينية من كل انواعها. ان عدم حل هذه المسائل بشكل ديمقراطي تلعب فيه القوى الثورية الدور الذي يعود لها، من شأنه ان يزيد في تفاقمها ويؤدي، كما هو الحال في العديد من البلدان العربية، الى التفتت والشرذمة، والى تفجّر الصراعات في غير المكان الصحيح وعلى غير الاسس الصحيحة، مما يولّد ظاهرات غريبة ذات طابع تدميري مثل ظاهرات العدمية والظلامية وسواهما. وعندنا في مثال استمرار الحرب الاهلية في لبنان وتفاقم الانقسامات الطائفية فيه، وفي اشتداد الحرب العراقية ـ الايرانية خير دليل على تفاقم هذه الظاهرات وعواقبها الضارة المدّمرة.

٨) ـ الثقافة والمثقفون حول هذه القضية يجري نقاش اساسه الخلاف حول تحديد موقع الثقافة والمثقفين ودورهم. ويميل بعض قوى حركة التحرر الوطني في السلطة وخارجها الى الحد من حرية الثقافة والمثقف تحت شعار الاندماج السياسي، باطلاق في المؤسسة، سواء كانت سلطة او حزب او تنظيم. فيدفع المثقف وتدفع الثقافة في كل ميادين المعرفة ثمنا باهظا. ويدفع المجتمع كله الثمن الاكبر. فلا انتاج معرفة، ولا انتاج علم، ولا ابداع في الادب والفن من دون حرية تعطي للمثقف هامشا من الاستقلالية يستطيع من خلاله، وهو يبدع وينتج، ان يحدّد الشكل الافضل للاندماج في حركة التقدم. فاذا حصل خلل في موقف المثقف وهو يمارس حرية انتاجه وابداعه فان المجتمع هو الذي سيحاكمه ويحكم عليه. لذلك فان المسؤولية تنتقل في هذه الحالة الى المثقف الذي يمارس حرية ابداعه وانتاجه، ويحدد بالاستناد الى هذه المسؤولية موقعه الحقيقي في حركة شعبه الوطنية الثورية وفي حركة التقدم بشكل عام. ونعتبر في ظروف وطننا العربي ان مسؤولية المثقف سواء توفرت له الحرية الضرورية لممارسة فعل الانتاج والابداع ام لم تتوفر، في ان يكون جزءا من حركة النضال بوسائله الخاصة وبالوسائل المعروفة التي يمارسها المناضلون من أجل التحرر الوطني والاجتماعي وفي كل معركة من معارك هذا النضال حول كل قضية من القضايا الصغيرة والكبيرة. وفي هذه المسألة هل تشكل الدعوة الى قيام جبهة ثقافية ديمقراطية عربية الاطار الصحيح لممارسة المثقف العرب دورهم في الدفاع عن الثقافة وعن الديمقراطية وعن قضايا شعبهم وامتهم؟ اننا نطرح هذه المسألة للنقاش.

٩) ـ الموقف من الامبريالية ومن قضية السلم والحرب. ليس صحيحا ان كل القوى الوطنية والثورية العربية متفقة على موقف واحد من هذه القضايا. بل اننا نرى حتى في الموقف من الامبريالية يوجد خلاف. ويتجلى هذا الخلاف في مدى الحزم في العداء للامبريالية وفي الموقف من المساومة معها، في امور تصل احيانا الى حد المس بقضايا مصيرية. لذلك تصبح هذه المسألة من المسائل التي ينبغي التوقف عندها ومواجهتها بصراحة ووضوح من أجل ان يكون الالتزام بالعداء للامبريالية التزاما من قبل كل القوى الوطنية والثورية العربية. وفي هذا السياق ترتدي طابعا خطيرا جدا قضية التفريق بين الامبريالية والصهيونية واعتبار ان العدو الاساسي المباشر للأمة العربية هو اسرائيل من أجل فسح المجال للمساومة مع الامبريالية. والوجه الاخر لهذه القضية الخطيرة هو فتح الحوار مع الصهيونيين تحت ذرائع مختلفة وباسماء مختلفة، الامر الذي يشوه طابع المعارك التي تخوضها حركة التحرر الوطني العربية ضد اعدائها الامبريالية والصهيونية وضد الرجعية العربية المرتبطة بها.

هذا الموقف من الامبريالية لايمكن ان ينحصر بالنسبة للقوى الثورية العربية في حدود قضايا

بلداننا، لاسيما في هذا العصر الذي يزداد فيه الترابط بين الشعوب والامم بين قضاياها، وفي الوقت الذي تتكوّن فيه قضية اممية كبرى تهم الجميع، دون استثناء، هي قضية السلم والحرب. فاذا كان من المسموح به في فترات سابقة ان يكون الاهتمام بهذه القضية اقل من المستوى الذي تستحقه فان الخطر الذي يتهدد العالم اليوم من جراء السباق على التسلح واحتمال وقوع كارثة نووية تبيد الجنس البشري يفرض على جميع الشعوب، وجميع الحركات الوطنية في كل البلدان، بما في ذلك البلدان العربية، ايلاء هذه القضية الحيز الذي تستحقه في الاهتمام، والموقع الذي ينبغي ان تحتله في نضالنا العام. اننا بذلك نقوم بواجب وطني واممي في آن.

١٠) ـ العلاقة مع الحركة الثورية وقوتها الاساسية الاتحاد السوفيتي المنظومة الاشتراكية. ان هذه القضية التي كانت في فترات معينة موضع خلاف تصبح اكثر فأكثر موضع اتفاق. ولكن تعقّد العلاقات العالمية التي تفرضها الظروف الراهنة والتي يستند اليها الاتحاد السوفياتي من أجل تكثيف مبادراته السلمية قد تثير، كما اثارت في الماضي حالات مشابهه، تساؤلات حول الموقع الذي تحتله قضايانا العربية. المتعلق بالمعركة مع الامبريالية والصهيونية والمتعلق بقضايا التنمية، في سياسة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى وفي مبادراتها.

واذ نؤكد على ان العلاقة التي ينبغي ان تقوم بين بلداننا العربية، بشكل عام، وقواها الوطنية والثورية، بشكل خاص، مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى، على أساس المواقف المبدئية الثابتة في النضال ضد الامبريالية ومن أجل السلم والتحرر والتقدم، فاننا ندعو جميع القوى الثورية العربية ان تناقش بمنتهى المسؤولية وبروح من الصراحة والوضوح والعمق والجدية هذه العلاقة بثوابتها والمبادىء التي تستند اليها وبالمصالح المتبادلة. ففي اية علاقة تنشأ بين طرفين هناك حقوق وواجبات ومن الضروري لكي تستقيم هذه العلاقة ان يحترم كل من هذه الحقوق والواجبات احتراما كاملا. وما ينطبق هنا، على العلاقة مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية انما ينطبق على مجمل علاقاتنا كقوى ثورية عربية مع كل فصائل الحركة الثورية العالمية.

الظاهرة الثالثة: هي ظاهرة التراجع الخطير في حركة التحرر الوطني العربية وفي حركة الجماهير وتدني مستوى الوعي واللجوء الى الماضوية والانكفاء الى القطرية والى الطوائف، والتشوه الحاصل من جراء كل ذلك في اشكال الصراع. الخطورة في هذه الظاهرة تكمن، قبل كل شيء، في ان تفاقمها يفسح في المجال امام الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ان تنتقل الى حالة الهجوم المعاكس ـ وهي الحالة التي نشهد منذ عشرين عاما مظاهر متعددة لها. ولقد استندنا الى ما ادت اليه هزيمة حزيران ١٩٦٧ ووفاة عبد الناصر ومجازر الاردن ضد الشعب الفلسطيني ومقاومة الوطنية عام ١٩٧٠، لاطلاق موضوعتنا حول التراجع الذي كانت قد بدأت تشهده حركة التحرر الوطني العربية وصولا الى الازمة. وقد اكدت الحياة صحة هذا الاستنتاج الذي استهجنه الكثيرون في حينه وتردد الكثيرون في الاقرار به حتى بعد ثبوته. وندوتنا اليوم التي تنعقد لبحث الازمة في حركة التحرر الوطني العربية هي احد اشكال التأكيد على هذا الواقع وعلى ضرورة مواجهته.

ان توقيع اتفاقيات كامب دايفيد وخروج مصر من موقعها في حركة التحرر الوطني العربية التي وضعتها فيها ثورة ٢٣ يوليو وقائدها وقائد الامة العربية الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، لايشكلان وحدهما، على خطورة ما يمثلان، المظهر الابرز لحالة التراجع. ان ثمة عددا كبيرا من مظاهر التراجع نشير اليها بشكل سردي دون التوقف عندها بهدف تأكيد هذا المسار: تعمّق النزعة الاقليمية وتوطد التجزئة، محاولات تجزئة الكيانات القائمة وتفتيتها مثال لبنان والعراق، افشال الاصلاحات الاقتصادية والزراعية ونهب القطاع العام وتعزيز التبعية للامبريالية، الانغلاق في التنمية القطرية وفشل هذه التنمية، هدر القسم الاكبر من الثروة القومية في شراء الاسلحة دون الوصول الى توازن عسكري حقيقي مع العدو، فقدان الديمقراطية بكل تجلياتها وتعزز ظاهرة القمع في كل المجالات، التخلي عن قضية فلسطين والاعتراف بالعدو الصهيوني وكيانه جهرا او مواربة وتحول الخيانة الى وجهة نظر، اتساع ظاهرة اليأس والاحباط لدى الجماهير غياب التحركات الجماهيرية، تفشي ظاهرة الانقسامات في الحركات والاحزاب، عودة الاحلاف والقواعد العسكرية الامبريالية، الحروب الاهلية، الاقليمية ـ الاقتتال بين الطوائف وسوى ذلك من المظاهر.

مقومات الخروج من الازمة والافاق

ان هذا الاستعراض الذي قدمناه عن الازمة في حركة التحرر الوطني العربية، أسبابها وأشكال تجليها والظاهرات التي افرزتها والواقع المرير الذي انتجته ولاتزال تنتجه كل يوم في الوطن العربي، يستحثنا للبحث، والتفكير، والتفتيش واثارة النقاش على مصراعية، ليس فقط بين فصائل حركة التحرر الوطني العربية بل بين الجماهير. وما نستطيع ان نؤكده في هذا السياق، وهو ما نشعر به بكامل المسؤولية انه بات من المستحيل ان يستمر الوضع على النحو القائم حاليا. وليس ذلك عائد الى ارادة ما، او رغبة ما، بل لأن التناقض قد بلغ ذروته بين الحاجات الموضوعية لتطور مجتمعاتنا العربية، وبين العوائق التي تقف في وجه هذا التطور، بين الجماهير التي تشعر بمزيد من الاغتراب والقمع والقهر وبين ما يوفره العصر عشية القرن الواحد والعشرين من امكانات لاحدود لها في خدمة الانسان وتطوره. وهذه الازمة في حركة التحرر الوطني العربية هي كما اشرنا في بداية هذا البحث جزء من ازمة اعمّ واشمل تتفاقم الى الحد الاقصى داخل مجتمعاتنا العربية. وهي لأنها تتعلق بحركة يفترض فيها ان تكون حاملة لواء البديل للواقع المتأزم، تشكل في قلب ازمة المجتمعات العربية اخطر مظهر لهذه الازمة. واذا كنا ندعو للبحث في كيفية الخروج من هذه الازمة، وهو الامر الذي يشغلنا منذ سنوات عديدة، وشكّل في اربعة مؤتمرات متتالية لحزبنا موضوعا رئيسيا، فاننا لانعتبر ان المسألة مسألة ارادية. انها على العكس من ذلك مسألة تتعلق بانضاج الظروف الموضوعية والذاتية التي بتوفرها ينبغي ان يتوفر المخرج الحقيقي من هذه الازمة. غير ان مسألة اخراج حركة التحرر الوطني العربية من ازمتها ليست بالمقابل بدون اساس موضوعي في الظرف الراهن. ذلك اننا نشهد، وسط كل مظاهر التراجع التي اشرنا اليها، مظاهر اخرى نقيضة تسمح لنا بالقول ان الظروف تصبح اكثر ملاءمة للانطلاق في بحث عملي ملموس لاخراج حركتنا من أزمتها.

هذه المظاهر التي تتوزع في البلدان العربية، في شكل يبدو وكأنها حالات منفردة، هي في الواقع ارهاصات للتغيير الذي لايمكن ان يتحقق بفعل ارادي يحوّل العفوية من هذه المظاهر الى شكل منظم ويجعل من الحركات المنظمة حركات اكثر قوة واكثر تأثيرا نقدم بعض نماذج من هذه المظاهر كأمثلة نستند اليها فيما نشير اليه، داعين كل فصائل حركة التحرر الوطني العربية الى الوقوف عندها، ليس فقط من أجل تحليلها وتقييمها، بل من أجل التكامل معها باشكال من الفعل المنظّم الواعي. ففي ذلك اسهام حقيقي في النقاش الذي ندعو اليه يخرج هذا النقاش من دائرة الحوار الفكري السياسي الى حيز العمل الحقيقي الفاعل المؤثر، المعبىء للجماهير والمجند لها في النضال الثوري. هذه النماذج التي نقترح تقديمها كأمثلة على الارهاصات هي: اولا، من حيث التسلسل التاريخي مقاومة الغزو الاسرائيلي في لبنان ولاسيما في حصار بيروت الذي دام ثلاثة اشهر والتي ارتقت فيها العلاقة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني والحركتين الوطنيتين اللبنانية والفلسطينية الى مستوى جعل هذه المقاومة تتخذ طابع الملحمة العربية المعاصرة.

ثانيا، في سياق التسلسل التاريخي نفسه المقاومة الوطنية اللبنانية للاحتلال الاسرائيلي التي كان لحزبنا شرف القيام بدور ريادي فيها، والتي شاركت فيها، بشجاعة وبتفان وبتضحيات لاحدود لها، كل فصائل العمل الوطني اللبناني وكل فصائل العمل الوطني الفلسطيني وفصائل عربية من سوريا وليبيا ومصر وسواها -. وقد تمكنت هذه المقاومة، رغم الصعوبات التي واجهتها من خارجها وداخلها ولاتزال ورغم ما لحق بها من تشويهات وبرغم ما واجهت من حصار واهمال، وما الصق بها ظلما من صفات، تمكّنت من تحقيق انجازات عجزت جيوش بكاملها، في افضل ظروف المواجهات العسكرية عن تحقيقها. ففي غضون ثلاث سنوات استطاعت ان تجبر قوات الاحتلال الاسرائيلية على التراجع والانكفاء عن القسم من الاراضي التي كانت تحتلها من بيروت العاصمة العربية البطلة الى الشريط الحدودي عبر ضربات وجهها الى هذه القوات ولا يزال يوجهها، ابطال المقاومة الوطنية بثبات ودون كلل فقدموا قوافل كبيرة من الشهداء، واثبتوا فيها لاسرائيل ان كل جبروت قوتها العسكرية عاجز عن الوقوف في وجه شعب يمسك بقضيته ويناضل في الدفاع عنها بكل ما يملك من امكانيات. وتتحول قضية الشريط الحدودي في العام السادس لانطلاقة المقاومة الوطنية اللبنانية الى بركان يتفجر كل يوم حمما في وجه العدو الاسرائيلي وعملائه، فمنهم من يعود حاملا راية النصر ومنهم من يستشهد ومنهم من يدخل سجون العدو بطلا رافع الرأس متحديا مثل البطل الاسير انور ياسين.

ثالثا، وبالتسلسل التاريخي في اطار مقاومة الاحتلال الاسرائيلي انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني في الضفة والقطاع ومقاومة سكان الجولان ورفضهم الاحتلال، ان انتفاضة الشعب الفلسطيني التي دخلت شهرها الثامن، تشكل في الوطن العربي اليوم، الظاهرة الابرز، النموذج الحي الساطع لارادة المقاومة من أجل التحرير وانتزاع الحقوق القومية المغتصبة والتحدي البطولي لكل انواع القهر القومي والعنصرية التي مارستها وتمارسها اسرائيل ضد الشعب العربي الفلسطيني خلال اربعين عاماً. وهي بصمودها واستمراريتها وبالشكل الذي اتخذته منذ بدايتها، تقدم النموذج الحي على ان لدى الجماهير العربية طاقات كامنة لا حدود لها. تتفجر عندما تتوفر الظروف لتفجّرها، وانها لكي تكون قادرة على فعل التغيير تحتاج الى اداة تنظيمية وفكرية توفرها الحركة الثورية العربية التي نحن بحاجة اليها ونعمل لقيامها وتجهضها الازمة القائمة

التي تعاني منها حركة التحرر الوطني العربية. الى هذه النماذج من المقاومة البطولية ضد الاحتلال الاسرائيلي نضيف رابعاً نماذج من نوع آخر تتجسد في صمود سوريا في وجه الضغوط التي مورست وتمارس ضدها من قبل الامبريالية والصهيونية والرجعية وصمود ليبيا في وجه العدوان الاميركي الغادر وفي وجه الضغوط المرافقة له. كما نضيف الى هذه النماذج نماذج من نوع ثالث من الحركات الجماهيرية التي برزت في مصر وتونس والمغرب والسودان اتخذت طابع الاحتجاج ضد قهر السلطة هنا، او ضد الجوع هناك، او من أجل الديمقراطية وضد الخيانة الوطنية والقومية هنالك.

الا تكفي هذه النماذج للدلالة على وجود طاقات حقيقية كامنة لمجابهة العدوان الخارجي وللتصدي لمهمات التحرير ولتحويل الاحتجاج على القهر والظلم والجوع الى حركة جماهيرية.

الا ان المظاهر السلبية في الحركة الناتجة عن الازمة تجعل هذه النماذج كلها حالات معزولة غير محتضنة، لاتتحول، كما هو مفروض بعد قيامها الى حركة تشمل الوطن العربي كله مثلما كان يحصل في فترة النهوض، عندما كانت تتحول مظاهرة في بلد الى حالة جماهيرية في كل الوطن العربي، فكيف نرى الحل والمخرج؟

اننا، ومنذ فترة من الزمن، نطرح مع الحديث عن الازمة وتحديد طبيعتها، شكلا معينا، للخروج منها حددناه في المؤتمرين الرابع والخامس بضرورة قيام حركة ثورية عربية جديدة. قد لايكون هذا التحديد دقيقا ولا نزعم اننا نمتلك كامل الحقيقة، بل لقد دعونا في الوقت الذي طرحنا فيه هذا الشعار وهذه الفكرة الى النقاش وحاولنا في الندوة التي عقدناها عشية المؤتمر الخامس لحزبنا في أواخر عام ١٩٨٦ وفي الوثيقة السياسية التي اعددناها تحضيرا للمؤتمر ان نشرك اكبر عدد ممكن من القوى العربية احزابا وتنظيمات ومفكرين في هذا النقاش. الا اننا نعتقد ان هذا النقاش لم يستكمل بعد، ولم يأخذ كل ابعاده واننا بحاجة، جميعنا، الى ان نسهم في اغنائه ونجذب اليه كل من يشعر بانه معني في عملية التغيير واخراج حركة التحرر الوطني العربي من ازمتها.

وفي يقيننا ان الحل الحقيقي لهذه الازمة هو في ان تدرك القوى الاكثر جذرية في هذه الحركة مسؤوليتها كاملة، وان تنتقل من حالة الانكفاء القائم، حاليا الى حالة من النشاط الاستثنائي المتعدد الجوانب، السياسي والفكري والثقافي والكفاحي والجماهيري، وتبلور من خلال النقاش صيغة لحركة ثورية ذات شكلا تنظيمي محدد، وصياغة نظرية ثورية جديدة لهذه الحركة وصياغة برنامج على أساس هذه النظرية الثورية.

هل هذا الامر ممكن في الواقع العملي، في الظروف الراهنة لحركتنا ولفصائلها الثورية؟ نحن نميل الى الاعتقاد بان ذلك ممكن. وهذا ما املي علينا طرح شعارنا الذي اشرنا اليه. وليست لدينا اوهام ان مجرد القناعة بجدوى، وضرورة، واهمية، وامكانية قيام مثل هذه الحركة يمكن ان تتحول بفعل ارادي الى واقع. لا ليس هذا يقيننا. على العكس من ذلك اننا على قناعة تامة بان ماندعو اليه هو مهمة نضالية. ولن يكون بالامكان انجاز هذه المهمة بسهولة حتى ولو انخرط فيها كل المقتنعين بها وهم كثر. لابد من جهد استثنائي، في ظل كل الصعوبات التي تكوّنت خلال عقدين من السنين من أجل توفير الشروط الضرورية الذاتية، اولا، والانخراط استنادا اليها، في عملية ارادية من أجل انضاج الظروف الموضوعية

لتحقيق النجاح في هذه العملية.

اننا نقترح عملا ملموسا، نعتبر هذه الندوة واحدة من أطره، لتجميع القوى من أجل البحث في مهمة من ثلاثة اركان: الركن الاول، البحث في صياغة نظرية ثورية جديدة للحركة الثورية العربية تكون الاولى من نوعها وتشكل تتويجا لتاريخ بكامله من النضال الثوري العربي بكل تياراته وتجاربه منذ مطالع هذا القرن حتى اليوم. وهذه النظرية المطلوب صياغتها لاتقوم من فراغ بل ينبغي ان تستند في نظرنا، الى مصادر ومرتكزات وتجارب ووقائع وتاريخ، تشكل بمجموعها عناصر تكوّنها، وليسمح لنا كماركسيين ان نضع في اساس هذه المصادر بدون تردد وبدون حذر او حرج، الفكر الماركسي كنظرية علمية لتطور المجتمعات ولحركة التاريخ تقوم على منهج يستند الى قوانين اكتشفت وقوانين ينبغي ان تكتشف. وانطلاقا من هذا الفكر ومن منهجه العلمي ومن التجارب التي قامت على أساسه في قسم واسع من العالم، هي البلدان الاشتراكية، في صواب هذه التجارب وبانجازاتها، وفي الاخطاء التي وقعت فيها وفي اشكال معالجتها وتصحيحها وعملية التطوير القائمة على قدم وساق فيها ينبغي ان نستعيد كل تجارب حركتنا الوطنية الثورية في المراحل المختلفة من تاريخها لندرسها بعمق ونستخلص منها كل ما من شأنه ان يغني فكرنا الثوري ويسهم في صياغة نظريتنا الجديدة.

وعلينا في هذا السياق بالذات ان نضع على بساط البحث والتحليل كل التيارات الوطنية والثورية على تعددها وتعدد اتجاهاتها وتناقضها لكي نرى بوضوح وبدقة وبموضوعية الدور الذي لعبته جميعها ايا كان حجم هذا الدور في اغناء تراثنا الثوري. ولايمكن لهذا البحث ان يستقيم وان ينتج صياغة لنظرية ثورية جديدة لحركتنا الثورية العربية اذا لم يستند الى قراءة صحيحة وعلمية ودقيقة لتاريخنا على امتداده ولتراثنا الثوري في كل جوانبه، في الحركات السياسية والاجتماعية والفكرية وفي الاسهام الغني في بناء الحضارة الانسانية، واعادة قراءة علمية ودقيقة وموضوعية لدور الاديان في تاريخنا القديم والحديث، لاسيما الدين الاسلامي، ولايمكن ايضا نفس الوقت لجهدنا الفكري هذا ان يحقق مهمته على الوجه الافضل، اذا لم يقترن بمعرفة دقيقة وعميقة، وشاملة للواقع الموضوعي لبلداننا العربية، بلدا بلدا، بكل خصوصياته ولما هو مشترك بين هذه البلدان في الماضي والحاضر. هكذا نكون قد بدأنا في بناء الركن الاول في صرح الحركة الثورية العربية التي نحن بحاجة اليها وآن الاوان لكي نخرج بها الى النور. الركن الثاني هو الانخراط في صياغة المهمات التي ينبغي ان تتبلور برنامجا لحركتنا الثورية في مراحل نضالها المتعددة بدءا من المرحلة الراهنة وصولا الى المرحلة التي سيشكل الوصول اليها نقلة نوعية على طريق انجاز مهام التغيير الثوري على طريق الاشتراكية والوحدة القومية. ان النجاح في صياغة النظرية الثورية الجديدة لحركتنا من شأنه ان يسهّل مهمة صياغة البرنامج الثوري لهذه الحركة. الركن الثالث هو البحث عن افضل صيغة ملائمة للشكل التنظيمي الذي ينبغي ان تتخذه هذه الحركة الثورية العربية، فلا تكون مجرد تحالف طبقي ثوري هو عبارة عن تجميع للقوى، بل ان تتحوّل في سياق عملية طويلة، الى واقع هو اعمق وارقى من تحالف وجبهة. ولسنا من انصار الدفع القسري باتجاه معين بل من انصار ان يجري هذا التحول في ظل الديمقراطية، وان يتخذ الاشكال التنظيمية الملائمة التي تنسجم مع النظرية الثورية التي ينبغي ان تصاغ والبرنامج الذي ينبغي ان يوضع على أساس هذه النظرية.

ان مثل هذه الحركة التي نطمح ان تحقق كمحصلة لجهد جماعي تنخرط فيه كل القوى المعنية باخراج حركة التحرر الوطني العربية من ازمتها، وبقيام البديل الثوري، ليست، ولا ينبغي ان تكون الغاء لقوى ولطاقات ولامكانات قائمة بل ينبغي ان تكون عنصر تنظيم لكل هذه القوى والامكانات والطاقات وتجنيدها وتعبئتها على اوسع نطاق، واكثره شمولا، من اجل انجاز المهمات الانية والبعيدة المدى، مهمات التحرر الوطني والاجتماعي وتحقيق الوحدة القومية كهدف نهائي ومهمات مرتبطة بالقضايا اليومية ذات الطابع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والروحي لشعوبنا وبلداننا. وفي هذا الاستنفار لكل هذه القوى والطاقات والامكانات لن يجري توفير اية امكانية بما في ذلك ما عند البرجوازية من امكانات ينبغي بذل كل الجهود لوضعها في خدمة عملية تحرر مجتمعاتنا وتقدمها وتطورها.

اننا نعتقد في الختام، ان الدورة الثالثة المقبلة لمؤتمر الشعب العربي مدعوة الى القيام بدور هام ومتقدم في هذا المجال. ونحن من جهتنا، في حزبنا، قد اتخذنا القرار والتدابير العملية لانشاء الادوات والمنابر التي تفسح في المجال ليتخذ النقاش والحوار كل مداه وباقصى ما يمكن من حرية وديمقراطية، وباشتراك كل راغب في هذا الحوار والنقاش اسهاماً متواضعاً في هذه العملية التاريخية التي على حلها وانجازها وحلها في الطريق السوي يتوقف الكثير من مصير مستقبل شعوبنا وأمتنا.

التسوية عربيا

توفيق المديني*

١ ـ مقدمة :

الى اين تقودنا مشاريع التسوية ؟ وهل من الممكن ان تكون هناك تسوية مع العدو الصهيوني المطلق ؟ وهل يوجد حل وسط في الصراع والحرب بين الاسطورة الصهيونية المطلقة ومنطق التاريخ، وبالتحديد تاريخ تحرر الامة العربية ؟

والواقع ان سياسة التسوية حقيقة تاريخية معاصرة، حاضرة في كل حروب العرب ضد الكيان الصهيوني، وتدعمت اسسها ايضاً بكسب العدو الصهيوني كل حروبه ضد العرب، منذ عام /١٩٤٨/ وحتى الآن. وهي موجودة لتبقى طالما بقيت موازين القوى في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية بين العرب والعدو الامبريالي الاميركي ـ الصهيوني، مختلة لمصلحة هذا الاخير، وما تنتجه هذه الموازين من حرية في العمل والحركة والمناورة وفرض الشروط الاستسلامية المذلة على الطرف العربي الضعيف، والعاجز، والمهزوم، تسير في الاتجاه المتناقض جذرياً مع موازين القوى الطبيعية في الوطن العربي، في محاولة عبثية للوقوف ضد تيار حركة تقدم التاريخ، تيار التحرر والوحدة، وكما ستظل لمرحلة طويلة..

* كاتب وباحث من تونس.

ان مثل هذه الحركة التي نطمح ان تحقق كمحصلة لجهد جماعي تنخرط فيه كل القوى المعنية باخراج حركة التحرر الوطني العربية من ازمتها، وبقيام البديل الثوري، ليست، ولا ينبغي ان تكون الغاء لقوى ولطاقات ولامكانات قائمة بل ينبغي ان تكون عنصر تنظيم لكل هذه القوى والامكانات والطاقات وتجنيدها وتعبئتها على اوسع نطاق، واكثره شمولا، من اجل انجاز المهمات الانية والبعيدة المدى، مهمات التحرر الوطني والاجتماعي وتحقيق الوحدة القومية كهدف نهائي ومهمات مرتبطة بالقضايا اليومية ذات الطابع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والروحي لشعوبنا وبلداننا. وفي هذا الاستنفار لكل هذه القوى والطاقات والامكانات لن يجري توفير اية امكانية بما في ذلك ما عند البرجوازية من امكانات ينبغي بذل كل الجهود لوضعها في خدمة عملية تحرر مجتمعاتنا وتقدمها وتطورها.

اننا نعتقد في الختام، ان الدورة الثالثة المقبلة لمؤتمر الشعب العربي مدعوة الى القيام بدور هام ومتقدم في هذا المجال. ونحن من جهتنا، في حزبنا، قد اتخذنا القرار والتدابير العملية لانشاء الادوات والمنابر التي تفسح في المجال ليتخذ النقاش والحوار كل مداه وباقصى ما يمكن من حرية وديمقراطية، وباشتراك كل راغب في هذا الحوار والنقاش اسهاماً متواضعاً في هذه العملية التاريخية التي على حلها وانجازها وحلها في الطريق السوي يتوقف الكثير من مصير مستقبل شعوبنا وأمتنا.

التسوية عربيا

توفيق المديني*

١ ـ مقدمة :

الى اين تقودنا مشاريع التسوية ؟ وهل من الممكن ان تكون هناك تسوية مع العدو الصهيوني المطلق ؟ وهل يوجد حل وسط في الصراع والحرب بين الاسطورة الصهيونية المطلقة ومنطق التاريخ، وبالتحديد تاريخ تحرر الامة العربية ؟

والواقع ان سياسة التسوية حقيقة تاريخية معاصرة، حاضرة في كل حروب العرب ضد الكيان الصهيوني، وتدعمت اسسها ايضاً بكسب العدو الصهيوني كل حروبه ضد العرب، منذ عام /١٩٤٨/ وحتى الآن. وهي موجودة لتبقى طالما بقيت موازين القوى في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية بين العرب والعدو الامبريالي الاميركي ـ الصهيوني، مختلة لمصلحة هذا الاخير، وما تنتجه هذه الموازين من حرية في العمل والحركة والمناورة وفرض الشروط الاستسلامية المذلة على الطرف العربي الضعيف، والعاجز، والمهزوم، تسير في الاتجاه المتناقض جذرياً مع موازين القوى الطبيعية في الوطن العربي، في محاولة عبثية للوقوف ضد تيار حركة تقدم التاريخ، تيار التحرر والوحدة، وكما ستظل لمرحلة طويلة..

---

* كاتب وباحث من تونس.

اذا كانت كل حرب حقيقية هي فن حوار القوى او بالاحرى فن حوار الارادات السياسية ، التي تستخدم القوة العسكرية باعتبارها سلاح الاقناع ، او الارغام ، او الابادة ، للعدو في ميدان القتال حيث يترجم هذا الاخير موازين القوة عسكرياً ، فان التسوية تستخدم نفس القوة كسلاح الاقناع ، او الارغام ، او الاخضاع ، او التصفية ، التي يجبر بها العدو على قبول شروطه المطلوب فرضها على الطرف المهزوم ، او المغلوب ، او الضعيف ، على مائدة المفاوضات ، باعتبار هذه الاخيرة تترجم موازين القوة العسكرية والسياسية دبلوماسياً .

ان الحرب والتسوية لا تستطيعان ان تعكسا الا حقائق القوة خارج ميدان القتال ومائدة المفاوضات ، وكلتاهما وجه من وجوه صراعات هذه القوة بين طرفين متعادين ، ومتناقضين جذرياً في مصالحهما ، ومتصادمين في استراتيجيتهما ، ومتصادمين في ضرورات امنهما .

وهكذا ، بحسب المنطق والتاريخ ، والحركة السياسية الواعية ، والثورة عامة ، تمثل التسوية ، التصفية ، والسحق والابادة ، واستخدام اقصى اشكال العنف همجية وبربرية من جانب القوة السائدة والمنتصرة والمعادية للثورة الشاملة .

ولما كان العرب في ظروف عالمنا المعاصرة ، يواجهون اكبر قوة امبريالية هائلة لا نظير لقوتها وجبروتها في الحاضر او في الماضي ، ونقصد بها الامبريالية عامة والاميركية خاصة ، واستعماراً استيطانياً صهيونياً عدوانياً وتوسعياً يمسك في يده بالاوراق الاساسية المطلوبة في قضايا الصراع العربي ـ الصهيوني ، ولما كانت ولا تزال الكلمة التاريخية الفصل الاولى والاخيرة ، هي الثورة الجذرية المسلحة العنيفة ، وانتهاج الخيار العسكري لحسم الصراع التاريخي بين الامة العربية ومعسكر اعدائها ، فان سياسة التسوية تمثل الاستسلام المطلق للقوى الثورية والوطنية ، وتقود الى اجهاض الثورة ، وبالتالي الى تصفية القضية .

وفي الحقيقة التاريخية ، فان التسوية تشكل مقبرة القوى الوطنية والثورية ، ونقيضاً لكل العملية التحررية والثورية في الوطن العربي ، ونهجاً يقود الى الاستسلام باسم « الواقعية الثورية » ، لا يمكن ان نقابلها الا بالرفض المطلق لها ، باسم الالتزام المطلق بحركة الثورة العربية القومية الديمقراطية الشعبية ، وباسم حقائق التاريخ لكفاح الشعوب والامم المضطهدة ضد الامبريالية العالمية والرجعيات المحلية والاقليمية . . انطلاقاً من ان سيادة وشمولية التسوية لا يمكن الا ان يقالبها سيادة وشمولية الثورة في المنطقة العربية . . فالثورة نقيض التسوية ، والعكس صحيح . .

علينا ان نرى بوضوح ، ان خطورة الاتجاه نحو التسوية ، تمثل اساساً في المسألتين التاليتين :

الاولى : تغييب وانتفاء المعالم الاساسية والبرامج السياسية للتحرير الكامل . وتمييع الاهداف الاساسية والاستراتيجية للنضال الثوري ، ليحل محلها الركض وراء سراب مشاريع التسوية ، التي اتخذت تعبيرات متعددة ، واشكالاً مختلفة ، لتقود في النهاية الى تصفية القضية الفلسطينية .

تحويل طبيعة الصراع العربي ـ الصهيوني من كونه صراعاً عدائياً تناحرياً مع الامبريالية الاميركية الثانية والكيان الصهيوني الى مجرد « نزاع » يجري حله سلمياً ، وفق شروط التسوية الاميركية ـ الصهيونية . . وقد قال كيسنجير بهذا الصدد : « ليس لدي حل نهائي للصراع العربي ـ الاسرائيلي . . ولكن هدفي ان اجعل مخاطر هذا الصراع محتملة بالنسبة للولايات المتحدة حتى تتاح لنا ظروف نعثر فيها على حل » ومعنى الكلام

واضح ، ولا يحتاج الى شروح مستفيضة .

٢ ـ هزيمة حزيران ١٩٦٧ : البداية الفعلية لاستسلام الوعي القومي لخط التسوية

ان هزيمة حزيران ، لم تكن هزيمة عسكرية مرة فقط ، بل هي في اساسها التاريخي هزيمة لمجموع التكوين الطبقي الاقتصادي والعسكري والايديولوجي في الانظمة البرجوازية الصغيرة العربية ، التي منيت بهزيمة نكراء في هذه الحرب ، لم تمح آثارها بعد ، وكشفت عن محدودية عدائها للامبريالية الاميركية ، وعن ضعف ارادتها السياسية في التحرير ، وعجز جيوشها عن مواجهة آلة الحرب الصهيونية ، واثبتت سياسياً وتاريخياً سقوط البرجوازية العربية والبرجوازية الصغيرة ، مهما تولدت فيها من ارادة وطنية ، قيادة وبرامج وسياسات ، وخيارات اقتصادية واجتماعية ، ومشاريع لبناء دولة الوحدة القومية .

اذا كانت هزيمة العرب عام ١٩٤٨ ، التي قادت الى قيام دولة الكيان الصهيوني ، تتحمل مسؤوليتها الرئيسية الانظمة العربية الاقطاعية ـ البرجوازية المتخلفة ، بحكم بنيتها الطبقية والايديولوجية ، والسياسية ، الرجعية ، وعجزها عن حل معضلات وقضايا التحرر العربي ، وفي قلبها القضية الفلسطينية ، وتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي عن السوق الرأسمالية العالمية ، والاستعمار والامبريالية ، وهو ما جعلها تقود جيوشها الى الهزيمة ، جراء تحالفها مع الاستعمار والامبريالية حفاظاً على مصالحها الطبقية ، وسيطرتها السياسية ـ الاقتصادية في بلدانها ، فانه في الجانب الآخر شكلت هزيمة حزيران ، هزيمة للايديولوجية العربية البرجوازية الصغيرة التوفيقية ، وللانظمة الوطنية وكل فصائل حركة التحرر الوطني العربية . وفضلاً عن ذلك ، فان هزيمة حزيران هي في جوهرها ، هزيمة لبرنامج الطبقة البرجوازية الصغيرة التي احتلت دور الطبقة القائدة في ظل سيادة ايديولوجيتها ، لحركة التحرر الوطني العربية والفلسطينية على امتداد عشرين عاماً ـ والتي بسبب البنية الايديولوجية المتحكمة في منطق تشكلها وصيرورتها الطبقية ، وفشل برنامج عملها الطبقي الاقتصادي والسياسي والعسكري ، عجزت سياسياً ، وعسكرياً ، وتاريخياً ، عن مجابهة هجوم الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني ، ومواجهة قضايا التحرر في الوطن العربي التي تشقه تناقضات اساسية ـ التخلف ـ التبعية ـ التجزئة ـ الاحتلال ، ببرنامج ثوري جذري متصادم مع الامبريالية العالمية ، والكيان الصهيوني ، وتحالف الاقطاع والبرجوازية الكمبرادورية مع الرأسمال الاجنبي والاستعمار القديم . مع ان تحقيق القطع الثوري في البنية الاجتماعية للامة العربية ، التي دخلت في قفزتها الثورية البنيوية منذ مطلع الخمسينات ، حيث تجمعت وانصهرت كل التناقضات الطبقية الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والوطنية والقومية ، في بؤرة التناقض السياسي التاريخي ، بين الطبقات الشعبية من جهة ، والاقطاع والبرجوازية الكبيرة ، والاستعمار القديم ، والامبريالية الاميركية ، والعدو الصهيوني من جهة اخرى ، كان مرتبطاً بحل هذا التناقض الاساس الرئيسي ، باعتباره شرطاً مطلقاً ، لتحقيق التحول الثوري الجذري للبنية الاجتماعية الاقتصادية والسياسية في الوطن العربي ، عبر التحطيم الثوري لعلاقات الانتاج فيها ، اللاجمة لتطورها التاريخي ، وباعتبارها المقياس المحدد للمنطق التاريخي الخاص بالقفزة الثورية لتحرر الامة العربية ، ولامكانية الفشل ، وامكانية

النجاح ، في الثورة القومية الديمقراطية الشعبية المتجهة نحو بناء الاشتراكية .

وفي اطار العملية التقييمية التاريخية لهذه الطبقة وما مثلته على الساحة العربية خلال الخمسينات وحتى حزيران ١٩٦٧ ، كانت رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، على هذا النحو . . ومن هنا طرحت هذه الطبقة فكراً سياسياً يميع رؤية حقيقة الصراع ، وحقيقة المرحلة وحقيقة البرامج القادرة على الصمود والانتصار ، وكذلك يميع رؤية عملية الاستغلال التي ما زالت قائمة في هذه الانظمة لكدح العمال والفلاحين .

ومن هنا ، فان هزيمة حزيران لا تشكل بالنسبة لنا مجرد هزيمة عسكرية ، بل هي في واقع الامر هزيمة لهذه الانظمة ، وبرامجها وبالتالي عدم قدرتها على احداث التعبئة السياسية والعسكرية والاقتصادية والايديولوجية التي تستطيع الصمود والانتصار على الاستعمار الجديد ، وتحالفاته ومخططاته في وطننا »(١) .

على الرغم من ان حركة الصراع الوطني والقومي ـ الطبقي ، اكتسبت محتوى طبقياً ، وايديولوجياً وسياسياً عنيفاً ، بدأت ملامحه الاساسية منذ اندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، والثورة المسلحة في بلدان المغرب العربي ، وبخاصة الثورة الجزائرية ، وبعد عدوان عام ١٩٥٦ الانجلو ـ الفرنسي ـ الصهيوني الموجه من اجل اسقاط النظام الوطني المصري المعادي للاستعمار ، والرجعية العربية ، والكيان الصهيوني ، والذي يهدد المواقع الطبقية والسياسية للانظمة الاقطاعية ـ البرجوازية ، وكل القوى المضادة للثورة في عموم المنطقة العربية ، وبرغم التحولات الطبقية الاقتصادية والسياسية البرجوازية الصغيرة القائدة لحركة التحرر الوطني العربية ، على صعيد التحرر الاقتصادي في الجمهورية العربية المتحدة ، وسوريا ، والجزائر ، والى حد ما في العراق ، والتخلص من التبعية السياسية التقليدية ، ومحاربة الاستعمار ، واسقاط تحالف الاقطاع مع البرجوازية الكمبرادورية ، ومحاولة حل معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية ، كيف نحلل هزيمة الانظمة الوطنية العربية ، حيث اكدت لنا هزيمة حزيران ، ان الحركة القومية العربية لم تكن ثورية بما فيه الكفاية ، ولا معادية للامبريالية والرجعية العربية ، والصهيونية بما فيه الكفاية ، عندما تطبق عليها المعايير القومية والطبقية الثورية الصارمة ، التي تفرضها طبيعة التناقض الاساس العدائي بين الامة العربية ومعسكر اعدائها ؟ .

تعود اسباب الهزيمة العسكرية للانظمة العربية في الحرب العربية ـ الصهيونية عام ١٩٦٧ ، ليس لان القوات المسلحة المصرية والسورية كانت اقل كفاءة من القوات الصهيونية من حيث التجهيز التكنولوجي ، وانما لانها كانت اضعف من العدو في التدريب القتالي والقدرة القتالية . وفضلاً عن ذلك فات غالبية هيكل القيادات في المؤسسة العسكرية في مصر كان مؤلفاً من الضباط الذين ينتمون الى الفئات والطبقات البرجوازية ، التي كانت معادية للتحولات الاقتصادية التقدمية في مصر ، « وبالرغم من انه وجد متسع من الوقت لدى القيادة المصرية (٢٢ يوماً) من اجل تعبئة ونشر القوات المسلحة ، فان هذه القيادات كانت غير مستعدة بما فيه الكفاية لصد هجوم القوات « الاسرائيلية » . وغاب تنسيق التعاون اللازم بين مختلف انواع القوات المسلحة ، اذ قامت اركان القوى الجوية بتخطيط اعمال الطيران ، دون ان تنسق ذلك مع اعمال القوى البرية والقوى البحرية . وتجاهلت قيادة القوى الجوية المصرية المعلومات التي ارسلها الرئيس جمال عبد الناصر ـ القائد الاعلى للقوات المسلحة المصرية ـ في اليوم الثالث من حزيران ،

(قبل الحرب بيومين فقط) عن احتمال وقوع الهجوم « الاسرائيلي » خلال يومين ، كما ان هذه القيادة لم تنفذ اوامره في رفع الجاهزية القتالية للطيران وقوة الدفاع الجوي . ولم تتخذ بالتالي اجراء نشر الطائرات على المطارات ، وتمويهها ، وتغطيتها وتأمين حمايتها بنيران المدفعية والصواريخ المضادة للطائرات »(٢) .

من الواضح ان القيادة المصرية لم يكن لديها تقدير صحيح للموقف العام على الصعيدين العسكري والسياسي . ذلك ان هذه القيادة اعتقدت انه بمجرد حشد قوات كبيرة على الحدود المصرية ـ الصهيونية سوف يمنع الهجوم الصهيوني على سورية ، بينما اسقطت من حسابها « الافتراض المتمثل بهجوم « اسرائيل » على مصر عوضاً عن سورية » ، ولكن من العوامل الاكثر اهمية التي ساعدت العدو الصهيوني على تحقيق الانتصار العسكري على الامة العربية ، غياب خطة عربية موحدة للحرب من جانب الدول العربية ، وغياب التنسيق فيما بينها لخوض الاعمال القتالية . وقد ساعد هذا وذاك ، القيادة الصهيونية على حسن المناورة بقواها ووسائطها العسكرية ومهاجمة ـ جيوش الدول العربية واحداً بعد الآخر ، على التوالي .

ويجمع الخبراء العسكريون الاجانب ، على ان غياب التعاون المتبادل بين انواع القوات المسلحة المصرية ، وبشكل خاص بين القوى البرية والقوى الجوية ، وضعف التدريب القتالي للقوى الجوية ووسائط الدفاع الجوي المصري ، وعدم وجود خطة مُعدة قبل زمن طويل من بدء الاعمال القتالية ، هي من الاسباب الرئيسية التي سمحت للقوات الصهيونية باستخدام التدمير الصاعق والمكثف للطيران المصري وهو لا يزال في المطارات ، وتدمير الطيران في كل من سوريا والاردن ، وهذا ما جعلها تحقق تفوقاً استراتيجياً كاسحاً في الجو ، وتسيطر على الاجواء العربية . و« يؤكد سير الحرب العربية ـ الاسرائيلية ، المقولة التقليدية بانه لا يوجد في الحروب أهم من كسب المبادهة في توجيه الضربة الاولى »(٣) .

وفي معرض تقييمه لهزيمة حزيران كتب ناجي علوش ، محدداً العوامل التي ادت الى فشل عبد الناصر في احداث تغيير طفيف في نتائج حرب ١٩٦٧ ، ما يلي :

« اولاً : لان عبد الناصر اراد ان يفرض على دولة الاحتلال تراجعاً جزئياً من خلال المناورة بالقوى ودون صدام . ولكنه لم يحسن تقدير رد فعل العدو ، ولم يحسن المناورة بقواه .

ثانياً : لان عبد الناصر لم يستعد للحرب استعداداً كافياً ، ولا هيأ قواته للقتال انطلاقاً من دراسة قوات العدو وقدراتها ، ولذلك لم تتوفر لديه قوات قادرة على مواجهة العدو .

ثالثاً : لان عبد الناصر لم يقدر طبيعة المعركة مع العدو حق قدرها ، وطبيعة العلاقات بين العدو الصهيوني والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة .

رابعاً : لان عبد الناصر الذي قرر ان يناور بالقوى لم يعرف متى يستخدم قواه وكيف ! .

خامساً : لان عبد الناصر قاتل دون ان يحشد حوله القوى العربية كلها ، ودون ان يشركها في مخطط القتال . ولم يكن الجو السائد بين البلاد العربية في ايار ١٩٦٧ جواً ملائماً للوفاق والاتحاد والقتال المنسق المدروس »(٤) .

وهكذا كانت كل الشروط ملائمة ، بالاضافة الى دعم الامبريالية الاميركية للعدوان ، لكي يحقق العدو انتصاراً استراتيجياً ساحقاً في حرب حزيران ١٩٦٧ ، ويلحق بالجيوش العربية هزيمة كبرى .

ولكن هزيمة حزيران كشفت ايضاً عن ازمة الطبقة البرجوازية الصغيرة السائدة في هذه الانظمة ، والقائدة لحركة التحرر الوطني ، ـ على الرغم من ان مرحلة الثورة القومية الديمقراطية الشعبية كمرحلة ضرورية في الحركة الثورية العربية التحررية تعود فيها القيادة الطبقية بالضرورة الى الحلف الطبقي التاريخي المتكون من الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء ـ ، واساس هذه الازمة يكمن في طبيعتها الطبقية بالذات ، وفي عجزها البنيوي المتأصل عن فرض سيطرتها الطبقية ، وفي فشلها الذريع لتحقيق الاستثناء في منطق تطور التاريخ ، عن طريق التصدي لحل معضلات التحرر الوطني من الصهيونية ، والاستعمار ، والرجعية العربية ، وقيادة حركة تاريخية ضمن شروط تاريخية وسياسية محددتين ليس مجال بحثهما الآن ، في محاولة عبثية لجعل هذا الاستثناء « قاعدة طبيعية » ، يحكم منطق التطور التاريخي للامة العربية ، وحركة الصراع الطبقي والقومي في بنيتها الاجتماعية .

غير ان هذا الموقف الطبقي من البرجوازية الصغيرة وازمتها البنيوية ، المتسلح بنظرة علمية ثورية ، لا يمكن ان يحجب عنا في اية عملية تقييمية تاريخية لانظمة البرجوازية الصغيرة ، التي امتدت لتشمل مصر ـ سوريا ـ العراق ـ الجزائر ـ واليمن الجنوبية ، وبخاصة نظام عبد الناصر ، الذي لشروط محددة معروفة ، كان المثل البارز والاكثر وضوحاً وتبلوراً ، في موضع القائد لحركة التحرر الوطني العربية ، فما هو ، الإفق التاريخي لتطور هذه الانظمة ، وانجازاتها التقدمية ؟ .

في سياق الشروط التاريخية المحددة من حركة تطور الصراع الطبقي والقومي في الوطن العربي ، وفي بنية الانتاج الكولونيالي ، وصلت البرجوازية الصغيرة الى قيادة حركة التحرر الوطني العربية وبخاصة منذ نكبة ٤٨ ، ودخلت في طور جديد ، طبقياً وايديولوجياً وسياسياً ، في ظل الانحياز الكامل للقيادات والانظمة الاقطاعية والبرجوازية الكمبرادورية الى القوى المضادة للثورة . و« طرحت الطبقة البرجوازية القائدة لحركة التحرر العربية والفلسطينية ، برنامجاً طبقياً وايديولوجياً وسياسياً ذا طبيعة برجوازية صغيرة لحل معضلات التحرر الوطني ، بهدم واسقاط تحالف الاقطاع ورأس المال والاستعمار المسؤول عن نكبة ٤٨ ، واقامة تحالف العمال والفلاحين الفقراء والجنود والبرجوازية الصغيرة »(٥) .

لقد تبلور وظهر التناقض الاساسي في اطار البنية الاجتماعية الكولونيالية العربية بمظهر التناقض السياسي القومي ـ الطبقي المسيطر ، في حقل الصراع القومي ـ الطبقي السياسي ، بين التحالف المتكون من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة من جهة ، والاستعمار والرجعية العربية والعدو الصهيوني من جهة اخرى ، حيث سيطرت الممارسة السياسية لهذه الطبقة البرجوازية في حقل الصراع القومي ـ الطبقي ، وتمكنت من انتزاع السلطة وفرض سيطرتها الطبقية عن طريق « الانقلاب العسكري » ، باعتباره « الطريق الطبيعي لتحقيق الاستثناء في منطق تطور التاريخ ، اي طريق وصول الطبقة (البرجوازية الصغيرة) ، غير المهيمنة الى السيطرة الطبقية »(٦) .

ان هذه الممارسة السياسية للصراع القومي ـ الطبقي من جانب البرجوازية الصغيرة ، تتمثل في برنامج التحولات الطبقية ، والاقتصادية والسياسية.البرجوازية الصغيرة ، ومجموعة الانجازات الثورية الكبرى ، التي حققتها الانظمة الوطنية وبخاصة نظام عبد الناصر . لقد استطاع هذا النظام ان يخرج مصر

من دائرة النفوذ الاستعماري ، ويضعها على طريق النهوض الاقتصادي ، بهدف الوصول الى الاستقلال الاقتصادي ، من خلال تحطيم البنية الاقتصادية الاستعمارية ، وتجاوز العادات الاستعمارية والاقطاعية في مجال الحياة ، فاحدث اصلاحاً زراعياً ، تناول ملكية الارض والعلاقات الزراعية ، وأمم المشاريع الصناعية والتجارية الكبيرة . وقد شكل تأميم قناة السويس منعطفاً تاريخياً كبيراً في مسيرة النظام الناصري التقدمية ، الذي دخل في صراع مكشوف مع القوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية والكيان الصهيوني . ثم ان ضرب مصالح الاقطاع والبرجوازية الكمبرادورية والاطاحة بالتحالف الاستعماري ـ الرجعي العربي ، المتحكم في اوضاع مصر الاقتصادية والسياسية ، وكسر طوق الحصار الذي كان مضروباً على المنطقة من قبل الاستعمار ، عبر تطوير العلاقات الحميمية ، الاقتصادية والعسكرية والسياسية مع الاتحاد السوفياتي ، وباقي بلدان المعسكر الاشتراكي ، الذي قدم المساعدات المتنوعة والشاملة باستمرار لحركة التحرر الوطني العربية ، وترسيخ الاتجاهات الجديدة بتشريعات ١٩٦١ و١٩٦٣ التي قامت بنقل ٨٠٪ من الصناعة الى ملكية الدولة ، وتحقيق اول مشروع وحدوي في تاريخ الامة العربية الحديث بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، كل هذه الانجازات جعلت من عبد الناصر زعيماً قومياً ، وبطلاً للقومية العربية ، « كما ارفق كل هذه التحولات ، بتحولات مطابقة على صعيد الفكر الثوري فارتفع بفكر الثورة من حيز الشعارات التحررية والوحدوية والاشتراكية العامة الى بداية الرؤية الطبقية لقوى الثورة وبداية اعتماد النهج الاشتراكي في رؤية وتحليل حركة التقدم »(٧) . وقد سارت بقية الانظمة الوطنية في الاتجاه عينه بدرجات متفاوتة .

غير ان هذه الانظمة حاولت ان تقفز فوق التناقضات الطبقية ، وان تعلو على الصراع الطبقي ، وعلى الرغم من ان القوى الاستعمارية ، وخاصة الامبريالية الاميركية ، حاولت احتواء حركة التحرر الوطني العربية متمثلة بالانظمة الوطنية من الداخل بعد محاولة التصفية من الخارج ، ولم تدخر جهداً في استخدام الاساليب التقليدية للسياسة الاستعمارية كالمغامرات العسكرية والاضطهاد السياسي واقامة الاحلاف العسكرية وضرب هذه الانظمة بقوة السلاح ، وبواسطة المعتدين الصهاينة ، الا ان هذه الانظمة مع تعقد التطور العملي للحركة الثورية التحررية ، شلت الممارسة السياسية للتحالف الطبقي الثوري المتكون من العمال والفلاحين الفقراء ، الذي يضم اوسع الجماهير الشعبية الكادحة ، التي كانت دائماً ولا تزال مع التحرر من الاستعمار والامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، ومع الوحدة العربية ، ومع الحريات الديمقراطية بهذا القدر او ذاك ، ومع تحقيق الاشتراكية على الرغم من ان قضية الاشتراكية العلمية تأخذ عندها مفاهيم مختلفة تتضح او تغمض بهذا القدر او ذاك . وعلاوة على ذلك ، عجزت البرجوازية الصغيرة عن تنظيم الحركة الشعبية الواسعة ، وحاربت ضرورة بناء التنظيمات الثورية التي تنظم الجماهير الكادحة وتحشد القوى الطبقية الشعبية الثورية في صراع الامة العربية ضد معسكر اعدائها ، وقمعت المنظمات الشعبية والنقابات واحتوتها ، مفقدة بذلك اياها استقلاليتها كاتحادات العمال ، والمعلمين ، والطلاب ، والمرأة .

وكان عجز هذه الانظمة واضحاً في فشلها الذريع ، في بناء الجبهة القومية المتحدة التي تجمع كل الاحزاب والتنظيمات الثورية والديمقراطية ، والاتحادات ، والمنظمات الشعبية ، واللجان الشعبية ،

باعتبارها الاطار القادر على تعبئة الجماهير الواسعة ، وحشدها في المعارك القومية والطبقية الثورية ، وفي ممارسة سياسة القمع بواسطة اجهزة الدولة على الجماهير الشعبية ، ومحاربة القوى الثورية والديمقراطية ، ذلك ان حكم البرجوازية الصغيرة لم يكن ولن يكون حكماً ديمقراطياً ، لان هذه « الاستحالة في ان يكون حكم البرجوازية الصغيرة المسيطرة ديمقراطياً قائمة في الاصل ، على الاستحالة في ان تكون او تصير البرجوازية الصغيرة طبقة مهيمنة ، لان الديمقراطية هي الشكل الطبيعي لممارسة الطبقة البرجوازية لهيمنتها الطبقية ، فان انتفت الهيمنة الطبقية استحال وجود الديمقراطية اصلاً »[٨] .

وتكشف لنا هزيمة حزيران حقيقتين اساسيتين ثابتتين ، هما :

١ ـ الاولى : ان الحركة القومية والوطنية العربية التي شهدت صعوداً ، في الخمسينات وحتى اواسط الستينات ، وخاضت صراعاً حاداً ضد الاستعمار ، والرجعية العربية ، والصهيونية ، من اجل التحرر والوحدة ، طرحت قضية التصدي للكيان الصهيوني والقوى الامبريالية ، وعلى رأسها الامبريالية الاميركية ، من خلال اعداد مؤسسة عسكرية قوية وعصرية ، مجهزة باحدث الاسلحة ، والاستعداد لتحرير فلسطين ضمن الاطار العربي الشامل ، والتركيز على الحرب النظامية التقليدية ، وقيادة نظامية فقط ، في تناقض جذري مع الثورة الشعبية المسلحة ، ومن دون فهم العلاقة الجدلية بين الوحدة العربية والتحرير . ولان تفجير حرب التحرير الشعبية وممارستها على اساس حرب قومية ـ طبقية ثورية ، يحكمها برنامج تحرير ثوري جذري ، سيقود في الممارسة السياسية والعسكرية ، الى المجابهة بين الطبقة البرجوازية الصغيرة والتحالف الطبقي الثوري النقيض من العمال والفلاحين الفقراء . وهذا ، سيفرض على انظمة البرجوازية الصغيرة الخيار بين أمرين لا ثالث لهما ، بين فقدان البرجوازية الصغيرة موقع القيادة في الحركة الثورية التحررية في الوطن العربي ، وبالتالي التضحية بمصالحها الطبقية ، وامتيازاتها المتنوعة التي نمتها من خلال وجودها في السلطة ، وبالتالي الخضوع لهيمنة الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء ، ولدورها الطليعي القائد في الحركة الثورية التحررية في الوطن العربي والثورة الاشتراكية ، ولبرنامج الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، وبذلك يصبح الدور الثوري لهذه البرجوازية الصغيرة سنداً للتحالف الطبقي الثوري ، باعتبار ان قلب هذه العلاقة الطبقية المعكوسة في الاول « بين الطبقة (العاملة) الثورية المهيمنة والطبقة (البرجوازية الصغيرة) السند » ، هو الذي يجعل حركة الصراع الطبقي والقومي يأخذ مساره الطبيعي في الاتجاه الذي يخدم منطق تطوره الطبيعي والتاريخي ، اي في اتجاه العملية الثورية التحررية للامة العربية ، وبين الخضوع للطبقة البرجوازية الكمبرادورية ، ومن ورائها الرجعية العربية ، والامبريالية الاميركية ، والعدو الصهيوني ، وبالتالي القبول بسياسة التسوية على الصعيدين الطبقي والقومي ، والاخلال بحالة التوازن الطبقي والقومي التي كانت قائمة قبل الهزيمة لمصلحة المعسكر المعادي لتحرر الامة العربية ، المتمثل بالتحالف الاميركي ـ الصهيوني والاميركي ـ العربي الرجعي .

٢ ـ ان البرجوازية الصغيرة السائدة في هذه الانظمة الوطنية ضربت الاقطاع والكمبرادور وانشأت القطاع العام ، على الرغم من ان وجود القطاع العام لا يغير من الطبيعة الطبقية لعلاقات الانتاج القائمة ، التي هي بالاساس علاقات الانتاج الكولونيالية ، التي افرزتها القاعدة المادية للسيطرة الامبريالية ، لم تقم بعملية هدم ثوري لهذه العلاقات الانتاجية المهيمنة في البنية الاجتماعية الكولونيالية العربية ، بقدر ما

سعت ، وقامت ، بتعديل شروط العلاقة مع الامبريالية ، بدلا من ان تضرب بعنف القاعدة المادية لهذه السيطرة الامبريالية . لان وصولها كطبقة غير مهيمنة ، الى السيطرة الطبقية في هذه البلدان ، واستمرار وجودها كطبقة مسيطرة ، لا يمكن ان يتحقق بالفعل ، الا من خلال البحث عن ايجاد قاعدة مادية اقتصادية واجتماعية ، في اطار علاقات الانتاج القائمة الكولونيالية ، التي كانت فيها البرجوازية الكولونيالية العربية هي الطبقة المسيطرة ، « فالبرجوازية الصغيرة المسيطرة مدعوة بالضرورة الى تجديد علاقات الانتاج هذه ، اي الى اعادة انتاجها باستمرار ، في ممارستها السياسية لصراعها الطبقي ضد البرجوازية الكولونيالية بالذات ، لان تجدد علاقات الانتاج هذه شرط ضروري ومطلق لاستمرار وجودها كطبقة مسيطرة »[٩] .

انطلاقاً من هذه المفاهيم النظرية ، أضحى مستحيلاً على البرجوازية الصغيرة نظرياً وطبقياً ، ان تحقق الثورة القومية الديمقراطية التحررية في الوطن العربي ، في عصر الامبريالية والانتقال الى الثورة الاشتراكية . فاذا كانت المقولة النظرية الساطعة للثورة ، تكمن في عملية الانتقال الثوري ، من بنية اجتماعية قاعدتها التخلف والتبعية والتجزئة والاحتلال ، الى بنية اجتماعية اخرى متحررة كلياً من كل اشكال السيطرة الامبريالية ، والبرجوازية الكمبرادورية ، وكبار الملاكين العقاريين ، وكل اشكال التبعية المباشرة وغير المباشرة ، اي من خلال التحطيم الثوري لبنية علاقات الانتاج الكولونيالية ونظام الانتاج القائم ، الى نظام انتاج جديد ، هو بالضرورة التاريخية نظام الانتاج الاشتراكي ، اصبح من المستحيل على البرجوازية الصغيرة ـ مهما توفرت فيها من ارادة قومية نبيلة ـ ايديولوجياً ، وطبقياً ، وسياسياً ، ان تكون قائدة لثورة سياسية واجتماعية تاريخية في الوطن العربي . ولان البرجوازية الصغيرة ، باعتبارها طبقة غير مهيمنة . اي لا تحمل في صيرورتها الطبقية ، ولا يمكن ان تحمل نظاماً جديداً من الانتاج الاجتماعي مغايراً تماماً لنظام الانتاج الوكولونيالي ، لا يمكن ان تحقق القفزة البنيوية الثورية في تحرر الامة العربية ، عن طريق الهدم الثوري ، لاطار العلاقة البنيوية القائمة بين المجتمع العربي والامبريالية . لهذا السبب عينه ، كانت انظمة البرجوازية الصغيرة ، والحركة القومية عامة ، عاجزة اطلاقاً عن طرح قضية تحرير فلسطين في اطار الصراع مع الامبريالية والعدو الصهيوني والرجعية العربية ، وقضية تحقيق الوحدة العربية ، باعتبارها قضية الطبقات الشعبية ، على ارضية برنامج سياسي ثوري ، يطرح قضايا التحرر ، والوحدة القومية ، والديمقراطية الشعبية ، بشكل مترابط وجدلي ، في سياق الثورة القومية الديمقراطية الشعبية .

وهو ما قادها الى عجزها عن تحقيق اهدافها ، والى انكفائها ، ثم استسلامها لخط التسوية ، الذي اصبح بديلاً لخط التحرير والتوحيد القومي في المنطقة العربية منذ هزيمة حزيران .

٣ ـ بروز المقاومة الفلسطينية المسلحة في تناقض مع الحل السلمي

ان تاريخ ومصير تحرير فلسطين حددته عبر التاريخ وتحدده الآن مجموع تأثيرات الاوضاع العربية المحيطة بفلسطين ، ولا يتم الا عبر حركة الثورة العربية ، وليس عن طريق برامج قطرية ، ويحتاج الى طاقات الجماهير العربية ، والسياسات والصراعات الدولية ضد الامبريالية الاميركية . « فكل ما جرى

ويجري في البلاد العربية على امتداد التاريخ الفلسطيني ، يمس بهذا الشكل او ذاك وضع ومصير فلسطين والقضية الفلسطينية ، واي محاولة للقفز عن هذه الموضوعة الجدلية هي محاولة مشبوهة أو رجعية او استعمارية او صهيونية »(١٠) . وبالفعل ، فعلى الرغم من تصاعد الحركة القومية العربية في مرحلة الستينات ، الا انه لم يكن للانظمة الوطنية برنامجاً سياسياً خاصاً لتحرير فلسطين ، فضلاً عن ان الوضع العربي كانت تشقه تناقضات وصراعات بين القوى القومية وبخاصة بين الناصريين وغير الناصريين من جهة ، والبعثيين من جهة اخرى ، ولم تكن الاحزاب الشيوعية معنية بطرح القضية القومية وحلها بصورة ثورية وجذرية نظراً لاصلاحيتها ، وقطريتها ، وتبنيها قرار التقسيم اولاً ، ثم القرار ٢٤٢ لاحقاً .

وفيما كان موضوع الصراع قبل هزيمة حزيران هو تحرير الارض المحتلة ، اصبح القرار ٢٤٢ بعد الهزيمة ، قراراً رسمياً في مجلس الامن ، بعد التصويت لمصلحته بالاجماع في ٢٢ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٦٧ ، يمثل سياسة التسوية السياسية ، كما تراها الامبريالية الاميركية ، ودولة الكيان الصهيوني ، والمتمثلة في ابرام اتفاقيات صلح نهائي استسلامي ، بين الدول العربية والكيان الصهيوني ، وتصفية القضية الفلسطينية ، والحصول على مكاسب سياسية واقتصادية واقليمية . هذا هو الحل الاستسلامي الذي يريده العدو الاميركي فرضه على العرب ، ولذلك اصبح الصراع عربياً يتمثل في تنفيذ القرار ٢٤٢ الذي ينص على : « أ : سحب القوات الاسرائيلية من اراضٍ احتلت في النزاع الاخير ، ب : انهاء جميع ادعاءات الحرب وحالتها واحترام السيادة والوحدة لاراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحقها في العيش في سلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد او اعمال القوة . ويؤكد ايضاً الى : تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » . ويكمن جوهر قرار ٢٤٢ ، في انهاء حالة الحرب بين العرب والكيان الصهيوني ، والاعتراف بوجود الكيان الصهيوني في الاراضي المحتلة قبل ١٩٦٧ ، والاستسلام لشروط التسوية الاميركية - الصهيونية لاحقاً .

وبعد هزيمة حزيران ، قفزت الى حيز الوجود ، بقوة وعنف ، قضيتان رئيسيتان في الحياة العربية ، تمثلتا على النحو التالي :

الاولى : بروز المقاومة الفلسطينية المسلحة على صعيد الممارسة الفعلية .

الثانية : بروز حرب التحرير الشعبية الثورية على صعيد الفكر السياسي الثوري الجديد ، اي الطريق الفيتنامي والكوبي في مجابهة ومناطحة الهجوم الامبريالي - الصهيوني ، بقيادة الطبقات الشعبية الثورية العمال والفلاحين الفقراء .

لقد هزت هزيمة حزيران العديد من المفاهيم الثورية في الحركة القومية العربية ، ولكنها بالمقابل ، ابرزت ثنائية جديدة في الرد على هذه الهزيمة ، تمثلت في : « ازالة آثار العدوان - حرب التحرير الشعبية » . وعكست في الاطار العربي بصورة ملموسة ، ومن منظار تاريخي ، رؤى ايديولوجية وطبقية وبرامج سياسية اكثر تطوراً ، لنهجين متناقضين ، الحل السلمي الذي يبحث عن تسوية سياسية للقضية الفلسطينية ، عبر قرار مجلس الامن التصفوي ، وخط التحرير عن طريق الحرب الشعبية ، باعتباره يجسد مقولة دعاة سقوط البرجوازية الصغيرة ، وثنائية البروليتاريا - البرجوازية الصغيرة ، والثورة الاشتراكية مقابل انظمة البرجوازية الصغيرة ، الخ .

وبين هزيمة حزيران وبالتالي نهاية التجربة الناصرية ، وما فرضته من عملية انتقال من التحرير الى التسوية ، والقفز من القضية الى نقيضها ، وكما يقول محمد عابد الجابري في معرض تحليله للقفزات اللامعقولة - اللاتاريخية في الخطاب القومي الناصري ، « ان التلازم الضروري » الذي يقيمه الخطاب القومي بين « الوحدة والاشتراكية » من جهة و« تحرير فلسطين » من جهة اخرى ، يسمح ، بل يفرض عند اقل توتر ، هذا النوع من الانتقال من القضية الى عكسها دون الشعور بادنى تناقض »(١١) ، وبين انتهاج حركة المقاومة الفلسطينية خيار الكفاح المسلح ، باعتباره طريق الخلاص الوطني ، هناك سؤالان يطرحان نفسيهما ، اذا نظرنا من زاوية الطريق الصحيح الذي يؤدي الى تحرير فلسطين : هل ان المقاومة الفلسطينية المسلحة كانت على موعد مع التاريخ ، وبالتالي شكلت بديلاً ثورياً لتحرير فلسطين ، ونهجاً نقيضاً لخط التسوية ؟ ولماذا تساوى برنامج ومواقف الحركة القومية العربية مع برنامج ومواقف اليمين الرجعي العربي المستسلم على ارضية خط الستوية ؟ .

- ١ -

عندما تلجأ الجماهير الى السلاح كي تكافح في سبيل حقوقها وكي ترفع الظلم والاضطهاد عن نفسها لا بد لكل من يعتبر نفسه ثورياً ان يقاتل معها ويقف بجانبها حتى لو بدا له ان عملها اقرب الى المغامرة والى احتمالات الفشل منه الى الانتفاضة واحتمالات الانتصار . هكذا عرض ماركس موقفه في تقييمه لكومونة باريس .

وفي الوقت الذي انطلقت فيه المقاومة العربية المسلحة في فلسطين عام ١٩٦٥ ، وحمل الشعب العربي الفلسطيني السلاح وقاتل في سبيل انجاز الثورة ، باعتبارها الطريق الوحيد لتحرير نفسه واستعادة ارضه ، سطع نجم الثورة الفلسطينية في سماء الوطن العربي ، معلناً ميلاداً جديداً للقضية الفلسطينية وبخاصة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، ولانه النقطة المضيئة الوحيدة على خريطة الوضع العربي القائمة آنذاك ، على الرغم من ان اليمين الفلسطيني الرجعي قفز فوق كل حقائق التاريخ وقاد هذه الثورة المعاصرة ، حيث كان اصله الطبقي من الشريحة الاكثر تخلفاً من البرجوازية الصغيرة ، ومتبنياً في الوقت عينه ايديولوجية الاخوان المسلمين . ان هذا التوضيح مهم جداً ، لفهم السياق السياسي والتاريخي لممارسات هذا اليمين الفلسطيني الرجعي ، من حيث انه حمل فكراً سياسياً متخلفاً . وحين كان يرفع شعار الكفاح المسلح والتحرير ، كان يعمل في الوقت عينه على جبهة العمل الدبلوماسي والتسوية السياسية ، في ارتباط وثيق مع الانظمة والقوى الرجعية العربية .

وقد صرح السيد خالد الحسن احد القيادين الاساسيين لحركة « فتح » ، مرة لمجلة الطليعة التي تصدر في باريس ، ان الهدف من تشكيل حركة « فتح » كان كسر شوكة الحركة القومية العربية ، التي مثلت قوة طيلة الخمسينات وبداية الستينات ، لنشر الخط الاسلامي ، لان المد القومي - الناصري - البعثي - كان عائقاً مهماً امام انتشار الاسلام .

ان اعتناق القيادة الفلسطينية الرسمية المتنفذة في قيادة المقاومة الفلسطينية ومنظمة التحرير ايديولوجية

الاخوان المسلمين ، وحرصها الشديد على تقوية مصالحها الطبقية ، لكي تصبح مثلها مثل اي فئة طبقية عربية رجعية حاكمة ، لا تختلف معها ، في النظرة الى الجماهير ، وفي التعاطي مع قضية التسوية ، بعقلية استسلامية ومساومة ، والتحليل الملموس لازمة حركة فصائل المقاومة الفلسطينية التكوينية ، الايديولوجية والطبقية والسياسية ، يشكلون عناصر اساسية ضمن الاطار الموضوعي للثورة الفلسطينية ، في فهم تبلور اتجاه التسوية الذي كان يعبر عن توجهات اليمين الفلسطيني الرجعي في الاساس ، ثم لدى اليسار لاحقاً ، الذي كان دائماً يغطي سياسة اليمين ، وهيمنة خط التسوية على صعيد المقاومة الفلسطينية .

ويقول الدكتور صادق جلال العظم في تحليله النقدي للسمات العامة والاساسية على صعيد المقاومة الفلسطينية ، وبخاصة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ : « ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح ، باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي واكبرها ، وتشكيلها العمود الفقري لحركة المقاومة . . ويبدو لي واضحاً كل الوضوح ان استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب »[١٢] .

يتضح من خلال التحليل الملموس لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ، ان الشريحة الاكثر تخلفاً من البرجوازية الصغيرة الفلسطينية التي احتلت مركز القيادة للمقاومة الفلسطينية المسلحة ، لا تقف على نفس الارضية الايديولوجية والسياسية لحركة التحرير الوطني العربية التي قادتها البرجوازية الصغيرة .

ومن هذا المنظار ، فان اليمين الرجعي الفلسطيني هو امتداد طبيعي وتاريخي لليمين الرجعي العربي ، الذي كان ولا يزال يدعم القيادة الفلسطينية الرسمية الرجعية من اجل ان تظل على رأس حركة المقاومة الفلسطينية ، وتقودها ضمن آفاق خط التسوية الاستسلامي الذي في المحصلة النهائية يخدم مصالح الرجعية العربية ، والامبريالية ، والعدو الصهيوني ، ويقود الى تصفية القضية الفلسطينية .

فماذا يعكس في حقيقة الامر شعار اليمين الفلسطيني الرجعي « عدم التدخل في الاوضاع العربية » ؟ انه تعبير عن مجموعة حقائق ثابتة ، حكمت البرنامج الطبقي والايديولوجي والسياسي لليمين الفلسطيني ، وقادت في صيرورتها الى الانهيار السياسي والتاريخي للثورة الفلسطينية .

ان حركة المقاومة الفلسطينية عامة ، تحكمت فيها رؤية اقليمية ضيقة ، ولم تطرح قضية تحرير فلسطين ، في اطار حركة الثورة العربية ، ومن مهمات الجماهير الشعبية العربية ، لا مهمة الجماهير الفلسطينية فقط ، على الرغم من اهمية خصوصية وضع هذه الاخيرة في عملية تصعيد المجابهة المباشرة المستمرة مع العدو الصهيوني . فالمنطق الاساسي الذي هيمن على نظرية وممارسة الثورة في كل فصائل المقاومة الفلسطينية هو منطق التشبث بتحقيق ثورة فلسطينية قطرية . وقاد هذا المنطق ، اليمين الفلسطيني الرجعي الى ان يمارس الصراع مع الكيان الصهيوني ، باعتباره صراعاً فلسطينياً ـ صهيونياً ، دون ان يرى العلاقة العضوية التي تربط الامبريالية العالمية وبخاصة منها الامبريالية الاميركية ـ باعتبارها قائدة المعسكر الامبريالي ، وقوة احتلال نهب واستغلال في الوطن العربي ـ ، بالحركة الصهيونية العالمية ، و« بدولة الكيان الصهيوني » ، « حيث لا يمكن فصل الحركة الصهيونية العالمية عن الامبريالية العالمية ولا « دولة الكيان الصهيوني عن الحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية » . وكذلك الامر بالنسبة للانظمة

والقوى الرجعية العربية ، التي تمثل ركيزة للسيطرة الامبريالية عامة ، والاميركية خاصة ، وتقوم بعملية تصفية للحركة الوطنية والثورية العربية ، وتقاوم بعنف وحشي اي مسعى من جانب الجماهير العربية لمقاتلة العدو الامبريالي الاميركي ـ الصهيوني .

ولا بد من الاشارة الى ان القيادة الرسمية الفلسطينية تشبهت بالثورة الجزائرية ، واخذت منها فهمها وممارستها للثورة المسلحة ، ولمعركة التحرر الوطني ، متجاهلة بشكل واع ومدروس الظروف الموضوعية والذاتية التي استحكمت في مسار الثورة الجزائرية ، وغير واضعة في الوقت عينه ، الثورة الفلسطينية ضمن اطار ظروفها الموضوعية والذاتية ، اي في سياق ارتباطها العضوي القومي بصيرورة حركة الثورة العربية ، وقادتها هذه الرؤية الرجعية الى القيام بفصل تعسفي ، وان لم نقل مشبوهاً ، للقضية الفلسطينية عن قضايا ومعضلات الثورة في الوطن العربي . وفضلاً عن ذلك ، لقد رافقت هذه الرؤية القطرية الضيقة ، عملية طمس كاملة للنظرة الطبقية في الساحة الفلسطينية والعربية ، ويبرر الفكر السياسي اليميني والعربي في ذلك ، بانه طالما ان الكيان الصهيوني يشكل تهديداً مباشراً لوجود الشعب الفلسطيني بكل طبقاته ، « وبالتالي فان القضية هنا ليست قضية طبقية ، بل هي قضية صراع بين الوجود الصهيوني والوجود الفلسطيني العربي ، ومعنى ذلك ان كل طبقات الشعب الفلسطيني والشعب العربي هي في تناقض رئيسي مع اسرائيل » .

ان اليمين الفلسطيني يتجاهل الحقائق التالية :

الاولى ، ان لا ثورة بلا ايديولوجيا ثورية والفكر السياسي الثوري هو الذي يصنع الثورات الجذرية الكبيرة .

الثانية : ان معارك التحرير الوطني وقضية الصراع القومي في الوطن العربي ، هما في جوهرهما معارك طبقية .

ومن هذا المنظار ، فان تحديد قوى الثورة الاساسية ، وقواها في كل مرحلة من المراحل ، هو الذي يجعل قوى الثورة الفلسطينية والعربية تفهم وتمارس بشكل سليم قضايا الاستراتيجية والتكتيك لتحرير فلسطين في اطار الثورة القومية الديمقراطية الشعبية ، وتحل التناقضات بين المصالح القطرية والمصلحة القومية العربية العامة لمصلحة هذه الاخيرة .

الثالثة : ان الخطر الصهيوني يهدد الوجود الفلسطيني والعربي برمته ، ولذلك فهو صراع بين المحور الصهيوني ، والامبريالية الاميركية ، والرجعية العربية ، ومحور الامة العربية . ومن هذه الزاوية ، فان معركة تحرير فلسطين تخوضها الغالبية الساحقة من الجماهير الشعبية الكادحة للامة العربية ، وهي بهذه الرؤية لا تشذ عن قاعدة الصراع الطبقي بين المستغلين بكسر العين ، والمستغلين (بفتحها) ، ولا تلغي القضية الطبقية وقضية الصراع الطبقي .

ان الفكر السياسي اليميني الفلسطيني الاقليمي والقاصر والرجعي ، هو الذي عزل المقاومة الفلسطينية والثورة الفلسطينية باندفاع جماهيرها ، عن محيط الجماهير العربية ، لكي لا تتخطى الحدود القطرية . وهو الذي قام في الوقت عينه بربط مصير المقاومة الفلسطينية بسياسات الانظمة العربية عامة ، واكثرها رجعية بخاصة . ـ وكان هذا النهج ، وكل البرنامج السياسي لليمين الفلسطيني المسيطر في المقاومة

متناقضين جذرياً مع تحول الثورة الفلسطينية الى ثورة عربية شاملة ، تطرح قضية فلسطين باعتبارها اولى قضايا الامة العربية ، وتعبىء وتنظم الجماهير العربية التي تولي اهتمامها لتحرير الارض السليبة (فلسطين) وغيرها . وبات واضحاً ، ان طبيعة القيادة اليمينية الفلسطينية واهدافها الاساسية ، تكمن في تأسيس « كيانية وهمية » فلسطينية ، مثل اي نظام عربي رجعي ، وانتهاج سياسة التقارب مع الامبريالية ، ولان ما يهم هذه القيادة هو ايجاد « مواطىء قدم » في معادلة سياسة التسوية ، وما ملؤها الدنيا طنيناً حول الكفاح المسلح والثورة المسلحة الا كمطية ، يغطي هدفها الحقيقي ، الذي ليس تحرير فلسطين ، لانه لا امكانية لتحرير فلسطين ببرنامج فلسطين ، وانما بناء سلطة سياسية ، استعداداً للمساومة وتقديم التنازلات ، وللدخول في لعبة التسوية ، حتى وان كان من موقع الطرف الضعيف والتابع .

وهكذا ، لم يكن برنامج فتح « باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي واكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة » ، برنامجاً لتحرير فلسطين ، لانه جزأ من معسكر العدو الامبريالي الاميركي - الصهيوني ، والانظمة والقوى الرجعية العربية ، كما ان برنامج فتح المعلن حول التحرير ، اخفى اشارات سابقة ، في وثائق فتح الاولى ، لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة »(٣) .

- ٢ -

اما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد حددت صيغة العلاقات بين الثورة الوطنية الفلسطينية وكافة القوى العربية على النحو التالي :

« ان الثورة الفلسطينية ستكون في المدى الاستراتيجي متصادمة مع القوى الرجعية العربية والانظمة التي تمثلها ، وستحكمها علاقات تحالف وصراع مع الانظمة الوطنية ، التي تعتلي البرجوازية الصغيرة قمة الهرم فيها ، وستقيم علاقات تحالف متجهة نحو الالتحام مع قوى الثورة العربية - المتمثلة بالعمال والفلاحين - وتعبيراتها السياسية ، والتي ستتولد في الساحة العربية بوجه عام ، والاقطار العربية المحيطة باسرائيل بوجه خاص ، بحكم طبيعة المعركة وطبيعة الاستراتيجية الثورية التي ستفرزها » .

« ومن خلال هذه الصورة - صورة الثورة الفلسطينية العربية - التي تقودها الطبقة العاملة ، والتي تضع كافة القوى المعادية للاستعمار ، والتي تعتمد اسلوب حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية ، والتي تطرح البرامج الثورية الكفيلة بحشد قوى الجماهير ايديولوجياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً الى اعلى مستوى ، ومن خلال هذه الصورة تكتمل رؤيتنا الاستراتيجية لمعركة تحرير فلسطين على الصعيد الفلسطيني اولاً ، والصعيد العربي ثانياً »(١٤) .

وعلى الرغم من هذه الرؤية الواضحة في تحديد معسكر العدو ، وعلاقة الثورة الفلسطينية بالاوضاع العربية وقوى الثورة العربية ، الا ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بخاصة ، واليسار الفلسطيني عامة ، لم يبلور بشكل ثوري صريح وجريء الفكر السياسي الذي يحدد بدقة نظرية وممارسة الثورة ، في اطار برنامج عمل قومي ثوري لتحرير فلسطين ، اي برنامج الثورة القومية الديمقراطية الشعبية العربية ،

باعتبار ان تحرير فلسطين جزء لا يتجزأ من مهمات هذه الثورة ، وقوى تحرير فلسطين هي قوى هذه الثورة . ولم تتمكن حركة التحرر الوطني الفلسطيني ، ان تحدث سلسلة تحولات ثورية في الاوضاع والطاقات العربية على « طريق تأهيل المنطقة لممارسة برنامج « حرب التحرير الشعبية » ، ضد الثورة المضادة ، الكيان الصهيوني - القوى العربية الرجعية المتحالفة مع الاستعمار القديم والجديد ، لعدة اسباب اهمها :

١ - ان حركة المقاومة الفلسطينية بكافة فصائلها طرحت ومارست شعار « عدم التدخل في الاوضاع العربية » . وهذا يعني ان اليسار الفلسطيني كان في اساس تكوينه الايديولوجي والسياسي وممارساته يساراً قطرياً ، برنامجاً ، وسياسة . وفي التقرير السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يلخص هذا المقطع الطابع القطري لحركة المقاومة ، التي « ليست مطالبة بان تنوب عن حركة التحرر الوطني في هذا القطر او ذاك للنضال من اجل حل معضلات التحرر الوطني والثورة الوطنية والديمقراطية المعادية للاستعمار والصهيونية وكافة القوى العربية الرجعية المتحالفة مع الامبريالية . . ان على حركة المقاومة ، وبالتحديد على فصائلها الوطنية الشريفة ، ان تضع شعار « عدم التدخل بالاوضاع العربية « في موقعه الصحيح » بالتدخل بكل ما يمس قضية فلسطين من طرف الاوضاع العربية » .

٢ - ان اليسار الفلسطيني بحكم تكوينه الايديولوجي ، والطبقي ، والسياسي ، هو من ذات التكوين لحركة التحرر الوطني العربية التي قادتها البرجوازية الصغيرة ، وعلى الرغم من انه تبنى ايديولوجيّة ثورية علمية (ايديولوجية البروليتاريا) ، الا انه عجز سياسياً ، وتاريخياً ، عن اكتشاف القوانين الاساسية الطبقية ، والايديولوجية ، والسياسية ، للثورة في الوطن العربي ، ولترابط اهداف الثورة العربية ، وترابطها فيما يتعلق بتحرير الارض ، وبخاصة منها كل فلسطين ، والوحدة العربية ، وتحقيق الديمقراطية الشعبية . وقاد استشراس الطفولة اليسارية الفجة لبعض فصائله ، الى الدعوة لحرب تحرير شعبية ، وحرب شعبية فقط ، دون ان ينظر الى موقع الجيوش النظامية ، في هذه الحرب ، والدور الذي يجب ان تحتله فيها ، وان يسقط على « البروليتاريا العربية » الاحلام المفرطة فيما يتعلق بطرح برنامج ثورة اشتراكية سابقة لاوانها ، وتجاهل دور الفلاحين في ثورة التحرر الوطني والقومي ، ونسيان موضوع الثورة الديمقراطية ، والتركيز على ثنائية البروليتاريا ، البرجوازية الصغيرة ، في النظرة الطبقية الى الثورة الفلسطينية .

٣ - ان اليسار الفلسطيني عامة ، والجبهة الشعبية بخاصة ، ارتكبت خطأً استراتيجياً اساسياً ، تجاه موضوعة « الوحدة الوطنية الفلسطينية » . سواء على صعيد الرؤية الايديولوجية والسياسية ، او في الممارسات العملية ، عندما قبلت بسيادة ايديولوجية ، ونظريات اليمين الرجعي الفلسطيني ، المهيمن على منظمة التحرير الفلسطينية كافة ، خصوصاً عندما انتقلت قيادة المنظمة ، من يحيى حمودة الى ياسر عرفات حيث كان يدعى الجميع ، ان هناك « تحولاً ثورياً » حدث . ولقد ترجم اليسار الفلسطيني شعار « الوحدة الوطنية الفلسطينية » ، بحسب الممارسات والنتائج ، عبر دوره كأداة طيعة تخدم مصلحة برنامج اليمين الفلسطيني الرجعي ، الذي حكم على نفسه وعبر تاريخه السياسي الطويل وخصوصاً منذ مجزرة ايلول بالتخلي عن موضوع تحرير فلسطين والثورة المسلحة ، لينحاز تاريخياً وسياسياً ، الى معسكر القوى الرجعية

العربية المضادة للثورة ، وليتخذ المواقف السياسية المنسجمة مع مصالحه الطبقية والسياسية ، والتي قادت في النهاية الى مأزق كبير لكل المقاومة الفلسطينية . واصبح هذا اليسار ورقة تكتيكية ضاغطة تارة بيد اليمين الفلسطيني الرجعي ، وطوراً بيد المحاور الرسمية العربية .

اذا كان من الصحيح ان المقاومة الفلسطينية شكلت في نظر القوميين اليسراويين « ظاهرة شعبية ثورية وظيفتها ان تكون كاشفاً للتناقضات الداخلية للمجتمع العربي المفكك وان تكون محرك وحدته وتاريخه المقبل » . ورفضت برامج الهزيمة وقرار مجلس الامن السيء الصيت ، واصرت على طرح برنامج حرب التحرير الشعبية ، وتنظيم الجماهير على طريق الحرب الطويلة الامد ، واكدت ضرورة التسلح بايديولوجية علمية ثورية ، اي ايديولوجية بروليتارية ترفض الاستسلام الطبقي والقومي ، فانه ما هو صحيح ايضاً ، ان اليمين الفلسطيني الرجعي ، ظل قائداً في الساحة الفلسطينية ، وسيطر خطه وممارساته ، وبرنامجه السياسي على كل المقاومة ، وكرس اليسار ، هذا اليمين قيادة تاريخية لمنظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، بحجة المحافظة على « الوحدة الوطنية الفلسطينية » ، التي ادت الى وضع الاطارات والقيادات الطبقية المتخلفة والرجعية على رأس المقاومة الفلسطينية ، وكذلك المحافظة على هذا اليمين في الصف الوطني ، وعدم دفعه للخيانة ، وعجز هذا اليسار ، عن ان يكون قوة طليعة ثورية لعملية التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية في فلسطين ، فكراً ، وبرنامجاً وقيادة ، على امتداد تاريخ المقاومة الفلسطينية الحديث . وفي هذا السياق شخص نايف حواتمة هزيمة المقاومة المسلحة في ايلول عام ١٩٧٠ بما يلي : « ان حركة المقاومة بكافة فصائلها مثلت امتداداً موضوعياً وفكرياً وسياسياً وطبقياً لمواقع حركة التحرر الوطني الفلسطيني والاردنية على امتداد التاريخ المعاصر امتداداً لواقع حركة التحرر الوطني العربية بكل تناقضاتها السياسية والايديولوجية والطبقية »(١٥) . من هنا نفهم ان المقاومة الفلسطينية المسلحة لم تشكل بديلاً ثورياً حقيقياً لتحرير فلسطين ، ولا نقيضاً لخط التسوية الذي بدأت جذوره تنبت منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، والا لما وصلت بالضرورة الى هزيمة مشابهة لحركة التحرر الوطني العربية ، وكما يقول صادق جلال العظم « بما ان الاصل قد انهزم فلا بد للامتداد الذي تفرع عنه من ان ينهزم ايضاً ولو بعد فترة من الزمن »(١٦) .

- ٣ -

في الواقع ، تساوت الانظمة العربية (الوطنية والرجعية) في ذات الواقع والبرامج ، عندما قبلت قرار مجلس الامن كاملاً بلا اية شروط ، الذي يقود بالضرورة وبالنتيجة الى تصفية القضية الفلسطينية . واكد الرئيس عبد الناصر من جديد موقفه من مسألة « الاعتراف باسرائيل » ومسألة « توقيع معاهدة عدم اعتداء » في تصريح ادلى به الى الصحيفة الالمانية الكبرى « دي فيلت » ما يلي :

« اعلن عبد الناصر انه يؤيد معاهدة سلام تتفق مع قرار مجلس الامن الذي يدعو الى انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة والى ضمان حق جميع دول المنطقة بالعيش ضمن حدود آمنة . وذكر ان اسرائيل تتمتع ايضاً بحق المرور بحرية في خليج العقبة وقناة السويس وانه مستعد للاعتراف باسرائيل

كدولة داخل حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧ . واضاف انه مقابل ذلك سيطالب بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة وحل المشكلة الفلسطينية على اساس اعادة اللاجئين الى منازلهم او التعويض عليهم » .
الصحف صباح ٢١ ايار ١٩٧٠)(١٧) .

وامام التطورات العسكرية والعمليات الحربية المستمرة على طول جبهة قناة السويس ، ونشاط المقاومة الفلسطينية على الجبهة الاردنية ، قامت الولايات المتحدة بتحرك دبلوماسي ، حتى لا تظهر ارتباطها الكامل وانحيازها المفضوح الى الموقف الصهيوني . وفي ٢٥ حزيران ١٩٧٠ ، اعلن وزير الخارجية الاميركي وليام روجرز ما يسمى بالمبادرة « السلمية » الاميركية في الشرق الاوسط .

وقد قبل عبد الناصر المبادرة الاميركية بمجرد عودته من زيارة الى الاتحاد السوفييتي في يونيو ١٩٧٠ ، محدداً موقف مصر على اساس تمسكها بنقطتين :

اولاً : الانسحاب « الاسرائيلي » الشامل من جميع الاراضي العربية المحتلة .

ثانياً : التمسك بالحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني كما حددتها قرارات الامم المتحدة ، وكان واضحاً من المبادرة ، ان الامبريالية الاميركية اثارت ضجة حول ازدياد الوجود السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط ، وبخاصة في مصر ، واستمرت بلا انقطاع في تزويد الكيان الصهيوني بالاسلحة الاميركية المتطورة ، وقفزت ازمة « الشرق الاوسط » في واجهة الصراع الدولي بين الامبريالية الاميركية والاتحاد السوفييتي . وكتب دافيد كيمحي ودان بولي في كتاب « سموم » يقولان ، حين بدا واضحاً فشل استراتيجية الاستعمار الجديد للامبريالية الاميركية في فيتنام : « كان الاميركيون يحتاجون الى توازن مضاد ، وقد وجدوه في الشرق الاوسط » وتابع الكاتبان قولهما . . « حدث تطابق شبه تام في المصالح بين الولايات المتحدة واسرائيل ، واتاحت هذه الحقيقة لاسرائيل فرصة الاصرار بشدة على مطالبها »(١٨) ، وكانت مطالب اسرائيل تتمثل اساساً في رفضها الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة .

وفي حين اعطت ادارة نيكسون الاولوية لحرب فيتنام ، استخدم الكيان الصهيوني سياسة العرقلة للمبادرة الاميركية ، لانها كانت تتضمن عدداً من النقاط التي يعارضها ، مثل المفاوضات المباشرة ، وتمديد وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة اشهر ، بينما كان العدو الصهيوني يطالب بوقف دائم لاطلاق النيران .

وفي هذه الاثناء قام النظام الاردني بمجزرته التاريخية الرامية الى تصفية المقاومة الفلسطينية المسلحة في الاردن في ايلول ١٩٧٠ ، والتي ادت الى خروج المقاومة من الاردن . وازدادت العلاقات الاستراتيجية بين الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني وثوقاً وعضوية ، من اجل « ادارة » الصراع في الشرق الاوسط لمصلحتها .

وهكذا انتهت مبادرة روجرز الى الفشل عن تحقيق التسوية الشاملة ، وان كانت قد ألقت بالماء البارد على حرب الاستنزاف الحامية الوطيس على جبهة قناة السويس .

ان هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وحرب الاستنزاف ، ومجزرة ايلول ١٩٧٠ ، كشفت حقائق سياسية كان لها وقع كبير في مجريات السياسة العربية لاحقاً ، وهي :

١ - تراجع الخط القومي الناصري داخلياً عن خوض الحرب ضد الرجعية الداخلية ، ففي خطاب القاه عبد الناصر في اوساط العمال في الجمهورية العربية المتحدة قال : « حينما نتكلم عن الوطنية العربية ،

و القومية العربية ، يجب ان ننسى في هذه المرحلة مفاهيم اخرى كثيرة الوطني اليميني من الوطني اليساري » . [١٩] . وهذا ما افسح اثر موته الى عودة حكم البرجوازية الكمبرادورية في مصر متمثلة بالعميل انور السادات .

٢ ـ قبول عبد الناصر سياسة التضامن مع الانظمة الرجعية العربية ، ووقفه الحرب الايديولوجية والسياسية ضدها .

٣ ـ قبول عبد الناصر مشاريع التسوية المطروحة وبخاصة مشروع روجرز .

وبالتالي انتهاجه خط التسوية على الصعيد الدولي .

في حقيقة الامور ، كان لالغاء التمييز بين اليسار واليمين على صعيد الوطنية العربية ، والتساوي في المواقف بين حركة القومية العربية مع اليمين الرجعي العربي ، اثر كبير في بلورة اساسيات التسوية ـ في الوطن العربي .

٤ ـ مرتكزات خط التسوية على الصعيد العربي :

يندر ان تمر فترة من الزمن ، منذ ان اصبح حديث التسوية والحل السلمي لما يسمى بـ « ازمة الشرق الاوسط » ، من دون ان تتناول وكالات الانباء الدولية والعربية والصحف ، التصريحات والتصريحات المضادة على الساحة العربية ، المتعلقة بالبحث عن التسوية . ولقد اتاح الاختلال الكبير في ميزان القوى المتحول بصورة قوية ، منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، لمصلحة زيادة نفوذ الامبريالية الاميركية ، وازدياد خطر الكيان الصهيوني ، واستشراس هجمة القوى الرجعية العربية ، في الوطن العربي . تهيئة لارضية الملائمة لتطور العلاقات المتبادلة الوثيقة بين الانتصار التاريخي للتحالف الاميركي ـ الصهيوني ، وبين التحالف الاميركي ـ الرجعي العربي ، التي ادت الى الانهيار التاريخي المستمر للحركة القومية العربية ، وللمواقع القوى الوطنية والديمقراطية في الاقطار المختلفة . حينئذ أصبح المخطط الامبريالي الاميركي ـ الصهيوني ، هو السمة المميزة في الوطن العربي منذ عقدين من الزمن ، والذي اتخذ اشكالاً واسماء متعددة ، بدءاً من الحديث حول التسوية والحل السلمي ، وانتقل فيما بعد ليصبح سياسة الخطوة خطوة الكيسنجرية ، بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ثم ليتحول على يد كارتر الى سياسة كامب ديفيد ، ويتمثل في عهد ريغن بتعميم نهج وسياسة كامب ديفيد عربياً ، وسيادة خط التسوية الاستسلامي على الصعيد العربي ، من اجل تصفية القضية الفلسطينية . ومن الواضح ان هذا كله يجري لاغراق العقل العربي في دوامة لا نهاية لها من التفاصيل الصغيرة حول « مشاريع حلول » و« مبادرات سلمية » ، و« اتفاقيات يتم الصراع حولها بدوى » الخ ، بهدف خلق ، بلبلة فكرية في الوطن العربي ، واحداث هزة عنيفة في قناعات الجماهير الشعبية العربية وتشويهها ، والقيام بعملية « غسل دماغ » كبيرة لها ، « بغية تمهيد الطريق امام التسوية ، وقبول الكيان الصهيوني ، وبالتالي الاقرار بما يوصف بانه « حقوق مكتسبة عبر الممارسة التاريخية » ، ومن ثم منحه ميثاقاً يقوله دوراً وظيفياً في المنطقة »[٢٠] .

هل التسوية قدر لا بد منه في المنطقة العربية ؟ يعرف الكاتب الصحفي المصري محمد سيد احمد ،

احد دعاة الفكر الذرائعي العربي المعاصر المهزوم في كتابه « بعد ان تسكت المدافع » حول التسوية بين العرب والكيان الصهيوني ، بانها : « ليست الغاء للتناقضات ، بل هي اعادة ترتيب هذه التناقضات ، بجهد واع ومدبر ومتعمد ، يستهدف (عزل) و(تجمد) التناقضات التي يعتبر طروحها على جميع الاطراف اكبر من فائدتها لاي طرف »[٢١] ، ويضيف لاحقاً ، « تعني التسوية عقد اتفاقات صريحة او ضمنية ، تنشىء التزامات متبادلة بين اطراف النزاع ، معززة بضمانات متكافئة ، من اجل استبعاد ممارسة التناقض باسلوب الحرب ، او بأي اسلوب آخر ، يلحق ضرراً بجميع الاطراف ، يفوق ما قد يحمله من مزايا لاي طرف »[٢٢] . وفي مقطع آخر من كتابه يشير الكاتب الى انه ، علاوة على هذه التناقضات الرأسية بين طرفي الصراع العربي ـ الصهيوني ، هناك تناقضات افقية داخل كل « طرف جغرافي » على حدة ، التي تتداخل وتتفاعل مع الاولى ، حين يقول « . . ان خريطة الصراعات في المنطقة لم تخفف ، بل على العكس تعقدت بعد حرب اكتوبر ، مع حلول عصر « الانفراج » على الصعيد الدولي ، وبعد ان اصبحت التسوية امراً وارداً بالنسبة للنزاع . تعقدت لانها لم تعد مقصورة على نمط واحد بسيط نسبياً ، هو نمط الصراع القائم على « التناقضات الرأسية » فقط ، بل اصبحت خريطة الصراعات محكومة بنمطين مختلفين كل الاختلاف . . « تناقضات رأسية بين طرفي النزاع يتداخل معها « تناقضات افقية داخل » كل طرف جغرافي على حدة . و« يتلاقى بمقتضى هذه « التناقضات الافقية » ممثلو التيارات الاجتماعية المتماثلة على اتساع الخريطة الجغرافية للمنطقة ككل ، في مواجهة تيارات اخرى ، ذات منطلقات مقابلة متماثلة ، على اتساع نفس الخريطة الجغرافية » ، ثم يضيف الى ان « انصار تشجيع (الانفتاح) على اميركا ، وتيسير تنفيذ اميركا مخططها في ان يتحقق لوجودها انتشار يمتد الى كل دول المنطقة ، لا بد ان يتلاقوا فيما بينهم ، في شتى الدول العربية بالمنطقة ، بل ان تبرز نقطة تلاق واحدة على الاقل بينهم وبين المهيمنين على مصائر اسرائيل ، رغم استمرار قيام « التناقض الرأسي معها »[٢٣] .

اذاً ، فالتسوية ، تعني قبول وجود الكيان الصهيوني ، كمعطى اساسي بديهي في المنطقة ، وبالتالي الغاء التناقض العدائي بين العدو الاستراتيجي الرئيسي المتمثل بالكيان الصهيوني والامبريالية الاميركية والرجعية العربية ، وبين الجماهير الشعبية العربية والقوى الثورية الجذرية ، بدلاً من حسم وحل هذا التناقض العدائي مع هذا العدو استراتيجياً وتكتيكياً عن طريق القضاء على وجوده في الوطن العربي .

فكيف تبدو مسألة التسوية ، وكيف تبلور خط التسوية الاستسلامي وهيمنته على السياسة الرسمية العربية ؟

عندما جاء انور السادات الى السلطة ، اصبح يتحدث بأن « مفتاح » التسوية في الشرق الاوسط ، هو في يد الولايات المتحدة الاميركية ، واتجهت سياسة السادات فيما بعد ، بعيداً عن الخط السياسي الناصري اثر هزيمة حزيران ، كما هو معروف ، ملغية اياه كلياً ، وموجهة ضربة قاصمة للعلاقة مع الاتحاد السوفياتي ، بطرد المستشارين السوفيات ، وبالغاء معاهدة الصداقة والتعاون السوفياتية ـ المصرية من طرف واحد ، وبتعزيز العلاقة مع الرجعية العربية ، وبخاصة الرجعية السعودية ، وبالارتماء في احضان الامبريالية الاميركية .

وفي تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٣ ، اندلعت الحرب العربية ـ الصهيونية الرابعة . وكان لها

وقع عالمي كبير ، في ضوء تحطيم جبروت آلة الحرب الصهيونية ـ الاميركية ، خصوصاً عندما اجتازت القوات المسلحة المصرية قناة السويس ، بعد تحطيمها خط بارليف ، والانتصارات العسكرية الاولى على الجبهة الشرقية . وبصرف النظر عن الطابع الذي كان يراد في حينه لتلك الحرب ، وعن النتائج التي اسفرت عنها ، الا انه يجب رؤية ما نجم عنها من تغيرات مهمة احدثتها على مجرى الاحداث في العالم .

لقد كشفت حرب اكتوبر ، عن قدرة الجيوش العربية على الحاق الهزيمة العسكرية بالعدو الصهيوني ، وبمواجهة الخطط العدوانية للامبريالية الاميركية ، عندما يكون هناك قرار سياسي بخوض الحرب ضد معسكر اعداء الامة العربية ، من اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة . واظهرت للعالم بان العرب امة مقاتلة ومناضلة ، لها من الامكانيات ما يجعلها قادرة على محو الهزيمة التاريخية . وترافق مع هذا كله ، استخدام العرب لاول مرة سلاح النفط في حزيران ١٩٧٣ ، كوسيلة من وسائل الحرب الاقتصادية ضد الدول الامبريالية المؤيدة للكيان الصهيوني .

غير ان الموقف العسكري تدهور فجأة على الجبهة المصرية ، واجتمع في مجلس الامن في ١١ اكتوبر ، واصدر القرار ٣٣٨ الذي يدعو فيه كل الاطراف الى وقف اطلاق النار ، وتنفيذ القرار ٢٤٢ ، والذي صيغ مشروعه اثناء زيارة كيسنجر لموسكو بدعوة عاجلة من بريجنيف . والتزمت مصر من جانبها بوقف اطلاق النار ، بينما نشطت القوات الصهيونية بالمقابل ، وقامت بعملياتها العسكرية التي استهدفت تطويق الجيش المصري الثالث ، من خلال تلك الضربة الشهيرة : ثغرة الدفرسوار .

غير ان الموقف العسكري تدهور فجأة على الجبهة المصرية ، واجتمع في مجلس الامن في ١١ اكتوبر ، واصدر القرار ٣٣٨ الذي يدعو فيه كل الاطراف الى وقف اطلاق النار ، وتنفيذ القرار ٢٤٢ ، والذي صيغ مشروعه اثناء زيارة كيسنجر لموسكو بدعوة عاجلة من بريجنيف . والتزمت مصر من جانبها بوقف اطلاق النار ، بينما نشطت القوات الصهيونية بالمقابل ، وقامت بعملياتها العسكرية التي استهدفت تطويق الجيش المصري الثالث ، من خلال تلك الضربة الشهيرة : ثغرة الدفرسوار .

ان حرب تشرين ، باعتبارها حدثاً تاريخياً عظيماً ، كان يمكن ان تغير جذرياً المسار السياسي والاقتصادي والتاريخي للوطن العربي ، لو انساقت كلياً في خط التحرير الشامل للارض العربية المحتلة والسليبة ، طبقاً للارادة السياسية للامة العربية ، الطامحة الى هزيمة معسكر اعدائها ، وتحرير الوطن العربي كله ، ولكن ، من الواضح ان مهمة الحرب ، كان مقرراً لها ان تكون « حرب حسم بين العرب واسرائيل ليكون بالامكان تنفيذ المشاريع الاستعمارية الصهيونية في المنطقة »(٢٤) .

لقد اظهرت حرب تشرين عام ١٩٧٣ عمق التحالف بين الامبريالية والكيان الصهيوني ، الذي عمل على اجهاض هذه الحرب الرابعة العربية ـ الصهيونية ، عن طريق الهجوم الصهيوني ـ الاميركي الاجهاضي ، والتظاهر للرجعيين العرب ، بان هذه الحرب قد خلقت تكافؤ بين الطرفين ، او ما يوحي تعادلهما تعادلاً مطلقاً ، لا يستطيع عنده اي منهما تجاوز او هزم الطرف الآخر » ، من اجل اشاعة روح الاستسلام عند العرب ، كالقول مثلاً ، بانه ليس هناك حل عسكري للصراع العربي ـ الصهيوني ، « واكثر من ذلك ، فان التحالف الاميركي ـ الاسرائيلي الذي بلور فكرة اخراج مصر من الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، منذ حرب الاستنزاف على قناة السويس وعمل لها منذ بداية حكم السادات ، كان ولا زال

يستهدف من وراء ذلك تعزيز المعادلة الاميركية للشرق الاوسط ، والتي تقضي بأن تظل اسرائيل القوة المركزية المطلقة النفوذ في المنطقة ، باعتبارها الضمانة الاستراتيجية للمصالح الاميركية »(٢٥) .

ومنذ ان تم توقيع اتفاق سيناء الاول لفصل القوات بمشاركة كيسنجر ، في ١٨ كانون الثاني عام ١٩٧٤ ، والتوقيع على اتفاق لفصل القوات مع سوريا ايضاً التي انسحبت القوات الصهيونية بموجبه من مدينة القنيطرة في هضبة الجولان في ٣١ آيار ١٩٧٤ ، وانعقاد مؤتمر قمة الدول العربية في الرباط ، في تشرين الثاني عام ١٩٧٤ ، حيث اعلنت الدول العربية تصميمها على العمل لتحقيق تسوية شاملة وعادلة لقضية الشرق الاوسط ، على اساس قرارات مجلس الامن التابع لمنظمة الامم المتحدة ، والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية على انها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني ، والتوقيع على اتفاق سيناء الثاني الذي الزم الكيان الصهيوني بسحب قواته من اراضي سيناء من الضفة الشرقية لخليج السويس ، ومن مضائق سيناء في ٤ ايلول عام ١٩٧٥ ، مقابل حصول الكيان الصهيوني ، « على الحق في نقل البضائع غير الحربية عبر قناة السويس التي تفتح للملاحة من جديد . وبالاضافة الى ذلك وافقت مصر على تواجد الخبراء العسكريين الاميركيين في محطات الرادار في « المنطقة العازلة »(٢٦) ، تبلور خط التسوية على الصعيد العربي طبقاً للشروط الاميركية ـ الصهيونية للتسوية ، والقائم على ما يلي :

اولاً : اتساع نطاق السيطرة الامبريالية ، وزيادة ارتباط الانظمة العربية بها :

لقد اتسم التغلغل الامبريالي من اجل السيطرة على الوطن العربي ، بمجموعة من الخطط ومن المؤامرات ، والغزوات ، وكل اشكال السيطرة المختلفة ، الناجمة عن التدخل الخارجي في المنطقة العربية ، ولما كانت آلية الفعل الامبريالي في الوطن العربي عملية تاريخية ، فان الامبريالية قد عملت ، ولا تزال ، على رسم خريطة الوطن العربي الجيوبوليتيكية ، عن طريق انشاء دولة الكيان الصهيوني ، وتدعيمها بكافة وسائل القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية ، باعتبارها قوة توسع وعدوان ، والمحافظة على الهيمنة الامبريالية المطلقة على ثروات الوطن العربي ، وتحديد مسارات واتجاهات الاوضاع العربية ، وخلق بنى اقتصادية وتشكيلات اجتماعية ، « جملة الاوضاع العربية ـ الاجتماعية ـ والاقتصادية ـ واذاً السياسية ، التي صارت آليات عملها ، تعيد انتاج نفسها كوجه داخلي ، تعيد انتاج تخلفها ، اوضاعها لصالح استقرار واستمرار الوضع العربي المطلوب امبريالياً »(٢٧) .

وهكذا ، فان آلية الفعل الامبريالي التاريخي في الوطن العربي ، هو تاريخ المسألة الشرقية ، وموقف الاستعمار الغربي منها ، والاقتحام الامبريالي لحلها ، واعادة انتاج التبعية والتخلف والتجزئة ، وتثبيت قاعدة دولة الكيان الصهيوني ، في الوطن العربي ، باعتبارها احدى الضمانات الاساسية لزيادة استمرار تجزئة الامة العربية . « ان قانون التجزئة ـ « اسرائيل » ، مرتبطان معاً بقانون التخلف ـ التبعية للامبريالية الذي يتم انتاجه في الواقع الراهن ، والماضي ، للامة العربية »(٢٨) .

وضمن هذا السياق ، فان البرجوازية العربية المتخلفة ، تشكلت طبقياً في اطار العلاقة البنيوية مع الاستعمار القديم والاستعمار الجديد ، اي ضمن اطار علاقة السيطرة الامبريالية . لهذا السبب ، فهي ليست بطبقة منتجة ، لان وجودها الطبقي ،رتكز على قاعدة اقتصادية اساسها التجارة ، وقطاع الخدمات ، والسمسرة مع الشركات المتعددة الجنسية . وهي بهذه الحالة ، تمثل علاقات الانتاج الاكثر

تخلفاً ، وهنا تكمن استحالة وجود البرجوازية العربية كطبقة مستقلة عن البرجوازية الاحتكارية العالمية ، والامبريالية عامة .

واذا كان المخطط الامبريالي الاميركي ـ الصهيوني بوجهيه التوسعي الصهيوني العدواني والالحاقي الامبريالي الاقتصادي والسياسي ، قد نجحا من خلال هذين البعدين لتكريس التبعية ، والتخلف ، والتجزئة ، فان مرحلة ٦٧ ـ ٨٧ ـ قد شهدت تطوراً نوعياً في العلاقات بين الدول العربية الرجعية والامبريالية الاميركية ، حيث اصبحت علاقات التبعية كاملة . فازداد التغلغل الامبريالي في كل الوطن العربي رسوخاً ، وتوثقت العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والعديد من الانظمة العربية ، كالسعودية والمغرب وتونس والاردن والصومال وعمان والسودان ومصر ، وشهد التبادل الاقتصادي والتجاري بين الوطن العربي كله ، والامبريالية الاميركية تطوراً كبيراً ، وهذا ما يؤكد على زيادة ارتباط الانظمة العربية بالسوق الرأسمالية العالمية . وفي تطور نوعي آخر على الصعيد العسكري ، انشأت الامبريالية الاميركية العديد من القواعد العسكرية ، على ارض الوطن العربي ، خصوصاً بعد اتفاقية كامب ديفيد ، ويدخل انشاء هذه القواعد في اطار تطور العلاقات الثنائية بين بعض الاقطار العربية والامبريالية الاميركية ، في المجالات الامنية والعسكرية ، عبر منح هذه الاخيرة تسهيلات عسكرية ، كما هي الحال في المغرب وتونس ومصر والمملكة العربية السعودية وعمان والصومال والبحرين ، وضمن استراتيجية الامبريالية الاميركية الشاملة ، الهادفة دائماً الى فرض السيطرة على الوطن العربي ونهب خيراته ، ومواجهة الاتحاد السوفياتي .

ثانياً : التذرع بالتوفق التكنولوجي للعدو الصهيوني :

ان دعاة خط التسوية الاستسلامي في المنطقة العربية ، يعتبرون ان التفوق التكنولوجي الصهيوني ، يمثل عنصراً مهماً ، يجب الاستفادة منه . ولا ترى هذه الدوائر العربية ، انه بامكان العرب ان يحصلوا على هذا العنصر التكنولوجي ، فيما لو قرروا خوض حرب التحرير والتوحيد القومي للامة العربية ، وخوض معركة التنمية الصناعية والزراعية الشاملة خدمة لمصالح الطبقات الشعبية الفقيرة ، وتطور الوطن العربي . ثم ان عنصر التكنولوجيا ليس حيادياً او تجريدياً ، ذلك ان الثورة الصناعية والثورة الزراعية ، وتطوير القطاع الصناعي الثقيل النامي الذي يلبي حاجيات السوق القومية الداخلية باستمرار ، هو الذي يسهم في تطوير عنصر التكنولوجيا ، ولانه لا يمكن تحقيق الاستقلال التكنولوجي ، بدون بنية صناعية واسعة وقوية ، مرتبطة اساساً بتلبية الطلب الداخلي ، وليست موجهة بشكل اساسي لتلبية الاسواق الخارجية ، وتنتج وسائل الانتاج ، والسلع الانتاجية ، الامر الذي يحقق الاستقلال الاقتصادي ، ان مثل هذا الخيار في التنمية ، وفي استراتيجية التصنيع الشاملة ، وفي تطوير التكنولوجيا ، يتطلب بدون شك ، ارادة سياسية قومية واعية ومسؤولة ، متصادمة حتماً مع الامبريالية والكيان الصهيوني ، وتنزع الى التحرر والاستقلال الشامل في جميع الميادين .

لقد اضحى اقتناء التكنولوجيا ، واحراز التقدم التكنولوجي المستقل ، واحداً من الاسس لانجاح عملية التصنيع الشاملة ، مرتبط اشد الارتباط ، أولاً واساساً ، كنتيجة وكسب في آن معاً ، بتحقيق

الاستقلال الاقتصادي . وهذا وذاك لن يتحققا في الوطن العربي ، الا عن طريق الهدم الثوري لعلاقات الانتاج الكولونيالية القائمة ، والقضاء على القاعدة المادية للسيطرة الامبريالية ، وتجسيد القطع الثوري في علاقات التبعية بين النظام العربي والنظام الرأسمالي العالمي .

وفضلاً عن ذلك ، فان التكنولوجيا الصهيونية ، تخضع لمستلزمات واغراض الاستراتيجية الصهيونية العسكرية ، ومطامعها التوسعية والعدوانية ، والمرتكزة الى الايديولوجية الصهيونية ، التي قوامها ابقاء الوطن العربي متخلفاً وتابعاً ، وتنمية القوة العسكرية الصهيونية ، وا لعمل على زيادة التفكك العربي ، وتفتيت المجتمع العربي ، الى وحدات طائفية مغلقة ، مرتبطة بالامبريالية ، واستنزاف طاقات الامة في معارك طاحنة داخلية ، متناقضة كلياً مع قوانين الصراع العادلة على الصعيدين الطبقي والقومي ، ضد الاعداء الطبقيين والاعداء الخارجيين ، ومعاداة الوحدة العربية بشكل مطلق ، ومحاربة اي منحى نحو تحقيق التقدم الصناعي والاقتصادي لاي قطر عربي كان . فالتكنولوجيا الصهيونية ، « موجهة اساساً لضرب العرب وابقائهم دون المستوى (الاسرائيلي) » .

ومع ذلك ، تحاول الانظمة الرجعية المرتبطة بالامبريالية الاميركية ، وبخاصة النظام المصري ، وبعض الدوائر العربية المتنفذة في سوق المال الدولية ، ان تطرح موضوع الاستفادة من القدرات التكنولوجية والاقتصادية الصهيونية ، كي تسهم في عملية التنمية العربية ، وتحقيق التكامل الاقتصادي العربي ـ الصهيوني ، على طريق عملية الدمج للبترول + الفوائض المالية (من الجانب العربي) مع التكنولوجيا + خبرات فنية (من الجاني الصهيوني) ، طالما ان هذا (الكم العربي) صار في مقدوره الآن ان يحمي كيانه أمام (الكيف الصهيوني) .

ان الاساس الايديولوجي لدعاة خط التسوية الاستسلامي ، وتنظيرات الدوائر العربية الداعية الى الاستفادة من التكنولوجيا الصهيونية ، واقامة مشاريع اقتصادية مع الكيان الصهيوني يجب ان ينظر اليها من زاوية ، ان البرجوازية العربية الاقليمية والمتخلفة التي تشكلت ونمت على ارضية البنى الكولونيالية التي افرزها النظام الامبريالي ، وترعرعت كجزء من الاقتصاد الكولونيالي وترتيب الامبريالية للمجتمع العربي ، فضلاً عن انها تشكل احدى حلقات الرأسمالية التابعة المحيطة التي تخدم مصلحة المركز الرأسمالي العالمي في الوقت عينه ، باعتبارها ، « وليدة الخارطة الجيوبوليتيكية للوطن العربي : التجزئة ـ « اسرائيل » بحيث صار استقرار هذه الخارطة ، واستمرارها هو شرط وجودها الذي تستغي منه نسغ حياتها[٢٩] » ، قد قادت المجتمع العربي نحو مزيد من التجزئة ، والتخلف والتبعية للامبريالية . وهي بهذه السمة المميزة لها تتقاطع مع الكيان الصهيوني ، من حيث الانتماء الى تشكيلة اقتصادية اجتماعية مماثلة ، ولا يشكل الصراع على السوق القومية بالنسبة لكليهما ، ميزة رئيسية ، فضلاً عن انهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بأواصر السوق الرأسمالية العالمية ، وليس بالسوق القومية (خاصة بالنسبة للعرب) . وهذا ما يفسر لنا على الصعيد السياسي ، ازدياد التقارب بين البرجوازية العربية والكيان الصهيوني في المصالح والوظائف احياناً ، بحكم انسجامها مع الخريطة الامبريالية للوطن العربي ، التي تستهدف دائماً تعميق التجزئة ، والتخلف ، والتبعية وتفاقم التدهور الاقتصادي ، والافقار على مستوى الناتج القومي ، باعتبار كل هذا شكل ويشكل الى حد الآن « القانون الموضوعي لعصر الامبريالية في الوطن العربي : قانون الالحاق

الامبريالي للتاريخ الحديث للامة العربية »(٣٠) .

اذاً ، هنـاك توافق في المهـام بين الـبرجوازية العربية والكيان الصهيوني ، من حيث دورهما في استمرار آلية الفعل الامبريالي الاميركي في الوطن العربي ، ودوام اشكال سيطرته ، وهيمنته ، وسيطرة علاقـات التبعية ، والارتبـاط بالسـوق الرأسـمالية العالمية ، وسيادة الطبقات البرجوازية الكمبرادورية ، وبخاصة دورهما في عملية السحق والابادة لاي تغيير قومي ثوري ديمقراطي في الوطن العربي ، يريد ان يُقوض استقرار الخريطة الامبريالية للامة العربية ، والقضاء على التجزئة ، والكيان الصهيوني والتخلف والتبعية ، طالما ان الكيان الصهيوني هو الضمان في الاستراتيجية الامبريالية الاميركية لهذا الاستقرار ، والنهب الامبريالي لثروات الوطن العربي ، وفي سبيل محاربة اي تطور داخلي عربي يستهدف التحرر من الامبريالية ، ويريد تحقيق التنمية والتقدم الاقتصادي ، تلك هي المهمة المباشرة للكيان الصهيوني . واذا كان هدف الامبريالية الاميركية ، هو اعادة ترتيب الوطن العربي ، ترتيباً امبريالياً ، بما ينسجم مع مخططاتها العدوانية ، وسيطرتها المطلقة الكاملة ، فاننا نجد ان الاشتراطات الامبريالية على البرجوازية العربية ، لا تنحصر فقط في الانخراط في النظام الرأسمالي العالمي وتصفية القوى الوطنية والديمقراطية الثورية في بلدانها ، فقط ، وانما في مزيد من الارتباط بالامبريالية الاميركية لكي تصبح السياسة الاميركية سيدة الموقف في الوطن العربي .

ان هذا التماثل في الوظائف بين البرجوازية العربية والكيان الصهيوني ، هو الذي يشكل لنا المرتكز الثاني لخط التسوية الاستسلامي في الوطن العربي ، حيث اعلنت اتفاقيات كامب ديفيد الخيانية عن ميلاد تحالف جديد صهيوني ـ رجعي عربي ، باعتباره النتيجة المنطقية والطبيعية لآلية الفعل الامبريالي الاميركي في الوطن العربي ، المتحكم الاساسي في التحالف الاميركي ـ الصهيوني ، والاميركي الرجعي العربي .

ثالثاً : (العجز العربي) :

ان العجز العربي هو السمة الاساسية البارزة في الحياة السياسية العربية المعاصرة . ولكنه ازداد تبلوراً ووضوحاً اكبر في ظل زمن الردة والظلام والهزائم السياسية والعسكرية ، وتنامي احتمالات الاستسلام الشامل ، وتهديد وجود الامة العربية ، وينبع العجز العربي من المصادر الرئيسية التالية :

اولاً : ان البرجوازية العربية نمت على ارضية التقسيم الكولونيالي للوطن العربي ، اي على ارضية التجزئة ، ونمت على قاعدة السيطرة الامبريالية ، وفي اطار العلاقة البنيوية مع السوق الرأسمالية العالمية . وكان وجودها ولا زال ، مرتبطاً بتواجد السيطرة الامبريالية ، وجزء من الترتيب الامبريالي للوطن العربي ، حيث اصبح تاريخ الامة العربية الحديث ، خاضعاً لقانون الالحاق الامبريالي الاوروبي الغربي في القرن التاسع عشر وحتى اواسط القرن العشرين ، وحالياً لعصر الحقبة الاميركية . واذا كان العمل على تثبيت واستقرار هذا الترتيب الامبريالي ، وهذه العلاقة البنيوية بين البرجوازية العربية والامبريالية العالمية ، هو الشرط الموضوعي لانتشار « الرأسمالية التابعة » في الوطن العربي ، على ارضية التجزئة والتبعية والتخلف ، التي اصبحت تنتج وتعيد انتاج شروط استمرارها (قطاعات اقتصادية مرتبطة بعجلة الاقتصاد الرأسمالي

العالمي ، وخاضعة للتقسيم الامبريالي لعمل المواد الخام واستيراد واستهلاك البضائع المصنعة الجاهزة ، زيادة النهب الامبريالية الاميركية خاصة) ، فان الدور الرجعي لهذه الطبقات وانظمتها المعادية لعملية التحرير والتنمية والاستقلال ، وقطع العلاقة مع الامبريالية الاميركية ، هو الشرط الموضوعي والذاتي في آن معاً ـ الاقتصادي والسياسي والايديولوجي ـ لاستمرار وجودها ، من خلال هذا المتنفس ، وهو ما قاد ويقود في الوقت الحاضر الى تعميق العجز وبالتالي الى السقوط العربي العنيف .

ثانياً : ان هزيمة حزيران ، وبالتالي هزيمة الحركة القومية العربية ، بكل تفرعاتها واختلاطاتها ، اعطت دفعاً جديداً بالنسبة للانظمة التقليدية الاشد رجعية وبخاصة النظام السعودي .

ومن المعروف ان هذه الانظمة صمدت في وجه العاصفة الثورية والتحررية في المنطقة العربية ابان الخمسينات والستينات ، وتعزز وجودها باعتباره ركيزة للوجود الامبريالي ، واستمرت هزائم الحرب مع العدو الصهيوني ، والفشل الذريع التي منيت به انظمة البرجوازية الصغيرة في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، واستغلالها الثروة النفطية ، وانفجار اسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣ ، لكي تعزز دورها في الوطن العربي ، وعلى الصعيد الدولي . وهكذا اصبحت سياسة النظام السعودي الرجعية المعادية للتحرر والتقدم ، والمرتبطة حتى العظم بالامبريالية الاميركية ، هي المتحكمة والقائدة لمعظم سياسات الدول العربية ، والموجهة للتطورات السياسية العربية ، من اجل تقوية الاتجاهات الرجعية ، والمساومة لدى معظم الانظمة العربية .

ثالثاً : ان الانظمة العربية ، « الوطنية » منها ، والرجعية سواء بسواء ، خاضت معركة التصفية ضد القوى الوطنية والديمقراطية في اقطارها المختلفة ، وزجت بآلاف المناضلين في السجون ، وبنت جيوشاً كبيرة نسبياً ، وطورت اجهزة القمع الحديثة . وعملت الانظمة الرجعية في اطار الارتباط الوثيق بالمخطط الامبريالي ـ الاميركي ـ الصهيوني ، وخدمت اغراضه في المنطقة ، وذلك من خلال استثمار التناقضات الطائفية ، وتفجير الصراعات الطائفية الدموية في لبنان ، في سبيل ضرب قوى الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، وتمزيق لبنان الى طوائف متقاتلة ، واثارة القضية الطائفية في اكثر من قطر عربي . ان مثل هذه السياسة التي تخدم مصلحة استمرار هذه الانظمة ، ومصالح الدوائر الامبريالية الاميركية والصهيونية ، تستهدف استنزاف طاقات الامة العربية في معارك همجية مدمرة لقوانين الصراع الطبقي والقومي العادلة ، وتفكيك المجتمع العربي ، وزيادة التمزق والتشتت فيه ، ومحاربة خط التحرير والوحدة والتقدم في الوطن العربي ، وتحويل قوى الجماهير الشعبية الى مجال الاستقطاب من قبل القوى الطائفية والحركات الدينية الاصولية ، ببرامج وقيادات رجعية معادية للثورة .

رابعاً : ان قدرة الكيان الصهيوني في الضرب بقوة وعنف ، والحاق الهزائم بالعرب ، منذ حرب حزيران ، مروراً بحرب تشرين ، الى حرب الاجتياح الصهيوني للبنان في عام ١٩٨٢ ، ـ (والتي اثبتت جميعها عدم وجود قوى عربية مستعدة للمواجهة من جانب الانظمة ، وبرهنت على استسلامها امام الهجمات الصهيونية) ـ وزيارة السادات للقدس ، وابرام اتفاقيات « كامب ديفيد » ، ومعاهدة الصلح الخيانية بين النظام المصري والكيان الصهيوني ، التي اخرجت مصر مؤقتاً من دوائر الصراع والحرب مع العدو الصهيوني ، وسقوط جبهة الصمود والتصدي ـ التي تشكلت كردة فعل على زيارة السادات للقدس ـ

جراء التناقضات التي تشق اطرافها ، وعجزها حتى عن القيام بمواجهة محدودة في حرب الاجتياح الصهيوني في حزيران ١٩٨٢ ، وسقوط معارضة « كامب ديفيد » من خلال اعلان العرب مشروع قمة « فاس » للسلام مع العدو الصهيوني ، كل هذه الاحداث في ترابطها الجدلي ، وتداخلها ، بعضها مع بعض ، شكلت الارضية المشتركة لتوحد معظم الانظمة العربية على الموقف من السياسة الامبريالية الاميركية ، وعلى قبول الزعامة السعودية على الدول العربية ، وبلورت بشكل جلي وواضح خط التسوية الاستسلامي ، على صعيد السياسة الرسمية العربية ، وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، من اجل تصفية القضية الفلسطينية .

ان سيادة خط التوسية الاستسلامي على صعيد الوطن العربي كله ، وتراجع او انتفاء شعار وبرنامج التحرير لدى معظم القوى السياسية العربية الوطنية والديمقراطية ، وسقوط اوهام دور منظمة التحرير الفلسطينية في التسوية ، وسيادة دعوات التسوية من قبل اليسار الفلسطيني المغطاة بالشعارات اليسارية باسم « الواقعية الثورية ، والتعقل » ، وسيادة الذرائعية السياسية عند كل الانظمة العربية العاجزة ، كل هذه العوامل مجتمعة عبرت وتعبر الآن عن منطق العقل العربي المهزوم داخلياً ، المستعد دائماً للتنازل على حساب مبدأ السيادة القومية ، والمرتهن بسياسة الامبريالية ، والمراهن على كسب القضية من خلال القرارات الدولية ، دون ان يرى ، ان الهيئات الدولية ما زالت خاضعة لسياسة الابتزاز والهيمنة من جانب الامبريالية الاميريكة ، والمتذرع بالالتزام بالقرارات الدولية ، من اجل كسب الرأي العام العالمي ، في تناقض كلي مع منطق الالتزام بسياسة قومية ثورية ، متصادمة مع الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني .

ثم انه كيف يمكن للعرب ان يحققوا مكاسب على مائدة المفاوضات السياسية ، في الوقت الذي تستشرس فيه الامبريالية الاميركية ، التي تغلغلت وتوسعت في كامل الوطن العربي ، والكيان الصهيوني الذي زاد قوة ، باعتبارهما الطرفين المنتصرين اللذين سيمليان شروطهما على المهزومين العرب الذين سيقدمون المزيد من التنازلات ، كما اعتادوا على تقديمها في كل الحروب منذ ٤٨ وحتى الآن .

اذا كان منطق العصر ، هو منطق التحرر الشامل والكلي ، وبناء القوة الذاتية اللازمة والقادرة ، وخلق الظروف الملائمة لخوض الحرب التحريرية ضد المستوطنين الصهاينة والامبريالية الاميركية والانظمة والقوى الرجعية العربة ، فان هذا يتوجب على الطبقات الشعبية والقوى الوطنية والثورية ، ان ترفض بالمطلق خط التسويه الاستسلامي على الصعيد العربي من حيث المبدأ ، وان تتحرر من سراب جديد اسمه عقد المؤتمر الدولي ، وان تحشد طاقات الجماهير الشعبية الواسعة ، وان تبني الجيوش المقاتلة في سبيل خوض القتال ، من اجل تحرير كل الارض العربية السليبة ، من سرطان الاستعمار الصهيوني الاستيطاني .

الهوامش

---

(١) على طريق الثورة الفلسطينية ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دار الطليعة ـ الطبعة الاولى تشرين الثاني ١٩٧٠ (ص ٦٥) .

(٢) الحروب المحلية في الماضي والحاضر ـ مجموعة مؤلفين سوفيات ، ترجمة العميد الركن نافع ايوب ـ مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ١٩٨٢ (ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

(٣) مجلة « Flight » الانكليزية ـ العدد ١٢ لعام ١٩٦٧ .

(٤) خط النضال والقتال وخط التسوية والتصفية . ناجي علوش دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية كانون الثاني ١٩٨٢ ، (ص ٨ ـ ٩) .

(٥) التقرير السياسي الاساسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ مؤتمر آب ١٩٦٨ التي حدث على اثره الانشقاق .

(٦) مقدمات نظرية لدراسة اثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني القسم الاول في التناقض مهدي عامل دار الفارابي (ص ٩٠) .

(٧) على طريق الثورة الفلسطينية ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دار الطليعة تشرين الثاني ١٩٧٠ (ص ٦٢) .

(٨) مقدمات نظرية لدراسة الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني . القسم الاول في التناقض ، دار الفارابي (ص ٩١) .

(٩) المرجع السابق (ص ١٥٢) .

(١٠) التقرير السياسي الاساسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

(١١) الخطاب العربي المعاصر ـ الدكتور محمد عابد الجابري ، دار الطليعة ببيروت ـ الطبعة الاولى آيار ١٩٨٢ ـ (ص ١٢٤) .

(١٢) دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطنية ـ الدكتور صادق جلال العظم ـ دار العودة ـ بيروت الطبعة الاولىء ٥ / ٣/ ١٩٧٣ ـ (ص ١٢) .

(١٣) مجلة فلسطيننا .

(١٤) على طريق الثورة الفلسطينية ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ دار الطليعة ـ تشرين الثاني ١٩٧٠ ـ (ص ٦٩) .

(١٥) دراسة نقديلا لفكر المقاومة الفلسطينية ، الدكتور صادق جلال العظم ـ دارة العودة بيروت طبعة اولى ٥/ ٣/ ١٩٧٣ ـ (ص ١٤) .

(١٦) المرجع نفسه (ص ١٥) .

(١٧) دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية ـ الدكتور صادق جلال العظم . دار الطليعة الاولى ـ تموز ١٩٧٠ (ص ١٨٧) .

(١٨) الولايات المتحدة الاميركية والنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، يفغيني برياكوف ـ ترجمة علي هورو . دار الفارابي ـ ١٩٨٠ طبعة ثانية منقحة ومزيدة . (ص ٨٦ ـ ٨٧) .

(١٩) الاهرام ١٦ نيسان ١٩٦٨ .

(٢٠) في نقد فكر التسوية ـ تأليف بديعة أمين ـ دار الطليعة نيسان ١٩٧٩ (ص ١٢٢) .

(٢١) بعد ان تسكت المدافع ـ محمد سيد احمد ـ بيروت عام ١٩٧٥ (ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠) .

(٢٢) المصدر نفسه (ص ٢٧٠) .

(٢٣) المصدر نفسه (ص ٢٧٥) .

(٢٤) في نقد فكر التسوية ، بديعة امين ـ دار الطليعة نيسان ١٩٧٩ ـ (ص ٣٦)

(٢٥) سيرة السادات الاستسلامية ـ من زيارة القدس المحتلة حتى صفقة كامب ديفيد ـ باشراف حبيب قهوجي ـ اصدار مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية دمشق ١٩٨٧ ـ (ص ٦٧) .

(٢٦) التآمر ضد العرب ـ اناتولي تجاريشلف دار التقدم موسكو عام ١٩٨٨ (ص ٥١ ـ ٥٢) .

(٢٧) التخلف العربي والتحرر العربي ، محمد حافظ يعقوب ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى تشرين اول ١٩٧٧ (ص ٢٨) .

(٢٨) المرجع نفسه (ص ٣٨) .

(٢٩) المرجع نفسه (ص ٤٩) .

(٣٠) المرجع نفسه (ص ٤٥) .

العقل «المرحلي»!

هاني مندس*

العقل «المرحلي» لايتذكر «المرحلية»، غالبا، إلاّ بعد الهزائم وتراجع الحركة الشعبية. «فيعقلن» الهزائم، و«يبرر» «التراجع»، مدعيا «شجاعة» في طرح البرامج والشعارات «الملموسة» الملائمة للمرحلة! أويلجأ الى طرح البرامج والشعارات الاصلاحية والمساومة إبان تصاعد الحركة الشعبية وتهديدها للنظام القائم!

«ثبات» العقل المرحلي.. رغم تغير المراحل!:

وتتغير المراحل، ويظل العقل المرحلي ثابتاً.. لايتحول ولايزول.. مروجاً لبرنامجه المرحلي السابق الصالح دوماً لكل مرحلة! رغم أنه لم يكن، يوماً، تشخيص العقل المرحلي لأية مرحلة صحيحاً.

وتبدو «مرحلة» العقل المرحلي طويلة.. لاتنتهي، وموازين قواه «ثابتة»، لكي توائم برنامجه.. وحين يتم الاستفسار بأن تلك البرامج والشعارات المرحلية كانت تلائم حسب ادعائه مرحلة سابقة محددة وطرحت من أجلها، ولم تتحقق! يجيب العقل المرحلي ـ «مستذكراً» فجأة، «النضال» ـ بان برامجه وشعاراته اياها تحتاج إلى «نضال طويل».. فهي باقية لتتحقق، رغم تغير المرحلة، ورغم كونها باتت غير مرحلية! فهي تصلح لكل نضال.. وزمان ومكان، وفي أي ظرف، لمجرد كونها «مرحلية» ولأن ثمة ضرورة للمرحلية! فهل من المعقول أن تتحقق اهداف النضال دفعة واحدة؟

والجواب على هذا السؤال المصطنع للسذاجة: طبعاً، لا!

* كاتب وباحث له العديد من الكتب والابحاث.

«الاكتشاف» السحري الخالد!

لكن العقل المرحلي لايكتفي بذلك.. بل يستهدف ابراز «اكتشافه» السحري.. أي فكرته الخالدة.. الأبدية.. الثابتة: كل «نضال مرحلي» لاوجود إلاّ للنضال المرحلي.. ومن هنا ضرورة طرح البرنامج المرحلي.. ليجيب على المهام «الملموسة» «الآنية»، «المباشرة» «المحددة» الخ..

البرنامج المرحلي.. يظل ثابتا رغم تغير المراحل.. والمهام «المباشرة» و«الملحة».. فتحليله لم يكن صائباً للمرحلة السابقة ولا الحالية. إلاّ أن «الاكتشاف» السحري الخطير الذي لم تدركه العقول السياسية السابقة: «ان كل نضال مرحلي» يحاول أن يختزل «أخطاء» البرامج والتجارب الوطنية و«التقدمية» السابقة، كونها تناست أو تجاهلت هذه المسألة! رغم ان العقل المرحلي «استعارها» هونفسه من بعض هذه القوى وكما سنبين لاحقاً!

إن النضال التكتيكي (المرحلي) موجود دائماً، ويفرض نفسه دوماً، لكن الخلاف هوالمصلحة من طبقياً ـ وطنياً، وضمن أية وجهة نظر طبقية سياسية ينبغي خوضه؟! وهذا النضال التكتيكي «المرحلي» يستهدف تحقيق مكاسب أو أهداف سياسية طبقية وطنية ديمقراطية، تساعد على تحقيق الأهداف «الاستراتيجية»، وليس المساومة عليها!

لكن العقل المرحلي يمارس «اكتشافه»، من خلال نظرته المثالية الجامدة. وحين نلمس ان البرنامج «المرحلي» المطروح لم يكن ملائماً لا للمرحلة المحددة التي طرح من أجلها، ولا للمرحلة اللاحقة أوغيرها. فان العقل المرحلي يبدأ بالدوران حول نفسه، كالدراويش في حلقات الذكر، مردداً عبارات التعبد الصوفي «بالمرحلية» وفضائلها.. وأسمائها الحسنى.. التي تصلح للاستنجاد بها في أي وقت.. باعتبارها «مرحلية»! والعقل المرحلي يحاول أن ينطلق من بديهية، لم تكن يوماً موضع نقاش، هي ان اي هدف لن يتحقق دفعة واحدة وبضربة واحدة، بل على مراحل. وهذا مايحدث في كل المسائل والعمليات.. لكن العقل المرحلي يشوه حتى هذه البديهية بفكره المفتعل التبريري، فهولايحلل أية مرحلة بشكل علمي.. كما أنه يضع تحقيق الاهداف القريبة، في تناقض مع تحقيق الاهداف البعيدة (بل على حسابها)! فلايربط أبدا بين التكتيك والاستراتيجية، فيضيع كل منهما!

فهوليس كما يحاول حتى ان يظهر نفسه، حريصاً على التكتيك «الآن».. ولوعلى حساب الاستراتيجية «البعيدة»!

إذ أن الاستراتيجية، بالنسبة له، لسيت تحليلاً لمرحلة تاريخية كاملة، بكل قواها الطبقية (في حركة صراعها)، وادراك سياسة الطبقة المسيطرة، وسياسة الطبقات المختلفة. فهي بالنسبة له ليست مسارا سياسياً اجتماعياً معقداً ومتعرجاً، ويتبدى في كل مرحلة سياسية تبعاً لخصائص الصراع وموازين القوى، باشكال سياسية واجتماعية وايديولوجية مختلفة. الاستراتيجية لاترتبط بالنسبة له، بالتكتيك بشكل جدلي وفي كل الظروف، وانطلاقاً من أن التكتيك يتم وضعه على اساس الاستراتيجية وخاضع لها، وهويشمل فترة سياسية محددة، ويستهدف إنجاز أهداف أومهمات سياسية جزئية.. لتحسين شروط النضال، او تعديل موازين القوى السياسية. وبما يخدم في النهاية، تحقيق الاهداف الاستراتيجية..

لكن الاستراتيجية تحولت بفضل «العقل المرحلي»، إلى مجرد هدف بعيد، استراتيجي، منعزل، ومن الخطأ طرحه الآن.. لانه غير قابل للتحقيق في هذه اللحظة السياسية! (عادة لايطرح تحقيقه أحد بهذه الصورة، لكن العقل المرحلي يبالغ بهذه المسألة، ليسهل عليه ترويج التبرير بالتخلي عن اهداف النضال «البعيدة..) هكذا، اذن، يحاكم العقل المرحلي «مماحكا»! وهكذا «يتذاكى» ايضاً «متحايلاً» على العدو.. متجنباً «استفزازه» بتغييب أهداف النضال البعيدة.. لكي يتمكن من مساومته على اهداف النضال، وتحت ستار الادعاء بتحقيق اهداف النضال على مراحل بالتفاهم والمساومة مع العدو!

وهكذا يحول هذا العقل الاستراتيجية إما الى «هدف بعيد».. يستحيل تحقيقه الآن.. (أويتم تجاهله خشية استفزاز الاعداء)، أو الى سلسلة من التراكمات التكتيكية «المرحلية» التي لايوحدها تحليل عام اوخط سياسي موحد.. ولاتعبر أبداً، بالمقابل، عن موازين القوى القائمة في كل مرحلة..!

ويهرب العقل المرحلي من عدم دقته المرحلية.. مستنجداً بمسألة فاته أن يركز عليها (بينما كان منهمكاً بالبرهنة سابقاً على صحة شعاراته القابلة للتحقيق المباشر، وفي غضون فترة زمنية، لايأنف عن تحديدها «بدقة» قدر الامكان بناء على فهمه لموازين القوى!) وهذه المسألة «الاستكشافية» هي ان الشعارات المرحلية لاتتحقق بسهولة، بل تحتاج الى نضال دؤوب وطويل..

وهكذا تتحول الى «هدف» استراتيجي، دون أن تسمى كذلك خشية على «قدسية» الشعارات المرحلية «الملموسة» وعدم «تلوثها» بالمفاهيم والاهداف الاستراتيجية»!

والسر في ذلك أن «المرحلية» تقدم للعقل المرحلي مرونة متناهية فهي من جهة تبدو كأنها تطرح قضايا قابلة للتحقيق الآن، فيكسبه ذلك بريقاً مغرياً راهناً، ويسلط عليه الاضواء.. ويكسبه وزناً سياسياً وذلك مما يربك أو «يفحم» المتمسكين «باهداف» النضال البعيدة.. غير القادرين على «تحقيق» أي شيء للنضال في هذه المرحلة، أوتقديم تحليل أوشعارات نضالية محددة، اما بسبب طبيعة الهزائم، أوتراجع المد الشعبي (وحيث تتغذى عليها دوماً هامشية وطفيلية العقل «المرحلي»، أو بسبب العجز الفكري والسياسي للاحزاب والقوى الوطنية «والتقدمية» البرجوازية الصغيرة الاخرى، أو اضطرارها الى التراجع.

«الفاتورة»!:

وأول فاتورة يقدمها العقل المرحلي للبرجوازية لتسويق بضاعته (بمد «التوقيت» السياسي الناجم عن الهزائم أو التراجع.. ونقول «التوقيت» السياسي لأن العقل المرحلي لايعرف «التقييم» أو النقد)، هي تشديد التهجم المفتعل على اهداف النضال الوطني والاجتماعي، واعتبارها اهداف استراتيجية مستحيلة التطبيق.. (ومعاندة بتجربة الوجدان الوطني والشعبي في المواجهة ضد الاعداء..)

وبالتالي اختزال أخطاء القوى الوطنية والتقدمية كنتيجة لكونها ركزت على الاهداف الاستراتيجية، وليس المرحلية وهنا بالضبط يتم «تهريب» طبيعة الموقف الصراعي من العدو.. والتهيئة للمساومة والتعايش معه! والعقل المرحلي يستخدم في ذلك استشهادات وكليشيهات ماركسية «يسارية». وفي غير مكانها وسياقها التاريخي والسياسي، بل المنطقي، واضعاً تعارضاً مفتعلاً، بين الاستراتيجية

والتكتيك: بين «الملموس» والمجرد، بين الخاص والعام. فهو يفصل وبطريقة مبتذلة (لايصح ان نقول عنها «ميكانيكية» لكون الطريقة الميكانيكية في التفكير تحمل حداً أدنى من الترابط المنطقي، رغم أحاديتها وعدم جدليتها ومثاليتها) بين مايسميه التكتيك والاستراتيجية، بل يقوم بتشويه هذين المفهومين، فالتكتيك بالنسبة له، يبدو كأنه يعبر عن مرحلة «محددة» لاتلبث ان «تتمغنط» وتطول.. فتتحول الى برنامج وطني مرحلي ـ استراتيجي، صالح لكل زمان ومكان، وباعتباره البرنامج الوحيد الذي يحقق «الحل» «المتوازن» أو «العادل» الخ.. وفي كل الاوقات وينهي «الصراع» ويوطد السلام. ويوفر التطور «الديمقراطي» الطبيعي (الصراع دوماً بالنسبة للعقل المرحلي، أمر غير طبيعي) لما فيه مصلحة «جميع» الاطراف المعنية!

العقل المرحلي «يعظ» بالسلم الاجتماعي والوطني خاصة اثر الهزائم والتراجعات فلايخدم (رغم ادعائه الظهور بمظهر العقل السياسي «المحنك») سوى العدو الطبقي ـ الوطني والقومي للحركة العمالية والشعبية.

لا «مرحلية» العقل المرحلي:

العقل المرحلي لم يكن يوماً مرحلياً.. انه العقل المعبر عن فئات من المثقفين البرجوازيين الصغار المتفسخين طبقياً، والسريعين العطب، والمصابين بالرعب من التغيرات، وانقلاب موازين القوى لمصلحة البرجوازية والرجعية، وخاصة بعد فشل «الرهان» (حسب منطق هؤلاء المتفسخين المقامرين البرجوازيين الصغار) على الحركة الشعبية! وهؤلاء لاينطبق عليهم مفهوم «التردد» او «التذبذب» كبرجوازيين صغار، لهم مواقعهم الانتاجية، وتقاليدهم المهنية المحددة. فهم لاتغير من مواقفهم وذهنهم المرحلي التبريري، التطورات وصمود الحركة الشعبية من جديد، بل يعتبرونها مجال «استثمار» لتسريع التفاوض مع العدو الطبقي ـ الوطني، وتذكيره بخطورة عدم تطبيق البرنامج «المرحلي» الذي يحمل المصلحة المشتركة «للجميع» في هذه المرحلة. هذا البرنامج الذي يتضمن عملياً، التنازل عن مبادىء وأهداف النضال الاستراتيجية (مستغلاً دقة وصعوبة ظروف التراجع) وذلك تحت ستار الخشية من «تنفير» العدو.. وتخليه عن التفاوض! وكأن مايجبر اي عدو على المساومة أو التراجع في لحظة سياسية معينة، هو «فهلوة» العقل المرحلي.. وليس موازين القوى على الارض، علماً أن ذلك لايفترض التنازل عن اهداف النضال «الاستراتيجية»!

ان كل مايهم أصحاب العقل المرحلي هو تقديم المعذرة وطلب «الغفران» دوماً من البراجوازية على هفواتهم واخطائهم «الثورية» السابقة، والتي لن تتكرر أبداً.. «كالعدمية» و«التطرف» اليساري.. لرهانهم على انتصار الحركة الشعبية (التي هم أنفسهم «ورطوها» في شعارات لفظية ومواقف غير ملائمة.. تتسم بالعجالة وعدم النضج والانعزالية). فما يهمهم هو تذكير العدو ـ بمناسبة او غير مناسبة ـ عن عدم تخليهم عن برنامجهم «المرحلي» (الاستراتيجي) ورغم تغير المرحلة! اي عملياً عن عدم التخلي عن عقليتهم واتجاههم للمساومة والتنازل عن اهداف النضال.. وان كل ما على العدو ان يفعله، ألا يترك فرصة تواجدهم في العملية النضالية كي يساومهم «هم» خشية حدوث تطورات لغير مصلحته ومصلحة العقل المرحلي «المتوازن» في الصراع المحتدم!

ورغم هزالة منطقهم . . فانه حتى الآن ، لم يتم دحض أسس تفكيرهم ووظيفته وبشكل حاسم بعد ! . . وذلك نظراً لطبيعة المواجهة الفكرية ـ السياسية لدى القوى المناهضة لخطهم . . والمنطلقة من ردود الفعل على معاندتهم لتجربة الوجدان الشعبي الوطني . . ولكن ليس بدحض اسس تفكيرهم . . ولاستقواء هؤلاء «بالمرحلة» مرحلة تراجع الحركة الشعبية مؤقتاً .

«ثقافة» العقل المرحلي :

والجدير بالذكر أن «ثقافة» اصحاب العقل المرحلي ، ثقافة تلفيقية مدعية ، تفتقد الى اية مقومات أو تقاليد راسخة أو جدية ، كما لم تأتِ باي جديد فهي تنتحل الشخصية الثقافية ، للتبرير والتمويه فاصحاب العقل المرحلي لم «يهضموا» أو «يحفظوا» حتى أسس الفكر المدرسي البرجوازي في المدارس والمعاهد والجامعات . . فبرامجهم وتحليلاتهم تفتقد الى الحد الأدنى من الترابط المنطقي الشكلي البسيط ، أو التمييز بين الجوهـري والثانوي الخ . . وذلك نتيجة الهامشية والميل العام للكسل ، واستبدال الجهد والدراسة والعمل بالثرثرة اللفظية ، و«الانشغال» الشكلي بالعمل الاداري «التنظيمي» وبالسياسة «التمثيلية» فكيف بعملية استيعاب وتمثل الفكر العلمي الجدلي الذي ادعوا «تبنيه»؟!

هكذا ، وكنتيجة لعجزه لجأ العقل المرحلي المعاق ، الى «استعارة» بعض العكازات «الملائمة» من فكر وبرامج وسياسات الاحزاب الشيوعية العالمية والعربية (علاوة على الاستشهاد الانتقائي بكتاب مرض الطفولة وغيره ، بنزع جوهر التحليل من سياقه التاريخي والسياسي وتحويله الى كليشهات وفقرات أو أمثلة «للاستشهاد بها ولتبرير المساومة «المرحلية» الثابتة . . الأبدية! فهم لم يضيفوا اي جديد في برامجهم سواء تجاه الوضع العالمي او العربي ، أو تجاه قضاياهم ، وخاصة تجاه القضية القومية المركزية القضية الفلسطينية ، وغيرها لكنهم وهم يستعيرون من الاحزاب المذكورة ، فإنهم لايملكون تراثها الفكري السياسي ولا النضالي ولا تقاليدها . وهم لايسعون إلى الانضمام إليها ، رغم «تردادهم» لأفكارها ومواقفها تجاه العديد العديد من القضايا . وقسم آخر من أصحاب العقل المرحلي ، يروج على طريقته لتكتيكات مرحلية بترداد أفكار عامة غامضة عن الكتلة الشعبية ، أو رفض العنف بالمطلق الخ . . والالتحاق بتكتيكات الحليف البرجوازي ، باعتبار التكتيك «مشتركاً» في «هذه المرحلة» وبدون أي تمييز لدور «الذات» الطبقية في كيفية تجسيد هذا التكتيك ، والتوجه نحو أية طبقات اجتماعية!

التكيف مع الواقع القائم :

العقل المرحلي . . لم يكن مرحلياً ، يوماً ، بالمعنى الواقعي الثوري للكلمة ، أي الانطلاق من الواقع القائم (لاالتكيف معه) ، بل من أجل العمل على تغييره ، وحين يستند العقل المرحلي في تراث الماركسية إلى النزعة «الواقعية» ، فإنه يتجاهل ارتباطها بالثورية ، فيعمل على «تقرير» أو وصف واقع التراجع . . دون تحليل التناقضات القائمة ومن زاوية مصالح العمال والطبقات الشعبية .

لاأحد يجادل في ضرورة تحديد تكتيكات في كل مرحلة ، أو فترة سياسية من فترات الصراع ، لكن الخلاف حول مضمون هذه التكتيكات ومن تخدم ، ومدى ارتباطها الجدلي بالاستراتيجية .

بالنسبة للعقل المرحلي التكيفي مع الواقع القائم ، فإنه يروج بشكل ابتزازي لضرورة الاصلاحات والمرحلية والبرامج الانتقالية ، بصورة مشوهة . فلا يربط التكتيك بالاستراتيجية ، والاصلاحات والبرامج الانتقالية بالثورة ، بل يتقدم بها باعتبارها «الحل» الفعلي للصراع الناشىء! بينما الاصلاحات والمساومات في الماركسية ، وهي نتاج ثانوي للصراع الطبقي الثوري . وهي تكون ضرورية ومشروعة لالتقاط الأنفاس (لامناسبة للتنازل عن مباديء وأهداف النضال) ، وايقاف التراجع والتمهيد للانتقال إلى موقع الهجوم ومواصلة الصراع حتى تحقيق الأهداف التكتيكية والاستراتيجية ، والانتقال إلى مرحلة تاريخية جديدة.

علاقة الاستراتيجية بالتكتيك :

أما العلاقة بين التكتيك والاستراتيجية ، فهي علاقة جدلية متبادلة ، فلا يمكن وضع تكتيك صحيح بدون استراتيجية طبقية واضحة ، كما أن التكتيك الخاطىء يؤثر سلباً على الاستراتيجية ، والتي تنقسم بدورها إلى تكتيكات مرحلية مترابطة جدلياً ، وحيث يتغير التكتيك وأساليب النضال تبعاً لتطور أو تراجع موازين القوى الطبقية . والعلاقة بين التكتيك والاستراتيجية ليست كمية أو «تطورية» بل جدلية كمية ـ نوعية ، فمثلاً في التكتيك «الأخير» تتحقق الاستراتيجية ، ويتم الانتقال تاريخياً إلى استراتيجية جديدة وتكتيكات جديدة ، بإحلال سيطرة طبقية جديدة بدل سيطرة الطبقة الاستغلالية التي تم تحطيمها.

إن التكتيك غير موجود إلاّ في العلاقة بالاستراتيجية ، كذلك الاستراتيجية غير موجودة إلاّ في التكتيك ومن خلاله . فكما كل خاص له طابعه (بشكل أو بآخر) ، ففي كل عام جزء من الخاص . رغم أن كل عام لايشمل جميع الأشياء الخاصة ، إلاّ على وجه التقريب ، وكل خاص لايشترك تمام الاشتراك في العام أو يتطابق معه . كذلك لايمكننا أن نضع التكتيك في مواجهة الاستراتيجية أو نفصله عنها ، كما ينحو العقل المرحلي . فوظيفة الفصل هنا تستهدف موضوعياً ، (بقصد أو بغير قصد) ، خدمة تكتيكات واستراتيجيات البرجوازية والقوى المهيمنة .

العقل المرحلي لايتعامل مع التكتيك باعتباره يعبر عن جزء من مرحلة سياسية ، يتعين فيها تعديل (أو) تغيير (أو) المحافظة . . على موازين القوى الطبقية لمصلحة نضال الحركة العمالية والشعبية والديمقراطية .

فالمصالح الطبقية ـ الوطنية المعادية للبرجوازية التابعة والامبريالية تتلاقى في تكتيكات «مشتركة» ضد العدو.

ولكن يتم خوض الصراع ، دوماً ، من وجهة نظر الطبقة العاملة وطريقتها وأساليبها الديمقراطية الثورية الخاصة في كيفية التحشيد لتجسيد هذا التكتيك المشترك ، وعلى جميع الأصعدة الدعاوية والسياسية والجماهيرية والتنظيمية ، وبما يحفظ استقلالية الخط الثوري ، وتوسيع نطاق نفوذه الجماهيري في الوقت عينه .

إن كل ممثلي الطبقـات الحليفة للطبقة العاملة، لهم مفاهيمهم الفكرية والسياسية ، واستراتيجياتهم وأساليبهم التعبوية الخاصة ، والمعبرة عن مصالح الديمقراطية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . ويقينا أن

للطبقة العاملة مصلحة حيوية في توسيع نطاق العمل الديمقراطي الجبهوي وباستمرار، ولكن عليها، أيضاً، وفي نفس الوقت، أن تتوصل ازاء أي تكتيك أو موقف وفي كل قضية من القضايا الديمقراطية والوطنية «المشتركة» إلى الصياغة الثورية لهذه المهام والمرتبطة، في جميع الحالات والفترات بالخط الثوري العام (الاستراتيجية) من أجل التغير التاريخي بتحقيق الاشتراكية. . وكهدف لاينفصل أبداً عن النضال (في ظل ظروفنا التاريخية والسياسية) للقضاء على الأسس الطبقية للتبعية للامبريالية، وتحرير فلسطين وتحقيق الوحدة القومية العربية على أسس شعبية نضالية.

إن مرحلية «العقل المرحلي»، «المرحلية» المتواصلة. . رغم تغير المراحل، هي نهج فكري، أكثر من كونها برنامج معبرعن التكتيك الذي ينبغي اتباعه في مرحلة محددة، نهج الواقعية الانتهازية، الداعية إلى تكييف مهام وشعارات الحركة الثورية، لتلائم أو تتعايش مع مصالح العدو الطبقي والقومي والأممي.

وهي «مرحلية» معادية بقوة لأي برنامج تكتيكي ثوري، مرتبط جدلياً باستراتيجية التغير التاريخي، وهي تروج لمفاهيم مشوشة ومشوهة عن المصالح الطبقية «المشتركة» والخاصة، وللتصالح والمساومة والتعايش مع العدو الطبقي والوطني والقومي والعالمي، بدل مفاهيم الصراع. انها المرحلية «البورقيبية» المستجدية للأعداء، (لكن في مرحلة أكثر تراجعاً وانحطاطاً) وعلى أساس: «خذ. . وطالب»! وهي أول ماتشوه أو تعادي مبادىء وأهداف النضال الاستراتيجية، كما تشوه بقوة طبيعة التكتيك المرحلي الثوري (الذي هو برنامج صراعي في جوهره وسواء كان تراجعي أو هجومي. .) لكي تنطلق من برنامجها المرحلي الخاص الداعي إلى التصالح والتكيف مع الواقع السائد، وتحت ذريعة جواز ومشروعية المساومات في الفكر الثوري الماركسي الذي تسيء اليه ولفهمه للمساومات، فتستخدمه لمجموعة امثلة مجتزأة. . ومظهرة إياه كأداة للتبرير. . وليس كمنهج التفسير والتغير.

التكتيك الثوري والصراع:

فالتكتيك الثوري «المرحلي» تكتيك وضع من أجل الصراع الطبقي (المساومة ضمنه هي شكل من أشكال هذا الصراع ومن أجل استمراره وتبعاً لظروف وموازين القوى الطبقية)، وهو تكتيك يتم فرضه فرضاً بقوة النضال، وباختيار أشكاله الملائمة لكل ظرف أو فترة سياسية، فالبرجوازية حين تتمكن من تقوية نفسها، تستطيع أن تلغي، عملياً، أي اتفاق «مساومة» مؤقت توصلت إليه، سابقاً، مع الحركة الثورية، وبات لايلائم مصالحها الآن. وكذلك تنمو الحركة الثورية بالمقابل.

لكن العقل المرحلي يفهم التكتيك من جانبه السكوني المؤقت، ليس من جانبه الصراعي الجدلي المتواصل، والتكتيك الثوري يلجأ إلى المساومة في لحظات سياسية كثيرة تضطر فيها الحركة الثورية إلى المساومة والتراجع لكن ذلك يتم باعتباره شكلاً خاصاً من أشكال خوض الصراع، وليس على حساب الصراع الطبقي ـ الوطني وأهدافه). لكن العقل المرحلي يهمه دوماً، إبراز عوامل السكون والمساومة وباعتبار المساومة جوهر السياسة وليست شكلاً من أشكال مواصلة الصراع.

العقل المرحلي وبرامج «الحد الأدنى»!

العقل المرحلي. . . يحول البرنامج التكتيكي «المرحلي». . . إلى برنامج استراتيجي، لكنه يسميه «المرحلي». ولأن المهم بالنسبة له «مبدأ» المساومة والحل «الوسط» والتنازل عن «الأهداف» البعيدة للنضال لكونها غير قابلة للتحقيق «الآن»، ولأن المهم، دوماً، هو «الآن»، أي التكيف مع الواقع القائم. . والذي هو نفسه يتغير باستمرار، ويتردى أكثر بحكم استمرار هيمنة البرجوازية والرجعية، فهذه «الآن» ليست ساكنة، بل متحركة ومتغيرة. ومن هنا يصبح الاصرار على التمسك بالبرنامج المرحلي السابق رغم التغيرات. . مسألة «مبدأ». . أو دليل على «منهج» في التفكير والعمل والسلوك. . أكثر مما يعبر عن التمسك بتحليل معبر عن حركة الواقع وموازين القوى الفعلية. .

وللبرهان على ذلك، نجد أن مايسمى البرنامج المرحلي قابل للتجزئة هو نفسه إلى مجموعة برامج «حد أدنى» مرحلية أو مؤقتة. وهذا يعني التخلي عن البرنامج المرحلي نفسه باعتباره «الحد الأدنى». . وبما يلائم العدو البرجوازي والوطني. . أو مايمكن أن يقدمه لهم من «فتات» وخاصة في هذه المرحلة من التراجع (والتي من ضمن أسبابها غياب دور الفكر الثوري وعلاقته الجدلية بالحركة الشعبية). اذن، العقل المرحلي. . يتخلى عن برنامجه المرحلي ذاته (لكنه لايتخلى عن منهجه.) ويقوم بتجزئته إلى سلسلة من برامج «الحد الأدنى»، فيصبح البرنامج المرحلي نفسه، بهذه الطريقة، برنامجاً استراتيجياً (باسم البرنامج المرحلي!).

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أصحاب العقل المرحلي في الساحة الفلسطينية، يتنازلون اليوم عن برنامجهم «المرحلي» الذي طرحوه منذ عام ١٩٧٤ بهدف التطبيق المباشر على وهم أن موازين القوى وقتها تسمح، بعد حرب تشرين ١٩٧٣، بانسحاب العدو الصهيوني عن الأراضي الفلسطينية والعربية اليت احتلت عام ١٩٦٧. ورغم أنهم تبنوا استراتيجيةالأنظمة «إزالة آثار العدوان»، متجاهلين أن العدوان الأصلي كامن في الوجود الاستعماري الصهيوني على أرض فلسطين. وأن الأرض الفلسطينية (بالنسبة للعدو الامبريالي) مخصصة للسيطرة الصهيونية الاستيطانية من أجل الانطلاق منها لفرض الهيمنة الامبريالية على المنطقة العربية وبقوة العدوان.

رغم ذلك، فقد تم التنازل شيئاً فشيئاً عن برنامج «الحد الأدنى» وباستمرار. فمن شعار اقامة «سلطة وطنية مقاتلة» في ض. غ وغزة في حال زوال الاحتلال. . إلى اقامة «السلطة الوطنية» (بدون المقاتلة) إلى «الدولة الفلسطينية المستقلة»، إلى «الكونفدرالية» (مع النظام الاردني)، إلى الموافقة على «مشروع الحكم الذاتي» (بهذه الصورة المعدلة أو تلك) مع الاستعداد للاعتراف بالعدو الصهيوني، والتخلي عن وحدة الشعب والأرض. فالحكم الذاتي. المعدل (باشراف دولي) بات اليوم «خطوة» على طريق تحقيق «الدولة المستقلة».

وفي لبنان، نجد اليوم أن التسوية الطائفية المتوازنة، أو الغاء الطائفية على مراحل، خطوة هي، أيضاً، على طريق تحقيق «البرنامج المرحلي» للحركة الوطنية.

أما على الصعيد العربي، فهي تعني لدى أصحاب العقل «المرحلي» الاقرار بالتحالف الذيلي مع البرجوازية «الوطنية»، والاقرار بدورها القيادي في «مرحلة التحرر الوطني» وحتى لو كانت تستسلم للامبريالية والصهيونية!

إن هذا العقل «المرحلي» رغم ادعائه «اليسارية» لم يخدم، يوماً، وفي الممارسة، سوى القوى السياسية البرجوازية اليمينية المساومة والمستسلمة. انه التنظير لخط التفاوض والاعتراف والتعايش العربي والفلسطيني مع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني على أرض فلسطين.

وهو الدعوة إلى «المشاركة» في النظام القائم (حتى لو كان الاحتلال. بالنسبة لفلسطين).

انه العقل الذي يستهدف طمس الصراع، وتكييف «وتدجين» الحركة الثورية، لمصلحة التعايش مع العدو الطبقي والوطني والقومي والعالمي.

عقل تبرير التردي!

العقل المرحلي ميتافيزيقي، مثالي، جامد، ينطلق من «مقولة» المرحلية. وليس من تحليل الواقع التاريخي وتطور مراحله السياسية.

وهو عقل قائم على التبرير لا التفسير.. ولايخاطب الجماهير انطلاقاً من تصوراته «هو» عن هذه المصالح المرحلية الطبقية والوطنية. فالمراحل تتغير.. ويبقى العفعل المرحلي لايغير برنامجه؟!

قوة العقل المرحلي، هي في تدهور الحركة الثورية، وفي ازدياد وتعميق تبعية النظام العربي للامبريالية والصهيونية،

والعقل «المرحلي»... مستمر بقوة استمرار هذا الواقع المتردي.. والداعي إلى التكيف والتعايش معه في آخر وأسوأ ماوصل إليه من تردي!

لكن، النظام العربي سيتغير.. بحكم استفحال مأزقه الشامل، وكنتيجة لتعمق تبعيته، والتي تتناقض مع مصالح الغالبية الساحقة من الجماهير الشعبية.

أما العقل المرحلي.. المرعوب من التغيرات، ومن أسياده البرجوازيين، والذي يستهدف ببرامجه «لجم» الصراع، و«المشاركة» في واقع الاستغلال والتبعية القائم، فسيبقى هذا «العقل» يقدم خدماته للبرجوازية، بل ستزداد شراسته وعداؤه للحركات الشعبية التي تهدد «الاستقرار» والبرامج الداعية إلى «التكيف» والتعايش مع الأمر الواقع.. وبالتالي ستفقده مبرر وجوده، وتكشف هامشيته وطفيليته.. وذيليته.

العقل «المرحلي»، مليء بالعجز والتبرير والتعصب والحقد.. تآمري، إرادوي، نافذ الصبر دوماً، وعلى أهبة الاستعداد للمساومة والمقايضة من جديد (بدون الحد الأدنى من الاستعداد لمراجعة ونقد الذات)، إسقاطي.. مثالي. ذاتي، وهو يعادي منهج ومواقف الفكر الثوري والحركات الشعبية، إنه تهافت النفعية التي تركز، دوماً، على«حصتها» في الواقع القائم ومهما كان هذا الواقع.. انه ضد فكرة التغير، «والنضال» (بالنسبة له) ليس من أجل تحقيق أهداف النضال الراهنة أو «الاستراتيجية»، بل من أجل الحصول على شيء ما.. من خلال اعتراف العدو به كطرف سياسي أو كشريك صغير.. إن هذا العقل في هذه المرحلة بالتحديد هو المرض الناجم عن تعمق تبعية النظام العربي المستسلم.. والتراجع المؤقت للحركة الثورية والشعبية.

الكفاح الفلسطيني المسلح...
إلى أين؟

د. ابراهيم ابراش*

راجت في السنوات الاخيرة عدة تصورات ومشاريع، حول مفهوم التسوية والحل السلمي لمشكلة الصراع العربي - الصهيوني، وقد اتسعت هذه المفاهيم والمشاريع حول التسوية، لتشمل العديد من الافكار والمبادرات والمشاريع من اطراف عديدة، وضمن صيغ متباينة، بحيث ان المواطن العربي العادي اصبح في حيرة من امره، حول معنى الحل السلمي، وماهو الحل المشرف، وماهي حقوق الشعب الفلسطيني التي يمكن ان تشكل محور هذا الحل المشرف؟

وقد ادى تعدد هذه المشاريع وتباين مضامينها، وغموض حقوق وواجبات كل طرف من الأطراف، الى تشويش حتى بالنسبة لما هية الصراع - العربي الصهيوني، وهل ان الصراع بدأ مع حرب 1967، وبالتالي احتلال الضفة والقطاع والجولان هو مشكلة الصراع، ام ان الصراع بدأ مع قيام دولة العدو الصهيوني 1948 وبالتالي فان المشكل يكمن في وجود هذه الدولة؟

مع أن غالبية المشاريع وتصورات الحل المطروحة حول تسوية النزاع تحظى بقبول هذا الطرف او ذاك، وكلها محل نقاش وتفاوض، الا ان مشروع الحل الوحيد الذي اصبح خارج اي تعامل او نقاش ليس دولياً فحسب، بل عربياً أيضاً هو الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، كما تؤكدها الوقائع التاريخية، وكما التزم بها العرب حتى نهاية السبعينات - توقيع اتفاق كامب ديفيد - وكما عرفها الميثاق الوطني الفلسطيني، انما حق الشعب العربي الفلسطيني على كامل التراب الفلسطيني، وعدم شرعية وجود دولة العدو الصهيوني ضمن اية صيغة من الصيغ.

ليس هدفنا في هذا المقال المحدود الخوض في تعريف مفهوم التسوية، او ماهي حقوق الشعب

* دكتور في الحقوق - استاذ بجامعة محمد الخامس في الرباط - له كتاب البعد القومي للقضية الفلسطينية وابحاث عديدة.

إن هذا العقل «المرحلي» رغم ادعائه «اليسارية» لم يخدم، يوماً، وفي الممارسة، سوى القوى السياسية البرجوازية اليمينية المساومة والمستسلمة. انه التنظير لخط التفاوض والاعتراف والتعايش العربي والفلسطيني مع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني على أرض فلسطين.

وهو الدعوة إلى «المشاركة» في النظام القائم (حتى لو كان الاحتلال. بالنسبة لفلسطين).

انه العقل الذي يستهدف طمس الصراع، وتكييف «وتدجين» الحركة الثورية، لمصلحة التعايش مع العدو الطبقي والوطني والقومي والعالمي.

عقل تبرير التردي!

العقل المرحلي ميتافيزيقي، مثالي، جامد، ينطلق من «مقولة» المرحلية. وليس من تحليل الواقع التاريخي وتطور مراحله السياسية.

وهو عقل قائم على التبرير لا التفسير. ولا يخاطب الجماهير انطلاقاً من تصوراته «هو» عن هذه المصالح المرحلية الطبقية والوطنية. فالمراحل تتغير.. ويبقى العفعل المرحلي لايغير برنامجه؟!

قوة العقل المرحلي، هي في تدهور الحركة الثورية، وفي ازدياد وتعميق تبعية النظام العربي للامبريالية والصهيونية،

والعقل «المرحلي»... مستمر بقوة استمرار هذا الواقع المتردي.. والداعي إلى التكيف والتعايش معه في آخر وأسوأ ماوصل إليه من تردي!

لكن، النظام العربي سيتغير.. بحكم استفحال مأزقه الشامل، وكنتيجة لتعمق تبعيته، والتي تتناقض مع مصالح الغالبية الساحقة من الجماهير الشعبية.

أما العقل المرحلي.. المرعوب من التغيرات، ومن أسياده البرجوازيين، والذي يستهدف ببرامجه «لجم» الصراع، و«المشاركة» في واقع الاستغلال والتبعية القائم، فسيبقى هذا «العقل» يقدم خدماته للبرجوازية، بل ستزداد شراسته وعدائه للحركات الشعبية التي تهدد «الاستقرار» والبرامج الداعية إلى «التكيف والتعايش مع الأمر الواقع.. وبالتالي ستفقده مبرر وجوده، وتكشف هامشيته وطفيليته.. وذيليته.

العقل «المرحلي»، مليء بالعجز والتبرير والتعصب والحقد.. تآمري، إرادوي، نافذ الصبر دوماً، وعلى أهبة الاستعداد للمساومة والمقايضة من جديد (بدون الحد الأدنى من الاستعداد لمراجعة ونقد الذات)، إسقاطي.. مثالي. ذاتي، وهو يعادي منهج ومواقف الفكر الثوري والحركات الشعبية، إنه تهافت النفعية التي تركز، دوماً، على «حصتها» في الواقع القائم ومهما كان هذا الواقع.. انه ضد فكرة التغير، «والنضال» (بالنسبة له) ليس من أجل تحقيق أهداف النضال الراهنة أو «الاستراتيجية»، بل من أجل الحصول على شيء ما.. من خلال اعتراف العدو به كطرف سياسي أو كشريك صغير. إن هذا العقل في هذه المرحلة بالتحديد هو المرض الناجم عن تعمق تبعية النظام العربي المستسلم.. والتراجع المؤقت للحركة الثورية والشعبية.

الكفاح الفلسطيني المسلح... إلى أين؟

د. ابراهيم ابراش*

راجت في السنوات الاخيرة عدة تصورات ومشاريع، حول مفهوم التسوية والحل السلمي لمشكلة الصراع العربي ـ الصهيوني، وقد اتسعت هذه المفاهيم والمشاريع حول التسوية، لتشمل العديد من الافكار والمبادرات والمشاريع من اطراف عديدة، وضمن صيغ متباينة، بحيث ان المواطن العربي العادي اصبح في حيرة من امره، حول معنى الحل السلمي، وماهو الحل المشرف، وماهي حقوق الشعب الفلسطيني التي يمكن ان تشكل محور هذا الحل المشرف؟

وقد ادى تعدد هذه المشاريع وتباين مضامينها، وغموض حقوق وواجبات كل طرف من الأطراف، الى تشويش حتى بالنسبة لماهية الصراع ـ العربي الصهيوني، وهل ان الصراع بدأ مع حرب 1967، وبالتالي احتلال الضفة والقطاع والجولان هو مشكلة الصراع، ام ان الصراع بدأ مع قيام دولة العدو الصهيوني 1948 وبالتالي فان المشكل يكمن في وجود هذه الدولة؟

مع أن غالبية المشاريع وتصورات الحل المطروحة حول تسوية النزاع تحظى بقبول هذا الطرف او ذاك، وكلها محل نقاش وتفاوض، الا ان مشروع الحل الوحيد الذي اصبح خارج اي تعامل او نقاش ليس دولياً فحسب، بل عربياً أيضاً هو الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، كما تؤكدها الوقائع التاريخية، وكما التزم بها العرب حتى نهاية السبعينات ـ توقيع اتفاق كامب ديفيد ـ وكما عرفها الميثاق الوطني الفلسطيني، انها حق الشعب العربي الفلسطيني على كامل التراب الفلسطيني، وعدم شرعية وجود دولة العدو الصهيوني ضمن اية صيغة من الصيغ.

ليس هدفنا في هذا المقال المحدود الخوض في تعريف مفهوم التسوية، او ماهي حقوق الشعب

---

* دكتور في الحقوق ـ استاذ بجامعة محمد الخامس في الرباط ـ له كتاب البعد القومي للقضية الفلسطينية وابحاث عديدة.

الفلسطيني - للاسف تركنا للاخرين مهمة تحديد هذه الحقوق، وكيفية حصولنا عليها - بل مبتغانا من ذلك ان نجعل من مفهوم حقوق الشعب الفلسطيني مدخلاً لقضية اخرى مرتبطة بها، وهي كيفية استرداد هذه الحقوق، ونعني بذلك الكفاح المسلح، ذلك ان تغلغل فكر التسوية في العقل العربي، كان على حساب تراجع فكرة الخيار العسكري، ووضع كل منهما في تناقض مع الآخر.

لقد أصبح الخيار العسكري - كفاحاً فلسطينياً مسلحاً وحرباً نظامية، يتعرض للعديد من الضغوطات والمضايقات، بحجة انه لم يعد يساير نهج التعامل الدولي المعاصر، وانه يعبر عن عقلية غير حضارية، أو انه شكل من اشكال الارهاب قد يثير الولايات المتحدة والغرب اللذان تتلبسهما عقده اسمها الارهاب. . الخ.

والذين يتعاملون مع الخيار العسكري بهذه النظرة، معتقدين انهم بذلك يخدمون نهج التسوية السلمية او الحل المشرف، يقعون في خطأ قاتل، وهو تحول التسوية الى استسلام، ذلك ان التسوية اية تسوية هي محصلة لموازين القوى بين اطراف التسوية، وكل طرف عندما يذهب الى طاولة المفاوضات، يذهب وهو مسلح باوراق الضغط التي بها سينتزع من الاخر اكبر قدر من التنازلات، فبقدر ماأنت قوي على ارض الواقع، تكون قوياً على مائدة المفاوضات، وتوظف التسوية لخدمة مصالحك واغراضك.

ان العدو الصهيوني في حالة ذهابه الى مائدة المفاوضات، سيذهب وهو في اوج قوته. سيذهب وهو ترسانة مسلحة. سيذهب وجيوشه تعربد في الاراضي العربية المحتلة، وهو يقيم تحالفاً استراتيجياً مع الولايات المتحدة الامريكية، سيذهب وهو متفوق استراتيجياً على العرب، يذهب وهو يقول «لاصلح لا اعتراف لا مفاوضات» مع م. ت. ف.

اما بالنسبة للعرب عامة والفلسطينيين خاصة فما هي اوراق الضغط التي سيطرحونها على مائدة المفاوضات، هل سيطرحون انقساماتهم وخلافاتهم مع بعضهم بعضاً، هل سيطرحون ارتداد سلاح البترول الى نحورهم، هل سيطرحون ازماتهم الاقتصادية؟ هل سيطرحون عشرين استراتيجية وعشرين مخططاً؟

قد تكون للدول العربية حساباتها واوضاعها الخاصة في التوفيق بين استراتيجية الكفاح المسلح ونهج التسوية. وقد تكون هناك قيود واعتبارات دولية تؤثر في الخيارات العسكرية لها، وقد يطرح بعضها مفهوم التوازن الاستراتيجي!! الخ ولكن ماهو مبرر تراجع الخيار العسكري عند حركة المقاومة الفلسطينية؟

في ظل النازية الصهيونية ضد شعب فلسطين، وعدم تورع الصهاينة عن قتل اطفال ونساء الانتفاضة العزل من السلاح، وبعد تعدد عمليات الموساد الاجرامية ضد قادة وكوادر الثورة الفلسطينية، اخرها مقتل ابو جها، كيف ستوفق م. ت. ف بين الكفاح المسلح، وبين بحثها عن التسوية السليمة؟

التأكيد على استراتيجية الكفاح المسلح - حرب شعب وحرب نظامية -

لم يعرف التاريخ شعباً تعرض للاحتلال، وصودرت حريته، وحرم من حقه في تقرير المصير، لم يلجأ الى العنف المسلح من اجل نيل حريته واستقلاله، ولم يحدث ان تعاملت دولة استعمارية عنصرية بمبادىء

الحق والعدل والديمقراطية في علاقاتها مع الشعب المستعمر، ذلك ان الاستعمار بكل صوره واشكاله، هو عنف وارهاب خارج عن اطار الشرعية الدولية. ولايعترف بالمبادىء والاخلاق الدولية، وبالتالي فان مواجهته لاتتم الا بعنف ثوري مدعوم بالشرعية الدولية، وبمبادىء حقوق الانسان وحق تقرير المصير. هذا ماحدث بالنسبة لفيتنام والجزائر، وكل الشعوب التي كانت خاضعة للاستعمار ونالت استقلالها.[١]

من هنا يمكن فهم القرارات الصادرة عن الامم المتحدة التي تنص على حق الشعوب باللجوء الى كل الوسائل، بما فيها الكفاح المسلح، من اجل تقرير مصيرها، ونيل استقلالها، وعلى سبيل المثال فقد جاء في قرار للجمعية العامة مايلي[٢]

(ان الجمعية العامة للامم المتحدة.

1) تؤكد من جديد حق جميع الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والاجنبية والقهر الاجنبي، غير القابل للتصرف في تقرير المصير والحرية والاستقلال.

2) وتجدد نداءها لجميع الدول كي تعترف بحق جميع الشعوب التي تتعرض للسيطرة الاستعمارية والقهر الاجنبي في تقرير المصير والاستقلال، وتقدم لها المساعدات المعنوية والمادية وغيرها من اشكال المساعدة في كفاحها في سبيل الممارسة الكاملة لحقها غير القابل للتصرف في تقرير المصير والاستقلال.

3) تؤكد من جديد شرعية كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والاجنبية والقهر الاجنبي بكافة الوسائل المتاحة، بما في ذلك الكفاح المسلح)، وجاء التأكيد عنه في قرار الجمعية العامة رقم 1977/4/32 الذي اكد على مشروعية الكفاح المسلح الشعبي فلسطين وناميبيا.

اذن فان الحق في اللجوء الى الكفاح المسلح من قبل الشعب الفلسطيني حق مشروع، وخصوصاً ان شعب فلسطين يواجه اخطر انواع الاستعمار، وهو الاستعمار الاستيطاني الاجلائي الصهيوني الذي لايقتصر على احتلال الارض بالمفهوم الكلاسيكي للاستعمار، بل يعمل على نفي الوجود الوطني للشعب الفلسطيني، ويشكل ركيزة للاستعمار والامبريالية، ويسعى بالتحالف معها الى ضرب الوجود القومي للامة العربية، وعرقلة امكانات النهوض الحضاري، والتشكل القومي الوحدوي للعرب.

ان العنف المتجسد في الكفاح المسلح للشعب العربي، وفي طليعته الشعب الفلسطيني، يصبح عنفاً خلاقاً كما يقول «قانون»، وانه العنف الذي يجعل واحد من الشعب. . (حلقة عنيفة في السلسلة الكبرى في الجسم الكبير، العنف الذي ينبثق رداً على عنف الاستعمار، فاذا الفئات المختلفة يعرف بعضها بعضاً، ويلتقي بعضها ببعض، واذا الامة المقبلة تكون منذ الان غير منقسمة، ان الكفاح المسلح بعبء الشعب اي يقذفه في اتجاه واحد وليس له ثان*

وقد وعت حركة المقاومة الفلسطينية اهمية وضرورة الكفاح المسلح وحرب التحرير في نضالها، وهكذا اكد الميثاق الوطني لمنظمة التحرير في مادته التاسعة على ان. . (الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين؛ وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكاً، ويؤكد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق، وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح، والسير قدما نحو الثورة الشعبية المسلحة لتحرير وطنه والعودة له وعن حقه في الحياة الطبيعية فيه وممارسة حق تقرير مصيره فيه والسيادة عليه).

كما وعت حركة المقاومة الفلسطينية اهمية التأثير السياسي المجتمعي للكفاح المسلح، فالكفاح المسلح

كفيل بحمع شتات الشعب الفلسطيني وتوحيده، واخراجه من حالة اللامبالاة والاتكالية التي كان يتخبط فيها. ويعتبر «صلاح خلف» ان احد مبررات انتهاج الكفاح المسلح انه (وسيلة لجذب الفلسطينيين نحو الحركة الفلسطينية وابعادهم عن المنظمات الاخرى، فلم تكن فتح قادرة على منافسة المنظمات الاخرى ايديولوجياً، وكانت دعوة الكفاح المسلح وحدها كفيلة بابعادهم عن هذه الاحزاب، وخصوصاً انهم ملوا الوعود الفارغة لهذه الاحزاب)(١)

كما اعطى للكفاح المسلح اهميته كعامل اثارة وتحريض، تعبأ من خلاله الطاقات الثورية للامة العربية، لان تأثيره سيتسع لتصل اصداؤه الى كل ارجاء الوطن العربي، قادة وجماهيراً، وستطرح على الجميع ضرورة اتخاذ موقف من المعركة الدائرة، وبذلك ستخلق المعركة مع العدو الصهيوني في المنطقة الحالة الثورية والتي ستكون الشرط الاساسي لولادة حركة التحرير العربي ذات المجتمع الثوري والتي تستمد على مجمل الساحة العربية عبر حرب تحرير شعبية تؤذن بخلق الانسان العربي الجديد والمجتمع العربي الاشتراكي المحرر»(٢)

اذا كان لاستراتيجية الكفاح المسلح هذه الاهمية، وهذا الموقع في المنطلقات الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية، فما هي مبررات ودوافع كل من بيان القاهرة 1985، الذي وجهته م.ت.ف لفلسطينيي الارض المحتلة بعدم استعمال السلاح في انتفاضتهم؟

وهل حقق الكفاح الفلسطيني المسلح اهدافه التحريرية والسياسة والمجتمعية حتى يتم الانتقال الى المرحلة الجديدة التي اهم سماتها نهج «اللاعنف» وتغليب نهج التسوية على نهج التحرير؟

بيان القاهرة:

في نوفمبر 1985 واثناء زيارته للقاهرة القى السيد ياسر عرفات ماسمي «بيان القاهرة»(٣)، والذي شجب فيه كل اعمال الارهاب، واعلن تمسك المنظمة بادانة العمليات الخارجية، وقد جاء في البيان.. (مرفقاً للجهود المبذولة لعقد المؤتمر الدولي للسلام، تعلن المنظمة شجبها وادانتها لجميع عمليات الارهاب، سواء تلك التي تتورط فيها الدول او يرتكبها افراد وجماعات ضد الابرياء والعزل في كل مكان، وتؤكد م.ت.ف قرارها الصادر في عام 1974 بادانة جميع العمليات الخارجية، وكل اشكال الارهاب، وتؤكد مجدداً التزام جميع فصائلها ومؤسساتها بهذه القرارات، والمنظمة سوف تتخذ ابتداء من اليوم كافة الاجراءات الرادعة في حق المخالفين).

الا ان السيد عرفات دان في الوقت عينه (انتهاك حقوق الانسان، خاصة حقه في الحياة والامن دون تفرقة على اساس العقيدة او الجنس او اللون). كما اكد على ان التزام المنظمة مرهون بالتزام «اسرائيل» بوقف اعمالها الارهابية حيث جاء في البيان: (ونظراً لان الالتزام لايتحقق من جانب واحد، فعلى المجتمع الدولي ان يلزم اسرائيل بوقف جميع الاعمال الارهابية في الداخل والخارج).

لقد صدر بيان القاهرة في مرحلة حرجة بالنسبة للثورة الفلسطينية، ذلك ان العالم شهد انذاك تصاعداً في وتيرة اعمال العنف والارهاب الصادرة عن حركات وافراد ودول لاغراض مختلفة، وسقط خلالها

العديد من الضحايا والابرياء، الامر الذي ولد حالة من الرعب والرفض انتابا العالم، واعطيا المبرر للولايات المتحدة الامريكية وحلفائها لتوظيف هذا الجو المشحون لشن هجوم على حركات التحرر في العالم وعلى رأسها م.ت.ف.

الامر الذي دفع بعديد من الاطراف لممارسة ضغوطات متعددة على م.ت.ف وحربا نفسية بالاضافة الى عوامل ذاتية، اديا في النهاية الى صدور بيان القاهرة. وكانت المنظمة ترمي من وراء ذلك الى تحسين صورتها امام الولايات المتحدة الامريكية، حتى تصبح طرفاً مقبولاً في المؤتمر الدولي.

مما لاشك فيه انه كانت هناك بعض المبررات الدافعة لم.ف.ت لاعلان بيان القاهرة، يمكنها الدفاع عنها، الا ان الايام اكدت ان م.ت.ف في موقفها هذا كانت كمن يحاور الطرشان، فهي راهنت على ان تتفهم الولايات المتحدة الامريكية الموقف الفلسطيني، وكأن واشنطن طرفاً محايدا في النزاع راهنت على ان تلتزم «اسرائيل» بعدم اللجوء الى العنف، متناسية ان الصهيونية كشل من اشكال العنصرية والعنصرية هي الارهاب، فلا يمكن ان تتواجد الصهيونية دون ان يرافقها الارهاب. وراهنت على ان المؤتمر الدولي «للسلام» على الابواب الا ان الموقف الامريكي زاد صلفا، و«اسرائيل» تزداد كل يوما ارهاباً، وتطارد المناضلين في كل مكان داخل فلسطين المحتلة وخارجها، والمؤتمر الدولي مازال سراباً، رغم ان العرب يقدمون كل يوم التنازل تلو التنازل، وهم يلهثون ورائه، و م.ت.ف وضعت كل اوراقها في سلة هذا الوهم المسمى مؤتمراً دولياً، والذي ان انعقد، فانه سيعقد ليقيم حفل تأبين لمنظمة التحرير الفلسطينية وللحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. فهل ستبقى م.ت.ف ملتزمة ببيان القاهرة بعد كل هذا؟

الانتفاضة وضرورة الكفاح المسلح

وجهت قيادة م.ت.ف نداءا الى سكان الارض المحتلة، تدعوهم لعدم اللجوء الى السلاح خلال انتفاضتهم، وبررت المنظمة ذلك بعدم اعطاء الفرصة للعدو الصهيوني لقمع السكان، تحت حجة «مقاومة الارهاب»، والتأكيد للرأي العام العالمي على الاهداف السلمية للمنتفضين، وكسب التأييد العالمي من خلال اظهار الفرق بين قوات العدو الصهيوني المدججة بالسلاح، والمتظاهرين الذين لايملكون الا الحجارة والشعارات.

الا ان الدوافع العميقة وراء هذا القرار، هي نفس دوافع «بيان القاهرة»، يعبر عن توجه بدأ يطغى على سياسة م.ت.ف ـ وعلى السياسة العربية بصورة عامة ـ ويوجه خطواتها، وهو تراجع مركزية الخيار العسكري لمصلحة الحل السلمي، والتسوية على مائدة المفاوضات، بدلاً من الحسم على ارض المعركة.

يمكن القول ان الدعوة لعدم استعمال السلاح في الايام والاسابيع الاولى للانتفاضة، كان لها مايبررها، حتى تأخذ الانتفاضة مداها، وحتى تترك اثرها المطلوب عند الرأي العام العالمي، الا ان الاسابيع والشهور مرت، ومجلس الامن عقد عدة جلسات وقدم مايمكن تقديمه، والشحنة العاطفية لدى المؤيدين والمتعاطفين بدأت تخبو، ثم بدأ العالم يتعود على حدث الانتفاضة التي اصبحت احداثها تمر مروراً عادياً في نشرات الاخبار، وكثفت قوات العدو من وجودها في الارض المحتلة، وزادت من ارهابها ضد

شعبنا الذي لايعرف اليأس، ولايخيفه الارهاب واصبحنا نؤرخ للانتفاضة بالشهور بدل الايام، ولكن ماذا بعد ذلك؟.

فليسمح لنا المطبلون والمهللون للانتفاضة من بعيد، دون ان يعانوا مايعانيه شعب الانتفاضة، ان نقول ان الانتفاضة قد بدأت تستنفد اهدافها الدعاوتية والاعلامية، اما اهدافها التحريرية، والتي ماقام المتنفضون الا من اجلها، ويعانون في سبيلها، فانها بحاجة الى توجه جديد واستراتيجية جديدة، وقد آن الآوان لمنظمة التحرير الفلسطينية ان تعيد النظر في سياستها المراهنة على الحل السلمي بأي ثمن.

ولقد اصبحت آفاق التسوية، حتى ضمن الحدود الدنيا للاهداف العربية مسدودة، «واسرائيل» هي التي اغلقت كل الابواب، وان أخطر ماادت اليه سياسة المراهنة على التسوية، هو الغموض الذي اصبح يسيطر على مفهوم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بل ضياع هذه الحقوق من كثرة ماقدم من تنازلات، واصبح المواطن العربي يتساءل هل حقوق الشعب الفلسطيني هي كل فلسطين من البحر الى النهر كما يقولون، ام انها دولة في الضفة والقطاع، ام انها حكم ذاتي ضمن كونفدرالية مع الاردن ام الخ، وان كانت حقوق الشعب الفلسطيني تشمل حقه على كامل ارض فلسطين، فهل ستحضر الولايات المتحدة «واسرائيل» المؤتمر الدولي للتوقيع على اتفاق انهاء دولة العدو الصهيوني، واقامة الدولة الفلسطينية محلها؟. وماهو تفسير «وثيقة ابو شريف» التي وزعت اثناء مؤتمر قمة الجزائر؟

ان فلسطين كالطفل التي تنازعت عليه امرأتان عند سيدنا سليمان، لاتقبل القسمة، انها للفلسطينيين لا لغيرهم، وان من يتنازل عن جزء منها، ويقبل بقسمتها، فانه يشكك في حقه على اي جزء.

ولكن حتى لانحمل منظمة التحرير الفلسطينية اكثر من طاقتها، نقول ان المسؤولية تتحملها ايضاً الدول العربية فالمسؤولية اذن مسؤولية قومية، انها مسؤولية الانظمة العربية التي تملك قرار الحرب، كما تملك قرار الاستسلام. وان كانت م.ت.ف تملك اوراق التأثير على مستوى الضفة والقطاع وتستطيع ان تخلق في هذه المناطق حالة من التوتر وعدم الاستقرار والازعاج بالنسبة للعدو الصهيوني، فانها لاتستطيع وحدها اتخاذ قرار الحرب والمضي في النضال حتى تحرير كامل فلسطين.

1- تعطينا تجربة المجاهدين الافغان وعصابات الكونترا في نيكاراغوا نموذجين يكشفان لنا النظرة احادية الجانب عند الولايات المتحدة التي تمد هؤلاء بالسلاح وتعارض الكفاح الفلسطيني المسلح في نفس الوقت.

2- قرار رقم 3246 لعام 1974

3- تؤكد من جديد شرعية كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والاجنبية والقهر الاجنبي

(1) فرانز فانون ـ معذبو الارض ـ بيروت ـ 1979 ص 99

1- صلاح خلف ـ فلسطين بلا هوية ـ دار كاظمة للنشر، الكويت ـ ص 69

2- الطلائع (ناطقة باسم منظمة الصاعقة) ـ 8 يونيو 1970

3- انظر النص الكامل للبيان في: مجلة وطني، تصدرها م.ت.ف ـ عدد 58 ـ نوفمبر 85

ملاحظات حول القيادات الفلسطينية

في الضفة الغربية وقطاع غزة

د. زياد أبو عمرو*

يعتبر موضوع القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة من اكثر الموضوعات اثارة للجدل في سياق دراسة السياسة الفلسطينية. فقد تسبب الاحتلال الاسرائيلي ومانجم عنه من غياب لحرية التعبير السياسي والتمثيل السياسي الحر في تعطيل بروز قيادات فلسطينية شرعية وواضحة المعالم في الاراضي المحتلة. كما تسبب ذلك في تعقيد المحاولات الرامية لدراسة هذا الموضوع. ومع اخذ مثل هذه القيود بعين الاعتبار فانه يمكن دراسة القيادات الفلسطينية في الضفة والقطاع على عدد من المستويات. ان احدى الطرق لدراسة هذا الموضوع تكمن في تقسيم هذه القيادات الى اربع شرائح:

١ ـ القادة المحليون لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة.

يقود افراد هذه الشريحة الامتدادات التنظيمية للفصائل الفلسطينية المنضوية تحت لواء م.ت.ف داخل الاراضي المحتلة. ويتمتع افراد هذه الشريحة بقدر واسع من النفوذ حيث يقر عدد كبير من السكان بشرعيتهم، ليس بالضرورة بسبب مايتمتعون به من مهارات او مزايا قيادية. ولكن اساساً بسبب شرعية انتمائهم وتمثيلهم لتنظيمات م. ت. ف. المختلفة.

وبسبب طبيعة نشاط اعضائها السري او شبه السري ومايلي ذلك من ضرورات الظهور المحدود والحركة التي تتسم بالحرص والانكار العلني لاية علاقة تنظيمية بفصائل م.ت.ف داخل الاراضي المحتلة، فان هذه الشريحة من القيادات غير معروفة، او لايمكن الوصول اليها من قبل ممثلي وسائل الاعلام

---

* د. علوم سياسية ـ استاذ في جامعة بيرزيت ـ له كتاب اصول الحركات السياسية في قطاع غزة والعديد من الابحاث المنشورة.

شعبنا الذي لايعرف اليأس، ولايخيفه الارهاب واصبحنا نؤرخ للانتفاضة بالشهور بدل الايام، ولكن ماذا بعد ذلك؟.

فليسمح لنا المطبلون والمهللون للانتفاضة من بعيد، دون ان يعانوا مايعانيه شعب الانتفاضة، ان نقول ان الانتفاضة قد بدأت تستنفذ اهدافها الدعاوتية والاعلامية، اما اهدافها التحريرية، والتي ماقام المتنفضون الا من اجلها، ويعانون في سبيلها، فانها بحاجة الى توجه جديد واستراتيجية جديدة، وقد آن الآوان لمنظمة التحرير الفلسطينية ان تعيد النظر في سياستها المراهنة على الحل السلمي بأي ثمن.

ولقد اصبحت آفاق التسوية، حتى ضمن الحدود الدنيا للاهداف العربية مسدودة، «واسرائيل» هي التي اغلقت كل الابواب، وان أخطر ماادت اليه سياسة المراهنة على التسوية، هو الغموض الذي اصبح يسيطر على مفهوم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، بل ضياع هذه الحقوق من كثرة ماقدم من تنازلات، واصبح المواطن العربي يتساءل هل حقوق الشعب الفلسطيني هي كل فلسطين من البحر الى النهر كما يقولون، ام انها دولة في الضفة والقطاع، ام انها حكم ذاتي ضمن كونفدرالية مع الاردن ام الخ، وان كانت حقـوق الشعب الفلسـطيني تشمل حقه على كامل ارض فلسطين، فهل ستحضر الولايات المتحدة «واسرائيل» المؤتمر الدولي للتوقيع على اتفاق انهاء دولة العدو الصهيوني، واقامة الدولة الفلسطينية محلها؟. وماهو تفسير «وثيقة ابو شريف» التي وزعت اثناء مؤتمر قمة الجزائر؟

ان فلسـطين كالـطفـل التي تنـازعت عليه امـرأتـان عنـد سيدنا سليمان، لاتقبل القسمة، انها للفلسطينيين لا لغيرهم، وان من يتنازل عن جزء منها، ويقبل بقسمتها، فانه يشكك في حقه على اي جزء.

ولكن حتى لانحمل منظمة التحرير الفلسطينية اكثر من طاقتها، نقول ان المسؤولية تتحملها ايضاً الدول العربية فالمسؤولية اذن مسؤولية قومية، انها مسؤولية الانظمة العربية التي تملك قرار الحرب، كما تملك قرار الاستسلام. وان كانت م. ت. ف تملك اوراق التأثير على مستوى الضفة والقطاع وتستطيع ان تخلق في هذه المناطق حالة من التوتر وعدم الاستقرار والازعاج بالنسبة للعدو الصهيوني، فانها لاتستطيع وحدها اتخاذ قرار الحرب والمضي في النضال حتى تحرير كامل فلسطين.

1- تعطينا تجربة المجاهدين الافغان وعصابات الكونترا في نيكاراغوا نموذجين يكشفان لنا النظرة احادية الجانب عند الولايات المتحدة التي تمد هؤلاء بالسلاح وتعارض الكفاح الفلسطيني المسلح في نفس الوقت.

2- قرار رقم 3246 لعام 1974

3- تؤكد من جديد شرعية كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الاستعمارية والاجنبية والقهر الاجنبي

(١) فرانز فانون ـ معذبو الأرض ـ بيروت ـ 1979 ص 99

1- صلاح خلف ـ فلسطين بلا هوية ـ دار كاظمة للنشر، الكويت ـ ص 69

2- الطلائع (ناطقة باسم منظمة الصاعقة) ـ 8 يونيو 1970

3- انظر النص الكامل للبيان في: مجلة وطني، تصدرها م. ت. ف ـ عدد 58 ـ نوفمبر 85

ملاحظات حول القيادات الفلسطينية

في الضفة الغربية وقطاع غزة

د. زياد ابو عمرو*

يعتبر موضوع القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة من اكثر الموضوعات اثارة للجدل في سياق دراسة السياسة الفلسطينية. فقد تسبب الاحتلال الاسرائيلي ومانجم عنه من غياب لحرية التعبير السياسي والتمثيل السياسي الحر في تعطيل بروز قيادات فلسطينية شرعية وواضحة المعالم في الاراضي المحتلة. كما تسبب ذلك في تعقيد المحاولات الرامية لدراسة هذا الموضوع. ومع اخذ مثل هذه القيود بعين الاعتبار فانه يمكن دراسة القيادات الفلسطينية في الضفة والقطاع على عدد من المستويات. ان احدى الطرق لدراسة هذا الموضوع تكمن في تقسيم هذه القيادات الى اربع شرائح:

١ ـ القادة المحليون لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة.

يقود افراد هذه الشريحة الامتدادات التنظيمية للفصائل الفلسطينية المنضوية تحت لواء م. ت. ف داخل الاراضي المحتلة. ويتمتع افراد هذه الشريحة بقدر واسع من النفوذ حيث يقر عدد كبير من السكان بشرعيتهم، ليس بالضرورة بسبب مايتمتعون به من مهارات او مزايا قيادية. ولكن اساساً بسبب شرعية انتمائهم وتمثيلهم لتنظيمات م. ت. ف. المختلفة.

وبسبب طبيعة نشاط اعضائها السري او شبه السري ومايلي ذلك من ضرورات الظهور المحدود والحركة التي تتسم بالحرص والانكار العلني لاية علاقة تنظيمية بفصائل م. ت. ف داخل الاراضي المحتلة، فان هذه الشريحة من القيادات غير معروفة، او لايمكن الوصول اليها من قبل ممثلي وسائل الاعلام

---

* د. علوم سياسية ـ استاذ في جامعة بيرزيت ـ له كتاب اصول الحركات السياسية في قطاع غزة والعديد من الابحاث المنشورة.

الاجنبية او ممثلي السفارات والقنصليات في اسرائيل والاراضي المحتلة. وعلى أية حال ليس هناك اهتمام واضح من قبل ممثلي وسائل الاعلام او ممثلي السفارات والقنصليات الاجنبية بهذه الشريحة من القيادات، والتي لايبدي افرادها من طرفهم استعداداً او حماساً لفتح قنوات اتصال مع اجهزة الاعلام والقنصليات الاجنبية ذاتها.

ويتعرض افراد هذه الشريحة في العادة الى عدد من الاجراءات التي تتخذها سلطات الاحتلال الاسرائيلي بحقهم لعقابهم او للحد من نشاطهم كالسجن والاعتقال الاداري والاقامة الجبرية والترحيل.

تتكون هذه الشريحة اساساً من مهنيين وطلاب. وعلى الرغم من ان م. ت. ف تشكل محور ارتكاز افراد هذه القيادة واطار الانتماء الوحيد لديهم، فان الخلافات التي تقع بين فصائل المنظمة في الخارج كثيراً ماتجد طريقها الى صفوف قيادات الداخل هذه.

٢ ـ القادة الوطنيون المستقلون

تتكون هذه الشريحة من عدد صغير من القادة الوطنيين الذين يعارضون علانية وبقوة الاحتلال الاسرائيلي والخطط الامريكية والاردنية الهادفة الى ايجاد تسوية سياسية للصراع العربي ـ الاسرائيلي. وبالاضافة الى ذلك فان هؤلاء القادة قد يتبنون مواقف علنية نافذة لبعض سياسات قادة المنظمة في المنفى وخاصة سياسات قادة حركة فتح. ويقف هؤلاء القادة مواقف متشددة وخاصة فيما يتعلق بالاهداف الثابتة لمنظمة التحرير الفلسطينية المتمثلة في حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه وبناء دولته الفلسطينية المستقلة على ترابه الوطني.

ومع ذلك فان هؤلاء القادة يرفضون علاقة «الوصاية» التي يحاول بعض قادة المنظمة في الخارج فرضها وتكريسها، ويسعون بدلاً من ذلك الى انشاء علاقة بين «الداخل» و «الخارج» تقوم على الاستجابة لمقتضيات النضال الوطني الفعال، مؤكدين على اهمية وحدة هذا النضال ورافضين كل محاولة للفصل بين الشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة وخارجها. ومن ابرز رموز هذه الشريحة من القادة الوطنيين كل من بسام الشكعة، الرئيس المنتخب لبلدية نابلس والمنحى من قبل السلطات الاسرائيلية، وحيدر عبد الشافعي، رئيس جمعية الهلال الاحمر في قطاع غزة.

٣ ـ القادة الدينيون

لم يكن القادة الدينيون قبل انتفاضة شهر ديسمبر عام ١٩٨٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة منخرطين في النشاط الوطني والسياسي بشكل علني او عميق. كما انهم كانوا منقسمين على انفسهم ويدينون بالولاء اما للاردن، او لقادة فتح، او لقيادة جماعة الاخوان المسلمين داخل الاراضي المحتلة وخارجها.

ومع ذلك فقد كان بعض القادة الدينيين اكثر انغماساً في العمل السياسي من غيرهم. ومع تأسيس جماعة «الجهاد الاسلامي» في اوائل الثمانينات اخذ يبرز على الساحة نمط جديد من القيادات الدينية السياسية. قام القادة الدينيون الجدد بالربط بين الدين والسياسة، وبدأوا في خوض مقاومة مسلحة جادة

ضد الاحتلال الاسرائيلي. ولذلك فقد شكل هؤلاء القادة الجدد تحدياً جدياً ليس فقط بالنسبة للقادة الدينين التقليديين، بل ايضاً بالنسبة لبقية شرائح القيادات الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة. استطاع القادة الجدد، من خلال تقديم الاسلام كديانة تحرر، الاستحواذ على تعاطف اعداد متزايدة من السكان. وربما أثبت هؤلاء القادة ان ربط الاسلام بالبندقية يشكل معادلة سحرية لكسب الدعم والتأييد الجماهيريين.

وفرت انتفاضة ديسمبر ١٩٨٧ للقيادات الدينية فرصاً جديدة لاثبات الوجود وتأكيد المصداقية الوطنية التي كانت موضع تساؤل حتى عهد قريب، كما وفرت لها فرص البروز كقيادات يحسب لها الحساب والتأكيد على اهلية تمثيلها لجزء هام من السكان.

٤ ـ الشخصيات الفلسطينية

تتكون هذه الشريحة من مجموعة صغيرة من الرموز (حوالي عشرين او مايزيد قليلاً) التي حظيت في السنوات الأخيرة باعتراف كل من اسرائيل، والقنصليات الاجنبية، والاردن، وبعض قادة فتح بكونها مجموعة تتحدث باسم الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويجري في العادة وصف افراد هذه الشريحة بأنهم معتدلون، ولذلك فهم يتمتعون بقدر من حرية الحركة والتعبير وبدرجة معينة من التحمل الاسرائيلي، بعكس نظرائهم من افراد الشرائح القيادية الاخرى. وسوف تركز هذه المقالة بشكل اساسي على هذه الشريحة من القيادات الفلسطينية والتي يشار اليها بـ «الشخصيات الفلسطينية».

برزت الشخصيات الفلسطينية الى حيز الوجود من خلال عملية انتقاء ضمنية او علنية من قبل بعض قادة حركة فتح في الخارج، او لانهم جاءوا اصلا من بين افراد النخبة السياسية التقليدية التي تتمتع بالدعم الاردني. وقد لعبت القنصليات ووسائل الاعلام الاجنبية والمحلية واسرائيل نفسها دوراً في تلميع هذه الشخصيات. وينظر كل طرف من الاطراف ذات العلاقة بالصراع العربي ـ الاسرائيلي الى هذه الشخصيات الفلسطينية والدور الذي يتوجب ان تقوم به من زاوية معينة.

ينظر اغلبية سكان الاراضي المحتلة الى هذه الشخصيات نظرة معارضة تنكر على هذه الشخصيات حق التحدث باسم، او بالنيابة عن، الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وتتجلى المعارضة لهذه الشخصيات في المواقف التي يتبناها انصار التنظيمات السياسية الرئيسية، بما في ذلك جزء هام من انصار حركة فتح، تلك المواقف التي يجري التعبير عنها من خلال البيانات المكتوبة والتصريحات العلنية التي تصدر عن هذه التنظيمات. وليس هناك ادنى شك بان هذه التنظيمات التي تنضوي تحت لواء م. ت. ف تتمتع في مجموعها بدعم جماهيري لاتتمتع به اية جهة أخرى داخل الاراضي المحتلة.

ويأتي اعتراض التنظيمات الرئيسية في الداخل على هذه الشخصيات على خلفية عدم اهليتها او قدرتها او حقها في التمثيل باعتبارها لاتشكل جزءاً من الاطر التنظيمية القائمة، وعلى خلفية ممارساتها وولائها المزدوج احياناً، وبسبب الدور اللاصدامي الذي تقوم به والاتصالات التي تجريها مع جهات معادية، وبسبب الخوف من قيام هذه الشخصيات، سعياً وراء مصالحها الذاتية او خدمة لجهة أخرى، بالالتفاف على الاهداف الوطنية المشروعة التي يناضل الشعب الفلسطيني من اجلها والمتمثلة في حق تقرير

المصير واقامة الدولة المستقلة بقيادة م. ت. ف. الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وفيما يتعلق بموقف قيادة م. ت. ف. في الخارج فان معظم قادة المنظمة، فيما عدا بعض قادة فتح، يشاركون تنظيماتهم الموقف المعارض من هذه الشخصيات، ولايتفقون مع رأي قادة فتح بجدوى الاعتدال او استخدام مثل هذه الشخصيات وتجيير الدور الذي تقوم به لصالح القضية الوطنية كما تراها م. ت. ف. ومع ذلك فان موقف المعارضة الخارجية هذا لايتساوى في حدته بالموقف المعارض للتنظيمات في الداخل. وربما اعتقدت بعض قيادات الفصائل الاخرى في الخارج بامكانية استخدام هذه الشخصيات في احوال محددة كبالونات اختبار. وتكمن جدوى هذه الشخصيات بالنسبة لبعض قادة فتح، بالاضافة الى القيام بالدور المشار اليه، في كونهم يشكلون قيادات محلية مأمونة الجانب، وفي مدى ولائهم لاولئك القادة واطاعة تعليماتهم وعدم المبادرة بالقيام باي عمل او تحرك دون تعليمات مسبقة.

اما موقف الاردن من هذه الشخصيات فهو ينسجم مع توجه النظام بضرورة الحفاظ داخل الاراضي المحتلة على قيادات محلية موالية تدافع عن، او تتعاطف مع، وجهة النظر الاردنية التي تسعى الى ربط مصير هذه الاراضي بالاردن في اية تسوية مستقبلية.

وفيما يتعلق بكل من اسرائيل والولايات المتحدة والعديد من دول اوروبا الغربية فهذه من طرفها تحبذ وجود قيادات محلية (قيادة بديلة) اقل ارتباطاً بمنظمة التحرير الفلسطينية واكثر تعاطفاً مع الاردن. وتعكس هذه النظرة موقف هذه الاطراف من التسوية المستقبلية المطلوبة للقضية الفلسطينية حيث تنادي هذه الاطراف بتسوية تربط الاراضي المحتلة بالاردن وتستثني م. ت. ف وكل ماتجسده من مطالب، وخاصة اقامة دولة فلسطينية مستقلة.

ان اهم وظيفة تؤديها الشخصيات الفلسطينية هي القيام بمقابلة المسؤولين الاجانب الذين يأتون لزيارة اسرائيل والاراضي المحتلة وابلاغهم بما يوصف بانه موقف الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وكيفية تسويتها. وعلى الرغم من صعوبة تحديد جدوى او عدم جدوى الدور الذي تقوم به هذه الشخصيات (حيث تختلف وجهات النظر في هذا السياق)، فانه يمكن القول، وبشكل عام، بان هذه الشخصيات والدور الذي تقوم به لاتتمتع بدعم اغلبية الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وحقيقة الامر ان هذه الشخصيات تتعرض دائماً للنقد الشديد وفي بعض الاحيان الى العقاب الجسدي او المادي من قبل نفس الجهة التي يدعون بأنهم يعبرون عن آرائها.

يمكن تقسيم الشخصيات الفلسطينية الى ثلاث شرائح: الاولى تدعي الولاء لمنظمة التحرير الفلسطينية، والثانية تدين بالولاء للاردن، والثالثة تغازل كل من المنظمة والاردن في نفس الوقت وحسب ماتمليه الظروف.

أ ـ الشريحة الموالية لمنظمة التحرير الفلسطينية:

تتكون الشريحة الموالية لمنظمة التحرير الفلسطينية من مجموعة من الصحفيين والاكاديميين والمحامين ومن مهنيين آخرين. وبما ان افراد هذه الشريحة يتصرفون اساساً بناءاً على مايصلهم من توجيهات وتعليمات من بعض قادة حركة فتح في الخارج فانه من الصعب قياس، او التأكد من، حقيقة قناعاتهم وافكارهم ومواقفهم وعمق التزامهم بالقضية الوطنية كافراد. ومن ابرز افراد هذه الشريحة، استناداً الى تكرار حضور

هذه الشخصيات لاجتماعات او ظهورها في مناسبات عامة، كل من حنا سنيوره، المحرر المسؤول لجريدة «الفجر» المقدسية، وفايز ابو رحمة، نقيب المحامين في قطاع غزة، وسري نسيبه، المحاضر في جامعة بيرزيت، ومصطفى عبد النبي النتشه، رئيس بلدية الخليل المنحى* وتأتي هذه الشخصيات من مناطق مختلفة من الضفة والقطاع. وهي بذلك تعكس نوعاً من التوزع الجغرافي. فسنيوره ونسيبه يأتيان من القدس، ويأتي النتشه من الخليل، بينما يأتي ابو رحمه من قطاع غزة.

يفتقد افراد الشريحة الموالية للمنظمة القدرة على المبادرة الشخصية ويلتزمون دائماً بالمواقف التي تملى عليهم من الخارج**. ومع ذلك فان هناك بعض المواقف التي اتخذها نفر منهم في مناسبات محددة والتي اعتبرت خارجة عن هامش الحركة الممنوحة لهذه الشخصيات. نذكر على سبيل المثال اطروحة سري نسيبه التي تقول انه اذا ماخير فلسطينيو الضفة والقطاع بين الحكم الذاتي او الحاقهم باسرائيل فانه من الافضل لهم اختيار الالحاق. والجدير بالذكر ان نسيبه قد قدم اطروحته هذه قبل ان يصبح شخصية موالية للمنظمة ومعترف بها من الاطراف المختلفة. ولكن الاشهر الاخيره شهدت تحولاً واضحاً في موقف نسيبه حيث اصبحت افكاره اكثر انسجاماً مع المواقف المعلنة التي يتبناها قادة فتح والتي تنادي باقامة الدولة الفلسطينية واعتبار المنظمة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. وبعد اكتمال عملية الاحتواء سيكون من الصعب على نسيبه او غيره التقدم باطروحات غير مقرة سلفاً من قبل قادة فتح. وهناك مثال آخر تجسد في قيام حنا سنيوره بالاعلان عن امكانية خوضه معركة الانتخابات لبلدية القدس «الموحدة». وكان من الواضح ان هذا الموقف لاينسجم والمواقف المعلنة لقادة فتح.

ان السمة الطاغية على نشاط هذه الشخصيات هي قيامها بدور الوسيط لنقل او توصيل افكار من والى م. ت. ف ولكن هذه الشخصيات تعطى في بعض الاحوال هامشاً من الحرية لكي تتحسس مواقف الاطراف الاخرى، او لكي تقوم بعملية تفاوض ضيقة النطاق كما كانت الحال في الاتصالات التي جرت بين مجموعة من هذه الشخصيات* وموشيه عميراف، العضو البارز في قيادة حركة حيروت (وهي الجبهة التي تمثل الاتجاه المتطرف في حزب الليكود). وفي كل الاحوال يظل مصير ومستقبل افراد هذه الشريحة الموالية للمنظمة مرتهنا بما يقرره بعض قادة فتح الذين يشملون هذه الشخصيات بالرعاية.

ب ـ تتكون هذه الشريحة من عدد من الشخصيات التقليدية. ومن ابرز رموزها حكمت المصري، نائب رئيس مجلس النواب الاردني، والياس فريج، رئيس بلدية بيت لحم المنتخب، ورشاد الشوا، رئيس بلدية غزة المعين والمقال. وتشمل هذه الشريحة عدداً آخر من الشخصيات من اصحاب المهن كعثمان الحلاق (كيميائي) وعصام العناني (محام) اللذين يملكان ويديران صحيفة «النهار» المقدسية الموالية للاردن. وينطبق مبدأ التمثيل الجغرافي على افراد هذه الشريحة ايضاً. فالمصري يأتي من نابلس، وفريج من بيت لحم، والشوا من غزة، والحلاق من القدس.

ويتمتع افراد هذه الشريحة بقدر وافر من الصلاحيات بالقياس مع نظرائهم من الشريحة الموالية للمنظمة. ومع ذلك فان افكارهم ومواقفهم تتطابق مع المواقف الاردنية الرسمية. وحيث ان موقف الاردن من شكل التسوية السياسية المطلوبة واضح ومحدد، فقد سهل ذلك على الشخصيات الموالية للاردن التعبير عن افكارها ومواقفها السياسية بشكل متماسك. ولاتواجه هذه الشخصيات المعضلة التي تواجهها

الشخصيات الموالية للمنظمة التي يتوجب عليها تغيير مواقفها كلما تغيرت او تقلبت مواقف قادة المنظمة**

يتبع افراد هذه الشريحة سياسة توفيقية واضحة ليس بالضرورة نتيجة لقناعات بجدوى مثل هذه السياسة بمقدار ماهو نتيجة لما تمليه المصلحة الذاتية لافراد هذه الشريحة. ويتحاشى افرادها اخذ موقف واضح لصالح اي من الطرفين، المنظمة او الاردن، الا اذا اصبح ذلك امراً لامفر منه، ودون ان يعني ذلك ثباتاً في الموقف. فاذا مارجح ميزان القوة لصالح طرف من الطرفين بشكل قاطع سيغير افراد هذه الشريحة مواقفهم بما يمليه منطق المصلحة الذاتية او الحكمة السياسية اللازمة للمحافظة على البقاء. ويعتبر محمود ابو الزلف، رئيس تحرير جريدة «القدس» المقدسية التعبير الامثل عن واقع هذه الشريحة. فقبل حوالي السنتين كان ابو الزلف محسوباً على الشريحة الموالية للاردن. ولكن وعندما قامت الاردن باحتضان شخصيتين بديلتين، عثمان الحلاق وعصام العناني، اللذين قاما بتأسيس جريدة «النهار» لتنافس جريدة «القدس» في الولاء للاردن، انتقل ابو الزلف الى شريحة الشخصيات الموالية للمنظمة معبرا بذلك عن احتجاجه على كسر احتكاره للصحافة الموالية للاردن في الضفة الغربية وماترتب على ذلك من افتقاده لجزء من النفوذ واشكال الفائدة الاخرى. ومع ذلك واذا ماطرأ تغير في الظروف فمن غير المستبعد ان يعود ابو الزلف الى الشريحة الموالية للاردن. ان انتهازية هذه الشريحة وافتقادها للالتزام الثابت يجعلها اقل اهمية من الشريحتين الاخريين الموالتين للمنظمة والاردن على التوالي.

وعلى الرغم من اختلاف الشخصيات الموالية للمنظمة مع تلك الموالية للاردن حول بعض القضايا، فان المجموعتين تدعوان الى قيام علاقة من التفاهم والتنسيق بين المنظمة والاردن. ويشكل ذلكم قاسماً مشتركاً بين الشريحتين واساس علاقة كل منها بالمنظمة والاردن. ومع ذلك يسيطر على العلاقة بين الشريحتين قدر من التنافس. فكل مجموعة تسعى الى انتزاع المكاسب من المجموعة الاخرى لصالح الطرف الذي تدين له بالولاء. وفي بعض الاحيان تغطي علاقة التنافس هذه على الهدف المشترك المعلن والمتمثل في نقل موقف محدد لمسؤول اجنبي تقوم هذه الشخصيات بالاجتماع به.

وعلى الرغم من ذلك فقد طورت الشخصيات الموالية للمنظمة وتلك الموالية للاردن طريقة للتعايش تتسم بالتحمل المتبادل الذي يفوق في درجته هامش التحمل القائم والمعلن بين الاردن والمنظمة. فقد استمرت الشريحتان الموالياتان للمنظمة والاردن بالعمل سوياً على الرغم من قيام الملك حسين بانهاء التنسيق السياسي مع قيادة المنظمة في شهر فبراير (شباط) عام ١٩٨٦، وقيام عرفات بالغاء الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني في شهر ابريل (نيسان) عام ١٩٨٧ والذي كان قد تم التوقيع عليه في شهر فبراير (شباط) عام ١٩٨٥. ولم يحدث الطلاق بين الملك حسين وعرفات طلاقاً موازياً بين اتباعهما من الشخصيات الفلسطينية*

ويمكن ارجاع قدرة الشريحتين الموالتين لكل من الملك حسين وعرفات على الاستمرار في العمل سوياً الى اجماعهما على ضرورة استمرار التفاهم الاردني ـ الفلسطيني. وتجد كل من المنظمة (والاشارة بالتحديد هي الى بعض قادة فتح) والاردن ان استمرار مثل هذه العلاقة بين اتباعهما اوفر آلية للاتصال والحوار عندما تتعطل القنوات الرسمية بين الطرفين. وفوق ذلك فان الظروف التي تعيش في ظلها الشخصيات الفلسطينية في الاراضي المحتلة تحتم عليها التعايش والعمل سويا. فهذه الشخصيات غالباً

ماتدعى الى نفس الاجتماعات والمناسبات (حفلات الاستقبال في القنصليات مثلاً)، الامر الذي يعني ان على هذه الشخصيات احترام رغبات الجهة المضيفة (التي تحبذ التعايش بين هذه الشخصيات) والالتزام بأسلوب من التعامل (الحضاري) فيما بينهما.

على الرغم من قيام بعض الجهات بوصف الشخصيات الفلسطينية في الضفة والقطاع على انها «قيادات» وعلى الرغم من بعض الصلاحيات التي تمنح لهذه الشخصيات من قبل قادة فتح والاردن، فان هذه الشخصيات لاتتمتع بدعم اغلبية السكان في الاراضي المحتلة. فليس لهذه الشخصيات قواعد ودعم جماهيرية خاصة بها. ان مثل هذا الوضع يلقي بالشكوك حول مستقبل هذه الشخصيات كقيادات، لان القادة، ومن الناحية النظرية على الاقل، هم بحاجة الى قاعدة دعم يستمدون منها صفتهم التمثيلية. واذا ماقامت الاردن او قادة فتح برفع الدعم والرعاية والحماية عن هذه الشخصيات فان صفة القيادة سوف تحجب عن معظم هذه الشخصيات وستفقد اي اساس لاعتبارها قيادات.

لم تأتِ معظم هذه الشخصيات الى وضعها «القيادي» الراهن نتيجة التعبير عن ارادة جماهيرية، كالانتخاب مثلاً. وحتى من انتخب منها لم يجر اختيار صفته التمثيلية مرة اخرى لعدم توفر فرص اجراء الانتخابات مرة أخرى. ان عملية التمثيل السياسي لايمكن فصلها بشكل قسري عن قاعدتها المادية المتمثلة بالقاعدة الانتخابية. وان غياب القاعدة الانتخابية حرر هذه الشخصيات من مسؤولية العودة الى الناخبين ومن مسائلة هؤلاء الناخبين. وبدلاً من ذلك تقوم هذه الشخصيات بالعودة الى الجهات التي اوجدتها او ترعاها وتقدم لها التقارير عن ادائها.

وتفتقد هذه الشخصيات الدعم الجماهيري ايضاً بسبب الادوار الموكل اليها والتي تشمل احياناً اجراء الاتصالات مع جهات معادية (اسرائيلية او امريكية) الامر الذي ينتقص من مصداقية هذه الشخصيات الوطنية.

وبسبب افتقاد هذه الشخصيات لمصادر الدعم الجماهيري فمن غير المتوقع ان تستطيع هذه الشخصيات بناء مصادر للشرعية خاصة بها ومستقلة عن الاردن او عن قادة فتح. ان ذلكم يعني ان الشخصيات الموالية للمنظمة سوف تندثر او تصبح موالية للاردن اذا ماكتب للاردن الفوز في اية مواجهة رئيسية مع المنظمة.

ولانها غير منتخبة ولا تملك مصادر القوة ولطبيعة عملها كوكيله لاطراف اخرى تفتقد الشخصيات المحلية الاصالة والجرأة للتعبير عن قناعاتها. فقد امتنعت هذه الشخصيات عن الاجتماع بوزير الخارجية الامريكي، جورج شولتس، اثناء زيارته لاسرائيل في شهر اكتوبر (تشرين الاول) عام 1987. كما انها امتنعت عن اللقاء به عندما جاء الى المنطقة بخطة جديدة لتسوية الصراع في اواخر شهر فبراير (شباط) عام ١٩٨٨. وفي الحالتين لم تمتنع هذه الشخصيات عن اللقاء بشولتز لقناعاتها بعدم جدوى اللقاء به، او لعدم رغبتها في ذلك، بل لانها كانت تخشى ردة الفعل الجماهيرية واستجابة لتحذيرات القوى الوطنية في الضفة والقطاع ودعوتها لمقاطعة شولتس وعدم الالتقاء به. وقد عبر الياس فريج، رئيس بلدية بيت لحم، عن هذا الموقف افضل تعبير. فقد نقل عنه في صحيفة الجيروزاليم بوست الاسرائيلية بتاريخ ١٩٨٨/٣/١ قوله: «ان كان هناك اعصار (والاشارة هي الى الانتفاضة) يتوجب على المرء ان يتنحى جانباً، وعلى الجميع

استخلاص العبر مما حدث في قباطيه (وهي البلدة التي قامت الجماهير فيها باعدام احد المتعاونين مع السلطات الاسرائيلية)».

وقد تضعضع موقف هذه الشخصيات بشكل اوضح في المواقف التي تبنتها اثناء انتفاضة ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٨٧ . فقد قامت هذه الشخصيات وخاصة الموالية للاردن منها بالخروج عن المألوف لتنفي عن نفسها أية صفة تمثيلية . فعلى سبيل المثال اعلن كل من فريج والشوا بانه ليس بمقدور اية قيادة محلية ان تفاوض بالنيابة عن الفلسطينيين.

ان مثل هذا الموقف ينتقص من مكانة هذه الشخصيات عند الدوائر والجهات التي عولت عليها منذ سنوات ويصيبها بخيبة الامل (القنصليات، الولايات المتحدة والدول الاوروبية والحكومة الاسرائيلية، والى حد ما الاردن) . فهذه الشخصيات لم تتمكن من اداء الدور المتوقع والمطلوب وقت الحاجة . انها لم تتحول الى قيادة بديلة لمنظمة التحرير داخل الاراضي المحتلة . حتى ان اسرائيل نفسها لم تعد تعتبر هذه الشخصيات، خاصة بعد وقوع الانتفاضة، قادرة على لعب اي دور هام . يتضح ذلك من تصريح وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، بأن اسرائيل تنتظر بروز قيادات جديدة، قادرة على التحدث باسم الفلسطينيين في الاراضي المحتلة .

وعلى الرغم من ان الشخصيات الفلسطينية اصبحت تشكل مجموعة من السياسيين المحترفين او شبه المحترفين، فان عددا قليلاً جداً منها هو في واقع الامر سياسي محترف . فهذه الشخصيات تفتقد مقومات ومهارات الاحتراف السياسي كما تفتقد الحنكة والرصانة السياسية . فعلى سبيل المثال تبدو هذه الشخصيات مستعدة للقاء كل من عبر عن الرغبة في لقائها دون ان تضع اية شروط مسبقة او ان تحاول التيقن من الدوافع والمرامي الحقيقية لكل من يريد لقائها . فربما سعى مسؤول اجنبي مثلا الى لقاء الشخصيات الفلسطينية لاعتبارات سياسية او انتخابية في بلده، او لكي يوضح لخصومه السياسيين بانه ملم بخبايا الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وانه يتبنى مواقف مبنيه على المعرفة والخبرة، وان هذه المعرفة مستمدة من طرفي الصراع، وان موقف هذا المسؤول يتسم بالعدالة المتمثلة في لقائه بقادة طرفي الصراع .

وحتى اذا ماقام مسؤول اجنبي بتجاهل الشخصيات الفلسطينية كلها، او بعضها فان هذه الشخصيات تسعى الى طلب ترتيب اللقاء به من خلال قنصلية او سفارة بلده . وفوق ذلك فان عدداً من المسؤولين الاجانب الذين يأتون لزيارة اسرائيل وعلى هامش هذه الزيارة تسعى قنصلياتهم لترتيب لقاءات لهم على وجه السرعة مع شخصيات فلسطينية . ويجري ترتيب اللقاءات بين الشخصيات الفلسطينية والمسؤولين الاجانب عن طريق القنصليات او السفارات حيث تعد في برهة قصيرة نسبياً قوائم بأسماء مدعوين محتملين ترسل اليهم الدعوات في الساعات الاخيرة . ان مثل هذا التصرف من شأنه ان يسيء الى الشخصيات الفلسطينية نفسها، اذ انه ينم عن عدم احترام للذات او للشعب الذي تدعي هذه الشخصيات تمثيلية .

وبسبب طبيعة الادوار الموكل اداؤها لهذه الشخصيات، ولانهم لايخبرون فن السياسة جيداً، فان هذه الشخصيات هي في هذا المجال محدودة وتفتقد القدرة على الابداع، لاتستطيع الشريحة الموالية للمنظمة مثلاً ان تناور في مواقعها بسهولة بدون ان يتسبب ذلك في الابتعاد عن المواقف الثابتة والمعلنة

للمنظمة . ولذلك فان مواقف هذه الشريحة وتصريحاتها اصبحت مكرره بشكل يثير الملل وتفتقد القدرة على شد الانتباه . وقد اصبحت اهمية هذه الشريحة تتضاءل مع ازدياد الدول الاجنبية والرأي العام العالمي الماماً بحقيقة القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني ومطالبه المشروعة .

اما الشريحة الموالية للاردن فهي بطبيعتها محافظة على الرغم من قدرتها على التعبير عن موقفها بشكل ادق . وتخضع هذه الشريحة للقيود المفروضة عليها من الاردن ومن منظمة التحرير . وتعاني الشريحتان من القيود المفروضة عليهما من القوى الوطنية في الضفة الغربية وقطاع غزة . ففي ذهن الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة تتمتع الشخصيات بدعم بعض قادة فتح، والاردن، وتتمتع بتحمل اسرائيل لها . ان مثل هذا الوضع يثير تساؤلات قطاعات واسعة من السكان ومن قطاعات اخرى .

وفوق ذلك فان مواقف هذه الشخصيات يتسم في احيان عديدة بالتناقص الواضح . فهي في يوم تنادي بشيء ما وفي يوم آخر تنادي بعكسه . فبعد الخلاف الذي وقع بين عرفات والملك حسين اعلن الشوا من على التلفزيون الاردني بان اغلبية الفلسطينيين في الضفة والقطاع تحبذ علاقة وثيقة مع الاردن، وان هذه الاغلبية تعاني من ارهاب المنظمة . وفي خلال الانتفاضة الاخيرة غير الشوا موقفه واعلن بأنه لاقيادة محلية تستطيع ان تأخذ مكان الممثل الشرعي للفلسطينيين .

اما حنا سنيوره فقد اعلن قبل الانتفاضة ببضعة شهور عن امكانية خوضه لانتخابات بلدية القدس، ولكنه دعا اثناء الانتفاضة الى بداية حالة من العصيان المدني، ودعى سري نسيبه، الذي ينادي الى عهد قريب باندماج الفلسطينيين في المجتمع الاسرائيلي، في بيان قرأه بالنيابة عن المؤسسات والشخصيات الوطنية الفلسطينية (بما في ذلك نسيبه نفسه) الى انهاء الاحتلال عن الضفة الغربية وقطاع غزة .

ان احد اسباب موقف الاستنكار من قبل الفلسطينيين في الضفة والقطاع تجاه هذه الشخصيات يكمن في قيامها بالحديث باسم الشعب الفلسطيني الذي لايرى فيها قيادة اصيلة له ودون ان يطلب اليها ذلك . وليس لهذه الشخصيات اية علاقة بالانتفاضة ومع ذلك نجدها تهب للحديث باسمها في محاولة لاكتساب المصداقية الوطنية او تعزيز النفوذ . وتنظر القوى الوطنية الى هذا التوجه بقدر من الخطورة . ان تصدي هذه الشخصيات او بعضها للحديث باسم الانتفاضة سيعين بروز وتطور موقف اسرائيلي اقرب الى الواقع وسيوفر لاسرائيل الاعذار لتجاهل القيادات الحقيقية في الاراضي المحتلة .

ولهذه الاسباب تتعرض هذه الشخصيات للهجوم من قبل موقف الجماعات الوطنية في الضفة الغربية والقطاع . ولكن، لان قادة فتح اخذوا على عاتقهم تقديم ضمانات بالحماية، فان هذه الشخصيات لاتتعرض للايذاء الجسدي او المادي . الا اذا قامت بتجاوز «الخط الاحمر» . ومع ذلك فإن ضمانات قادة فتح بالحماية لاتفلح دائماً في الحيلولة دون انزال العقوبات بهذه الشخصيات . نشير في هذا السياق الى اغتيال ظافر المصري، واحراق سيارات حنا سنيوره، والاعتداء بالضرب على سري نسيبه .

ولان الشخصيات الفلسطينية غير متجانسه سياسياً فان نشاط هذه الشخصيات لايتسم بقدر كاف من التنسيق او التخطيط . فعلى سبيل المثال وفي اكثر من مناسبة قام افراد ينتمون الى الشريحتين المذكورتين بتبني مواقف متعارضه اثناء لقاءات تمت مع مسؤولين اجانب . وفي مناسبات اخرى تخلى افراد هذه الشريحة

او الاخرى عن حضور لقاءات لاسباب سياسية (كما حدث اثناء زيارة تاتشر عام ١٩٨٦) حيث قاطعها عدد من الموالين للمنظمة) او رفضوا التوقيع على مذكرات او عرائض (كما فعل الياس فريج اكثر من مره).

ومن غير المتوقع ان تحسم مثل هذه الخلافات بين افراد الشريحتين بسبب عدم التجانس في الخلفيات والمواقف السياسية وبسبب حالة التنافس القائمة بينهما.

ومن اهم مظاهر تصور الشخصيات الفلسطينية هي انها مقتصرة في ولائها اما للاردن او لبعض قادة فتح او للجهتين معاً. فليس هناك شخصية واحدة محسوبة على اي فصيل فلسطيني اخر كالجبهة الشعبية او الجبهة الديمقراطية او الحزب الشيوعي الفلسطيني او منظمة فلسطينية اخرى.

ان هذا الامر لايخفي على الفلسطينيين في الضفة والقطاع، ولذلك فهم لايعلقون آمالاً عريضة على هذه الشخصيات وعلى ماتقوم بعقده من اجتماعات. وحقيقة الامر هي ان الشعب في الاراضي المحتلة ينظر الى هذه الشخصيات واجتماعاتها بعين الريبة والشك. كما ان هذا الامر لايخفي على القنصليات والسفارات الاجنبية واجهزة الاعلام المحلية والاجنبية التي تعرف حق المعرفة ان هذه الشخصيات لاتمثل الا نفسها او شريحة ضيقة للغاية من السكان في الاراضي المحتلة، بالاضافة الى كونها قنوات اتصال بين بعض قادة فتح وبين الاطراف الاخرى.

وطالما ظل الاحتلال قائما وطالما لم تنشأ قيادة فلسطينية وطنية اصيلة في الضفة والقطاع، فان الشخصيات الفلسطينية ستظل أغلب الظن موجوده ولكن تحت رحمة كل من المنظمة والاردن واسرائيل والفصائل الوطنية في الضفة الغربية والقطاع.

---

* كان النتشه نائباً لرئيس البلدية المنتخب فهد القواسمة. وعند ابعاد القواسمة اصبح النتشه قائماً باعمال الرئيس.

* * اورد في هذا السياق مثالاً واضحاً عن غياب عنصر المبادرة لدى هذه الشخصيات. ففي زيارة جورج شولتس الاخيرة للمنطقة في اواخر فبراير (شباط) ١٩٨٨ وفي اعقاب رفض الشخصيات الفلسطينية مقابلته (بناء على طلب من قيادة المنظمة في الخارج وتهديد الفصائل الوطنية في الداخل) قام شولتس بتوجيه كلمة الى الفلسطينيين يناشدهم فيها عدم تفويت فرصة هامة للتوصل الى تسوية للصراع ويحمل الفلسطينيين صراحة مسؤولية وضع العراقيل امام هذه التسوية بعدم قيامهم بالاجتماع به. كان بامكان هذه الشخصيات لو كانت تمتلك المبادرة ان تقوم مجتمعة بالاعلان في مؤتمر صحفي وفي نفس المكان وامام كاميرات التلفزيون العالمية برفض تحميل شولتس المسؤولية لها في عرقلة جهود التوصل الى تسوية عادلة وتذكر للرأي العام المحلي والعالمي الاسباب الوجيهة التي دعتها للامتناع عن لقاء شولتس.

* الشخصيات الفلسطينية التي شاركت في هذا الاجتماع هي سري نسيبه، وفيصل الحسيني، رئيس جمعية الدراسات العربية بالقدس، وصلاح زحيقة، المحرر في جريدة الشعب المقدسية.

* * نورد على سبيل المثال لا الحصر الموقف من العلاقة الاردنية ـ الفلسطينية وموضوع الكونفدرالية مع الاردن والذي شكل الى عهد قريب موقفاً رسمياً لقادة فتح. ولكن هذا الموقف مالبث ان تغير في اثناء الانتفاضة وصاحبه تصريح لعرفات يقول بانه على استعداد لاقامة علاقة كونفدرالية مع اسرائيل. ثم ان عرفات عبر اكثر من مرة عن استعداده للتفاوض مباشرة مع اية جهة اسرائيلية تقبل بالجلوس معه.

* من المفترض ان تؤدي خطوة الملك حسين بفك العلاقة القانونية والادارية الى اصطفافات جديدة على هذا الصعيد، غير انه لم يتبلور شيء محدد حتى تاريخ كتابة هذا المقال.

مثقف منظمة التحرير الفلسطينية:
دراسة في اشباه المثقفين

غالب هلسا*

تمهيد

كنت في السابق أكثر تفاؤلاً مني الآن، اذ كنت أقول، وأصرح بذلك أكثر من مرة، ان الانظمة العربية تقوم كل عشر سنوات بتصفيه زهرة الامة ـ كنت أعني الانتلجنسيا بالتحديد ـ تصفيتهم جسدياً، أو روحياً، يرافق هذا الحصاد الموسمي قيام اسرائيل بهجوم على الدول العربية ينتج عنه داخل كل بلد عربي، مزيد من القمع، ومزيد من مصادرة الحريات، تحت شعار: كل شيء من أجل المعركة مع العدو.

الدوران متكاملان: الانظمة تقتل خير أبنائها، واسرائيل تقدم المبرر وتخلق الجو الملائم. المصالح، كذلك، موحدة. فالفئات والطبقات التي تسعى الى تصفية الكيان الصهيوني، تعلم أن طريقها الى ذلك يمر عبر تصفية الكومبرادور العربي.

اعتقدت هذا عندما كنت متفائلاً، وصرحت به لصحيفة المحرر المغربية في عام ١٩٨٧ عندما كنت أعمل في بغداد. وقد قلت أيضاً: «والآن جاء موسم الحصاد في العراق». اذ تصورت ان الحملة الشرسة التي يشنها النظام في العراق ضد الشيوعيين والمثقفين عموماً سوف تنتهي بعد ستة شهور.

---

* روائي وناقد معروف من الاردن.

او الاخرى عن حضور لقاءات لاسباب سياسية (كما حدث اثناء زيارة تاتشر عام ١٩٨٦) حيث قاطعها عدد من الموالين للمنظمة) او رفضوا التوقيع على مذكرات او عرائض (كما فعل الياس فريج اكثر من مره).

ومن غير المتوقع ان تحسم مثل هذه الخلافات بين افراد الشريحتين بسبب عدم التجانس في الخلفيات والمواقف السياسية وبسبب حالة التنافس القائمة بينهما.

ومن اهم مظاهر تصور الشخصيات الفلسطينية هي انها مقتصرة في ولائها اما للاردن او لبعض قادة فتح او للجهتين معاً. فليس هناك شخصية واحدة محسوبة على اي فصيل فلسطيني اخر كالجبهة الشعبية او الجبهة الديمقراطية او الحزب الشيوعي الفلسطيني او منظمة فلسطينية اخرى.

ان هذا الامر لايخفى على الفلسطينيين في الضفة والقطاع، ولذلك فهم لايعلقون آمالاً عريضة على هذه الشخصيات وعلى ماتقوم بعقده من اجتماعات. وحقيقة الامر هي ان الشعب في الاراضي المحتلة ينظر الى هذه الشخصيات واجتماعاتها بعين الريبة والشك. كما ان هذا الامر لايخفى على القنصليات والسفارات الاجنبية واجهزة الاعلام المحلية والاجنبية التي تعرف حق المعرفة ان هذه الشخصيات لاتمثل الا نفسها او شريحة ضيقة للغاية من السكان في الاراضي المحتلة، بالاضافة الى كونها قنوات اتصال بين بعض قادة فتح وبين الاطراف الاخرى.

وطالما ظل الاحتلال قائماً وطالما لم تنشأ قيادة فلسطينية وطنية اصيلة في الضفة والقطاع، فان الشخصيات الفلسطينية ستظل أغلب الظن موجوده ولكن تحت رحمة كل من المنظمة والاردن واسرائيل والفصائل الوطنية في الضفة الغربية والقطاع.

---

* كان النتشه نائباً لرئيس البلدية المنتخب فهد القواسمة. وعند ابعاد القواسمة اصبح النتشه قائماً باعمال الرئيس.

* * اورد في هذا السياق مثالاً واضحاً عن غياب عنصر المبادرة لدى هذه الشخصيات. ففي زيارة جورج شولتس الاخيرة للمنطقة في اواخر فبراير (شباط) ١٩٨٨ وفي اعقاب رفض الشخصيات الفلسطينية مقابلته (بناء على طلب من قيادة المنظمة في الخارج وتهديد الفصائل الوطنية في الداخل) قام شولتس بتوجيه كلمة الى الفلسطينيين يناشدهم فيها عدم تفويت فرصة هامة للتوصل الى تسوية للصراع ويحمل الفلسطينيين صراحة مسؤولية وضع العراقيل امام هذه التسوية بعدم قيامهم بالاجتماع به. كان بامكان هذه الشخصيات لو كانت تمتلك المبادرة ان تقوم مجتمعة بالاعلان في مؤتمر صحفي وفي نفس المكان وامام كاميرات التلفزيون العالمية برفض تحميل شولتس المسؤولية لها في عرقلة جهود التوصل الى تسوية عادلة وتذكر للرأي العام المحلي والعالمي الاسباب الوجيهة التي دعتها للامتناع عن لقاء شولتس.

* الشخصيات الفلسطينية التي شاركت في هذا الاجتماع هي سري نسيبه، وفيصل الحسيني، رئيس جمعية الدراسات العربية بالقدس، وصلاح زحيقة، المحرر في جريدة الشعب المقدسية.

* * نورد على سبيل المثال لا الحصر الموقف من العلاقة الاردنية ـ الفلسطينية وموضوع الكونفدرالية مع الاردن والذي شكل الى عهد قريب موقفاً رسمياً لقادة فتح. ولكن هذا الموقف مالبث ان تغير في اثناء الانتفاضة وصاحبه تصريح لعرفات يقول بانه على استعداد لاقامة علاقة كونفدرالية مع اسرائيل. ثم ان عرفات عبر اكثر من مرة عن استعداده للتفاوض مباشرة مع اية جهة اسرائيلية تقبل بالجلوس معه.

* من المفترض ان تؤدي خطوة الملك حسين بفك العلاقة القانونية والادارية الى اصطفافات جديدة على هذا الصعيد، غير انه لم يتبلور شيء محدد حتى تاريخ كتابة هذا المقال.

مثقف منظمة التحرير الفلسطينية:

دراسة في اشباه المثقفين

غالب هلسا*

تمهيد

كنت في السابق أكثر تفاؤلاً مني الآن، اذ كنت أقول، وأصرح بذلك أكثر من مرة، ان الانظمة العربية تقوم كل عشر سنوات بتصفيه زهرة الامة ـ كنت أعني الانتلجنسيا بالتحديد ـ تصفيتهم جسدياً، أو روحياً، يرافق هذا الحصاد الموسمي قيام اسرائيل بهجوم على الدول العربية ينتج عنه داخل كل بلد عربي، مزيد من القمع، ومزيد من مصادرة الحريات، تحت شعار: كل شيء من أجل المعركة مع العدو.

الدوران متكاملان: الانظمة تقتل خير أبنائها، واسرائيل تقدم المبرر وتخلق الجو الملائم. المصالح، كذلك، موحدة. فالفئات والطبقات التي تسعى الى تصفية الكيان الصهيوني، تعلم أن طريقها الى ذلك يمر عبر تصفية الكومبرادور العربي.

اعتقدت هذا عندما كنت متفائلاً، وصرحت به لصحيفة المحرر المغربية في عام ١٩٨٧ عندما كنت أعمل في بغداد. وقد قلت أيضاً: «والآن جاء موسم الحصاد في العراق». اذ تصورت ان الحملة الشرسة التي يشنها النظام في العراق ضد الشيوعيين والمثقفين عموماً سوف تنتهي بعد ستة شهور.

---

* روائي وناقد معروف من الاردن.

لكن تفاؤلي السابق لم يعد له أساس. فلقد أصبحت تصفية الانتلجنسيا ـ بالمعنى الذي سوف نحدده بعد قليل ـ عملاً يومياً، روتينياً، بالنسبة للانظمة العربية واسرائيل. ولم تعد هذه التصفية تقتصر على الاعدام، والاغتيال، والطرد من العمل، ومنع السفر، ومنع النشر، بل تعدت ذلك الى اجراءات حجر على الكتاب العربي ومنع دخوله، واجراءات استيراد وتصدير معقدة ومستحيلة، والاستيلاء على نسبة تتراوح بين خمسين الى ستين في المائة من ثمن الكتاب.

هذا فعل سيف المعز، أما فعل ذهبه فأشد فتكاً.

هذا موضوع إن بدأنا به فاننا لاننتهي. ولكنه ليس موضوعنا وانما أوردناه لنشير أن موقف منظمة التحرير الفلسطينية بغالبية منظماتها، وبقياداتها اليمينية خاصة لاتخرج، في موقفها من المثقف الفلسطيني والعربي، عن السياق العربي العام، بل تتمايز عنه سلباً.

تمايز م.ت.ف. في هذا المقام انها أشد ضراوة في محاربة المثقف العربي، وفي افساده، من أي نظام عربي آخر. والمذهل في موقف المنظمة أنها لاتحارب المثقف فقط، بل تحارب كل تقني متميز في مجال السياسة والحرب والتكنولوجيا. الانظمة العربية تتجه الى استيعاب أنواع محددة من المثقفين، والتقنيين وان لم تجدهم في بلادها تستوردهم من الاقطار العربية الاخرى، لان ذلك ضروري لوجودها واستمرارها، أما م.ت.ف. فيبدو أنها ليست بحاجة اليهم.

في الوقت ذاته تستوعب م.ت.ف. أعداداً من أشباه المثقفين (وهو مصطلح سنشرحه بعد قليل). نلاحظ هنا لهفة الطرفين على هذه العلاقة، اذ كل طرف يبدو وكأنه مهيأ تماماً لاستقبال الآخر، والتلاحم معه.

لايضاح أبعاد هذه المسألة ودلالاتها السوسيولوجية والسياسية، سنستعين بعدد من النظريات والاراء، أصحابها بالتحديد: لينين، غرامشي، رايزمان، وبعض علماء الاجتماع.

شيء من التاريخ

حتى لايحدث لبس في هذا الموضوع، أقول اننا نتحدث عن ديناميات طاردة أو مستقبلة تفعل فعلها في م.ت.ف. وفي أشباه المثقفين، ولا نتحدث عن مقاصد فردية. فانه حتى وإن توفرت هذه المقاصد الفردية، فان دلالاتها وأهميتها تبرز عبر دمجها داخل تلك الديناميات.

عندما ندرس هذه المسألة عبر النقاش حول كل حالة وحدها سوف نضل، فقد يكون هذا أو ذاك هو المسؤول عما حدث وليس المنظمة، وقد تكون الخطيئة هي خطيئة ذاك الذي انسحب، أو قد يكون قد حدث ما حدث سهواً أو ن تقصد. حين ينصرف بحثنا الى منهج كهذا، فاننا سوف ننصرف الى اكتشاف النوايا الفردية، أو المقاصد الخفية لهذا أو ذاك عندها لن نكون قد قمنا ببحث سوسيولوجي، بل بمنوعات صحفية.

ما يهمنا، هنا، أن نؤكده أن تسعة وتسعين في المائة ممن يمكن أن نطلق عليهم صفة الانتلجنسيا الفلسطينية، هم خارج منظمة التحرير الفلسطينية، وأن تسعة وتسعين في المائة ممن يمكن أن نطلق عليهم

صفة أشباه المثقفين، هم الذين يقومون بالدور المفترض أن تشغله الانتلجنسيا العليا و التقنيين ذوي التخصص العالي. هذه وقائع تشير الى الديناميات التي سبق وتحدثنا عنها بوضوح فائق.

* * *

عند بداية الكفاح المسلح اندفع نحو م.ت.ف. أعداد كبيرة من المثقفين الفلسطينيين والعرب، ومن العسكريين ذوي التخصص العالي عرباً أساساً وفلسطينيين، ثم تم استبعاد هؤلاء كأنما بسحر ساحر. لا أحد يدري كيف، ولكن بعد مضي وقت قصير بدأت الهجرة المضادة.

سنورد هنا موقفاً مشابهاً حدث في فرنسا قبل ثورتها الكبرى، شرحه الكسي دي توكفيل، وقدمه ملخصاً الدكتور نديم البيطار في كتابه «المثقفون والثور».

«هنا تجدر الاشارة الى ظاهرة مهمة في المرحلة التي تقدمت الثورة الفرنسية مباشرة. كان توكفيل أول من أشار اليها في القرن الماضي، في دراساته الكلاسيكية حول هذه الثورة. ان ظهور الانتلجنسيا السياسية الاولى كان يعود بقدر كبير الى اجهاض حركة تصاعدية كان يتمتع بها المفكرون آنذاك. . . فأعمالهم ومهنهم كشفت في البداية عن توفر امكانات التقدم التصاعدي، ولكن هذا التقدم واجه فيما بعد سدوداً ارستقراطية حالت دون استمراره. فالارستقراطية حاولت استرجاع وتوكيد امتيازات كانت قد أهملتها سابقاً وتركتها تتقلص، وقد أساء هذا جداً الى المفكرين. انحسار هذا التقدم، وليس الطريق المسدود في ذاته، مارس، كما يبدو، أثراً كبيراً في تحويل المفكرين الى انتلجنسيا. . . هذه الظاهرة كانت تعيد ذاتها في الثورات الاخرى».

ولم تكتف منظمة التحرير باستبعاد الانتلجنسيا الفلسطينية والعربية وسد الطريق في وجهها، بل أشاعت جواً معادياً للثقافة من منطلق التأكيد على دور البندقية، باعتبار أنها المصدر الحقيقي والوحيد للفكر، مطبقين شريعة الساموراي: «لاتفكر، فالتفكر يصنع الجبناء».

وقبل أن نستطرد سنورد بعض الامثلة التي قد لايعرفها البعيدون عن الساحة الفلسطينية. من الامور الملفتة للنظر ان غالبية المثقفين الفلسطينيين يعملون خارج اطار منظمة التحرير، وكذلك الامر مع قوادها العسكريين وكوادرها السياسية الثورية.

كما قلنا لم تكن الامور منذ البدء هكذا. كان مركز الابحاث التابع للمنظمة يضم مثقفين ودارسين لامعين، نذكر منهم: أنيس صايغ، ناجي علوش، صادق العظم، محمود درويش، حسين أبو النمل، هاني مندس، الياس خوري وغيرهم، تم ابعادهم بواسطة الاجهزة الامنية، وحل مكانهم من ينطبق عليهم وصف أشباه المثقفين.

حدث نفس الشيء في مركز التخطيط، فقد كان يضم مجموعة بارزة من المثقفين، نذكر منهم: ميشيل كامل، طاهر عبد الحكيم، صبري حلاوة، نبيل شعث، مروان الفاهوم، صبحي طه، باسم سرحان، نبيل بدران، غالب جرار، جابر سليمان وغيرهم. استعيض عن هؤلاء بدراويش وأنصاف مثقفين.

بالنسبة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، فلقد تم الاستيلاء عليه، وقصره على أشباه المثقفين،

سواء بواسطة الاجهزة الامنية أو بالمؤتمرات الانشقاقية، غير الشرعية.

رغم أن هذه الامثلة لاتقول كل ما حدث للمثقف الفلسطيني، فانها تكفي للدلالة على هذه الدينامية. ولكن علينا أن نضيف هنا أسلوب التصفية الجسدية الذي اتبعته قيادة المنظمة. هنالك مثالان بارزان على ذلك، أعني، اغتيال الشهيدين ماجد أبو شرار وناجي العلي.

كيف نفسر هذه العلاقة بين منظمة التحرير والمثقفين، وكذلك علاقتنا بأشباه المثقفين؟.

الانتلجنسيا

كل علاقة تستلزم طرفين على الاقل. ولكن علينا، قبل أن ندرس العلاقة بين م.ت.ف. والانتلجنسيا الفلسطينية، أن نقدم تعريفاً لطبيعة الانتلجنسيا ودورها.

الانتلجنسيا أو المثقفون مصطلح فضفاض، فقد يعني جميع الناس، كما قوّل الاستاذ محمود أمين العالم غرامشي، حين يتحدث عن تعريف المثقف:

«وفي تقديري ان أصدق تعريف هو ذلك الذي يقول به غرامشي وهو أن كل انسان مثقف، وان لم تكن الثقافة مهنته. ذلك أن لكل انسان رؤية بعينة للعالم، وخطاً للسلوك الاخلاقي والاجتماعي، ومستوى معيناً من المعرفة والانتاج الفكري. كل انسان مثقف اذن...»

ويعرفه غرامشي:

«كل الناس مثقفون كامكانية، ولكنهم ليسوا جميعاً مثقفين بالنسبة لوظيفتهم الاجتماعية...».

ثم يتحدث عن المثقف العضوي باعتباره مثقفاً تفرزه الطبقة، ويقوم بمنحها التجانس ووعياً بوظيفتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ولكنني أستعمل هذا المصطلح ـ خاصة وان موضوع البحث هو الثورة ـ بالتعريف الذي قال به جان بول سارتر:

«العالم الذي يخرج من حدود علمه المتخصص الى آفاق المصالح البشرية المشتركة».

ولكن هذا التعريف لا يستنفذ المصطلح، كما أعنيه هنا، لذا نضيف أنه الانسان القادر على خلق بعد موضوعي بينه وبين ظروفه الخاصة، واستشراق واقعه والحكم عليه، يورد الدكتور نديم البيطار في كتابه «المثقفون والثورة» تعريف المفكر الماركسي الامريكي بول باران للمثقف:

«... كناقد اجتماعي، كشخص ينشغل بالتحليل والتحديد، والمساعدة بذلك على معالجة الحواجز التي تقف في طريق نظام اجتماعي أحسن، وأكثر عقلانية وانسانية، المثقف يصبح في دوره هذا ضمير المجتمع، والمتكلم بلسان القوى التقدمية كما تعبر عن ذاتها في كل مرحلة تاريخية...».

كما يصفه باران بأنه يمتلك « الشجاعة والاستعداد لمتابعة البحث العقلاني الى أي مكان يقود اليه، وممارسة النقد الجسور لاي شيء موجود، نقد جسور بمعنى أنه لايتردد أمام النتائج التي يصل اليها، ولا أمام الصراع ضد السلطة القائمة».

ان رجل الافكار المجردة، الذي لايغرق في الواقع اليومي ويطالع الواقع بنظرة نقدية. يقول شيلزنفر:

«الذين يرغبون في الاحتفاظ بالاشياء كما هي لايشعرون بحاجة الى الافكار، اذ يستطيعون الاعتماد على العادة والجمود».

***

سوف نتحدث بايجاز عن الملامح الاساسية للتكوين الروحي للمثقف:

الاول: أنه يضع مثالاً عقلياً يسعى الى تحقيقه في الواقع، وكل ما يتنافى مع هذا امثال يجب الغاؤه. لقد عبر هيغل عن ذلك حين قال أن على الواقع أن يخضع للعقل، يتماهي معه، وأنه يجب تعديل الواقع حتى يصبح مطابقاً للعقل. بمنعى آخر أنه ينطلق من فكرة أن الواقع لايمكن قبوله أو الانسجام معه.

الثاني: أنه انسان غير متلائم لانه ينتقل من الواقع اليومي الى عالم مصاغ عقلياً يلتزم به ويشكل هويته. وهذا ليس مجرد موقف ذهني ولكنه تكوين روحي. يقول الفن غولدنر عن المثقف أن المسرات التي يرغب في الوصول اليها هي من النوع الذي يعجز الواقع عن توفيرها، والمسؤوليات التي تعيش في داخله لاتتأثر بما يقدمه الواقع من اغراءات.

والثالث: لذلك فهو يعيش ذلك التوتر الذي ينفك بين الوجود والمثال. انه يحشد ما يسميه فريز / «الطاقة الدافعة للاقلية» التي تعمل من أجل التغيير ضد «الثقل الميت الذي تمثله أكثرية الانسانية».

الرابع: المثقف يقاوم الاندماج بالسلطة، سواء أكانت سلطة الدولة، أو الطبقة المسيطرة، أو سلطة الرأي العام. يقول ريتشارد هوفستادتر: «ما يخافه المثقف أكثر من أي شيء آخر ليس الرفض والعداء اللذان تعود عليهما وأصبح يرى فيهما قدره الخاص، ولكن خسارة حالة الاغتراب. كثيرون يشعرون أن الاغتراب هو الموقف المشرف والملائم الوحيد الذي يجب عليهم اتخاذه، ما يثير خوف الكثيرين من المثقفين الشباب هو أن الاعتراف المتزايد بهم والاحتواء المستمر لهم واستخدامهم سيجعلهم منسجمين مع النظام القائم فلا يعود بامكانهم أن يكونوا خلاقين ونقديين أو ناقمين حقاً».

***

الاعتراف بدور المثقف جاء من أعظم ثوري عصرنا، فلاديمير اليتش لينين. لقد رفض الكسل العقلي الذي فهم نقيض الاطروحة الهيغلي بشكل ميكانيكي. اذ اعتبر أنه مادامت الطبقة العاملة تشكل نقيض الاطروحة البورجوازية فهي، وبشكل عفوي ستقود الثورة ضد البوراجوازية، وتقيم المجتمع الاشتراكي.

لقد كرس لينين الجزء الاكبر من كتابه «ما العمل؟» لحسم هذه القضية. فقد قال بوضوح أن المثقفين هم الذين سيقودون الطبقة نحو الاشتراكية. يرد لينين على «اتهام» ابوتشيه ديلوْ القائل أن خلافها مع صحيفة الايسكرا يدور حول «التقليل من أهمية العنصر الموضوعي أو العفوي في التطور».

يقول لينين «ان العنصر العفوي، ليس، في الجوهر، غير الشكل الجنيني للوعي». ثم يضيف «انه لايمكن للعمال أن يحصلوا على هذا الوعي الا من خارج نطاقهم». ثم يقول: «أما التعاليم الاشتراكية فقد انبثقت عن النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية التي وضعها المتعلمون من ممثلي الطبقات المالكة، وضعها المثقفون. ان مؤسسي الاشتراكية العلمية المعاصرة، ماركس وانجلز، ينتسبان من حيث وضعهما

الاجتماعي الى المثقفين البورجوازيين».

ويقول ان كل تقديس لعفوية العمال «كل انتقاص من دور الوعي، دور الاشتراكية ـ الديمقراطية، يعني ـ سواء أراد المنتقص أم لم يرد، فليس لذلك أقل أهمية ـ تقوية نفوذ الايديولوجية البورجوازية بين العمال».

يقول كويستلر ـ من موقف معاد للشيوعية ـ ان اللجنة المركزية للحزب البولشفي كانت تضم ألمع فلاسفة ومفكري أوربا. ويقول لينين في مناظرة له مع روزا لوكسمبورغ: «المثقفون يشكلون في حزبنا نسبة مئوية أعلى بكثير من الاحزاب الاوربية الغربية».

المسألة التي تثير الانتباه أنه منذ بداية المرحلة الستالينية حتى الآن هنالك تيار شيوعي يزداد قوة مع الايام يرمي الى الغاء لينين سواء في اعتباره السلطة هي القضية المركزية في النضال أو في تأييده عدم حتمية المرور في المرحلة البورجوازية للوصول الى الاشتراكية، أو في تأكيده للدور الحاسم الذي يلعبه المثقف في تحقيق الاشتراكية.

لقد تجمع كل الهجاء الموجه الى أشباه المثقفين وأعيد توجيهه الى المثقفين، فأصبحوا بورجوازيين صغار، ضيقي الافق، راغبين في الخلاص الفردي، لايمتلكون الصبر والدأب اللذين يميزان الطبقة العاملة، يفصلون بين النظرية والتطبيق... الخ. وكان هذا دليل تراجع الحركة الشيوعية عن أهدافها الثورية.

* * *

هنا يحين موعد طرح السؤال الذي انتظر لبعض الوقت: ما هي دلالة تلك الدينامية التي تعمل داخل م. ت. ف. لطرد المثقفين من صفوفها بشكل عام، ومن هيئاتها القيادية على الاخص؟

نوجز الاجابة في عدة نقاط:

الاولى: ان قيادة فتح التي شكلت انطلاقة الثورة الفلسطينية وقيادتها تتألف من أشباه المثقفين، بل من أكثر فئاتها تخلفاً اذ كانت غالبيتهم من الاخوان المسلمين وجماعة حزب التحرير الاسلامي. وهؤلاء بطبيعتهم معادون للثقافة والمثقفين. ان بعض قيادات م. ت. ف. كانت تعتبر الثقافة عدوة للثورة، ولم تكن تسمح بأن يدخل القواعد العسكرية كتباً سوى كتاب الزير سالم وسيرة عنترة.

الثانية: ان هذه القيادة كانت تشعران تواجد المثقفين يهدد مراكزها، فكانت في حالة صراع دائمة معهم. حكي لي أحد الاصدقاء أنه تقرر اقامة أمسية يلقي فيها محمود درويش بعض قصائده في عمان. وقد احتشد آلاف للاستماع اليه. ولكن عرفات فاجأ الجميع بحضوره قبل محمود درويش، وأنه ألقى خطبة وشعراً ليسرق الاضواء من درويش. وفي مؤتمر اتحاد الكتاب والصحفيين الاخير في الجزائر والذي انعقد بشكل غير شرعي كان عرفات يفاجيء المجتمعين بحضور غير متوقع ويأخذ في القاء أشعار يسمعها أمام الحضور، حتى أن محمود درويش أطلق عليه لقب الشاعر العام، بالاضافة الى كونه القائد العام.

الثالثة: والاهم أن م. ت. ف. تشكلت ملامحها عبر انخراطها في سياق عربي رجعي، والتحامها بالمثقفين يعني تحول بنيتها الى بنية حركة ثورية. لم تؤكد م. ت. ف. انتماءها الى الكتلة الرجعية العربية

(مصر، السعودية، دول الخليج، سودان النميري، المغرب... الخ) فقط، بل، وبقدر أكبر، جعلت من نفسها ممثلة للكومبرادور الفلسطيني. لهذا عنى التحامها بالمثقفين بتر انتمائها.

عندما لجأت م. ت. ف. الى أشباه المثقفين فانها احتضنت الفئة المؤهلة للالتزام ببنية م. ت. ف. كما هي، سنورد نصاً، هنا، يفسر هذه العلاقة بين الطرفين، وبما أن موضوعنا الاساسي هو دراسة أشباه المثقفين، فسوف نعود الى هذا النص فيما بعد، واضعين اياه في سياق أوسع.

يقول أحد علماء الاجتماع السوفييت في مجرى حديثه عن أشباه المثقفين في العالم الثالث:

«ان القسم المتعلم من الشرائح الوسطى هو الذي يطرح تحديداً هذا النمط من الممثلين الخاصين لمن أطلق عليهم ف. لينين اسم (أشباه المثقفين). تتجلى الخصائص المحافظة والطفيلية لاشباه المثقفين في محاصرة النشاط الفكري التجديدي الابداعي حقاً وفي نشر سيكولوجية المستهلك العدواني الفهم. أعطى العالم السنغافوري وصفاً معبراً لسمات أشباه المثقفين في كتابه «ثورة الحمقى» والقى التبعة، هنا، على الاستعمار. فالحمقى هنا، برأي العالم السنغافوري س. الاتاس، مجموعة متعلمة، مثقفة شكلاً، لكنها بعيدة مضموناً وداخلياً عن عمل وسلوك أهل الفكر، غير قادرة على طرح المسائل بشكل مستقل، تفكر وتفعل على مبدأ الحافز ـ الفعل. لكن ذلك الوصف لايخص سوى قسم واحد من أشباه المثقفين، ذاك الذي بلغ، كقاعدة عامة، وضعاً اجتماعياً محدداً ويشغل مواقع محافظة. أما القسم الثاني فيؤلف في بلدان أسيا وافريقيا جمهوراً كبيراً من (المتعلمين الطموحين، غير المحظوظين، الذين فقدوا تقريباً الآمال التي وعدتهم بها الكتب) والذين يشكلون (جماعة ساخطة على النظام القائم). يشكل قسماً أشباه المثقفين وجهين لعملة واحدة. فسقوط الثاني الذي قد يتخذ اصباغاً سياسية شتى، انما تمليه التطلعات الاستهلاكية للقسم الاول».

هذا الاقتباس الطويل يعطي اجابة وافية على السؤال الذي طرحناه حول أسباب الحلف بين قيادة م.ت.ف. وهو يحتوي أيضاً على معظم النقاط الاساسية المتصلة بهذه الدراسة المخصصة لاشباه المثقفين.

أشباه المثقفين:
نظرة أولية

يتميز أشباه المثقفين بأن كل معرفة لديهم معرفة دوغماتية، يجري تمثلها لتأكيد مقولات وأفكار سابقة وثابتة. «ان أشباه المثقفين ينفتحون على جميع المؤثرات... يكونون قادرين على ادراك بعض الافكار، ولكنهم لا يمتلكون القدرة على امتحانها أو التحقق منها، ولا على ايقاف أحكامهم عليها أثناء ذلك الامتحان»..

ويقول مفكر آخر عن أنصاف المثقفين أنهم يتوصلون الى استنتاجاتهم عبر سياق غير عقلاني، فالتصورات القديمة تسيطر عليهم وهم، في الغالب، في بحثهم ينتهون الى آراء تبنوها بشكل مسبق. «انهم يحكمون دون وعي علي جميع المسائل بقياس عقلي ينشأ من تربيتهم، ويتعاطفون مع الوقائع والادلة

بالقدر الذي تدعم به استنتاجاتهم المسبقة».

ولهذا السبب يقوم العداء بينهم وبين المثقفين، اذ أن المثقفين ينطلقون من كون جميع الافكار والقيم والمفاهيم خاضعة للنقاش والتبديل. وهذا بالتحديد ما أشار اليه الاقتباس السابق:

«تتجلى الخصائص المحافظة والطفيلية أحياناً لجماعة (أشباه المثقفين) في محاصرة النشاط الفكري التجديدي الابداعي حقاً..».

ويصفهم ماوتسي تونغ بأنهم:

«يكونون عادة بعيدين ليس فقط عن المعرفة الناضجة، الغنية، بل تكون أفكارهم انعكاساً للذاتانية، والتعصب والنمطية، أو التكرير المتواصل، الشبه ميكانيكي لآراء مقبولة عن شخص أو قضية..».

كما يصفهم بالثرثرة الثورية، وبأن هذا النمط «يعتمد بوعي على ارهاب الآخرين بمزاعمه الفارغة» وأنهم «بعد قراءة بعض الكتب الماركسية يصبح هؤلاء الرفاق أكثر عجرفة..».

وعلينا أن نتذكر أن أنصاف المثقفين كانوا السند الاساسي للفاشية والنازية في مرحلة صعودهما، وهمالذين دافعوا بحماس عن هتلر وموسوليني.

يتحدث عنهم جيرار شاليان:

«ان دور المثقفين الاساسي، وهو دور نقدي، لايتحقق الا في شكل محدود، ففي أكثر الاحيان يمارس المثقفون في العالم الثالث دور ماسحي الاحذية... وفي كثير من الاحيان يتحولون الى أدوات ذليلة للسلطات والايديولوجيات، وللمساعدة على تغذية الخداع والتبسيطات والتعصب».

ما تطمح اليه هذه الفئة هو الصعود الاجتماعي والاقتصادي. هذا هو جوهر مسعاها. وسنورد، هنا، بعض الاقتباسات من كتاب «المثقفون والتقدم الاجتماعي» ترجمة شوكت يوسف وهو من تأليف عدد من علماء الاجتماع السوفييت:

«اذا كانت الطبقات القديمة (في العالم الثالث غ.هـ.) السائدة هي التي خلقت الشرائح المدينية الوسطى الجديدة. ففي هذا الوسط الاجتماعي تحديداً غداً ينظر الى التعليم الحديث كمؤشر وضمان للرفعة وتحسين الوضع الاجتماعي...».

ويضيف أنه تم اجراء استفتاء في الاتحاد السوفييتي شمل ١٦٠ طالباً افريقياً من تسعة وعشرين بلداً، اتضح أن هنالك باعثين لاختيار مهنة المستقبل: الرغبة في ارضاء الميول الشخصية، والقيمة الاجتماعية للمهنة «وفرصة تأمين دخل جيد». ويقول أن اشتهار مهنة ما هو «تعبير عن آراء وقواعد فكرية سائدة في مجتمع ملموس»... ويلاحظ «أن الميل الفردي المحض نحو نمط معين من النشاط العملي محبب أو مفضل يتراجع أمام الشهرة لمهنة محددة أو النظرة الاجتماعية الغالبة بصددها»..

ويقول الكتاب في مكان آخر:

«يتكون لدى الانتلجنسيا المتصعلكة نمط معين من التكوين النفسي الاجتماعي. فتحت تأثير أوهام محافظة يفضل الكثير من الاخصائيين من حملة الشهادات العليا أما الوظيفة أو البطالة على العمل في المصنع أو الورشة التي يمكن أن تتطلب أحياناً حتى مؤهلات ومهارات تقنية عالية.. يترسب في أعماق التكوين

النفسي للانتلجنسيا المتصعلكة احساس بأن الموظف الاداري، ذا الياقة البيضاء، يشغل درجة محددة في سلم التراتب الاجتماعي وان له سلطة هلى آخرين ويمكنه مستقبلاً تعزيز مواقعه وارتقاء درجات السلم».

ويلاحظ المؤلف أن تكويناً نفسياً كهذا ساعد، في أقطار الشرق النامية، على استخدام الاخصائيين في مجالات بعيدة عن المؤهلات التي يحصلون عليها نتيجة الدراسة والتدريب، ففي «تايلاند اكتشفت هيئة البحوث بأن أكثر من ٥٠٪ من المهندسين والتقنيين العاملين في الشركات الخاصة والقطاع الحكومي لايعملون حسب اختصاصاتهم».

* * *

يشكل قطاع أشباه المثقفين مجموعة كبيرة الحجم، تتزايد بمتوالية هندسية. فهي تضم خريجي الجامعات والمعاهد المتوسطة والعليا زالذين أنهوا دراستهم الثانوية، ومدرسي الابتدائي والثانوي وبعض مدرسي الجامعة. وهذا القطاع يتسع لما لانهاية ويطبع المجتمع بطابعه الى حد كبير.

بعد أن حددنا بشكل مقتضب ملامحها الروحية الاساسية، فسنحاول الآن القاء الضوء على وضعها في المجتمع ودورها فيه. تنفصل شريحة صغيرة منها وتدخل ضمن اطار الدولة والسلطة المسيطرة، وتحصل، نتيجة لذلك على امتيازات تحولها الى طبقة محافظة وخادمة للسلطة. الى هذه الشريحة ينتمي مثقف م.ت.ف. وسنعود، فيما بعد الى هذه المسألة بتوسع.

الجزء الاكبر من هذا القطاع يقف بين حافة البطالة والظروف المعيشية المتدنية من جهة وبين الامتيازات التي يحصل عليها الجناح المحافظ المندمج في السلطة. هذا الوضع المتوتر بين القطبين يخلق حالة من الرفض والاحتجاج.

بكلمة أخرى ان هذا القطاع يشعر أن الطريق مسدود أمامه لان دينامية الاجهزة العليا للسلطة والطبقات تتجه الى اغلاق الطريق من ورائها والانغلاق على ذاتها. يؤدي هذا بدوره الى عزلة السلطة عن الشعب، ومن شأن هذه العزلة أن «تخلق اللامبالاة ازاء مصير الوطن أو شعور خيبة الامل لدى الجمهور في السياسة معارضة صامتة للسلطة ـ معارضة من طبيعة غير عادية، غير ملونة بالالوان الحزبية وتتميز بغياب أية قناعات سياسية دقيقة وراسخة. ولهذا السبب تكون هذه المعارضة، في الازمات والظروف الصعبة، عرضة لشتى التأثيرات المتطرفة ـ وسطاً مواتياً لنمو نزعات التطرف اليميني واليساري».

يصف كتاب (المثقفون والتقدم الاجتماعي دينامية انغلاق السلطة على ذاتها بالقول:

«.... يمكن أن نلمس بوضوح العلاقة التالية: كلما تحجمت وتقلصت في هذا القطر أو ذاك مؤسسات الديمقراطية التمثيلية، كلما تجلى بوضوح اتجاه الانغلاق على المستويات الادارية والاستشارية والتنفيذية لثمة البيروقراطية مع صلاحيات كبيرة في المجال المهني والسياسي أيضاً. وكثيراً ما يزاوج هذا النمط من التكنوقراطيين بين الوظيفة والمشاركة في الصفقات والاعمال التجارية الخاصة»..

ان حالة التوتر التي تعيشها جماعات أشباه المثقفين، للاسباب التي ذكرناها، وتوفر أكثرية صامتة تعاني خيبة الامل يجعل من هذه الشريحة من أشباه المثقفين تلعب دوراً ايجابياً ضد السلطة وقد يصبح دوراً ثورياً.

يلعب أشباه المثقفين، خاصة معلمو المدارس، دوراً حاسماً في نقل أفكار المثقفين الثوريين الى الجماهير. ننطلق هنا من أن الانسان العادي لايستطيع أن يصل الى المستوى النظري التجريدي من خلال تجربته الخاصة. يعود ذلك الى أن التجربة قد تؤدي الى معارف لاتتطابق مع الحقيقة والواقع. مثال ذلك تفسير أسباب المرض والموت والظواهر الطبيعية والشر والخير . . . الخ. ثانياً «لم يكن للتجربة أن تفسر الطابع الشامل والضروري للمعارف البشرية. حتى الرابطة السببية بين ظاهرتين لايمكن البرهان عليها بتكرر التجربة الفردية، مهما بلغ هذا التكرار؛ لانه بالامكان دوماً تصور احتمال انحلالها مستقبلاً».

والسبب الثالث أن المعرفة التجريبية تكون دائماً مسبوقة بمقولات ومفاهيم يتعذر على الانسان العادي أن يستخلصها من التجربة.

والسؤال المطروح هو: كيف يقوم أشباه المثقفين بنقل الفكر الفلسفي والاجتماعي الذي يبدعه مثقفون خلاقون الى الجماهير؟

يقوم قطاع أشباه المثقفين بتحويل الفكر الخلّاق الى أيديولوجيا. يعني هذا أن يحدث نوع من التأويل يعاد فيه انتاج الفكر الفلسفي لينجسم مع المخزون الروحي والمفاهيمي الكامن في عقول أبناء الشعب ومن ضمنهم أشباه المثقفين. وهذا يعني اجراء تحويلات في الفكر الابداعي.

يحدث في بعض الاحيان أن يصل هذا التحوير الايديولوجي للفكر النظري الى حد يعاد انتاجه بشكل مناقض له. ان أيديولوجية غالبية الاحزاب الشيوعية العربية أعادت انتاج أفكار لينين حول السلطة وعدم ضرورة المرور بالمرحلة الرأسمالية فأصبحت أفكار أعدائه. لقد انتهى لينين من أيديولوجيات هذه الاحزاب وحلت مكانها ـ عبر أشباه المثقفين ـ أفكار المنشفيك التي أصبحت هي السياسة اليومية لهذه الاحزاب.

يقول ماركس: «العقول مرتبطة على الدوام بخيوط غير مرئية بجسم الشعب». ويعلق كتاب «المثقفون والتغيير الاجتماعي» على ذلك في سياق حديثهم عن أشباه المثقفين:

«ومن هذه الزاوية تعد الشريحة الجماهيرية من الانتلجنسيا دونما شك الحلقة الوسيطة الاهم في هذا الرباط، الاكثر قرباً من الجماهير الكادحة، وحتى من حيث المنبت الاجتماعي في الغالب».

لقد أشار النقد الحديث، خاصة الفرنسي، الى مسائل في قراءة النص الادبي والفلسفي تحت عناوين: النص الكامن، التناص. . . الخ. الى تسرب الافكار والقيم الجمالية وغيرها الى الكتابة دون ضرورة الاطلاع على النصوص الاصلية. وقد يفيدنا هذا في دراسة أكثر توسعاً وشمولاً في فهم العلاقة بين النص الفلسفي ودور أشباه المثقفين في اشاعته، ولكن المجال لايتسع لمثل هذا التفصيل.

يكفي أن نشير، هنا، الى أن الفكر الذي تقوم بنشره هذه الفئة الواسعة يتحول ال مجموعة من التبسيطات والشعارات الغوغائية وضيقة الافق. ولكن يبدو أن هذه الوسيلة الوحيدة لاشاعة الفكر الثوري وجعل الجماهير تتبناه. وتلعب هذه الوظيفة دوراً بالغ الاهمية في تحديد الخيار الاجتماعي والسياسي المطروح أمام بلدان العالم الثالث، وفي قبول تغييرات هيكلية وأساسية في البنى الاجتماعية والاقتصادية والروحية.

يقول المرجع السالف الذكر:

«يؤلف الوسط المثقف الآنف الذكر، الى حد كبير، الاساس الاجتماعي ـ النفسي الذي تنطلق منه المقولات النظرية ـ الفكرية والتعاليم الاجتماعية التي يطرحها ممثلوا الانتلجنسيا الوطنية. ان الميول القومية،

التقليدية الجديدة، الاتجاهات البورجوازية، الانشداد الى الشعارات والمبادىء الاشتراكية ـ بكلمة واحدة كل هذا الخليط من العناصر الفكرية في الفكر الاجتماعي للبلدان النامية انما يتشكل في البداية في الوسط الثقافي القاعدي الذي يشكل حلقة وصل مع الجماهير الشعبية العريضة».

ويندفع هذا القطاع نحو الثورة عندما يصبح نجاحها شبه مؤكد، ويصبحون عناصرها الاكثر حماساً وتعصباً وضيق أفق، خاصة أنهم ينضمون الى الثورة بشعور من الذنب لانهم وقفوا لا مبالين تجاهها في البداية، فيتغلبون على هذا الشعور بتزمت وبولاء شبه ديني، لايسمح بأي حوار أو انفتاح على الرأي الاخر.

يصفهم اريك هوفر في كتابه «المؤمن الحقيقي»:

«. . . الشريحة المكونة من رجال يمارسون أعمالاً غير مستقرة، وذوي معرفة محددة، ويجدون في الانقلابات الاجتماعية فرصة كبيرة في توكيد ذاتهم. انهم يقدمون للحزب المنتصر قسماً من مناضليه الاكثر جسارة، وأكثرية من محققيه وبوليسه».

مثقف م. ت. ف. :

الاصول الطبقية

ان (المثقفين) الذين (صمدوا) في موقفهم الموالي حتى النهاية للقيادة اليمينية لمنظمة التحرير ينتمون الى أصول طبقية واجتماعية متشابهة. كما أنهم يتسمون بصفات متماثلة تستمد جذورها من علاقة البورجوازية الصغيرة الريفية بالسلطة. يمكن أن نذكر من هذه الصفات: الفهم، الولع بالمظاهر، التلوّن، وعدم القدرة على اقامة علاقات انسانية حقيقية. ومن الملاحظ أن مثقفهم الوحيد، محمود درويش، قد اكتسب بسرعة قياسية، وعلى نحو عميق صفات أشباه المثقفين المحافظين. وسوف نتحدث عن درويش ببعض الاستفاضة فيما يتعلق بهذا الموضوع.

وأود أن أبدي ملاحظة لابد منها، قبل الاستمرار في الحديث، انه وإن كانت الاصول الريفية كما سنشرحها تحدد ملامح هذه الفئة الى أقصى درجة، فان هذا لايعني أن نشأتهم تحدد مصير كل الذين عاشوا نفس ظروفهم. فهنالك العشرات أو حتى المئات من المثقفين الفلسطينيين والعرب الذين مروا في نفس هذه الظروف، ولكنهم ارتفعوا عن مستوى أشباه المثقفين ولم يقبلوا دور «ماسحي الاحذية». لقد حدد لينين أكثر من أي مفكر آخر قدرة الانسان ـ المثقف بشكل خاص ـ على تجاوز معطيات وضعه الطبقي والاجتماعي. بل ان وجود الحزب ذاته كحزب للطبقة العاملة يعتمد أساساً على هذا التجاوز.

نعود، الآن، الى موضوعنا:

ان غالبية (مثقفي) م. ت. ف. هم من أصول فلاحية فقيرة او بورجوازية صغيرة ريفية. وفي الريف العربي عموماً، والفلسطيني خاصة، يتسارع نضوج الطفل أكثر بكثير من ابن المدينة. ولكنه ـ النمو أو النضج ـ ينغلق على مرحلة معينة، تتحدد فيها المفاهيم والملامح وترسخ، ويصبح التغيير أو التحول بعدها ـ في التكوين الاساسي ـ بطيئاً أو معدوماً.

يعود ذلك الى أسباب خاصة بالمجتمع الريفي. الطفل في المدنية ينشأ بعيداً عن التجربة الاجتماعية للمدنية، اذ يعيش في عالم معلّب ومصفّى لايعرف فيه الا بعض المعلومات الاولية، وصورة وردية عن الحياة. أما في الريف فان جميع العمليات الاجتماعية والاقتصادية تتم أمام عينيه. فأمام الجميع، بما فيهم الاطفال، تتم عمليات الزواج، والبيع والشراء، والخلافات بين العائلات والتصالح بينها، وزراعة الارض وحصادها، وبناء البيوت. . . الخ. وبكلمة أخرى فان مجموع خبرة الحياة والمفاهيم التي تشكل رؤية الانسان للحياة تتسرب الى الطفل وهو لم يتعد سن العاشرة بعد.

وهنالك مسألة أخرى وهي أن الحياة في المخيمات الفلسطينية لمن هم من أصول ريفية لم تغير كثيراً من طابع العلاقات الاجتماعية والمفاهيم السائدة وبالتالي من رؤية الريفي للعالم.

ومنذ سن مبكرة تتشكل لابن الريف رؤية خاصة للمدينة وللسلطة تدفعه بطابعها مدى حياته. تكون المدينة بالنسبة له ليست مجرد مكان آخر، بل مجموعة من المتع التي يطمع في الاستيلاء عليها ومجموعة من المكاسب. وفي داخله يشعر أن أهل المدينة أنفسهم أضعف وأقل استحقاقاً بهذه المتع والمكاسب. وفي الوقت ذاته يشعر بمركب النقص والخوف من أهل المدينة. يصف غرامشي هذه الثنائية.

«ان موقف الفلاح من المثقف مزدوج ومتناقض ظاهرياً. انه يحترم الموقع الاجتماعي للمثقفين وكل موظفي السلطة، ولكنه في بعض الاحيان يعبر عن احتقاره لهم. يعني هذا أن عناصر غريزية من الحسد والغضب الجامح تخالط إعجابه».

هذا مصدر صفتين من الصفات التي ذكرناها: الفهم وعدم القدرة على اقامة علاقات انسانية عميقة. فيصعب أن تقيم علاقة انسانية حقيقية مع انسان تخافه وتحسده وتحتقره. أما الولع بالمظاهر فهو تجسيد لطموح البورجوازية الصغيرة الى الصعود والذي تجسده بأسلوب شعائري بأن تعرض نفسها بأقنعة الطبقات العليا.

يتبنى المثقف الريفي رؤية أهله الريفيين للسلطة. ان العائلة، أو حتى القبيلة، بأكملها تسعى الى تصعيد أحد أبنائها الى مركز في السلطة، باعتباره أحد أقنعة الصعود الى أعلى، ولأنه يستطيع من خلال مركزه أن يؤدي خدمة حيوية لاهله في الريف. انني أعرف هذه الظاهرة جيداً سواء في القاهرة أو في عمان: العديد من الريفيين القادمين الى ابنهم في المدينة، ان هم يتوهمون ذلك، حتى يساعدهم على حل مشكلاتهم، أو الانتصار لهم ضد السلطات الريفية أو المدن الصغيرة.

لقد عبرت السينما المصرية عن هذه الظاهرة، مقيمة مفارقة بين توقع الريفي لحل مشكلاته وتهرب ابن القرية المرموق منه. كما نراها في قصة يوسف ادريس (لغة الآي آي) حيث يشعر ابن القرية الذي صعد الى مواقع الطبقة الجديدة أن أهل قريته يسعون الى جذبه نحو بؤسهم.

يقول غرامشي:

«ان الفلاح يخطط على الدوام أن يصبح واحد من أبنائه على الاقل من طبقة المثقفين (قسيس بشكل خاص) ليصبح من الاعيان ويرفع المستوى الاجتماعي لعائلته بتيسير وضعها الاقتصادي من خلال العلاقات التي سيقيمها حتماً مع فئة الاعيان».

* * *

يتحدث غرامشي عن «مثقفي النمط الريفي» أنهم «في غالبيتهم (تقليديون)، اذ هم مرتبطون بالكتلة الاجتماعية لاهل الريف والبورجوازية الصغيرة لمدن الاقاليم (خاصة المدن الصغيرة) التي لم يجر تحويلها وتحريكها بواسطة النظام الرأسمالي. هذا النمط من المثقفين يشكلون الصلة بين جماهير الفلاحين والسلطات المحلية والدولة (من أمثال المحامين وكتاب العدل. . . الخ). بالاضافة الى هذا فان المثقف (القسيس، المحامي، كاتب العدل، المعلم، الطبيب. . . . الخ) يعيش مشتوى من الحياة أرفع، أو على الاقل مختلفاً، عن مستوى الفلاح العادي، ونتيجة لهذا فهو يجسد مثالاً اجتماعياً يتطلع اليه في طموحه للتحرر من وضعه أو تجاوزه».

من الواضح، هنا، أن غرامشي يستعمل مصطلح المثقفين INTELLECTUALS وهم يعني المثقفين وأشباه المثقفين، في حين أننا استعملنا مصطلح مثقفين كترجمة لمصطلح انتلجنسيا، وقد حددنا ما نعنيه به.

النقطة الثانية أن توسع غرامشي في استعمال المصطلح لايعنينا هنا. كل ما يعنينا هنا هو نمط التفكير والسلوك الذي ينسحب على أشباه المثقفين العاملين في مجال الاعلام والادب.

المسألة الهامة والمتعلقة بموضوعنا هي أن الطابع الغالب لاشباه المثقفين الريفيين هو طابع التفكير التقليدي. ان ظروف الفلاحين في جنوب ايطاليا في بداية هذا القرن لاتختلف كثيراً عن ظروف الفلاح الفلسطيني، باستثناء بعض الخصوصيات الحضارية. والحديث عن النمط التقليدي والمحافظ لاشباه المثقفين ينطبق على البلدين. فما هي الاصول الاجتماعية والمفهومية وراء هذا الطابع المحافظ؟.

ان الفلاح العادي يجسد طموحه في الارتفاع الى مستوى المثقف الريفي. وعندما يتحقق هذا الطموح فان أقصى ما يثير رعبه هو (الانحطاط) الى مستواه القديم. وقد تكشف لي هذا الهاجس المرعب عند انصاف المثقفين في بيروت.

اذكر أنه عند مجيئي الى بيروت في عام (١٩٨٠) خطر لي أن أدرس رؤية سكان المخيمات للشهيد. تصورت (وتبين لي أن تصوري كان صحيحاً) ان الشهيد، مثله مثل من يموت في قريتي الواقعة جنوب عمان، يظل حياً في الوجدان الشعبي حياة خاصة. ففي قريتي لايموت الاموات تماماً، بل يشاركون في الحياة على نحو ما.

حاولت مرة أن أشرح ذلك لاحد الادباء الالمان. قلت له بين الشهيد عندنا وبين من يموت عندكم هو كالفرق بين الصفر العربي والصفر الاوروبي. الصفر الاوروبي كقيمة (Value) يعني العدم، ولكنه عندنا مولد للارقام والتكاثر اللانهائي. عندما نصف شخصاً بأنه صفر فان ذلك لايعني شيئاً الا اذا أضفنا عبارة «صفر على الشمال».

أمضيت شهرين وأنا أسجل حوارات مع أهالي الشهداء ومعارفهم ونشرت جزءاً منها في مجلة (المصير الديمقراطي).

كانت ردة فعل عدد من (المثقفين) الفلسطينيين مفاجئة وغريبة. فقد قالوا أنني اتصرف كسائح، وأنني أحاول ابتزازهم، وأنني أتسلى، الى غير ذلك. أدهشني هذا الموقف، اذ لم أكن قد تبينت دوافعه. وأنا لم أكن أسلك كسائح لان حياة المخيم ليست غريبة على ابن قرية أردنية فقيرة، ولم يكن البيت الذي نشأت فيه أفخم بيوت المخيم. ولم أكن من الاثرياء فمرتبي آنذاك كان خمسمائة ليرة في الشهر. لم يكن يكفي

لنصف ايجار البيت، فما الذي أثار حنق هؤلاء السادة؟.

أدركت فيما بعد أن الذي أثار هؤلاء الاخوة هو الرعب اللاواعي من (الانحطاط) الى مستوى المخيم. واكتشفت أن صلتهم بالمخيمات تكاد تكون مقطوعة. ان استعمال كلمة ابتزاز كان دالاً، اذ يشير الى رعب شعائري ريفي من الهبوط الى ضمير تعس.

ولكن ما أشار اليه غرامشي من كونهم الصلة بين أهل الريف (يضاف اليه المخيم هنا) والسلطة (م. ت. ف.) يظل صحيحاً. يكفي أن نراقب الظاهرة التالية ونخرج منها بالنتائج المطلوبة.

انه كلما برز مسؤول ذو أهمية في م. ت. ف. أصبح مركزاً لتجمع يتكون أساساً من أبناء قريته أو بلدته أو منطقته، مشكلين شبه حزب يسانده، ويستفيد منه يقابل هذه دينامية انغلاق بيروقراطية منظمة التحرير على نفسها ومقاومتها لكل دخيل. مثال ذلك الاسلوب الذي اتبعه عرفات في أن يتم انتخاب القسم الاكبر من اللجنة المركزية لحركة فتح كقائمة موحدة، اذ لايسمح بانتخاب شخص من هذه القائمة دون انتخاب بقية أفرادها.

من هذا يتحدد نوع الصلة بين (المثقف) الفلسطيني والجماهير: الاستفادة من العلاقة بجماهير منطقة (المثقف) مع ابقاء المسافة بين البيروقراطية وجماهيرها.

يميز م. ت. ف. عن غيرها من الانظمة العربية أنها بنية غير انتاجية، رغم أنها تملك أموالاً لاحصر لها، ان غياب البنية الانتاجية جعل من المنظمة الشكل الامثل لغياب أي معيار موضوعي في تقييم كوادرها، وأصبح للاعلام دور مبالغ فيه. فالاعلام - بالاضافة الى الاجهزة الامنية المستشرية - هو السلاح الاكبر والوظيفة الرئيسية للمنظمة التي تنازلت عن دورها العسكري والثوري.

ان الاسراف الجنوني في التعامل مع أجهزة الاعلام، التي تفتقد الكفاءة، يجسد دلالة هامة في العلاقة بين المثقف والسلطة داخل م. ت. ف. فالنقود الهائلة التي تمنح للعاملين في الاعلام مع الامتيازات السياحية الاخرى تبلغ نسبة مائة الى واحد مما يدفع في أجهزة الاعلام العربية أو المنظمات الفلسطينية الاخرى. وعندما نعلم أن هذه المبالغ تدفع دون مقابل انتاج اعلامي مساوٍ فان جانباً من المسألة يتضح، واما الجانب الاخر فيوضحه استشهاد البطل ناجي العلي بعميل لأمن عرفات هو، في الوقت ذاته، عميل للموساد.

ما هي سمات هذه الظاهرة؟.

انها، في الاساس ظاهرة عدوانية الى أقصى حد، سواء بهذه الكثافة العدوانية في الدفع، أو في استعمال التصفية الجسدية كوجه آخر لنفس العملة. انها تطبيق للشعار القديم: سيف المعز وذهبه. فما هي دواعي هذه السياسة العدوانية نحو المثقف؟.

اذا طبقنا نظرية بافلوف في الانعكاس الشرطي هنا فاننا نجد أن الهدف هو قبول المثقف بالدفاع عن سياسة غير معقولة أو مقبولة، تصل الى حد أن يعتبر محمود درويش اغتيال ناجي لعبة متكافئة: ناجي العلي يطلق الكلمة القاتلة وعرفات يرد عليه بالرصاصة القاتلة، ورغم هذا فان المخطيء هو ناجي العلي الذي يحارب (أهله وقومه)، على اعتبار أن اليمين الفلسطيني الخائن هو أهله وقومه ودرويش يعلم أكثر من غيره أنه بنفس هذا المنطق يصبح اغتياله، هو، مشروعاً.

بهذه المعادلة يتم تشكل المثقف الفلسطيني: الاقتلاع من شعبه والخضوع المطلق غير المشروط لبيروقراطية وحشية، فاسدة، وخائنة.

ولكن، اذا كان هذا ينهي شبه المثقف الفلسطيني كصاحب دور يرفعه هذا الدور في المستقبل الى مستوى المثقف الحقيقي، فانه يجسد بمزيد من الوضوح نمط المثقف الريفي. ان علينا، حتى نبرهن على ذلك، أن ندرس التكوين النفسي لاشباه المثقفين الريفيين من خلال نظرية ديفد رايزمان عن الانماط الثلاثة.

الانماط الثلاثة

في كتابه «الجمهور المتوحد» يحدد ديفد رايزمان ثلاثة أنماط انسانية تواجدت عبر العصور، وهي، الموجه بواسطة التقاليد، الموجه، من الداخل والموجه بالآخرين. ويربط الباحث بين كل نمط من هؤلاء وبين التكوين السيسولوجي والاقتصادي للمجتمع.

النمط الموجه بواسطة التقاليد ينتمي الى المجتمع السابق لنشوء الرأسمالية، ويحدده رايزمان: هذا النمط ثابت الى حد كبير، والتكيف الاجتماعي لهذا الفرد يخضع الى مدى بعيد العلاقات المحددة سلفاً لمعطيات السن والجنس والعشيرة والطبقة والحرفة - هذه المعطيات التي تستمر دون تغيير كبير لقرون عديدة، ويتم تدعيم هذه المعطيات بالثقافة السائدة والدور الاقتصادي والاجتماعي للشخصية، ويعاد انتاجها عبر الطقوس والعادات والدين.. الخ. في مثل هذه الظروف تتكلس ديناميات التغيير الاجتماعي والاقتصادي، ولا تبذل الا جهود قليلة لتطوير التقنية الزراعية وعلاج المرضى والمفاهيم والقيم.... الخ.

النمط الثاني هو المُوجه من الداخل. وهو النمط الذي نشأ وتشكل روحياً خلال فترة نشوء وسيطرة البورجوازية في أوروبا. ففي هذا المجتمع يصبح التوجه من الداخل هو الاسلوب الرئيسي للتكيف، أي أنه يكون نتاج دينامية اجتماعية للنمو والتغير الاجتماعيين والاقتصاديين، تقوم - هذه الدينامية - بتشكيل الافراد وصياغتهم. ان الشكل المحدد لهذه الصياغة هو أن تنغرس في داخلها، ومنذ سن مبكرة جداً، مجموعة من المثل والقيم والاهداف، تحيطها قشرة صلبة، مصمغة لاينفذ من خلالها أي تأثير يمكن أن يغير تلك الاهداف والمثل. بهذا تتكون شخصية فردية للغاية، متمايزة، غير مكترثة بالآخرين - أي أنها لاتغير مثلها وأهدافها كرد فعل لاي اغواء خارجي - يجري تمثلها لكل ما يدور حولها من خلال مصفاة تكوينها النفسي الاساسي. انها شخصية تنطلق من مفهوم محدد: تغيير العالم والسيطرة عليه، واخضاعه لاهدافها ومثلها.

واذا نقلنا تعريف رايزمان لهذا النمط من الشخصية الى مجال الثقافة فاننا بذلك نستعيد تعريفنا الذي أوردناه في بداية هذا لشخصية المثقف. انه ذلك الذي يصوغ صورة للعالم، كما يجب أن يكون، ويسعى من خلالها لتغيير العالم والسيطرة عليه. وهذا بالتحديد هو فهم هيغل للعلاقة بين العقل والواقع، وضرورة اخضاع العملية الاجتماعية للعقل، وهذا، في الوقت ذاته، هو الجوهر الثوري لفلسفته.

ان مثقفينا الفاعلين ابتداء من رفاعة الطهطاوي ومروراً بطه حسين وسلامة موسى وانتهاء بالشهيد ناجي العلي الذي اغتاله اليمين الفلسطيني ينطبق عليهم هذا التعريف.

النمط الثالث هو نمط الموجه بواسطة الاخرين. وهو نتاج المجتمع الاستهلاكي. يتمثل بشخصيات مثل العاملين في العلاقات العامة، البائعات في السوبر ماركت، سكرتيرات المديرين، كما يتمثل في السلوك الاجتماعي المثالي في الاماكن العامة والحفلات والمناسبات الاجتماعية. أطلق ايرك فروم، في كتابه «الانسان من اجل ذاته»، على النمط اسم «المتكيف بواسطة السوق». وهو شخصية مفرغة من الداخل، تمتليء برضى الآخرين، ويتحدد سلوكها بما يريده الآخرون ويتوقعونه منها. يبتسم لأن الآخرين يريدون ذلك، لا لانه يريد ذلك حقاً. أو هو يرغب في الابتسام لرغبة الآخرين في أن يروه يبتسم. انها شخصية بلا رغبات حقيقية. الانفعال الوحيد الذي يسيطر عليها هو الخوف من الحياة ومن المستقبل.

يشير فروم الى أن الكاتب المسرحي الايطالي بيرانديللو قد استطاع أن يلمس جوهر هذه الشخصية. ففي أحد مسرحياته نرى أحد الشخصيات تكتسب سمات جديدة في كل مرة يتحدث عنها مختلف شخوص المسرحية، وعندما تواجه هذه الشخصية السؤال التالي: «من تكونين؟». تجيب: ـ «أنا من تريدني أن أكون» ـ.

* * *

هنالك مسألة أخرى، وثيقة الصلة بموضوع بحثنا، يطرحها رايزمان. وهي تتصل بالنمطين: الموجه من الداخل، والموجه بواسطة الاخرين، وتتعلق باللغة يقول ان انتشار الثقافة وتوفر أوقات الفراغ والخدمات ترافقت باستهلاك متزايد للغة والصور الصادرة عن وسائل الاتصال الجديدة. أن هذا التيار الجارف يتوسط، أي أنه يصبح الصلة، بين علاقات الانسان مع عامله الخارجي ومع نفسه. بالنسبة لنمط الموجه بواسطة الاخرين فانه يعايش الاحداث السياسية عبر (ستارة) من الكلمات حيث تتذرر (أي تصبح ذرات متفرقة وغير مترابطة) وتتشخص (اي ترتبط بالاسخاص) هذه الاحداث السياسية.

ويضيف رايزمان أن الشخصية الموجهة من الداخل، والتي ماتزال حاضرة في المجتمع الاستهلاكي تميل الى وضع هذه الكلمات في نظام عقلي، وفي نسق أخلاقي.

وسوف نقارن بعد قليل بين أديبين في علاقتيهما بالكلمات من هذا المنطلق بالتحديد، وهما محمود درويش وفيصل دراج.

الانماط الثلاثة في واقعنا

الانماط الثلاثة التي ذكرها رايزمان تتصل بأطوار حضارية أوربية وأمريكية، وبديناميات معينة تفعل فعلها في تلك المجتمعات. ونحن، في الوطن العربي، مررنا بأطوار حضارية مختلفة. كما أن هنالك ديناميات أخرى فاعلة في وطننا.

سوف نحاول، هنا، بايجاز، أن نحدد اختلاف الاطوار الحضارية والديناميات في المجتمعين.

إن التكوينات الاجتماعية ـ الاقتصادية التي مر بها كلا العالمين ـ الاوربي والعربي ـ مختلفة. ففي أوربا

شكل انحلال الامبراطورية الرومانية، ذات التكوين العبودي بداية المجتمع الاقطاعي، واستمر طويلاً الصراع بين التكوينات الاقطاعية والسلطة المركزية، كان الانتقال من المجتمع الاول الى الثاني دموياً وحاسماً على المستويين: مستوى السلطة السياسية ومستوى المفاهيم والقيم.

في قلب المجتمع نشأت مجموعة من المعطيات التي أدت الى انهياره. فلقد جرى اكتشاف واستعمال بعض التحسينات التقنية على أدوات الانتاج والصحة العامة أدت الى زيادة كبيرة في التراكم الرأسمالي والسكان، ونشطت التجارة الداخلية والخارجية التي كانت تتجه الى تكوين سوق قومي. ولكن قيام هذا السوق كان يواجه عقبات هائلة تتمثل في الاقطاعيات، التي تكاد كل واحدة منها تشكل دولة مستقلة، وفي شكل السلطة المركزي الارستقراطي.

ان قيام الثورة البورجوازية ـ في فرنسا مثلاً ـ لم يكن مجرد انتقال من شكل اجتماعي ـ اقتصادي الى آخر، بل كان قطيعة شاملة وكلية مع الماضي. لقد انطرح مفهوم جديد للانسان، ولعلاقته بالآخر، وكذلك علاقاته بالسلطة كما حل مكان الخضوع للكنيسة والتقاليد ديناً جديداً يقوم على عبادة العقل. فبعد قيام الثورة الفرنسية أغلقت جميع الكنائس، ومنع المؤمنون من ارتيادها، وطورد رجال الدين والامراء والارستقراطيون بعد أن تم اعدام الآلاف منهم. . . الخ.

وفي الانتقال من المجتمع الصناعي الى المجتمع الاستهلاكي تمت تحولات أكثر جدية في المجال الاقتصادي ـ الاجتماعي وفي البنية الروحية والثقافية للانسان.

في مجتمع الاستبداد الشرقي ـ ووطننا العربي يدخل ضمن اطاره ـ كانت الحضارة تنشأ بسبب قيام دولة مركزية قوية، قادرة على تنظيم مشاريع الري، وتنقية التربة من الملوحة واقامة السدود لمنع الفيضانات المدمرة. وعندما تنهار السلطة المركزية أما بسبب صراعات داخلية، أو بسبب غزو خارجي، فان الحضارة نفسها تنهار، وليقلص عدد السكان، وتصبح البلاد غير مؤهلة لاعاشة عدد كبير من السكان بسبب فساد التربة والفيضانات. . . الخ.

لهذا السبب تحتل السلطة مكانة مركزية في عقل انسان هذه المنطقة وتكتسب ملامح وطقوس حاكم آلهي، يقول يحيى بن الحسين أن صورة الله عند أهل الجبر هي صورة للحاكم الاقوى وتبرير، في الوقت ذاته ـ لظلمه وفساده. وبالطبع، فانه اذا استمد الله صورته من الحاكم فمن المنطقي أن يصبح الحاكم شبه إله.

ان من يقرأ قصائد ومقالات محمود درويش في السنين الخمس الاخيرة، يرى أن درويش قد أضفى على عرفات الملامح الرئيسية لآله المجبرة، كما وصفه يحيى بن الحسين. ولا يتسع المجال لتفصيل ذلك، ولكنني أرجو أن يتاح لي الوقت لاقامة هذه المقارنة والخروج بالدلالات السوسيولوجية منها في دراسة قادمة.

هنالك مسألة أخرى، بالغة الاهمية بالنسبة لدراستنا، نلحظها منذ قيام الدولة الاسلامية الاولى في المنطقة العربية حتى الان، وهي أنه، عدا الانقطاع الحضاري الذي استمر قرابة ستمائة سنة، منذ سقوط بغداد على يد هولاكو، حتى انتهاء الحكم التركي، عدا ذلك فان هنالك استمرارية حضارية، متمثلة بحكم مركزي، ضيق أو متسع في هذا التاريخ الطويل نستطيع أن نلمس ظاهرة متكررة في التغييرات الاجتماعية الهيكلية، سواء تلك التي تمت في عهد عثمان بن عفان وتم استكمالها في عهد معاوية، أو تلك

التي قامت عبر نشوء البنية الرأسمالية للمجتمع العربي في العصر العباسي، أو في ذلك التحول من المجتمع الاقطاعي الى شكل مشوه من أشكال المجتمع الرأسمالي هذه الظاهرة تشير الى أن التغييرات الاجتماعية تتم من خلال تصالح بين الطبقات المسيطرة القديمة والطبقات الجديدة الصاعدة.

ولن أفصل هذه المعطيات لضيق المجال ولانني قد فعلت ذلك في كتاب كامل (العالم مادة وحركة) وفي مجموعة من المقالات نشرتها متفرقة عن (التأويل) في الفكر العربي.

تأسيساً على هذه المعطيات نستطيع القول أن دينامية التغيير في المجتمع الغربي تنطلق من مفهوم القطيعة المعرفية، كما أوردها غاستون باشلار، وطورها، من منطلق مختلف، لويس التوسير، في حين أن المفهوم الشرقي للتغيير يقوم على أساس التأويل.

لايضاح ذلك يكفي أن نشير الى علاقة الفكر الفلسفي بالدين. ففي حين قام الفكر الفلسفي العربي بدمج مقولاته (وتبريرها) في اطار الدين، قام الفكر الفلسفي الغربي، منذ عهد النهضة باقامة قطيعة نهائية مع الدين.

ان ابن رشد الذي جعل التأويل منهجاً حاول أن يبرهن أن الله لم يخلق العالم ولا الزمان، لانهما قديمان قدم الله، من خلال القرآن. يقول في «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال».

«هذا كله مع أن هذه الآراء في العالم ليست على ظاهر الشرع، فان ظاهر الشرع اذا تصفح ظهر من الآيات الواردة في الانباء عن ايجاد العالم أن صورته محدثة بالحقيقة، وأن نفس الوجود ويستمر من الطرفين - أعني غير منقطع - وذلك أن قوله تعالي (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) يقتضي بظاهرة أن وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء، وزماناً قبل هذا الزمان، أعني المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك، وقوله تعالي (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) يقتضي بظاهرة أن وجوداً ثانياً بعد هذا الوجود. وقوله تعالي (ثم استوى الى السماء وهي دخان) يقتضي بظاهرة أن السموات خلقت من شيء».

* * *

واذا انتقلنا الى موضوع العلاقات بين الانماط الثلاثة نجد أن نفس الديناميات العاملة في المجال الاجتماعي - الاقتصادي في كل من المجتمعين تعمل أيضاً في العلاقات بين الانماط الثلاثة.

ففي المجتمع الغربي يشكل كل نمط نفياً للنمط السابق وقطيعة معه، ان نمط الانسان المغامر، الذي يقيم الصناعات، ويستعمر البلدان الجديدة، ويجعل من حياته وسيلة لاهدافه المتجسدة في تغيير العالم والسيطرة عليه، يختلف جذرياً عن الانسان الموجه بواسطة التقاليد. ذلك الانسان الذي يسعى أن يكون مشابهاً للآخرين ويريد لكل شيء أن يبقى على حاله، لانه، كما يعتقد، يعيش في أفضل العوالم الممكنة.

أما في وطننا العربي فهذه الانماط الثلاثة تتعايش، دون تناقض كبير، في الشخصية الواحدة. فمجتمعاتنا الفلاحية ليست مجتمعات تقليدية كما كانت المجتمعات الاوربية في القرون الوسطى، اذ أنه - في مجتمعاتنا - تعايشت الاطر التقليدية مع دينامية المجتمع التجاري، فجعلت من فلاحينا بورجوازيين صغار. ولهذا النمط علاقة وثيقة بالنمطين الاخرين، اذ يحتويهما بشكل جنيني.

ان الانتقال عندنا من نمط الموجه بواسطة التقاليد الى نمط الموجه من الداخل عبر الانسان الذي يسعى الى تغيير العالم واخضاعه، بل من خلال شخصية وسلوك التاجر الصغير. انه النمط الذي يضع القرش فوق القرش حتى ينمو ويصعد. أعرف مثلاً أن البورجوازية الاردنية وصلت الى القمة الاقتصادية خلال تجارة الحبوب، أي عبر الوساطة بين الفلاح والمستوردين الخارجيين. وهي مسألة مضمونة ولا تحتاج الى نمط الانسان المغامر حتى يقنها. فلا يمكن لنمطين من هذا التكوين أن يشكلا قطيعة مع بعضهما.

بالنسبة لنمط الموجه بواسطة الاخرين فانه يتواجد، كما قلنا، في داخل النمط الموجه بواسطة التقاليد. فالبورجوازي الريفي الصغير، رغم تقتيره وسعيه للنمو عبر هذا التقتير الى مواقع الثراء، ولكنه يحاول أن يعطي صورة للآخرين بأن طموحه قد تحقق منذ البداية. أنه يرتدي أقنعة حلمه، محاولاً أن يقنع الاخرين بأنه ينتمي الى الطبقات الميسورة. وعندما قدم المجتمع الاستهلاكي، نتيجة لتوافر فائض النقود البترولية وليس نتيجة لوجود نمط الموجه من الداخل، فان بذوره كانت كامنة في تكوين النمط التقليدي - البورجوازي الصغير، ان هذا النمط قد استقبل المجتمع الاستهلاكي باعتباره تجسيد لحلمه الثابت، اذ أتاح له دون جهد أن يرتدي أقنعة الميسورين عبر مجموعة من الاشارات والشعائر الآتية من مجتمعه التقليدي.

ما هي علاقة البورجوازي الريفي الصغير بالمدينة؟.

انه يتوجه الى المدينة كغاز: المال والنساء والشهرة يجب أن تكون له. وهو في سعيه للوصول الى ذلك يستبيح كل المحرمات، منطلقاً من مفهوم أن الاخلاق مرتبطة بواقع جغرافي، وهو الريف، أما المدينة فتبيح كل شيء. من هنا نشهد ثنائيته، فهو بالنسبة لنساء بيته محافظ وتقليدي، أما نساء المدينة فكلهم مباحات له. أي أنه شديد الاخلاص للنواة الصلبة من القيم التي تمثلها في القرية، ويعتبر ما عداها مجرد وسائل للاستعمال. من الواضح أن مفهوم الوطن والامة، مفهوم الانتماء الى شعب بكامله، سواء أكان في الريف أم في المدينة، ضعيف ولا يرتكز الى عمق في تكوينه الروحي.

البورجوازي الصغير القادم من الريف يجد نفسه في الوظيفة الحكومية، انه يتحول بسرعة وانسجام كبير الى مثقف عضوي للسلطة، كما يقول غرامشي: «يمكن الحديث، بالتأكيد، عن مفهوم المثقف العضوي والمثقف التقليدي، وعن المثقف التقليدي (الريفي ذو النزعة الماضوية) الذي يتحول الى مثقف عضوي لحظة اندراجه في السلطة الثقافية لطبقة ما».

ويعرض دراج رأي غرامشي في الموضوع:

«ان غياب العلاقات الرأسمالية في الجنوب (الجنوب الايطالي)، وسيطرة كبار الملاك العقاريين يحقق الشروط الموضوعية لوجود المثقف التقليدي، الذي يلعب دوره في اطار جهاز الدولة، كوسيط سياسي بين الجماهير الفلاحية وكبار الملاك، حيث ينوس عمله في اطار محدد هو: المحامي، الكاتب، رجل الدين، الموظف، أي أن جهاز الدولة هو أفق المثقف التقليدي وغايته، وهذا ما يجعله يمثل ثلاثة اخماس بيروقراطية الدولة»[٦].

ويضيف: «فالمثقف الريفي يقوم بدور سياسي قوامه اخضاع الجماهير الفلاحية الى سلطة الدولة».

وباختصار فان الطبقات المسيطرة وجهاز الدولة تحتاج الى توسط المثقفين العضويين لممارسة عمليتي «الهيمنة والاكراه».

لماذا يقوم المثقف الريفي بهذا الدور؟.

لأن هذا الدور ينسجم مع تكوينه الروحي فهو لاترابطه بالجماهير علائق عميقة، بل هي مجرد أدوات للاستغلال، كما أن انتماءه للسلطة يجد صداه في تطلعاته للتمايز عن الجماهير التي (صعد) من بينها. ان نمط شخصيته لايعرف القلق أو عذاب الضمير والتردد اللذين ينتابان المثقف الحقيقي عندما يعمل في خدمة سلطة لايقتنع بها. فاخلاصه هو لاهدافه (قيمه التي تشكل النواة الصلبة لشخصيته.

شبه مثقف م. ت. ف.

ماذا يحدث لشبه المثقف الريفي عندما يأتي الى المدينة؟.

هنالك الاحتمال الاول الذي تحدث عنه لينين وهو أن تذوب تلك النواة، التي تحدثنا عنها، ويكتسب سمتين: سمة المواطن، وسمة المثقف الحقيقي، وبهذا يبني صورة - مثالاً لعالم ينسجم مع العقل.. وبكلمة أخرى يصبح مثقفاً ثورياً، أو تنويرياً على الاقل. هنالك مثال بارز على ذلك وهو طه حسين. ولكننا لن نناقش هذا الاحتمال بالتفصيل لانه ليس موضوعنا.

الاحتمال الثاني، أن تتحول تلك النواة الصلبة من كونها نتيجة للتوجيه بواسطة التقاليد الى نمط الموجه من الداخل، وكما قلنا، ان هذا النمط تختلف عن النمط الاوربي، اذ هو النمط الذي وصفه سيد درويش في العشرة الطيبة:

علشان ما نعلا ونعلا ونعلا

لازم نطاطي، نطاطي، نطاطي

أي حتى ترتفع مكانتنا علينا أن نبالغ في الخضوع، التذلل والطاعة هما وسيلتا الصعود.

يصف تشارلز ديكنز هذا النمط المتسلق بشكل رائع في روايته «ديفد كوبر فيلد» اذ هو قد جاء من أعماق البؤس ويتسم بشكل مقزز، ويسعى للصعود الى القمة الاجتماعية والزواج من جميلة، فجعل شعاره الذي يردده في كل الاوقات: انني مسكين ووضيع.

حددنا منذ قليل سمتين من سمات شبه المثقف وهما الفهم والتلون. السمة الاولى هي نتاج التكوين الروحي للبورجوازي الريفي الصغير في الصعود مادياً واجتماعياً. أما السمة الثانية فان شبه المثقف الفلسطيني على استعداد لفعل أي سيء يؤمر به والتلاؤم مع جميع الاوضاع ما دامت لاتمس تلك النواة الصلبة. هنالك واحد من هؤلاء تستطيع أن تحسب له أربعة مواقف متباينة من القضية الواحدة لا يربط بينها الا معطيين أساسيين: ارضاء سلطة ما، أو الانسجام مع القيم الثابتة في داخله.

ان محمود درويش مثال دقيق على هذا التلون. ففي مقال لي في مجلة «فتح» قلت:

«المثقف الفلسطيني الذي ارتبط بقيادة منظمة التحرير صورة نموذجية للمثقف المنفعل، الذي ينطلق من الخوف والرغبة. ان مواقفه وسلوكه لاتتحدد بمجموعة من المفاهيم والاهداف والمثل الراسخة، بل

تتحدد بالمناسبة. انه يلتزم بالمفهوم القديم والتقليدي للسلوك: لكل مقام مقال.

ان اعطاء بعض الامثلة يوضح الموقف.

لنأخذ محمود درويش كمثال، فمنذ سنين وهو يلتقي بالصهاينة في بوخارست وغيرها، لايجاد أسس مشتركة للتفاهم الفلسطيني - الاسرائيلي، وفي لقائه مع بعض المثقفين الاسرائيليين الذي نشرته صحيفة يديعوت احرنوت، يعاتب درويش السلطة الاسرائيلية لانها تخصصت في تضييع فرص السلام المتواترة التي تتقدم بها قيادة منظمة التحرير، السلام ليس لصالح الفلسطيني فقط بل لصالح (الشعبين).

لو كان هذا موقفاً ثابتاً لمحمود درويش لما وضعناه في خانة المثقف المنفعل. فرغم انتفاضة الارض المحتلة ظل اميل حبيبي ثابتاً على موقفه كما جاء في مجلة الكرمل (عدد ٢٧).

يقول حبيبي: «أدركنا أننا، في هذه - القضية، الشعب الضحية، مستقبلنا هو المهدد، ولا نهدد أحداً، ليس نحن الذين يبنون مستقبلهم على خرائب شعب آخر، بل الاخرون ليس نحن الذين يهددون الاخرين برميهم في البحر، بل نحن المرميون في بحار الغربة. لقد جمعنا القدر واخوتنا اليهود الاسرائيليين في وطن واحد ومصير واحد. ليس نحن من يتجاهل الحقيقة، بل الاخرون، لقد سلبنا السالبون حقنا في «استقلالية القرار الفلسطيني» الذي لايمكن أن يكون فلسطينياً الا اذا صدر عن الواقع الفلسطيني المتميز، هذا هو نهجنا، حصيلة أقسى وأطول تجربة، الذي تقوم عليه الانتفاضة وبه تنتصر».

ويضيف حبيبي:

«كنت يا محمود، أول من صافح هذا النهج الصميمي شعراً قبل ربع قرن من هذه الايام في أيام الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، في قصيدتك التي أخفيتها خجلاً عن «الصمت العربي» الذي لا يخجل «سجل، أنا عربي» وأنهيتها قائلاً: اذن!

سجل برأس الصفحة الاولى:

أنا لاأكره الناس ولا أسطو على أحد ولكني... اذا ما جعت آكل لحم مغتصبي حذار... حذار من جوعي وغضبي».

هذا التوافق بين حبيبي ودرويش يتضح من تأكيد حبيبي على حق الشعب الفلسطيني «في تقرير مصيره باقامة دولته المستقلة، على تراب وطنه المحتل منذ العام ١٩٦٧». المفارقة هنا، ان المجلة تحمل موقفاً آخر لدرويش في الافتتاحية يقول:

«عشرون عاماً من الاحتلال، أربعون عاماً من الاحتلال» وهكذا تصبح فلسطين كلها محتلة. ويقول درويش: «لا» حل عادل»، منذ قرار التقسيم حتى برنامج السلام العربي في فاس لا «حل عادل» في شق الابن الى شطرين، ولا في التعويض على الام بقطع صغيرة، أو كبيرة من جسد الابن». ويؤكد درويش أن الهدف النهائي للفلسطيني هو استعادة فلسطين كلها: «فلا أحد يملك سحر القوة لمنع التاريخ من العمل» استعادة الارض عملية تاريخية «كيف توضع قوات دولية لمراقبة عملية التطور التاريخي في اتجاه قد لايرضي الامن الاسرائيلي».

وهكذا نقرأ في عدد من أعداد مجلة «الكرمل» عن موقفين متناقضين لمحمود درويش. وإذا كان هذا يحيرنا فإننا نزداد حيرة من البيان الـذي أصـدره «مثقفـون فلسطينيون» يعقبون على مشروع المثقفين الاسرائيليين: «لاسلام بلا حرية» والذي كان محمود درويش أول الموقعين عليه يقول هذا البيان أن مشروع السلام الـذي اقـترحه عدد من المثقفين الاسرائيليين «هو تطوير نوعي في عملية تشكل وعي اسرائيلي مضاد..» وهذه لحظة «يمتحن فيها صدق الدعوة إلى السلام بمدى ارتباطه بالحرية» والبيان يعتبر المشروع «بادرة شجاعة تصلح أساساً للنضال اليهودي العربي المشترك ضد السياسة الاسرائيلية الرسمية التي تصر على التنكر لحقوق الشعب العربي الفلسطيني الوطنية وعلى حق العودة..».

المفترض، هنا، أن مشروع المثقفين الاسرائيليين يتضمن الدعوة إلى اعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية وإلى حقه من العودة، فهل هذا حقاً موقف هذا المشروع فعلاً؟

في حديث للروائي يهوشوا، الذي يتزعم هذا المشروع لصحيفة هيرالدتربيون، يقول متحدثاً عن الفلسطينيين.

«ثمة فريقان: الفريق... الذي يشعر بانتمائه إلى الفلسطينيين في المناطق، والفريق المتطرفون الذي يميل إلى تعميم التمرد، المتطرفون يتحدثون عن تحرير يافا وحيفا وعكا...»

يضيف: «ورغم أن عرفات قد صرح بأنه سوف يعترف باسرائيل إذا مااعترفت اسرائيل بـ (م. ت. ف.)، انما يجب عليه أن يعلن ذلك بتحديد واضح... لأنه لم يقل أن م. ت. ف. سوف تكف عن المطالبة بعودة لاجئي (١٩٤٨) إلى ديارهم لو أن عرفات يعلن أنه راغب بدولة منزوعة السلاح في الضفة الغربية وقطاع غزة فكان ذلك يعني العيش بسلام، وفتح الحدود مع اسرائيل».

ويقول:

«أنا مع الكونفدرالية التي ستتضمن ثلاث دول مستقلة هي اسرائيل وفلسطين والاردن، سيكون هناك نوع من السوق المشتركة، وسيسافر الناس عبر الحدود بسهولة، وسيكون ثمة مرور هو البضائع...».

ويقول:

ـ «نحن مهددون، علينا أن نقاتل طيلة الوقت ضد العرب... الذين يريدون حيفا وعكا ويافا. نريد اتخاذ موقف حمائمي، ولكننا لانريد الانتحار...».

هذه هي الخطوة العامة لمشروع المثقفين الاسرائيليين: دمج فلسطين والاردن في اسرائيل، الامتناع عن المطالبة بعودة عرب (١٩٤٨) إلى ديارهم، محاربة العرب الذين لايكتفون بأن تكون الدولة الفلسطينية ١٧٪ من أرض فلسطين. هو أسس كما يرى درويش وغيره من الموقعين على البيان «تصلح أساساً للنضال اليهودي ـ العربي المشترك».

وقد جاء اسم صابر محيي الدين في ذيل البيان، ولكن مجلة «الهدف» حملت تنويهاً يقول:

«ويهمنا في هذا الصدد التنويه بأن ليس للرفيق صابر محيي الدين أية علاقة، لا من قريب أو من بعيد بهذا البيان، ولم يستشر بخصوص ذلك، ويهمنا أن نوضح أننا، في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نرفض ذلك البيان موقفاً واسلوباً...».

ولابد من ايراد بعض الملاحظات على بيان (المثقفين) الفلسطينيين:

أولاً: قول البيان المثقفين الاسرائيليين مالم يقولوه. جعلهم مطالبين بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. حق تقرير المصير لشعب يعني بناء دولته على أرضه، وبناء قواته المسلحة وحق الذين اقتلعوا من أرضهم أن يعودوا إليها... وهذا مالم يقله المثقفون الاسرائيليون، بل طالبوا بعكسه تماماً.

ثانياً: أنه جعل المثقفين الاسرائيليين يطالبون بحق الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم، وهذا مالم يقولوه، بل طالبوا بعكسه.

ثالثاً: انهم زايدوا على المثقفين الاسرائيليون فقبلوا قرارات الأمم المتحدة بما فيها قرار ٢٤٢ الذي يعتبر قضية فلسطين قضية لاجئين، وفي هذا تجاوزهم المثقفون الاسرائيليون.

رابعاً: أن أصحاب البيان الفلسطيني واصلوا تقاليد في تزييف الانتخابات فوضعوا اسم صابر محي الدين دون علمه وضد رغبته.

خامساً: البيان يحمل توقيع محمود درويش، والبيان رد على افتتاحيته في الكرمل عدد (٢٧)، فكل مايقوله هنا ينفيه هناك، مطبقاً شعار:

«لكل مقام مقال».

ومثال آخر على هذا التلون هو أن محمود درويش نشر قصيدة يقول فيها للصهاينة: اخرجوا من دمنا، من ذاكراتنا، من أرضنا الخ... القصيدة أثارت ضجة في اسرائيل حتى أن شامير ألقى أجزاء منها في الكنيست ليبرهن أن العرب يريدون ازالة اسرائيل.

فكتب درويش يرد على هذه الضجة يقول أن الاسرائيليين بسبب عقدهم النفسية فهموا أن قصيدته تعني الصراع الفلسطيني الاسرائيلي هو صراع وجود، في حين أن القصيدة كانت «فشة خلق».

«وحين سئل أحد نواب الليكود: ألا يقول نشيدكم أن لنهر الأردن ضفتين: غربية وشرقية أيضاً؟ قال: يحق لي أن أغني...».

ويعتبر درويش مقولة نائب الليكود حقيقة ثابتة في علم الجمال: لايمكن أن نأخذ الشعر بجدية، لأن أحسن الشعر كذب، ويعلق على ذلك: «فهل يحق للفلسطيني أن يغني وطنه كما يحق للاسرائيلي أن يغني توسعه؟» انها العقد النفسية التي جعلت الاسرائيلي يسيء فهم مقاصد درويش: «ان الاسرائيلي هو الذي يفقر ذاته وموضوعه، ويزيدها افقاراً بتربية خوف غريزي من عدو لابد منه، عدو مصنوع بعناية فائقة...».

الواضح أن درويش يقدم اعتذاراً عن قصيدته لأنها جاءت خارج سياق الأسس التي «تصلح أساساً للنضال الفلسطيني ـ اليهودي المشترك ضد السياسة الاسرائيلية الرسمية...» وضد منطلقات القيادة اليمينية التي دعته إلى لقاءات مع الصهاينة، شارك درويش في بعضها، وضد مفهوم التعايش الخ..

وباختصار فإن درويش قد قال «الكلمة القاتلة» في قصيدته وإن الاجابة عليها ـ كما حدث مع ناجي العلي ـ هي «الرصاصة القاتلة» إن لم يعتذر، فاعتذر.

وقبل أن ننتقل إلى مناقشة دلالة هذا التكون على تفاعل الأنماط، أو ربما على جدلها، في تكوين أشباه المثقفين الفلسطينيين، والذين هم المثقفون العضويون للسلطة الفلسطينية سوف نستعيد ماقاله رايزمان عن علاقة نمطي الموجه من الداخل والموجه بواسطة الآخرين باللغة نذكر بما قال رايزمان:

«انتشار الثقافة والأعلام ترافق باستهلاك متوايد للغة والصور بينه وبين نفسه. ونتيجة لهذا فالموجه بواسطة الآخرين يعايش الأحداث السياسية عبر (ستارة) بين الكلمات حيث تتذرر وتتشخص الأحداث السياسية» يصف الدكتور فيصل دراج هذه الحالة بالنسبة للعقل الفلسطيني:

«المتجدد بين القول والعمل نسق من القول والكتابة، اسمه الأول والأخير التذهين، حيث يتم وأد الفكر والواقع في سلسلة من الرموز المقدسة التي تفسر الواقع بدلاً من أن يفسرها الواقع: الوطن، الفدائي، البندقية، البشارة، المؤامرة، الشهيد، الملصق، المخاض... وتم التعامل مع هذه كما لو كانت أشياء خارج الوعي أو علاقات خارجية لاتحتاج إلى الوعي، حتى أصبح واقع «الثورة» لاهوتاً جديداً، يقمع العقل ولايوقظه، ويأمر الانسان ولايربيه، ويدفع بالجميع إلى غيبية التفاؤل، التي شرطها الأول استقالة العقل والامتثال انهزمت الثقافة قبل وصول الهزيمة الحقيقية.»(١)

أما الشخصية الموجهة من الداخل، والتي ماتزال حاضرة في المجتمع الاستهلاكي، فإنها تتجه إلى وضع الكلمات في نظام عقلي وفي نسق أخلاقي.

أمامنا هنا مسألتان: هل الكلمة رمز لشيء خارجي، تشير إليه، دون أن تكون هي ذاته؟ وهل الشيء الخارجي قائم بذاته، أم يندرج في انساق من العلاقات، وبالتالي، هل تعبر اللغة عن ذلك الشيء في علاقاته؟

ولكن هذا ليس دراسة في فقه اللغة، بل في البنية النفسية للانسان. أي أن الموضوع هو دلالة استعمال اللغة على هذه البنية.

من الطريف أن نتابع استعمال محمود درويش للكلام في السنوات الخمس الأخيرة. في عام (١٩٨٣) أصدر عرفات أمراً إلى القوات الفلسطينية في لبنان أن تنسحب من مواجهة العدو الصهيوني إلى المنافي البعيدة، اعتماداً على وعد فيليب حبيب بأن ذلك سيفتح الطريق إلى الدولة الفلسطينية. وعندما رفضت هذه القوات أن تنسحب شن حرباً عليها انتهت بخروجه هارباً من ميناء طرابلس عبر سفن اسرائيلية ومصرية وفرنسية. هذا الصراع الفلسطيني كان يعبر عن جدل عربي - عربي، عربي - اسرائيلي، امريكي - عربي، سوفيتي - امريكي والعديد من العلاقات المعقدة.

كيف عبر درويش عن ذلك؟

أعجبته صورة عرفات في البحر، يشق طريقه وسط أخطار (لم يكن لها وجود في الحقيقة) وأهوال وتداعت إلى ذهنه صور أدبية عن المغامرين الاسطوريين، يشقون طريقهم في البحار، ويعيشون الموت في كل لحظة.

هل لهذا التيار الجارف من الكلمات والصور علاقة حقيقية بالواقع المعقد (أو بالانسان العقلية والأخلاقية) الذي ترمز له؟

الجواب: لاعلاقة فهناك بطولة أكبر - بالمعنى الذي يقصده درويش - في هرب تاجر المخدرات من سفن الدولة التي ينتمي إليها المهرب وربما زوارق الانتربول بشحنته من سفر عرفات من طرابلس إلى مصر. فلو أرادت البحرية الاسرائيلية أو الطيران الاسرائيلي تدمير السفينة التي يركبها عرفات لما وقفت بطولة عرفات في وجهه فأية بطولة هذه التي تعتمد على كرم العدو وحلمه!

ولكنها لعبة اللغة المنفصلة عن دلالاتها. وهناك القرار الفلسطيني المستقل الذي يكثر درويش من استعماله دون اشارة واحدة إلى دلالته الحقيقية. فمن ناحية واقعية، عن أية قوى يستقل هذا القرار؟ عن السياسة الامبريالية - الصهيونية؟ عن الرجعية العربية المستقلة عن شعوبها والمنخرطة في السياسات الامبريالية؟

قطعاً لا. فسياسة عرفات التي تحلم (حلماً ليس له مايبرره واقعياً) بالدولة الفلسطينية عبر النضال اليهودي - الفلسطيني المشترك، والتفاوض المباشر، والاعتراف المتواقت مع العدو، والانحياز إلى كامب ديفيد الخ... تعني استقلال القرار الفلسطيني عن المعركة لتحرير فلسطين. هذا مثال آخر عن اكتفاء اللغة بذاتها وانفصالها عن دلالاتها.

نأتي الآن إلى فيصل دراج. ولنأخذ كمثال دراسته التي أشرنا إليها منذ قليل «الثقافة الفلسطينية بين مأساة العجز وكوميديا الانحطاط» هذه الدراسة هي عمل لجهد الخروج من البلاغة الفلسطينية المكتفية بذاتها، والمنعزلة عن الواقع «وكأن أشكال الهزائم والاحباط لاتستثير عقل القائد أو لسانه، وإن امتثل جوابه خاطئاً، إذ أنه لم يتقن في ساحات حياته إلا البلاغة، والبلاغة مصادرة للعقل أولاً.» والثقافة الفلسطينية مطروحة في الصراع، إذ هي علاقة سياسية كاملة، أي علاقة اجتماعية «وميزان القوى في الساحة الفلسطينية يطرد الثقافة إلى آفاق النخاسة والامتهان والمبادلة اليومية.»

ثم ينتقل الكاتب إلى شجب مفهوم «يرى نهوض الثقافة الفلسطينية في وحدة كتابها وصحفييها.. إن طرحاً كهذا لايرى وحدة الثقافة في وظيفتها الوطنية بل في وحدة شكلية واهمة...» ويؤكد أن أزمة الثقافة الفلسطينية «في غياب دورها النقدي الفاعل..»

ينطلق الكاتب من هذا ليرى أن أزمة الثقافة مرتبطة بالعلاقات السياسية والاجتماعية داخل الساحة الفلسطينية.

«إن الموقف العلمي من الثقافة لايرمي وظيفة الثقافة إلا في دورها التحولي الشامل الذي يقوم كعلاقة عضوية، داخلية في برنامج سياسي يهدف إلى تحويل جملة العلاقات التي تؤسس لنهوض وطني مستمر...»

ليس هدفنا، هنا، تقديم عرض شامل لهذه الدراسة المتميزة والمكثفة. هدفنا هو أن نطرح هذه العلاقة مع اللغة، التي لاتراها مكتفية بذاتها، بل ترى فيها دلالة على من يقولها، وعلى العلاقات التي يقيمها مع نفسه ومع المجتمع كي يحولها عبر ذلك إلى انساق عقلية وأخلاقية.

شبه المثقف
والأنماط الثلاثة

علينا أن نرصد التحولات في التكوين النفسي لشخصية شبه المثقف الفلسطيني. لقد كان تكوينه الأساسي نتاج مجتمع وقيم تقليدية. لقد خرج هذا التكوين عن اطاره الاجتماعي واندمج في تكوين آخر: السلطة الفلسطينية والمدنية.

من هنا نشأت بعض ملامح النمط الموجه من الداخل حيث انسجمت السلطة الفلسطينية ذات

السمات التقليدية مع الاطار القروي في مسألة أساسية وذلك أنها تعاملت مع الطموحات الأساسية للبرجوازي الريفي الصغير: الثراء والصعود الاجتماعي. ومن هنا تحول شبه المثقف الفلسطيني إلى مثقف عضوي للسلطة الفلسطينية، وبالتالي للكومبرادور الفلسطيني.

هذا هو الظرف الجديد: دخل شبه المثقف الفلسطيني في سياق آخر، نعني به سياق المجتمع الاستهلاكي. أن الوفرة المادية، مضافاً إليها انعدام الانتاجية وغياب الدور قد أحدثت تأثيرات جعلته يقترب كثيراً من نمط الموجه بواسطة الآخرين. ولكن علينا أن نفهمه بصورة عن تلك التي قدمها رايزمان وايرك فروم. أن ملامح الشخصية مازالت نتاجاً لمجتمع تقليدي. وتهمة الامتلاك والصعود الاجتماعي، دون اعتبار للآخرين، يحمل بعض ملامح النمط الموجه من الداخل. ولكن هناك فارقاً أساسياً: أن هذه الملامح هي ذات طابع ستاتيكي راكد، سمتها الخضوع، لاالرغبة العنيفة في تغيير العالم.

أما بالنسبة للملامح الاستهلاكية التي تسربت إلى شبه المثقف الفلسطيني، والرغبة في ارضاء الآخرين فهي ترتكز على نواة نفعية: أي أنه يرضي الآخرين ليستفيد منهم.

وباختصار أننا أمام نمط جديد: المثقف العضوي لطبقة منحطة وسلطة منحطة. لقد تضافرت مجموعة من العوامل التاريخية والاجتماعية على خلق هذا الانموذج الانساني الغريب الذي يصعب تصنيفه. وإذا أردنا أن نحدد المسئولية المباشرة عن خلق هذا الانموذج فإنها قطعاً تقع على السلطة الفلسطينية، فمن المؤكد أن هؤلاء الشبان جاؤوا إلى الثورة الفلسطينية مدفوعين بدوافع وطنية ـ أو حتى ثورية. هذا يعني أنهم قد أعدوا أنفسهم لتغيير جذري في تكوينهم وفي علاقاتهم بالعالم.

إن ظرف الاندفاع نحو الثورة الفلسطينية، أي العنصر الذاتي، يحتاج إلى بعض التفصيل والايضاح. لهذا سوف نأتي بمثال سابق، وهو ثورة اكتوبر في روسيا. بدور الحديث عن هذه الثورة، في الغالب، بأنها نتاج ظروف موضوعية قادت إلى انتصارها بشكل حتمي. ولكن نادراً مايقال أن هذه الظروف نفسها كان من الممكن أن تؤدي إلى نتائج مختلفة تماماً.

فما هو العامل الحاسم الذي جعل الوضع الروسي يقود إلى ثورة اكتوبر؟

أنه، كما أعتقد، الانتلجنسيا الروسية. يقول ستيفان زيفايج أنه إذا أجرينا مقارنة بين الانتلجنسيا الروسية والانتلجنسيا الاوربية الغربية في دراسته عن دستويفسكي فسوف نلمس الفارق يقول:

أن من العجيب عن هؤلاء الروس «إن العالم يبدأ من جديد في كل فرد من هؤلاء، لأنهم أناس ينتمون إلى مرحلة بداية، وان كل الاسئلة التي تجمدت عندنا متحولة إلى مفاهيم باردة مازالت تتقد في دمائهم، وإن طرقنا المريحة المسلوكة المجهدة المؤيدة إلى ميادين الأخلاق والتي يقوم عليها مرشدون أخلاقيون مازالت مجهولة عندهم فهم يخترقون الأحراش دائماً وفي كل مكان إلى مالا حد له، إلى اللانهائي. وكل فرد منهم يشعر بما تشعر به، روسيا لينين وتروتسكي، وهو أن عليه أن يعيد بناء العالم بأسره، وتلك هي قيمة الانسان الروسي التي لاتوصف بالقياس إلى اوربا، وهي أن فضولاً بكراً يطرح هنا، مرة أخرى، كل أسئلة الحياة على اللانهاية، وإن قوماً آخرين مازالوا متوقدين على حين أصبحنا نحن خاملين في ثقافتنا.»

ويقول كويستلر أن اللجنة المركزية للحزب البولشفي كانت تضم ألمع مفكري اوربا.. وعلينا أن نتذكر أن المرحلة الاولى من ثورة اكتوبر قد انتجت أعظم منجزات السينما والمسرح في وسط ظروف اقتصادية

واجتماعية بالغة الصعوبة. لهذا أصبحت روسيا المتخلفة، الجائعة، المطحونة بالحروب الأهلية والغزو الأجنبي مركز عقل العالم وروحه.

إن فرصة مشابهة قد أنتجت للثورة الفلسطينية ولكن ماذا كانت النتيجة أننا نجد بديلاً من لينين وتروتسكي وستالين وبوخارين وزينوفييف وايزنشتاين وستانسلافسكي وشولوخوف ومايا كوفسكي.. نجد عرفات وأبو مازن وخالد الحسين وأحمد عبد الرحمن وغانم زريقات وأحمد دحبور وحكم بلعاوي وأبو الزعيم وأبو الهلال وآخرون يبلغ من تفاهتم أنه يستحيل ذكر أسماءهم.

لقد كانت الثورة الفلسطينية مرشحة لأن تستقبل ألمع العقول العربية والعالمية، ولكنها، كما أشرنا، أبعدت المثقفين عنها ودمجت في داخلها أشباه المثقفين بعد أن اوقفت نموهم العقلي والروحي.

هذا ماحدث بالفعل لهؤلاء الشبان. أن ظرفاً من الاشتعال والتوهج الروحيين والعقليين الذين قد جعلهم على امكانية نادرة: أن تعاد صياغتهم ليصبحوا مثقفين ثوريين، لأن يعيدوا صياغة العالم من حولهم وهم يعيدون بناء أنفسهم. وهذا يعني أن تذوب تلك النواة الصلبة من القيم والمفاهيم التي تشكل المعطيات الأساسية للتكوين الروحي للبورجوازي الريفي الصغير، ويولد المثقف الثوري. ولا يستبعد بعد ذلك أن نقيم مقارنة بين مفكري م. ت. ف. ومفكري ثورة اكتوبر، ومقارنة أخرى بين سينمائيين وأدباء وشعراء الثورتين، بدلاً من أن نواجه هذه المقارنة الخرافية بين «الوجدانيات» الفلسطينية والمدرعة بوتمكين.

منذ البداية أقامت القيادة اليمينية سلسلتها المنطقية: الفكر تابع للبندقية، والبندقية تابعة للكومبرادور الفلسطيني، وللرجعية العربية. كما قدمت هذه القيادة ثرثرة غوغائية تخفي بها مشروع الكومبرادور الفلسطيني، وهو أن تتحول الثورة الفلسطينية إلى مجموعة ضغط اقتصادي داخل الولايات المتحدة، تنافس المؤسسة الصهيونية، ثم تقيم ـ كما اتضح الآن ـ تنسيقاً معها، وكما سنشرح بعد قليل.

هذا ما واجه هؤلاء الشباب ـ المشروع، ومن خلال القمع والافساد بالمال وعبر دروشات مثقفين عرب تم انحرافهم بمال م. ت. ف. تم تقزيم هؤلاء الشبان وتبليعهم حتى تحولوا إلى مجرد أدوات اعلامية تافهة. ومن خلال القمع والافساد تمت مصادرة الامكانيات الثورية داخلهم وجرى تثبيت نمط البرجوازي الريفي الصغير، فاتحة أمامه سبل الانخراط في سياق المجتمع الاستهلاكي.

عبر هذا التدجين أصبح شبه المثقف الفلسطيني مثقفاً عضوياً للكومبرادور الفلسطيني. والآن تضيق الحلقة حول مثقفي م. ت. ف. ويصبح أقصى طموح قيادته، وطموحه بالتالي، أن يؤكد لقادة اسرائيل حسن نيته ورغبته في التحالف معهم. وسنورد، هنا، جزءاً من تصريحات بسام أبو شريف، والتي تعبر عن رأي عرفات، كما يقول، والتي أطلق عليها زميلي وصديقي عبد اللطيف مهنا اسم «وعد بلفور جديد»:

«.. فإنك ستجد بأن الفلسطينيين هم على اتفاق تام حول الأهداف والوسائل(١). أن هدف اسرائيل هو السلام والأمن الثابتين، كذلك فإن السلام والأمن الثابتين هما هدف الشعب الفلسطيني أيضاً، ولاأحد يستطيع أن يفهم معاناة الشعب اليهودي على مدى قرن أكثر من الفلسطينيين... اننا نشعر بأن ليس هناك من شعب سواء كان الشعب اليهودي أم الشعب الفلسطيني يستحق الظلم وحرمان الحقوق وسوء المعاملة، وهي الأمور التي تدفع به حتماً إلى اليأس..»

ثم يعلن حق اسرائيل في الوجود ويتوقع من «الشعوب المجاورة».. نوعاً من التعاون السياسي

والاقتصادي الذي من دونه لايمكن لأية دولة أن تضمن أمنها مهما كانت قوة آلتها الحربية . . . أن انفتاح التسوية الفلسطينية ـ الاسرائيلية . . . أن سبب وجودها (م . ت . ف .) ليس خراب اسرائيل . هدفنا النهائي . . حياة آمنة ليس لأطفالنا فقط بل لأطفال اسرائيل أيضاً . . . »

ماذا سيكون الآن موقف «مثقف» م . ت . ف . الذي بدأ فعله بعزم على تحرير فلسطين من النهر إلى البحر وانتهى إلى مطالبة الشعوب المجاورة أي العرب بعدم «التدخل» في شؤون اسرائيل والفلسطينيين، والاكتفاء بتعاون سياسي واقتصادي لضمان أمن دولة اسرائيل «مهما كانت قوة آلتها الحربية»؟ وماذا يكون موقفه من كون هدفه النهائي هو حماية أطفال اسرائيل؟هل سيراجع موقفه؟

لن يفعل شيئاً من هذا لأن الطريق مسدود أمامه، وموقفه هو الخضوع المطلق والانغماس في الفردوس الاستهلاكي تم اخصاؤه، فلم يعد يصلح لأي عمل آخر.

(١) فيصل دراج ـ مجلة النهج ـ ١٩ ـ غرامشي والبحث عن سؤال الثقافة .

(٢) نفس المصدر.

نتائج انتخابات الكنيست ١٢

استمرار الاستقطاب الطائفي
وصعود القوى الفاشية والمتطرفة

عوني صادق*

تظهر القراءة الاولية في نتائج الانتخابات الاسرائيلية وخريطتها التي رسمتها للكنيست الثانية عشرة، حقيقة كبيرة واحدة، ليست جديدة في مطلق الاحوال، هي أن المسار الذي افتتحه «الانقلاب السياسي» في انتخابات الكنيست التاسعة لعام ١٩٧٧ بوصول تكتل (الليكود) الى السلطة لايزال مفتوحاً بعد أن تم تعبيده وأصبح السير عليه أسهل وأوضح .

حتى الآن لاتوجد لدينا المعطيات التفصيلية الكاملة عن عملية التصويت التي جرت وأعطت نتائج الانتخابات الاخيرة، الامر الذي يفرض علينا التعامل مع ما توفر بين أيدينا من معلومات، الا أن النقص الحاصل ليس من شأنه أن يؤثر على الاتجاهات أو الاستنتاجات العامة التي سجلتها هذه القراءة.

* صحفي وباحث مختص بشؤون الصراع العربي الصهيوني.

والاقتصادي الذي من دونه لايمكن لأية دولة أن تضمن أمنها مهما كانت قوة آلتها الحربية . . . أن انفتاح التسوية الفلسطينية ـ الاسرائيلية . . . أن سبب وجودها (م . ت . ف .) ليس خراب اسرائيل . . هدفنا النهائي . . حياة آمنة ليس لأطفالنا فقط بل لأطفال اسرائيل أيضاً . . . »

ماذا سيكون الآن موقف «مثقف» م . ت . ف . الذي بدأ فعله بعزم على تحرير فلسطين من النهر إلى البحر وانتهى إلى مطالبة الشعوب المجاورة أي العرب بعدم «التدخل» في شؤون اسرائيل والفلسطينيين، والاكتفاء بتعاون سياسي واقتصادي لضمان أمن دولة اسرائيل «مهما كانت قوة آلتها الحربية»؟ وماذا يكون موقفه من كون هدفه النهائي هو حماية أطفال اسرائيل؟هل سيراجع موقفه؟

لن يفعل شيئاً من هذا لأن الطريق مسدود أمامه، وموقفه هو الخضوع المطلق والانغماس في الفردوس الاستهلاكي تم اخصاؤه، فلم يعد يصلح لأي عمل آخر.

---

(١) فيصل دراج ـ مجلة النهج ـ ١٩ ـ غرامشي والبحث عن سؤال الثقافة .

(٢) نفس المصدر.

نتائج انتخابات الكنيست١٢

استمرار الاستقطاب الطائفي
وصعود القوى الفاشية والمتطرفة

عوني صادق*

تظهر القراءة الاولية في نتائج الانتخابات الاسرائيلية وخريطتها التي رسمتها للكنيست الثانية عشرة، حقيقة كبيرة واحدة، ليست جديدة في مطلق الاحوال، هي أن المسار الذي افتتحه «الانقلاب السياسي» في انتخابات الكنيست التاسعة لعام ١٩٧٧ بوصول تكتل (الليكود) الى السلطة لايزال مفتوحاً بعد أن تم تعبيده وأصبح السير عليه أسهل وأوضح .

حتى الآن لاتوجد لدينا المعطيات التفصيلية الكاملة عن عملية التصويت التي جرت وأعطت نتائج الانتخابات الاخيرة، الامر الذي يفرض علينا التعامل مع ما توفر بين أيدينا من معلومات، الا أن النقص الحاصل ليس من شأنه أن يؤثر على الاتجاهات أو الاستنتاجات العامة التي سجلتها هذه القراءة.

---

* صحفي وباحث مختص بشؤون الصراع العربي الصهيوني.

أولاً : العمل والليكود في الميزان :

وصف كثير من المراقبين الاسرائيليين انتخابات ١٩٨٨ بأنها (تاريخية)، ولحق آخرون بهم فب مختلف دوائر المراقبة العالمية. وصفة (التاريخية) هذه جاءت من حقيقة أن الانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة قضت على وهم امكانية استمرار (الوضع الراهن) وأصبح على الاسرائيليين مواجهة (ساعة الحقيقة) في موضوع الصراع العربي ـ الصهيوني والقضية الفلسطينية وأي نوع من (اسرائيل) يريدون. وفي ضوء نتائج الانتخابات يتضح أن هذه الانتخابات لم تكن تاريخية في شيء. المهم أنه للاعتبارات المذكورة تركزت الحملة الانتخابية ـ وبمبادرة من حزب العمل ـ على موضوع (السلام مع العرب)، وفي إطاره دار الصراع.

كان ذلك خطأ قاتلاً ارتكبته زعامة حزب العمل، وخدمة كبرى قدمها بيريز لخصمه شامير وتكتل (الليكود)، لان تركيز الحملة على موضوع (السلام) أزاح الى منطقة الظل كل القضايا الاجتماعية والاقتصادية اللاهبة في الكيان الصهيوني، وسهل الامور على شامير وكشف حزب العمل أمام اتهامات (الليكود) والتركيز على أولئك الذين يريدون التفريط في (أرض اسرائيل) والتخلي عن الاراضي المحتلة. هذه الوضعية أتاحت لتكتل (الليكود) أن يخوض الصراع ضد حزب العمل في الحقل المؤهل له، بينما كان في استطاعة حزب العمل أن يزاود في القضايا الاقتصادية والاجتماعية.

واذا كان من المتفق عليه منذ انتخابات الكنيست التاسعة أن وصول (الليكود) في ذلك العام الى السلطة قد جاء على ظهر أصوات يهود الطوائف الشرقية، فان الحديث عن (السلام) وتصوير حزب العمل بأنه على وشك التخلي عن الاراضي المحتلة، لابد أن يبعد هذه الاصوات بشكل شبه حاسم عنه، بعد أن تحولت جماهير هذه الطوائف الى جماهير (ممتازة) بفضل احتلال الارض الغربية ووجود المواطنين العرب فيها. وكان الحديث عن التخلي عن هذه-الاراضي عملياً، ضربة توجه الى الوضع الاقتصادي للطوائف الشرقية فضلاً عما يثيره هذا الحديث من جوانب أيديولوجية ودينية لديها، ولدى المتطرفين من اليهود (الاشكناز) أيضاً.

طبعاً لم يكن ابتعاد حزب العمل عن إثارة القضايا الاقتصادية والاجتماعية بلا مبرر أو بسبب النسيان، بل إن مشاركة الحزب في كل الاجراءات التي اتخذت في فترة (التقشف الاقتصادي) تمنع عنه المزوادة على (الليكود) أو الادعاء بحرصه على مصالح العمال والاجراء والفقراء من اليهود. كذلك فان مساهمته في منع إقرار المشاريع التي قدمت الى الكنيست واتصلت بالقضايا الدينية، لم تكن منسية. لذلك، اضطر الى خوض الصراع مع (الليكود) في حقل لايستطيع المنافسة فيه.

أيضاً، كانت سياسة اسحق رابين وحاييم بازليف تجاه المواطنين العرب ومحاولات قمع الانتفاضة سبباً كافياً يمنع عن حزب العمل أكثرية الاصوات العربية التي كان يحصل عليها في الدورات السابقة، فاكتملت الصورة، وخسر الجولة وربما الحرب.

والآن، إذا نظرنا الى خريطة الكنيست الجديدة (جدول ـ ١)، نجد حزب العمل وقد حصل على (٣٩) مقعداً تعادل ما نسبته (٣٢,٥٪) من مجموع الاصوات مقابل (٣٦,٧٪) حصل عليه (المعراخ) في انتخابات ١٩٨٤. في الوقت نفسه، حصل (الليكود) في الانتخابات الاخيرة على (٤٠) مقعداً تعادلما نسبته (٣٣,٣٪) من مجموع الاصوات، مقابل (٣٤,١٧٪) في انتخابات ١٩٨٤. وإذا أخذنا في الاعتبار

جدول رقم (١)

نتائج انتخابات الكنيست ١١ و ١٢

الحزب	مقاعد انتخابات ١٩٨٤	مقاعد انتخاب ١٩٨٨	
المعراخ (العمل)	٤٤	٣٩	
مبام		٣	انفصل عن المعراخ
راتس	٣	٥	
ياحد	٣		اندمج في العمل
شينوي	٣	٢	
الليكود	٤١	٤٠	
هتحيا	٥	٣	
كاخ	١		لم يشارك في الدورة الاخيرة
اوتس	١		اختفى عن الدورة الاخيرة
موليدت		٢	حزب جديد
تسوميت		٢	انفصل عن هتحيا
المفدال	٤	٥	
أغودات يسرائيل	٢	٥	
شاس	٤	٦	
موراشا	٢		اختفى
تامي	١		اختفى
علم التوراة		٢	حزب جديد
ج . د للسلام والمساواة	٤	٤	
ق . ت . للسلام	٢	١	
الحزب العربي الديمقراطي		١	انفصل عن العمل
المجموع	١٢٠	١٢٠	

أن (المعراخ) كان يضم في صفوفه في انتخابات ١٩٨٤ حزب (مبام) الذي أعطي يومها (٦) مقاعد تعادل (٥٪) من مجموع الاصوات، تصبح حصة حزب العمل وحده (٣١,٧٪).

هذا يعني أن حزب العمل بالمقارنة مع انتخابات ١٩٨٤، ربح (٠,٨٪) من مجموع هذه الاصوات (مع ملاحظة أن عدد أصحاب حق الاقتراع قد ازداد في العام ١٩٨٨) أما بالنسبة الى (الليكود)، فانه ربح

هو الاخر ما يعادل (٩,٠٪) من مجموع الاصوات. والنتيجة النهائية لهذا عي أن العمل والليكود لم يخسرا على صعيد الاصوات الانتخابية مقارنين بما حصلا عليه في العام ١٩٨٤، الا بمعنى أنهما لم يحرزا تقدماً إزاء المتغير الديمغرافي. فقد حافظ كلاهما على أنصارهما القدماء ولم يكسبا أنصاراً جدداً، مما يعني أن جمهور المستوطنين بدأ يدير الظهر لهما ملتفتاً الى الاحزاب الصغيرة والجديدة أو والمتدينة المتطرفة التي أخذت تتحكم في الخريطة السياسية.

ومما هو جدير بالذكر، هنا، أنه في انتخابات ١٩٨١، حصل (المعراخ) على (٣٦,٦٪) من مجموع الاصوات مقابل (٢٤,٦٪) في انتخابات ١٩٧٧، بينما حصل (الليكود) في انتخابات ١٩٨١ على (٣٧,١٪) من هذه الاصوات مقابل (٣٥,٤٪) في انتخابات ١٩٧٧. وهذا معناه أن الحزبين خسرا في انتخابات ١٩٨٨ مقابل انتخابات ١٩٨١، وأنهما يتراجعان معاً، لكن تراجع (العمل) أكبر.

من ناحية أخرى، تشير ظاهرة (الثبات النسبي) في أوضاع الحزبين الكبيرين الى أن التصويت في الدورتين الاخيرتين (خصوصاً) ومن جميع الدورات الانتخابية كات يتم على خلفية طائفية تقليدية عند الشرقيين وعند (الاشكناز). فاليهود الشرقيون الذين أعطوا أصواتهم إلى (الليكود) في عامي ١٩٧٧ و ١٩٨٤، واليهود (الاشكناز) الذي أعطوا أصواتهم (للعمل) في العامين المذكورين، أعطوا في الانتخابات الاخيرة لمن تعودوا أن يعطوه (وبالمناسبة فان اليهود الاشكناز أكثر طائفية من اليهود الشرقيين على عكس ما هو شائع)، باستثناء نسبة ضئيلة تشتمل على الذين ماتوا.

مع ذلك، فقد اختلف الميزان من حيث علاقة الحزبين الكبيرين، ففي انتخابات ١٩٨٤ كانت قوة (الليكود) الى قوة (العمل) تعادل (٩٣,١٪)، لكنها أصبحت في انتخابات ١٩٨٨ تعادل (١٠٢,٦٪).

وبكلمة، تدل نتائج (العمل) و (الليكود) على أن البداية التي شهدتها بوضوح انتخابات ١٩٧٧، قد زادت تبلوراً، وأن التطرف في المواقف السياسية والطائفية والدينية كانت في صلب هذه النتائج، الامر الذي يشير الى تعمق الانقسامات في الاتجاهين، الافقي والعمودي، وأن حزب العمل لم يعد يمثل (الحزب القومي) ولم يصل (الليكود) الى هذا المستوى بل وليس في المؤشرات ما يفيد حدوث ذلك قريباً. وبذلك عبرت الخريطة الجديدة عن الوضع الطبيعي للمهاجرين اليهود أكثر من أي وقت مضى، ونعني بذلك (وضعية التشرذم أو التفتت).

ثانياً: الخريطة السياسية الجديدة ومواقع (اليسار واليمين):

إذا اعتبرنا، بغرض الدراسة، المعسكر (اليساري) مكوناً من أحزاب (اليسار الصهيوني) مضافاً اليها القوائم العربية، نستطيع أن نسجل المعطيات التالية:

في الانتخابات الاخيرة، حصل (اليسار الصهيوني) على (٤٩) مقعداً تعادل ما نسبته (٤٠,٨٪) من قوة الاصوات الانتخابية، وبإضافة (٦) مقاعد حصلت عليها القوائم العربية وحزب راكاح وتعادل (٥٪) من قوة الاصوات الانتخابية، تصبح حصة معسكر (اليسار) عبارة عن (٥٥) مقعداً تعادل (٤٥,٨٪) من مجموع القوة الانتخابية.

في انتخابات ١٩٨٤، حصل (اليسار الصهيوني) على (٥٣) مقعداً تشكل نسبة (٤٤,٧٪) من قوة الاصوات الانتخابية في تلك الانتخابات، أضيفت اليها (٦) مقاعد أيضاً حصلت عليها القوائم العربية

جدول رقم (٢)

المعسكرات السياسية في الكنيست الحادية عشرة ١٩٨٤

اليسار			اليمين			المتدينون		
الحزب	عدد المقاعد	النسبة المئوية	الحزب	عدد المقاعد	النسبة المئوية	الحزب	عدد المقاعد	النسبة المئوية
العمل	٤٤	٣٦,٧٪	الليكود	٤١	٣٤,١٧٪	المفدال	٤	
راتس	٣		هتحيا	٥		شاس	٤	
ياحد	٣		كاخ	١		أغودات اسرائيل	٢	
شينوي	٣		اوتس	١		موراشا	٢	
ج.د. للسلام	٤	٥٪				تامي	١	
ق.ت. للسلام	٢							
المجموع	٥٩	٤٩,٧٪		٤٨	٤٠,٠٠٪		١١	٩,١٧٪
				٥٩	٤٩,٧٪			

جدول رقم (٣)

المعسكرات السياسية في الكنيست الثانية عشرة ١٩٨٨

اليسار			اليمين			المتدينون		
الحزب	عدد المقاعد	النسبة المئوية	الحزب	عدد المقاعد	النسبة المئوية	الحزب	عدد المقاعد	النسبة المئوية
العمل	٣٩	٣٢,٥٪	الليكود	٤٠	٣٣,٣٪	المفدال	٥	
مبام	٣		هتحيا	٣		شاس	٦	
راتس	٥		سومت	٢		أغودات اسرائيل	٥	
شينوي	٢		اوتس	١		موليدت	٢	
علم التوراة	٢							
ج.د. للسلام	٤							
ق.ت. للسلام	١							
العربي الديمقراطي	١							
المجموع	٥٥	٤٥,٨٪		٤٧	٣٩,٢٪		١٨	١٥٪
				٦٥	٥٤,٢٪			

وتشكل (٥٪) من قوة الاصوات الانتخابية، لتصبح حصة (معسكر اليسار) ممثلة في (٥٩) مقعداً تشكل نسبة (٤٩,٧٪) من قوة الاصوات الانتخابية.

وبعملية طرح بسيطة يتبين أن معسكر (اليسار) خسر في انتخابات ١٩٨٨ ما يساوي (٣,٩٪) من قوته الانتخابية. (انظر جدول ٢ وجدول ٣).

بالنسبة لمعكسر (اليمين)، حصل في الانتخابات الاخيرة على (٤٧) مقعداً تعادل نسبة (٣٩,٢٪) من مجموع الاصوات، مقابل (٤٨) مقعداً في انتخابات ١٩٨٤ تعادل نسبة (٤٠,٠٪)، أي أنه خسر (٠,٨٪) من قوته الانتخابية.

وإجمالاً، كان معسكر (اليسار) في خريطة ١٩٨٤ ممثلاً بحوالي (نصف) أعضاء الكنيست الحادية عشرة، بينما كان معسكر (اليمين) ممثلاً فيها بأقل من (ثلث) الاعضاء، في الكنيست الثانية عشرة، أصبح (اليسار) ممثلاً بأقل من نصف الاعضاء، وكذلك (اليمين) غير أن وضعه أفضل.

هنا لانستطيع أن نتهرب من سؤال: هل في نتائج معسكري (اليمين واليسار) ما يستوقف المراقب، وأين؟ والجواب نعم، هناك بضعة ملاحظات لاتخلو من دلالة:

١ ـ في جانب (اليسار الصهيوني) والى جانب حزب العمل، تقف الاحزاب التالية:

ـ مبام ـ وحصل على ٣ مقاعد ـ بنقصان ٣ مقاعد عن ١٩٨٤.

ـ راتس ـ وحصل على ٥ مقاعد ـ بزيادة ٢ مقعد عن ١٩٨٤.

ـ شينوي ـ وحصل على ٢ مقاعد ـ بنقصان ١ مقعد عن ١٩٨٤.

بالنسبة لحزب (مبام)، اعتبر قادته الحصول على المقاعد الثلاثة انتصاراً بسبب غيابهم ١٨ عاماً كحزب مستقل. وقد يكون في هذا التبرير بعض الحقيقة، ولكن ليس كل الحقيقة. فبالرغم من أنه لافرق حقيقياً بين مواقف (مبام) ومواقف (العمل) السياسية وحتى الاقتصادية، الا أن الشائع في الاوساط الاسرائيلية أن (مبام) يمثل أقصى اليسار الصهيوني). وفي هذه الشائعة جزء من الحقيقة الضائعة في البحث عن خسارة (مبام) لمقاعده الثلاثة. بالطبع قد يكون زعماء (المعراخ) قد بالغوا في قوة (مبام) عندما خصصوا له في قائمتهم ستة مقاعد، لكنه من الصعب الاقتناع بأن المبالغة تصل الى نصف عدد المقاعد المخصصة. لهذا يمكن الاعتقاد أن أسباب خسارة (مبام) هي نفس أسباب خسارة (العمل).

مع (راتس)، يبدو أننا نواجه لأول وهلة (اشكالية) ما. فهذا الحزب يعتبر على يسار حزب العمل، ومتحمس لفكرة (علمنة) الدولة وفصل الدين، وهو ليس طائفياً أو يمينياً متطرفاً بالمعنى المعروف. فكيف استطاع أن يحسن من وضعه ويحصل على (٥) مقاعد في الانتخابات الاخيرة مقابل (٣) مقاعد في انتخابات ١٩٨٤؟.

الحقيقة أن التحسن الذي يبدو على وضع (راتس) هو تحسن وهمي أو ظاهري. ذلك لانه قبل الانتخابات بفترة كافية انضم اليه عضو الكنيست هما: محمد وتد، الذي غادر (مبام)، ويوسي سريد، الذي غادر حزب العمل. وربما يكون كلاهما قد استطاع أن يسحب معه أصواته. وعليه، فانه خاض الانتخابات الاخيرة وله (٥) مقاعد، وحصل عليها في النهاية، فهو، عملياً، لم يربح ولم يخسر.

٢ ـ من الاشارات الملفتة للنظر في الانتخابات الاخيرة، ما يتعلق بوضع القوائم العربية. فبعد كل الضجة

عن قوة (الصوت العربي) وخطره على الانتخابات، وبعد النداءات الموجهة للمواطنين العرب للمشاركة في عمليات الاقتراع، أسفرت النتائج عن نفس نتائج ١٩٨٤، حيث احتفظت (حداش) بمقاعدها الاربعة، وخسرت)التقدمية) واحداً من مقعديها، وحصل عبد الوهاب دراوشة، الذي كان عضواً مع حزب العمل، على مقعده! فعلى ماذا تدل هذه النتيجة؟.

حتى لانتوسع في هذه النقطة، فنقول: إن لهذه النتيجة تفسيران: فإما أن أكثرية الناخبين العرب لم تستمع الى النداءات الموجهة اليهم ولم تشارك، وإما أن الاصوات العربية ضاعت بيين القوائم الصهيونية، وهذا يعني أن النداءات لم تجد فتيلاً! وفي الحالتين يتكشف الوضع عن (خلل) في التوجه أو التوجيه.

لكنني من ناحيتي أعتقد أن المواطن العربي لم يشارك، كما طلب منه، وكان واعياً تماماً لما يفعل. فقد طولب الناخب العربي بانتخاب حزب العمل. والتمييز بين السيء والأسوأ، والمناقشة لساعات في فوائد ومضار انتخاب حزب العمل أو تكتل (الليكود)، أمور قد يقبلها وينشغل بها السياسيون والمثقفون، لكن الجماهير العادية تنظر الى ما يجري في الواقع وتستمد منها قناعاتها ومواقفها، فهل كان يعقل ن يقتنع المواطن العربي بأن اسحق رابين أفضل من ارئيل شارون، وهو يعرف ما يفعله الاول وما يريد أن يفعله الثاني؟.

أما عدم حصول القوائم على نصف ما تسمح به الاصوات العربية، فهذا يعني أن هذه القوائم لم تنجح في اقناع الناخب العربي بأنها أفضل كثيراً من الاحزاب الصهيونية، أو في تحقيق شيء له قيمة من أهدافه، فحصلت على أصوات أعضائها أو الملتزمين فيها وبها فقط.

٣ ـ وعلى الجانب الايمن من الخريطة، يسهل جداً تفسير حصول (موليدت) وكذلك (تسومت) على مقعدين لكل منهما، فهما مؤهلان عنصرياً وتوسعياً.

لكن (اشكالية) أخرى تواجهنا هنا مع (هتحيا) الذي خسر مقعدين. والحقيقة أنها نفس الاشكالية التي واجهناها مع (راتس). فالمقاعد الخمسة التي حصل عليها في انتخابات ١٩٨٤ كان بينها مقعدين لـ(تسومت) الذي كان مندمجاً معه وخرج ليخوض الانتخابات الاخيرة في قائمة مستقلة، ففاز بمقعديه، واحتفظت (هتحيا) بالمقاعد الثلاثة التي كانت لها في انتخابات ١٩٨٤.

لكن، لماذا لم يستطع (هتحيا) أن يحسن من وضعه كما توقع له المراقبون وتوقعت استطلاعات الرأي، وهو الذي يمتلك كل المواصفات المطلوبة؟ إن ثبات (هتحيا) و (تسومت) يدل، مرة أخرى، على أن الانتخابات تتم على خلفية (شخصية) مثلما يتم خلفية (طائفية) أو سياسية. وفي النهاية، فان غيئولا كوهين ليست أفضل، من إيتان أو زئيفي.

ثالثاً: معسكر اليمين الديني:

مثلت المعسكر الديني في الانتخابات الاخيرة أربعة أحزاب حصلت على (١٨) مقعداً تعادل نسبة (١٥٪) من مجموع الاصوات، مقابل (١١) مقعداً حصلت عليها خمسة أحزاب في انتخابات ١٩٨٤ وكانت تعادل (٩,١٧٪) من مجموع الاصوات. أي أن هذا المعسكر أحرز تقدماً بارزاً بنسبة (٦٪) تقريباً من قوته الانتخابية السابقة.

من المعروف أن اليهود الشرقيين أصبحوا يشكلون أكثر من نصف يهود الكيان، ولذلك ليس غريباً أن

تحصل حركة (شاس) عل (٦) مقاعد تمثل نسبة (٥٪) من الاصوات. لكن الاحزاب الدينية الاشكنازية (أغودات اسرائيل + علم التوارة) نجحت في تحقيق فوز كبير. وهذا يظهر مدى ما يفعله التداخل بين الدين والسياسة، هذا التداخل الذي لايقل أهمية وتأثيراً عن ما يفعله التداخل بين الطائفة والموقع الاجتماعي، في عملية التصويت.

ان ارتفاع حصة الاحزاب الدينية يشير الى وضوح أن التصويت يتم على خلفية طائفية وسياسية متطرفة، بدليل أن حصة (الليكود) من اليهود الشرقيين والمتدينين ظلت ثابتة تقريباً، أو ربما نقصت، هما كانت عليه في انتخابات ١٩٨٤، بينما زادت حصة الاحزاب الدينية من تلك الأصوات: فحركة (شاس) كسبت مقعدين جديدين، وحركة (أغودات اسرائيل) كسبت ثلاثة مقاعد جديدة، وظهرت قائمة جديدة هي قائمة (علم التوارة) وحصلت على مقعدين جديدين.

رابعاً: نصف الخريطة:

أخيراً، اذا نظرنا الى الخريطة السياسية الجديدة، مدخلين القوائم العربية في معسكر (اليسار) واليمين الديني في معسكر (اليمين)، نخلص الى النتيجة التالية:

حصل (اليسار) على (٥٥) مقعداً، تعادل (٨,٤٥٪) من مجموع المقاعد.

وحصل (اليمين) على (٦٥) مقعداً، تعادل (٤,٥٤٪) من مجموع المقاعد.

لقد انحرفت الخريطة السياسية بمقدار (٤,٩) درجة في المائة نحو اليمين المتطرف، وأصبح أكثر من نصف المستوطنين في فلسطين مع (!رض اسرائيل الكاملة)، وأصبحت الكلمة النهائية في هذا التقسيم للحاخامات.

ان هذه النتيجة تشير الى حقيقتين رئيسيتين:

الاولى: ان عملية الاستقطاب الطائفي والديني مستمرة داخل الكيان الصهيوني، بما تعنيه من زيادة حدة الانقسام الاجتماعي الذي لابد أن يزيد من حدة الانقسام السياسي.

والثانية: ان اتجاه تزايد التطرف السياسي مستمر أيضاً. وفي ظل عدم حل الصراع في المنطقة واستمرار حالة الحرب القائمة، فان هذا الاتجاه واستمراره يدل على صعود جديد للقوى الفاشية والعنصرية الصهيونية.

ندوة العدد

الانتفاضة - موقعها - افاقها

المشاركون في الندوة:

- جورج بطل
- طيب تزيني
- فيصل دراج
- ناجي علوش
- أدار الندوة وحررها وشارك فيها حمزة برقاوي

حمزة برقاوي:

باسم هيئة تحرير مجلة الكاتب الفلسطيني أرحب بكم وأشكركم على تلبيتكم الدعوة للمساهمة في هذه الندوة التي تتم في إطار الحديث عن انتفاضة شعبنا في فلسطين والتي أقترح أن تتناول المحاور التالية:

- موقع الانتفاضة في السياق العام لنضال الشعب الفلسطيني.
- علاقة الداخل بالخارج وعلاقة الجماهير بقيادتها.
- دور المثقف في دعم الانتفاضة ومدى تعامله معها.

أرى أن لا يخرج الحوار عن الثلاثة نقاط المذكورة، طبيعي أنها ليست قضايا محددة بأسوار، وانما متداخلة مع بعضها البعض ومع قضايا أخرى لها علاقة بموضوعنا، وبالتالي لا توجد امكانية، تحول دون الدخول على خطوط هذه النقاط، وانما يجب أن يكون واضحاً في ذهننا، أننا نريد أن نتكلم بصورة أساسية حول هذه النقاط:

أولاً: موقع الانتفاضة، ثانياً: أشكال التفاعل بين الانتفاضة وبين قيادتها، بين الداخل والخارج،

تحصل حركة (شاس) على (٦) مقاعد تمثل نسبة (٥٪) من الاصوات. لكن الاحزاب الدينية الاشكنازية (أغودات اسرائيل + علم التوارة) نجحت في تحقيق فوز كبير. وهذا يظهر مدى ما يفعله التداخل بين الدين والسياسة، هذا التداخل الذي لايقل أهمية وتأثيراً عن ما يفعله التداخل بين الطائفة والموقع الاجتماعي، في عملية التصويت.

ان ارتفاع حصة الاحزاب الدينية يشير الى وضوح أن التصويت يتم على خلفية طائفية وسياسية متطرفة، بدليل أن حصة (الليكود) من اليهود الشرقيين والمتدينين ظلت ثابتة تقريباً، أو ربما نقصت، هما كانت عليه في انتخابات ١٩٨٤، بينما زادت حصة الاحزاب الدينية من تلك الأصوات: فحركة (شاس) كسبت مقعدين جديدين، وحركة (أغودات اسرائيل) كسبت ثلاثة مقاعد جديدة، وظهرت قائمة جديدة هي قائمة (علم التوارة) وحصلت على مقعدين جديدين.

رابعاً: نصف الخريطة:

أخيراً، اذا نظرنا الى الخريطة السياسية الجديدة، مدخلين القوائم العربية في معسكر (اليسار) واليمين الديني في معسكر (اليمين)، نخلص الى النتيجة التالية:

حصل (اليسار) على (٥٥) مقعداً، تعادل (٤٥,٨٪) من مجموع المقاعد.

وحصل (اليمين) على (٦٥) مقعداً، تعادل (٥٤,٤٪) من مجموع المقاعد.

لقد انحرفت الخريطة السياسية بمقدار (٩,٤) درجة في المائة نحو اليمين المتطرف، وأصبح أكثر من نصف المستوطنين في فلسطين مع (!ارض اسرائيل الكاملة)، وأصبحت الكلمة النهائية في هذا التقسيم للحاخامات.

ان هذه النتيجة تشير الى حقيقتين رئيسيتين:

الاولى: ان عملية الاستقطاب الطائفي والديني مستمرة داخل الكيان الصهيوني، بما تعنيه من زيادة حدة الانقسام الاجتماعي الذي لابد أن يزيد من حدة الانقسام السياسي.

والثانية: ان اتجاه تزايد التطرف السياسي مستمر أيضاً. وفي ظل عدم حل الصراع في المنطقة واستمرار حالة الحرب القائمة، فان هذا الاتجاه واستمراره يدل على صعود جديد للقوى الفاشية والعنصرية الصهيونية.

ندوة العدد

الانتفاضة - موقعها - افاقها

المشاركون في الندوة:

- جورج بطل
- طيب تزيني
- فيصل دراج
- ناجي علوش
- أدار الندوة وحررها وشارك فيها حمزة برقاوي

حمزة برقاوي:

باسم هيئة تحرير مجلة الكاتب الفلسطيني أرحب بكم وأشكركم على تلبيتكم الدعوة للمساهمة في هذه الندوة التي تتم في إطار الحديث عن انتفاضة شعبنا في فلسطين والتي أقترح أن تتناول المحاور التالية:

- موقع الانتفاضة في السياق العام لنضال الشعب الفلسطيني.
- علاقة الداخل بالخارج وعلاقة الجماهير بقيادتها.
- دور المثقف في دعم الانتفاضة ومدى تعامله معها.

أرى أن لا يخرج الحوار عن الثلاثة نقاط المذكورة، طبيعي أنها ليست قضايا محددة بأسوار، وانما متداخلة مع بعضها البعض ومع قضايا أخرى لها علاقة بموضوعنا، وبالتالي لا توجد امكانية، تحول دون الدخول على خطوط هذه النقاط، وانما يجب أن يكون واضحاً في ذهننا، أننا نريد أن نتكلم بصورة أساسية حول هذه النقاط:

أولاً: موقع الانتفاضة، ثانياً: أشكال التفاعل بين الانتفاضة وبين قيادتها، بين الداخل والخارج،

بين الفلسطيني والعربي، وثالثاً : الانعكاسات على الوضع العربي ثم المقارنة بين انتفاضة اليوم وانتفاضة سنة ١٩٣٦، باعتبارهما حدثان متشابهان، والمقارنة واردة في هذا المجال، بالاضافة الى تحديد موقع المثقف الفلسطيني والعربي. في مجال تحديد النقاط التي يمكن أن نتحدث فيها عن الانتفاضة، أرى بالنسبة للمحور الاول، الذي هو موضوع موقع الانتفاضة في سياق النضال الفلسطيني، أن نوجه السؤال للاستاذ ناجي، بالنسبة لموضوع انعكاس الانتفاضة على الواقع العربي والدولي، من الممكن أن يتكلم حوله الرفيق جورج، فله خبرة جيدة في هذا المجال، وبشأن موضوع أشكال التفاعل الممكنة مع الحركة الشعبية ومع النضال، أرى أن يتكلم حوله الدكتور طيب تيزيني، فهذا الموضوع طرحه الدكتور طيب في كثير من الاحيان، بما في ذلك موضوع التفاعل بين الجماهير والقيادات.

أما موضوع دور المثقف فسيترك للدكتور فيصل دراج. طبعاً، ليس معنى ذلك أن كل سؤال مقتصر فحسب على الشخص الذي سيجاوب عليه، انما المجال مفتوح للتعقيب والمداخلة.

الحقيقة أيها الاخوة ان انتفاضة شعبنا في الوطن المحتل، حدث بارز، ليس على الصعيد الاقليمي فحسب، وانما على المستوى العالمي، لقد استطاعت الانتفاضة خلال فترة قصيرة جذب انتباه واهتمام أوساط واسعة في مختلف انحاء العالم، شعبية وحكومية، وبالنتيجة وضعت قضية شعبنا في مقدمة الاحداث العالمية. هذا الحدث العظيم، كيف يمكن أن ننظر اليه؟ هل هو في السياق التاريخي، بمعنى تاريخ نضال شعبنا، هل هو مجرد حلقة أخرى من حلقات نضاله، أم انه حلقة أتت بشيء جديد في أساليب الكفاح، شيء جديد في علاقة الثورة بالجماهير، شيء جديد في علاقة الداخل الفلسطيني بالخارج، بمعنى أين تكمن مميزات هذه الانتفاضة، هذا الحدث الجديد؟ وأين يمكن أن نضع هذه الانتفاضة في السياق التاريخي لنضال شعبنا، أتوجه بهذا السؤال للاستاذ ناجي علوش، وبعد ذلك يمكن أن نفتح الباب واسعاً لاية مداخلة.

ناجي علوش :

وجهة نظري باختصار، أن هذه الانتفاضة هي حلقة من حلقات النضال الفلسطيني الطويل الذي بدأ منذ عام ١٨٩٧، عندما طرح المشروع الصهيوني لأول مرة، ومنذ ذلك الحين وهنالك حلقات من النضال متوالية، بدأت بالعرائض والمناشدات السياسية، ثم تحولت الى الاضرابات والمظاهرات، ثم اتخذت شكل العصيانات الشعبية، واستمرت هذه النشاطات المختلفة، منذ ذلك الحين وحتى الآن، وحتى في ظل انضمام الضفة الغربية الى الاردن، حدثت مثل هذه الانتفاضات الشعبية الواسعة، سنة ١٩٥٤، مثلاً و ١٩٥٦، و ١٩٥٧، و ١٩٦٣، وكان ذلك كله مرتبطاً بنشاطات عربية شعبية واسعة ضد أشكال الاستعمار المختلفة وضد الانظمة الرجعية والانظمة الاستسلامية، الا أن ما يأتي الآن لا يجوز أن ننسى، أنه جاء أيضاً بعد ٢٣ سنة من انطلاق المقاومة المسلحة، التي رفعت شعار السياسة من فوهة البندقية، والتي قامت بأعمال مقاومة مختلفة، والتي خاضت معارك على مختلف الجبهات، من الاردن الى لبنان، الى داخل الارض المحتلة، إن هذه المقاومة الطويلة علمت جماهير أوسع من الشعب، كيف تشارك

في القتال، وكيف تشارك في النشاط السياسي، وعلمتها أيضاً أن مقاومة العدو لا يمكن أن تتم الا بمقاومة شعبية واسعة، إن هذه الانتفاضة هي حلقة من حلقات نضال الشعب الفلسطيني، ولكنها اكتسبت مزيداً من الخبرات، نتيجة تجربة الكفاح المسلح من جهة، ونتيجة تجارب نضال الجماهير العربية في الاقطار العربية المختلفة من جهة أخرى، انها لم تلد من فراغ فلقد ولدت وهي تحمل الايجابيات التي خلفتها حركة النضال العربي، خلال العقود الاربعة الماضية، وولدت وهي أيضاً تحمل بعض سلبيات هذا النضال، أو بعض سلبيات تجارب هذا النضال، من هنا ما أريد أن أؤكده انها حلقة من حلقات النضال الفلسطيني المرتبط دائماً بالنضال العربي سلباً والمرتبط إيجاباً، وأكتفي بهذا الآن حتى يأخذ الحوار مجراه.

حمزة برقاوي :

في الحقيقة حول موضوع علاقة الانتفاضة، انتفاضة شعبنا الحالية، بالحلقات السابقة من إنتفاضات شعبنا لمقاومة الغزو الصهيوني، منذ بداية هذا الغزو، وتحديداً منذ بداية العشرينات حتى الآن كانت الانتفاضات تطرح علاقة مزدوجة، علاقة الانتفاضة بالجماهير الشعبية من جهة، وعلاقة هذه الانتفاضة بالمحيط العربي الرسمي والشعبي من جهة أخرى، أرجوا اذا كان بالامكان للرفيق جورج أن يحدثنا حول هذا المحور بعد حديث الرفيق ناجي.

جورج بطل :

الحقيقة أنا أريد أن أتوقف عند جانب أعتقده مهماً في هذه الانتفاضة، هو الطابع الشعبي الواسع لهذه الانتفاضة ومدى المشاركة، يعني يمكن القول مشاركة كل فئات الشعب الفلسطيني الموجود في الضفة والقطاع، وقد تكون هذه من مميزات الانتفاضة، فما عدا قلة من القوى المرتبطة، سواء بالرجعية العربية أو تلك التي طبعت علاقاتها مع المحتل، فان كل الجماهير بمختلف فئاتها وقياداتها شاركت بهذه الانتفاضة، ان ظاهرة الارتباط بين الانتفاضة الشعبية في الداخل والعمل الفلسطيني المسلح الذي بدأ منذ ٢٠ عاماً، يتميز بالارتباط والتناقض في آن واحد، بمعنى أنه تأثر بهذا الكفاح الطويل، وبكل ما نتج عن هذا الكفاح من ايجابيات وسلبيات، وبالضرورة بالايجابيات، وبما أدى اليه هذا النضال من تضحيات ومن تحقيق منجزات تتعلق بتأكيد الهوية الفلسطينية وباستقلالية القرار الوطني الفلسطيني، ولكنها في آن آخر تتناقض مع طبيعة النضال الفلسطيني منذ ٣٠ عاماً، الذي ركز على عمل الخارج، وغيب الداخل، وقد يكون هذا التغييب، موضوعياً الا أنه يعبر عن عجز. كان العمل في الخارج بمعزل عن تحريك الجماهير في الداخل، فكانت ردات فعل الداخل هي ردات فعل على ما يجري في الخارج، ولم تكن جزءاً من هذا العمل الذي تطور حول فلسطين، ان كان ذلك في الاردن أو في لبنان، أو في كل مناطق شتات الشعب الفلسطيني، أهمية هذه الانتفاضة أنها أعادت الاعتبار الى العمل في داخل فلسطين ولطبيعة هذا العمل الشعبي والجماهيري، فتأثرت وأثرت من جديد، مما خلق اشكالية تم التعبير عنها بالمناقشات التي دارت

حول أدوار هذا الفصيل أو ذاك في عملية تفجير الانتفاضة في الداخل. وعملية قيادة الانتفاضة في الداخل، والظاهرة الاخرى الاهم هي التناقض بين شعارات الداخل والخارج، وهذه ظاهرة قائمة، فحتى القوى التي ترتبط بهذا الفصيل أو ذاك، على سبيل المثال، الفئة التي ترتبط بأبو عمار شخصياً، وبفتح واللجنة المركزية، خطها الداخلي يتناقض حتى بشعاراتها مع شعارات الخارج، وهي تربط نفسها بهذا الخارج، وهنا يوجد الترابط والتناقض في آن واحد، وهو تناقض يؤدي في الداخل الى تطور نوعي أرقى من تطور الشعارات والخطوط السياسية للمنظمات خارج الداخل، خارج فلسطين، رغم ارتباط الداخل والخارج، ورغم العلاقة القائمة بين الداخل والخارج، العلاقة التنظيمية، أقصد القوى التي تتحرك في الداخل بارتباط تنظيمي مع الخارج. انها ترفع في الداخل شعارات وتنهج خطاً سياسياً متطوراً عن خط المنظمات في الخارج، وهذا هو الذي يساعد على ما نشهد من وحدة كفاحية داخل الاراضي المحتلة في اطار الانتفاضة والذي يغاير التناقض القائم في الخارج. ورغم أهمية الانتفاضة وما أدت اليه الانتفاضة، فما من شك في أن هذا الترابط وهذا التناقض مع الخارج له تأثير ايجابي وتأثير سلبي. وسيظهر تأثيره السلبي على الانتفاضة في الداخل اذا استمر في الخارج ووصل ـ للاسف الشديد ـ الى حد التقاتل الذي عاد في لبنان بين الفصائل الفلسطينية. إن محاولة التركيز على ما يجري في لبنان وليس على ما يجري في فلسطين ـ على صعيد الاعلام على الاقل ـ ظاهر في هذه الفترة بالذات. على سبيل المثال، كان هناك مؤتمر تضامن مع الشعب الفلسطيني في قبرص. لقد ركز الوفد الفلسطيني على ما يجري في شاتيلا أكثر مما يجري في الداخل، ورغم أهمية وسوء ما يجري، فقد تم تغييب الدور الداخلي أمام الرأي العام العالمي في الوقت الذي كانت فيه كل الوفود الآتية لحضور المؤتمر تحمل الرغبة وتحمل الاصرار على البحث في هذا المؤتمر عن أفضل السبل والاساليب لدعم الانتفاضة في الداخل. لقد تم تضييع هذا الجهد الكبير الذي بذل للبحث عن الاساليب بشعارات سياسية تركزت على تصفية حسابات تقوم في الخارج، سواءً كانت داخل صفوف الفلسطينيين أو بين صفوف الفلسطينيين وسورية والحركة الوطنية اللبنانية... الخ. هكذا تم تضييع الهدف من هذا المؤتمر، للاسف الشديد هذا الامر خطر ومن السلبيات الكبيرة التي تحصل، وهذه سلبية سيكون تأثيرها في داخل الانتفاضة، وفي داخل فلسطين، ومن الممكن أن تخلق حالة من الاحباط واليأس، رغم أن الواضح حتى الآن أن زخم الانتفاضة يتجاوز هذه العملية التي تؤدي الى احباط والى حالة يأس لكن الجانب الايجابي الآخر، قد يكون استمرار الانتفاضة، واستمرارها موحدة في الداخل وهو عامل ضغط على الخارج للتخفيف من هذه التناقضات.

برأيي لن تزول هذه التناقضات لارتباطها بكل التناقضات العربية القائمة، ولارتباطها بأوهام أخرى ما تزال في ذهن بعض القوى الفلسطينية من انه بالامكان توظيف انتفاضة الداخل لمشاريع ليست مشروع الانتفاضة. مشروع الانتفاضة من وجهة نظري هو مشروع الاصرار على النضال في الداخل حتى تحقيق شعار مباشر هو شعار طرد الاحتلال من هذه الاراضي، يعني اخراج العدو الصهيوني من الضفة والقطاع وأنا في تقديري هذا شعار عاقل، لأنه بمرحليته، قابل للتحقيق، وقد يكون هذا هو الطريق الفعلي لاقامة دولة فلسطينية وليس شعار المساومة والانتظار بما يأتي به الغرب وحتى الشرق فيما يتعلق بموضوع اقامة هذه الدولة. من هنا المخاطر ومن هنا الايجابيات من وجهة نظري وعلى المثقف الفلسطيني

أن ينتبه الى هذا الجانب ويتعامل معه بجرأة ويساعد على كشف الثغرات والاثر السلبي الذي يشكله الخارج. رغم الجهود التي تبذل من المنظمات، ينبغي أن نعطي الناس حقوقها لدعم الداخل، ولكن مع استمرار هذا التشتت في الخارج، ورغم كل ما يبذل، سيكون الاثر سلبياً. هذا كما يجدر الانتباه الى ما يجري في الداخل دون تحميل الداخل أعباء لا يستطيع أن يتحملها، يعني أن تكون الشعارات فعلاً واقعية وقابلة أن تتحقق وأن تسير بهذا النضال في الداخل الى تحقيق أهدافه. من وجهة نظري استمرار الانتفاضة حتى الآن والزخم المستمر فيها قابل وقادر على تحقيق أهدافها، فاسرائيل أصيبت من خلال هذا النضال، بأهم ضربة وجهت لها منذ بدء النضال الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني. فمنذ قيام اسرائيل لم تواجه اسرائيل مأزقاً يوازي المأزق الذي تواجهه حالياً. ففي الداخل ظهر عجزها، كما برزت آثار تفسخ داخل المجتمع الاسرائيلي تمثل ببروز التيارات الاكثر فاشية بهذا المجتمع مما يشكل خطراً على نفس المجتمع الاسرائيلي اذا تطور واستمر في تطوره، كذلك أصيبت اسرائيل بعزلة استثنائية على الصعيد الدولي، والعزلة على الصعيد الدولي التي أصيبت بها اسرائيل، أخذت بعداً سياسياً هذه المرة وليس بعداً انسانياً كما كان يحصل في الماضي، في الماضي كان التضامن مع الشعب الفلسطيني تضامن مع لاجئين فلسطينيين، كان تضامناً له طابع انساني، كما هو تضامن مع كل الشعوب من هذا النوع التي واجهت التهجير. هذه المرة أخذ التضامن طابعاً سياسياً بمعنى الاقرار بأن لهذا الشعب حقه في الاستقلال وأن هذا الشعب ينبغي أن يعطى حق تقرير المصير وأن يقيم دولته، هذا الشعار أخذ بعده ليس فقط الى أصدقاء الشعب الفلسطيني العاديين، بل دخل الى أوساط جديدة جداً في الرأي العام العالمي. على سبيل المثال كل الاحزاب الايطالية من الديمقراطي المسيحي حتى الحزب الشيوعي، رفعت هذا الشعار وهي تعمل باطاره.

في فرنسا هذا الشعار متقدم جداً، وفي بريطانيا شاهدنا تقدم هذا الشعار أكثر فأكثر وهو يكسب من الانصار في البلدان الاوروبية الاخرى بشكل عام كما في اليونان. حتى في الولايات المتحدة الامريكية التي هي المحامي الرئيسي لاسرائيل نجد أن هذا الشعار بدأ يشق طريقه رغم ما تتقدم به الادارة الامريكية، والاحزاب الاميركية التي تتنافس على الرئاسة حالياً، من مشاريع آخذين في الاعتبار أن هذا الموقف الاميركي قابل أن يتعدل عندما تنتهي الانتخابات الامريكية، فمن الصعب أن يتقدم أثناء المنافسة آخذين بالاعتبار الحاجة الى اللوبي الصهيوني، ولأصواته وبالتالي ما زالوا حول هذا الموضوع متخلفين عن الموقف الاوروبي ولكن هذا الموقف اذا استمرت الانتفاضة كما هي عليه، فهو قابل أن يتقدم، هنا تبدو فظاعة ما يجري أحياناً من أعمال في الخارج. وهنا أريد الوصول الى رسالة أو مقال بسام أبو شريف، التي كان من الممكن أن تكون في ظروف أخرى مقبولة من الناحية التكتيكية، ربما، ولكن بهذه الظروف وبجو الانتفاضة هذا النوع من التخاطب مع الاعداء، ان كانوا الاميركان أو الصهاينة، هو عملية تقود الى احباط ولا تساعد بهذا المعنى تفقد قيمتها من الناحية المبدأية هي خطأ، وهي جريمة، وتفقد حتى قيمتها التكتيكية، ان كان هناك تكتيك يفيد أحياناً بالمناورة بهذا المعنى، فانه يؤدي الى حالة احباط عند الناس ويطرح عليها السؤال، لماذا نموت ونستمر بهذا النضال ما دام الموضوع يسير بهذا الاتجاه، في الوقت الذي تقترب فيه الجماهير أكثر فأكثر من القناعة بأنها قادرة أن تحقق شعارها باجلاء الاسرائيليين وتقرير المصير

واقامة الدولة .

حمزة برقاوي :

الحقيقة أن الرفيق جورج تعرض الى عدة نقاط هامة، وفي تقديري أن بعض هذه الامور يحتاج الى مناقشة أكثر، وفي ذهني بالدرجة الاولى الموضوع الذي أثرته في البداية وهو موضوع العلاقة المتناقضة، العلاقة المتناقضة بين جماهير الشعب الفلسطيني الثائرة، وبين قيادة هذه الجماهير من جهة أخرى، العلاقة المتناقضة بين هذه الثورة وبين الخارج العربي الرسمي والشعبي، والفلسطيني جزء منه، الحقيقة يجب أن نسلط الضوء على هذه العلاقة، أقول أنه من الطبيعي أن قيادة م . ت . ف . تواجه الآن في موضوع انتفاضة شعبنا في الارض المحتلة شيئاً جديداً من حيث أسلوب وشكل الكفاح م . ت . ف . رفعت منذ البداية، ما يسمى شعار الكفاح المسلح، وأخذ موضوع الكفاح المسلح شكلاً معيناً من العنف، بمعنى تسليح مجموعات من الفدائيين تقوم بعمليات معينة، وقد تم التركيز كاملاً على هذا الشكل من أشكال الكفاح، وأصبح لفظ الفدائي الذي يحمل الكلاشنكوف مترافقاً مع شكل الكفاح الفلسطيني الذي رفعته م . ت . ف . ورفعته المقاومة، الآن يبرز في الحقيقة شكل جديد من الكفاح الذي انطلق منه الرفيق جورج، وهو أن هذا الكفاح يتم الآن على أرض فلسطين، في الداخل، لا يأتي من الخارج على شكل عملية فدائية يقودها ثلاث أو أربعة فدائيين مستعدين للاستشهاد ويتحلون بقدر هائل من التضحية، الآن هناك شعب يقاوم على أرضه، شعب طرح علاقة جديدة بينه وبين قيادته .

هناك نوع من الثورة الشعبية : هل تعاملت قيادات المقاومة سابقاً مع هذا الشكل، كلا، انها تواجه هذا الشكل لأول مرة، لذا فان هذا الشكل يجب أن يفرز بطبيعة الحال علاقة من نوع معين مع هذه القيادات، هذه القضية أعتقد أنه من المفروض أن تسلط عليها الاضواء أكثر، لأنها قضية مهمة جداً في تقديري . بعدها يمكن أن ننتقل الى العلاقة الاخرى المتناقضة، وهي علاقة هذه الانتفاضة بالخارج العربي والفلسطيني، بمعنى أن هذا الخارج لا يزال حتى الآن رغم عبارات التأييد ساكن وبقي دوره هامشي، هذه العلاقة تطرح أيضاً علاقة متناقضة بين قوى، كانت تطرح شعارات كبيرة على صعيد الثورة العربية وهي تواجه الآن انتفاضة في داخل الارض المحتلة بقي دورها تجاهها دوراً هامشياً أيضاً، لماذا؟ اذاً هناك أيضاً علاقة متناقضة، لا أدري اذا استطعت أن أعبر عن المشكلة التي أريد أن أطرحها حتى يأخذ النقاش فيها دوراً أهم وأن يسلط الضوء عليها أكثر والآن د. طيب، هذه العلاقة بين الجماهير والقيادات، سواء في الداخل أو في الخارج، كيف ترى، كيف ترى د. طيب هذه العلاقة، وما هي آفاق تطورها؟ هل تستطيع الجماهير أن تشد هذه القيادة نحوها؟ أم أن القيادة قادرة على أن تشد الجماهير الى آفاق أبعد وتنتهي هذه الانتفاضة، هذه الاشكالية أرجوا اذا كان بالامكان التحدث حولها .

الدكتور طيب تيزيني :

هذا السؤال نفسه يحيلنا ثانية الى قضية العلاقة بين الانتفاضة والخارج . أعتقد أنه للاجابة على هذا

السؤال لا بد من تحديد ما نسميه انتفاضة بالأساس، أي تحديد السمات الكبرى لهذه الانتفاضة وأعتقد أن أول سمة لهذه الانتفاضة تكمن في أن العمل الفلسطيني أعيد له الاعتبار بصفته عملاً من الداخل، وهكذا بدأت الثورة الفلسطينية بالأساس، كل تلك الفترة التاريخية التي تعاقبت من بداية تلك الثورة حتى بداية الانتفاضة كانت بمعنى ما ابتعاداً قسرياً بصورة قسرية عن المسار الذي يجب أن تأخذه الانتفاضة أو الثورة الفلسطينية، فما تجسده الانتفاضة بالدرجة الاولى الآن يكمن في أنها أعادت الاعتبار للموقف الذي يجب أن يكون . الانتفاضة هي، انتفاضة الشعب من الداخل . السمة الثانية، وتتعلق بالاولى، تكمن في أن هذه الانتفاضة أخذت تصوغ القرار السياسي والايديولوجي من الداخل، وبالتالي أخذت تضعنا أمام حالة جديدة، أو أمام تساؤل كبير، ما المسوغ الكبير لتلك التنظيمات الفلسطينية الموجودة على هامش هذه الانتفاضة، أي خارج فلسطين؟ ما هو الدور الذي عليها أن تقوم به، سؤال كبير يجاوب عنه عملياً في اطار الانتفاضة عملياً، بمعنى أن الانتفاضة تملك يومياً شيئاً من القرار السياسي والايديولوجي . السمة الثالثة تتمثل في أن الانتفاضة تطرح علينا قضية جديدة، هي أن كل عمل داخلي ضمن حركة التحرر العربية لا بد وأن يكون ذا بعد خارجي أي يجب أن يمتلك عمقاً ما في الخارج، والعمق هنا بالنسبة للانتفاضة ذو ثلاثة أبعاد، بعد عربي وبعد عالمي، وبعد اسرائيلي، لذلك هذه العلاقة بين الانتفاضة والخارج أرى أن تحدد بالضبط في بداية الامر، لكي نستطيع أن نقول كيف يمكن أن نتوقع النتائج المحتملة؟ إن هذا العمق الخارجي بأبعاده الثلاثة لم يتحول بعد بصورة حاسمة، أقول بصورة حاسمة لصالح الانتفاضة، وقد أخصص هنا فأقول أن البعد العربي بالدرجة الاولى، ما يزال يمثل خطوة مترهلة على طريق تحوله الى عمق حقيقي للانتفاضة، قد تفسر بعض أسباب ذلك بكون هذا البعد العربي حينما بدأت الانتفاضة كان يعيش مرحلة التراجع، هنا يجب أن يقال أن حركة التحرر العربية منذ بداية الانتفاضة وحتى الآن ما تزال تعيش بصيغتها العامة حالة من التراجع، هذا الوضع من التراجع في حركة التحرر العربية لم يستطيع أن يقدم حوافز كبرى لتعميق الانتفاضة عربياً، ورغم ذلك، وهذا وجه التناقض، استطيع أن أقول أن هذه الانتفاضة أخذت بدورها تملي نفسها على حركة التحرر العربية فتحفزها وتجعلها أكثر قوة باتجاه الانتفاضة نفسها، يعني هنا نواجه علاقة متبادلة بين الانتفاضة وحالة التراجع العربية بحيث أن الطرفان أخذا يستثمران الوضع المشترك بينهما، وطبعاً لا بد من التمييز هنا في اطار البعد العربي والعمق المشار اليه، التمييز بين نسقيه، البعد العربي الرسمي والبعد العربي الشعبي، البعد العربي الرسمي، أكاد أقول، أنه وجه من أوجه المناهضة والعداء للانتفاضة، وأنه يأتي بصيغ يراد لها أن تخفي هذا الموقف، أنا لا أشك بذلك إطلاقاً، إن الموقف العربي الرسمي موقف مضاد للانتفاضة ويعمل الآن على اكتشاف المسوغات التي من شأنها أن تعيد النظر بالانتفاضة على نحو يجيرها لمصالح لا تنتمي الى الانتفاضة نفسها، ولذلك لا بد من الانتباه من هذا الموقف، وبشكل خاص لا بد من انتباه المنتفضين تجاه هذا الموقف الذي يكاد أحياناً أن يدخل في عمق الانتفاضة ليقنعها أنه يعمل من أجلها، ونحن نعلم الكثير عن مثل هذه المحاولات في معظم الاقطار العربية، أما النسق الثاني من البعد العربي فهو النسق الشعبي، وهنا معقل المسألة، كيف نستطيع أن نحول الجماهير العربية الى ثورة جديدة، أولاً لحركة التحرر العربية، وفي سياق ذلك للانتفاضة نفسها، هذا سؤال كبير يجب أن يجيب عنه الكثيرون،

من المؤسسات السياسية الى الثقافية الى الايديولوجية، وبشكل أخص أقول هنا المؤسسات السياسية اليسارية، التي لابد وأن نشعر بأنها مدعوة مجدداً الى أن تعيد النظر في بنيتها، وقد أقول هنا بتعبير غورباتشوف، على هذه المؤسسات السياسية أن تمارس بيريسترويكا فعلية وليس هذا من قبيل استجلاب حلول خارجية لوضعية داخلية بقدر ما انه فعلاً يستجيب للوضعية الداخلية ذاتها، وهذا ما أعتقد أنه شرط أساسي من أجل انتصار الانتفاضة، وأنا أرى أن في الافق شيء من هذا القبيل، لاعادة بناء هذه المؤسسات السياسية، وهنا أجد نفسي وجهاً لوجه أمام مسألة ذات أهمية خاصة، وهي أن الانتفاضة تمثل التوأم المباشر الطبيعي لحركة المقاومة اللبنانية الوطنية، وأكاد أقول أن الرهان التاريخي على انتصار حركة التحرر العربية الآن مشروط بانتصار هذين التوأمين، الحركة الوطنية اللبنانية والانتفاضة، ولذلك من الخطأ الكبير النظر الى الانتفاضة على أنها نسيج وحدها، لا يمكن أن تنتصر الانتفاضة بجو من الانهيار الشعبي العربي، أو بشكل خاص بجو من عدم انتصار الحركة الوطنية اللبنانية، يعني بعد أن انتقلت من العام (أي حركة التحرر العربية)، أقول الآن تخصيصاً، أن الحركة الوطنية اللبنانية شرط من شروط نجاحها، نجاح الانتفاضة والعكس تماماً ولهذا السبب ينتبه رفاقنا وأصدقاؤنا في لبنان لهذه المسألة، ويدركون المهمات التاريخية الملقاة على عاتقهم، مهمات اكتشاف العلاقات العضوية الاساسية التي تربط بينهم وبين الانتفاضة، بحيث تجد حركة التحرر العربية نفسها أمام هاتين القناتين، الانتفاضة وحركة التحرر اللبنانية، أما البعد الثاني من العمق الخارجي، وهو البعد العالمي، فأستطيع أن أقول: ان هذا البعد مرتهن مستقبله في الحقيقة بنجاح العمق الاول، ولا يجوز أن نفكر على النمط التالي، وهو أن عملية اعلامية ما نقوم بها في الخارج، من شأنها أن تقود الى اختراق بنية الاعلام الغربي، وبنية الشعوب في الغرب، أعتقد أن هذا أمر خاطىء ومضلل ويمثل مسلكاً جديداً من المسالك التي كنا نعيشها سابقاً، تلك المسالك التي كانت تعتقد أن الحل يكمن في الخارج وليس في الداخل، اذاً، اختراق هذا البعد العالمي لصالح الانتفاضة يكمن بالتأكيد في اختراق البعد العربي نفسه، وهذا بدوره يحيلنا الى حركة التحرر العربية التي تمثل الحركة الوطنية اللبنانية أحد أجنحتها الكبرى الآن، إذاً البعد العالمي ذو أهمية، ولكن أهميته مشروطة بالنظر اليها في سياق البعد العربي الشعبي، والبعدان كلاهما، العربي الشعبي والعالمي، ان استطاعا أن يحققا انتصاراً فعلياً، فانهما أيضاً سيكونان قادرين على تحقيق انتصار في بنية الجمهور الاسرائيلي. ان اسرائيل في الحقيقة دولة قائمة، واستطاعت أن تقف بركيزة خارجية وداخلية، بنية سياسية وعسكرية وأيديولوجية قادرة على أن تتصدى للعرب في تكوينهم الحالي، ولكن اختراق هذا الموقف لدى الجمهور الاسرائيلي لا يمكن أن ينطلق اليه فقط انطلاقاً من التوهم بأن مزيداً من العمليات العسكرية في داخل اسرائيل أو خارجها قادر على أن يقود الى زعزعة التماسك الداخلي، هذا وهم ناقص، أستطيع أن أقول عشنا كثيراً في هذا الوهم، مما قاد بصورة مضطردة الى تعميق الاخطاء والاضاليل، لذلك فان اختراق البعد الاسرائيلي مرتهن أولاً بتحقيق البعد العربي والبعد العالمي في سياق الانتفاضة نفسها. على هذا النحو أستطيع أن أقول أن العلاقة بين الداخل والخارج، بين الانتفاضة والخارج، هذه العلاقة علاقة متحركة، لا يجوز أن ننظر اليها على أنها علاقة ناجزة، من هنا من الضروري أن نقوم بدراسات حول هذا الموضوع. أعتقد أن مثل هذه الدراسات غائبة تماماً ونحن نتحدث الآن في مجموعة من الاحتمالات الوهمية، غير المحددة تماماً. مثل هذه الدراسات

عليها أن تحدد بالضبط، من نعني حينما نقول الانتفاضة بتكوينها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وكذلك الايديولوجي، لأن هذا التكوين من شأنه أيضاً أن ينعكس في البعد الخارجي. نحن الآن في الاعلام، الاعلام العربي عموماً وحتى في منظماتنا ننطلق من أن الانتفاضة تمثل نسيجاً واحداً متحداً. هذا صحيح بالاعتبار السياسي العسكري بشكل عام، لكنه لا يكفي إطلاقاً أن نقول أن هذا النسيج موحد. النسيج يجب أيضاً أن يخترق دراسةً وتعميقاً وفهماً، بحيث نكتشف آفاق هذه الانتفاضة، من خلال احتمالات التحول والتغيير التي يمكن أن تطرأ على بنيتها الداخلية. ولهذا السبب أتمنى في الحقيقة أن تنشأ مؤسسة ضمن العاملين الفلسطينيين أو العرب، أو ضمن الحركة الوطنية اللبنانية، تنشأ مؤسسة لدراسة هذه المسائل، أولاً: التكوين الاجتماعي والسياسي والعسكري والايديولوجي للانتفاضة، ثانياً: التكوين الاجتماعي والسياسي والايديولوجي لمن نسميهم الجمهور العربي الذي علينا أن نخاطبه حينما نتحدث عن العمق العربي، وكذلك أن نبحث أيضاً في ذلك التكوين العالمي اضافة الى تكوين اسرائيل. لا شك أن هنالك مجموعة من النتائج التي جرت دراسة عميقة لها، مجموعة نتائج موجودة قام بها مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسات أخرى، الآن أعتقد أن المهام الأساسية تكمن في النظر الى هذا المعطى الذي تحقق عبر سنوات عديدة في ضوء جديد، في ضوء الرهان الجديد التاريخي على حركة التحرر العربية التي تمثل الانتفاضة مع الحركة الوطنية اللبنانية أحد روافعها الكبرى في المرحلة المعاصرة العربية.

حمزة برقاوي:

النقطة الاخيرة تطرح موضوع العلاقة التي اصطلحنا على تسميتها بأنها متناقضة، والتي أضاف الدكتور طيب بأنها فعلاً علاقة متناقضة لكنها أيضاً متبادلة وفاعلة، وهذا أيضاً عنصر هام وجديد، فقد حدد لهذه الانتفاضة حليف جديد من نوعه، حليف من نمط الانتفاضة، هذه الحقيقة غابت عن ذهني مع أن هناك ضرورة للتركيز عليها، فيا حبذا لو ألقينا الضوء أكثر على موضوع هذه العلاقة، وكيف يمكن فعلاً أن نجد لهذه الانتفاضة تفاعلاً من نمطها ومن نسيجها من الخارج. يعني أين هذه القوى المؤهلة، وما هي هذه القوى التي يمكن أن تخاطب والتي يجب ألا تخاطب فقط نظرياً، يجب أن نخاطب قوى مؤهلة لأن تكون فعلاً حليفة لهذه الانتفاضة ورافعة لها وداعمة لها، ولكننا يجب أن لا نكتفي في تقييم العلاقة المتناقضة بين الداخل والخارج وبين جماهير الانتفاضة وقيادات الانتفاضة، ان نكتفي فقط بهذا التقييم النظري لهذه العلاقة. من الممكن فعلاً كمثقفين، نعتقد أن لنا دوراً سياسياً، وبيننا أناس لهم ماض نضالي ويتحملون مسؤليات نضالية حالياً، يمكن أن نطرح أيضاً في هذه الندوة، ليس فقط التقييم النظري لهذه العلاقة، وانما أن نطرح آفاق لخطوات عملية يمكن أن تؤدي الى التفاعل الذي سماه الدكتور طيب، التفاعل المتبادل، والذي يمكن أن يرتقي بهذه الانتفاضة، الى آفاق نضالية بالاستمرار وبامكانية تحقيق أهدافها. حول هذه النقطة أرى أن يتفضل الدكتور فيصل بالتحدث.

الدكتور فيصل دراج:

أعتقد أنه تم التعرض لمعظم الوجوه الاساسية للقضية، خاصة بعد الملاحظات النيّرة التي قدمها

الدكتور تيزيني مع ذلك يمكن لي أن أشير الى بعض النقاط، التي أثارها الحوار، أو التي بقيت غائبة أو شبه غائبة، لا أعتقد أنه يمكن الأخذ بالسهولة التي تحدّث بها الصديق حمزة عن التناقض بين الداخل والخارج، اذ أن كلمة تناقض تشير الى صراع بين طرفين مختلفي المصالح وهذا غير صحيح لأن منظمة التحرير هي المحور السياسي الذي تلتف حوله القوى السياسية الفلسطينية المقاتلة في الداخل، تلتف حوله على الرغم من الكثير من نقاط اختلاف، أضف الى ذلك أن منظمة التحرير تضم قوى سياسية متعددة، ذات مواقف سياسية متعددة وممارسات سياسية وتنظيمية مختلفة، لذلك لا يمكن التحدث عن الخارج كشيء متجانس ومتسق، كما لا يمكن التحدث عن الداخل كشيء متجانس ومتسق، فالداخل كما الخارج يضم اتجاهات سياسية متعددة، تتضمن مواقف سياسية تمتد من الرفض الشامل للكيان الصهيوني الى المساومة معه والاعتراف به، مروراً بمواقف تطمح الى دولة فلسطينية مستقلة مشروطة بميزان القوى السياسية القائم الآن في العالم العربي وفي الشرق الاوسط بعامه واذا كانت القوى اليمينية الفلسطينية في الداخل، قد صمتت الآن، فذلك لا يعني أنها غير موجودة، بل يعني فقط أن تصاعد الحركة الشعبية قد أجبرها على الصمت والتراجع.

ومهما يكن من أمر، فإن العلاقة بين الداخل والخارج تتضمن الوحدة والتناقض في الوقت نفسه تتمثل الوحدة في شعار الاستقلال الوطني، ويتمثل التناقض في شكل الممارسة السياسية المطلوبة لتحقيق هذا الاستقلال، فاذا كانت القوى الشعبية تعتبر النضال والمواجهة والصدام هي الطريق الضروري فإن القوى اليمينية في الداخل، كما في الخارج، تعتبر المساومات السياسية والتنازلات اللا مبدئية والبراعة الدبلوماسية المزعومة هي السبيل الى الاستقلال. وبهذا المعنى، فان الصراع لا يدور فقط حول سبل تحقيق الاستقلال، انما يدور أيضاً حول طبيعة الدولة المستقلة المفترضة، وإذا كانت القوى الشعبية تبحث عن وطن تحقّق فيه طموحاتها الانسانية الشاملة، فان القوى اليمينية لا ترى في الدولة المفترضة الا مساحة جغرافية تمارس فوقها السلطة أو احتكار السلطة واستمرار السلطة التي تملكها الآن، ان يمين الداخل يبحث عن شروط يتابع فيها دوره وامتيازاته، كما أن يميني الخارج يبحث عن مكان ثابت يحافظ فيه على موقعه، الذي يعتقد أنه ثابت.

بهذا المعنى فان طبيعة الدولة لا تنفصل أبداً عن شكل النضال، أو عن شكل العمل الذي اتبع من أجل تحقيقها.

لقد ظهرت الانتفاضة في شروط موضوعية لا تسمح نظرياً بظهورها، فالعجز مسيطر في العالم العربي والقوى الوطنية محاصرة ومشتتة، وعلى الرغم من هذا الواقع، فقد ظهرت الانتفاضة واستمرت، وكانت بذلك تحقق صراعاً ثنائي الوجه: انه صراع ضد العجز العربي وضد السيطرة الصهيونية، وربما هذا الصراع المزدوج والجذري هو الذي جعل من الانتفاضة حركة شعبية ديمقراطية ذات استقلال ذاتي، وهذا الاستقلال الذاتي هو الذي يجعل من علاقة الداخل والخارج علاقة يتداخل فيها التناقض والوحدة، فهذه الحركة، وبسبب توجهاتها الشعبية، تتسم بنزوع ديمقراطي شامل، يرفض السياسات اليمينية والتقليدية في كل أشكالها، وربما هذا النزوع هو الذي دفع ببعض الأطراف الفلسطينية الى اطلاق مبادرات لا تساعد الانتفاضة بل تصفيها، مثل وثيقة بسام أبو شريف، ذلك أن استمرار الانتفاضة يمكن أن يطورها كيفياً

بشكل يهدد شرعية السياسات اليمينية، ان هذه الانتفاضة يمكن أن تجذّر العلاقة بين جماهير الداخل وقيادة منظمة التحرير بقدر ما يمكن، وفي شروط معينة أن تضعف هذه العلاقة وتفككها، تتجذّر العلاقة اذا اقتربت القيادات والتنظيمات السياسية من طموحات وتطلعات الجماهير الشعبية، وتضعف العلاقة اذا استمرت بعض القيادات المسيطرة تنظر الى الشعب نظرة استعمالية وتنكر عليه حقه في الاستقلال الذاتي، أي اننا نقف الآن أمام منظورين للعمل السياسي، منظور نضالي شعبي يسعى الى تحقيق وجوده وطموحاته عن طريق القتال، ومنظور آخر يعتبر الاندراج في السياسة العربية المسيطرة هي الطريق الوحيد الى الدولة المنشودة، وبهذا المعنى أيضاً، فان النضال الطوعي الفلسطيني من أجل تقرير المصير وهزيمة المشروع الصهيوني هو في نفس الوقت نضال ضد السياسات اليمينية الفلسطينية، أي ان أشكال الصراع ضد الكيان الصهيوني تعيد صياغة أشكال العمل السياسي داخل الحقل الفلسطيني، هذا بالطبع يطرح سؤالاً حول فاعلية اليسار الفلسطيني وقدرته على المبادرة من أجل خلق ميزان قوى سياسي جديد، لا يهزم اليمين بالضرورة بل يكبح استعداداته للمساومة.

ومهما تكن الشروط والاحوال، فان الانتفاضة الجارية الآن تشكل جديداً متميزاً في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني، فهناك الاستقلال الذاتي ـ النسبي للحركة الجماهيرية في الداخل وهناك أيضاً التنظيمات الديمقراطية الفلسطينية، التي تمثل، وبأشكال لا متكافئة، طموحات الجماهير وتطلعاتها، الى مستقبل مختلف عن الحاضر، وهذا ما يجعل الانتفاضة تختلف عن ثورة ١٩٣٦، ففي تلك الثورة، كانت القوى المقاتلة تنتمي كلياً الى الريف وفقراء المدن ٩٠٪ من المقاتلين كانوا فلاحين و ١٠٪ ينتمون الى فقراء المدن، مع ذلك فان هذه القوى المقاتلة كانت عاجزة عن خلق قيادتها السياسية، وتنظيماتها السياسية الخاصة بها، بل كانت، وبسبب فقر الوعي، ترى في القيادات التقليدية تعبيراً عنها، وقد تمثل الامر الفاجع في جماهير تقاتل وقيادات تملك التوجيه والارشاد ولا تقاتل، بل كان دور القيادات هو التآمر على الجماهير المقاتلة التي ترى فيها مجرد أدوات لتحقيق طموحاتها الطبقية، أي طموحات هذه القيادات البائسة والعميلة. ان الوعي الوطني الساذج الذي ساد في ثورة عام ١٩٣٦ قد تراجع، ليحل محله، وبأشكال مختلفة لا متكافئة، وعياً وطنياً أكثر تقدماً، ان استمرار الانتفاضة لن يكبح القيادات التقليدية عن المساومة فقط، بل انه قادر، وفي شروط معينة، على محاصرتها وتحجيمها.

نقطة أخيرة: ان ظهور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني هو محصلة لنضال طويل، دفع فيه الشعب الفلسطيني الألوف من الشهداء، وعانى من الحصار والاضطهاد والقمع والحرمان، لهذا فعندما ترى الجماهير الفلسطينية في الداخل في منظمة التحرير ممثلاً لها، فانها في هذا الموقف تعبر عن وعي وطني عالي المستوى، كما تعبر عن مسؤولية تاريخية والسؤال الاساسي: هل الجماهير وفعلها النضالي قادران على اعادة صياغة سياسة منظمة التحرير وممارساتها، أو هل هذا النضال الوطني المجيد قادر على خلق الشروط الموضوعية لتحقيق ثورة أخلاقية ـ معنوية ـ قيمة في منظمة التحرير؟ سؤال نتركه للمستقبل لأنه سيحدد مستقبل نضال الشعب الفلسطيني.

حمزة برقاوي :

عفواً قبل الاستطراد، أريد فقط توضيح كلمة تناقض، أنا ذكرت أن نمط العلاقة القائم ما بين الداخل والخارج، وما بين الجماهير التي تقاتل الآن على أرض فلسطين وما بين قياداتها، في هذه العلاقة شيء اصطلحنا على تسميته بالتناقض، وهو في الحقيقة ليس متناقضاً بالمعنى الأساسي، وانما أطلقنا عليه تعبير التناقض، انطلاقاً من النقاط التي ذكرتها أنا وأنت والتي أسميتها.

د. فيصل (مقاطعاً) :

أنا أسميه الصراع وليس بالتناقض.

حمزة برقاوي :

على أي حال، المهم الآن تحديد النقاط التي اصطلحت أنا تسميتها بأنها متناقضة.

د. فيصل :

عطفاً على ما قاله الدكتور طيب، يمكن أن أقول أن الجزء اليميني في م . ت . ف . لا يختلف، لا فكراً ولا سلوكاً، ولا ممارسة عن القوى السياسية اليمينية القائمة في العالم العربي، لكن في نفس الوقت هذه القوى اليمينية لاعتبارات تاريخية، قامت ببناء شيء اسمه الهوية الوطنية الفلسطينية المستقلة.

حمزة برقاوي :

الآن اين هو التناقض؟ هذا الذي أطلقت عليه كلمة التناقض، والذي يمكن ان نسميه خلاف، في الوقت الذي تستمر فيه الانتفاضة وفي الوقت الذي تتصاعد فيه هذه الانتفاضة وتأخذ أشكالاً جديدة من النضال. في بيان الانتفاضة رقم ٢١ نجد انها طرحت اشكالاً معينة جديدة بدءاً من العصيان المدني، وحرب الحرائق. . . الخ. هذه الانتفاضة تفتش من اساليب واشكال جديدة للنضال. في نفس الوقت، اذا استعرضنا ما يجري في الخارج وتحديدا دور قيادة م . ت . ف . التي تعترف الانتفاضة بها كممثل شرعي ووحيد وهو الامر الذي يدل على تطور الوعي لديها، والذي أرى معك أنه على الرغم من أنه يعبر عن شعور عالٍ بالمسؤولية، الا أنه لاينفي ان هناك علاقة خلافية، ففي الوقت التي تتصاعد فيه الانتفاضة وتفتش عن اشكال جديدة من الكفاح، انظر ماذا جرى خلال الفترة الماضية او الشهر الماضي.

اولا: هناك تصريحات ابراهيم الصوص في باريس التي تؤكد على ان الطرف الذي لايعترف بالآخر هو اسرائيل وليس نحن الذين لا نعترف. ثم هناك تصريحات بسام ابو شريف التي نحن في غنى الآن عن الدخول في تفاصيلها، هناك ما سمي باتفاقيات السلام او بمعاهدة السلام التي جرت بين بعض الكوادر الفلسطينية العربية وآخرين حتى من داخل الكيان الصهيوني، انا اقول هذا يدل على ان هناك علاقة خلافية ومتناقضة فيما يتعلق بالتحرك على الصعيد السياسي.

د. فيصل دراج :

انا اتفق ان هناك نوع من العلاقة الخلافية، بناء على انه ليس هناك الى حد الان خلاف في مستوى التمثيل السياسي، في العلاقة ما بين م . ت . ف . والجماهير الشعبية الفلسطينية المقاتلة ولكن هناك اختلاف اساسي في المنظور والقيم والتوجه الايديولوجي والوطني بين جزء من م . ت . ف . وجزء من الجماهير.

جورج بطل :

الذي انتهى عنده فيصل فيما يتعلق بهذا الصراع والتلاقي بين الانتفاضة وبين القادة، بين قيادة م . ت . ف . ، التي تشكل بالنسبة للانتفاضة من وجهة نظري اكثر من قيادة سياسية، وطن، هوية، هوية للشعب الفلسطيني، بهذا المعنى هي منظمة التحرير الفلسطينية كون م.ت.ف. الاطار الوطني، الوطن للشعب الفلسطيني الذي عنده هوية، وعنده الارض، ولكن ليس عنده اطار دولة، بهذا المعنى هناك تلاقي، اما بالمعنى السياسي، بالمفهوم السياسي، هي متناقضة.

د. فيصل دراج (مقاطعاً) :

. . . م . ت . ف . كرمز هي معها كرمز اكثر مما هي معها كممارسة سياسية.

حمزة برقاوي :

هذا يدل على وعي كبير.

جورج بطل :

هذه الاشكالية تطال حتى التنظيمات الديمقراطية في منظمة التحرير فهي مع هذا الاطار كوطن ولكنها متناقضة معها كخط سياسي.

ناجي علوش :

ارجو ان تسمحوا لي قليلا، الحقيقة أعتقد ان هنالك اكثر من اشكالية للانتفاضة، أول هذه الاشكاليات اننا جميعا، ومن مختلف الاتجاهات السياسية، عملنا على تمجيد الانتفاضة، ولم نعمل على تحديدها، او على البحث في اشكالاتها.

والتمجيد لايكفي، ولا يساعد الانتفاضة على ان تحقق اهدافها، مع ان التمجيد ضروري، لان هذا عمل شعبي عظيم، يستحق التمجيد. ولكن اذا كان التمجيد بداية ضروري، فلا يجوز ان نستمر بعملية التمجيد، مجردة من تحديد الاشكالات التي تواجهها الانتفاضة، ومن تحديد الابعاد والآفاق التي يمكن ان تفتح امامها او يمكن ان تغلق بسبب امكانياتها الذاتية او بسبب الظروف المحيطة بها. الاشكالية الاولى التي يجب ان نفكر بها هي هذه الاشكالية، الانتفاضة عمل شعبي جماهيري واسع النطاق، تشارك فيه

اوسع الجماهير ذات المصلحة في محاربة الاحتلال، وهي ليست جماهير من طبقة واحدة، هي جماهير العمال، وهي جماهير الفلاحين الفقراء، وهي جماهير البرجوازية الصغيرة، وهي قطاعات من البرجوازية ايضا، اجتمعت، لان الاحتلال لم يسمح لاي منها ان يتعايش في ظله ولان الاحتلال استعمل معها كل اساليب القسر والاضطهاد والاستغلال والطرد من الارض والطرد من العمل والاخضاع القومي والاضطهاد الطبقي، فالجماهير اذن تدافع عن حقها في ارضها، في وطنها، في كرامتها القومية، في مصالحها الطبقية معا، وهذا العمل الجماهيري، الواسع، نستطيع ان نقول، انه لم يكن مخططا له، لا في البرامج ولا في ممارسات م. ت. ف. وفصائلها المختلفة، فالبنية التي بنتها م. ت. ف. وفصائلها المختلفة في الخارج، هي بنية وظيفية، وفي حدود معينة ارتزاقية، وهي في كلها متراخية، وهي في كلها ليست بنية عمل شعبي جماهيري ثوري حقيقي.

التناقض اذن هنا هو بين عمل شعبي مندفع واسع وبين قيادته من نوع آخر، او هكذا أصبحت بعد سنوات طويلة من النضال، هذه الاشكالية بارزة الآن، وهي بارزة للمواطن العادي، كما هي بارزة لمعظم القيادات السياسية في م. ت. ف. منظمة التحرير حتى الآن لم تبن اتحادا عماليا حقيقيا في الخارج، ولا اتحادا طلابيا حقيقيا، ولا اتحاد امرأة حقيقيا، ولم تبن قوى عسكرية حقيقية، بمعنى قوى عسكرية من مستوى الصراع مع العدو الصهيوني وقوى عسكرية قادرة على ان تخوض الصراع المطلوب في الحرب مع العدو الصهيوني، هنا نوع من الاشكالية، وهنا انا اختلف قليلا مع الزميل د. فيصل دراج انا لا اعتقد انه هناك يمينا فقط نختلف معه في السياسة، او نختلف معه في الممارسة، فهناك شكل عام من السياسة ومن الممارسة يعم الفصائل المنتمية الى م. ت. ف. ولم يعجز اليمين فقط عن بناء اطر شعبية، فقد عجز اليسار أيضاً عن بناء اطر شعبية، ولم يعجز اليمين فقط عن تطوير العمل المسلح، فقد عجز اليسار ايضا عن تطوير العمل المسلح . . .

هنالك اذن نوع من الاشكالية، فهذه الانتفاضة التي تمارس عملا نوعيا، شعبيا حقيقيا، والتي تعطي الصراع طابعا اكثر حدة في مواجهتها مع العدو الصهيوني، تقر بشكل من الاشكال ورسميا بقيادة م. ت. ف.

طيب تيزيني (مقاطعا):

استاذ ناجي اسمح لي بسؤال حول طبيعة الصراع، اعتقد انك تختلف مع د. فيصل دراج، لم افهم بعد ما هو الخلاف.

ناجي علوش:

نعم سأوضح ما هو الخلاف، هذا الاقرار بالقيادة الرسمية، هل هو ناتج كما طرحت عن نوع من الحكمة، ام عن نوع من القصور، في رأيي انه نوع من القصور، وان كان يفسر علميا بانه نوع من

الحكمة، نوع من القصور، لان الجماهير الشعبية، وهذه مشكلة فلسطينية واجهتها الجماهير الفلسطينية منذ ١٩٢٠، كانت دائما مختلفة مع قياداتها، وكانت دائما تقوم بمبادرات، ولكنها في النهاية تبايع قياداتها السياسية. سنة ١٩٣٥، قررت الجماهير ان القيادة عاجزة، وان القيادة مهادنة للاستعمار البريطاني، فانطلقت الجماهير وشكلت ما سمي، اللجان القومية، ودعت هذه اللجان القومية الى الاضراب الكبير الذي استمر ستة أشهر، وكان الاضراب الكبير نوعا من الانتفاضة، لانه شهد كل انواع العصيان الشعبي، ومقاطعة العدو الصهيوني، ومقاطعة الاستعمار البريطاني. فما الذي حدث، ان هذه الحركة الشعبية الجماهيرية بعد شهر ونصف تقريبا عقدت مؤتمرا قوميا للجان القومية، خلافا لارادة القيادة السياسية، وهي قيادة الحاج أمين الحسيني، وجندت جماهير شعبية واسعة وقامت بعمل مسلح حقيقي اذهل الاستعمار البريطاني والمستعمرات الصهيونية، واستمرت هذه الثورة ٣ سنوات وهي ثورة جماهيرية شعبية حقيقية، ولكن هذه الثورة التي كانت قيادتها من الفلاحين، لم يكونوا يعترفون فعليا بالقيادة السياسية، لم يطرحوا على انفسهم انهم سيشكلون قيادة، واعترفوا رسميا بالقيادة السياسية التي كانت في الخارج ايضا، هذه الاشكالية موجودة الأن بشكل من اشكالها، قد لاتكون موجودة بنفس الاسلوب وبنفس الدقة، ولكنها موجودة حاليا، موجودة لان الجماهير الشعبية تخوض نضالا لم تستطع القيادات السياسية ان تعبىء له وان تحضر له وان تعده، وبالتالي، فهي ليست قيادته الحقيقية ولكنها الآن تمارس الدور القيادي، وليس من مانع لدى الجماهير المختلفة مع القيادات التي تنتقدها، ليس من مانع لديها، ان تقبل قيادة م. ت. ف. قيادة لها، هذه اشكالية ستؤثر في مستقبل الانتفاضة.

السؤال الذي وجهه لي الزميل الدكتور طيب تيزيني حول خلافي جزئيا مع الدكتور فيصل دراج، يندرج تحت نقطة واحدة، هي انه هل المشكلة في م. ت. ف. هي اليمين او هذا الجزء اليميني من قيادة المنظمة، او ان المشكلة عامة، وان هذه المشكلة العامة تنطبق على اليمين، كما انها تنطبق على كل اليسار، اقول اليسار، لماذا؟ لانه اذا كانت المشكلة سياسية، من حيث البرنامج السياسي فهنالك قدر من الاتفاق العام حول البرنامج السياسي بين الفصائل الموحدة في م. ت. ف. هنالك اتفاق على ما يسمى البرنامج المرحلي، وهنالك قوى في اليسار مثل الحزب الشيوعي الفلسطيني، اكثر تمسكا باطروحات قيادة اليمين، حتى من قيادة اليمين، واكثر صراحة في طرحها، ما طرحه بسام ابو شريف تبناه بشير البرغوثي وقيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني في الداخل، واعتبروه برنامجا صحيحا، ودافعوا عنه، فمن هذه الناحية ليس هنالك فروق كبيرة، هنالك فرق فقط فيما يتعلق بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبرنامجها المختلف الذي يعتبر البرنامج برنامجا ظرفيا، ولكنه لايشمل الصلح والاعتراف والحدود الآمنة، وهو خطوة على طريق التحرير الكامل، هذه نقطة، النقطة الاخرى، ما أردت ان اشير اليه، هو ان هذه الفصائل اليسارية لم تستطع ان تقوم بعمل نوعي مختلف عن عمل اليمين، لا في ميدان العمل السياسي، ولا في ميدان العمل العسكري، وبالتالي، فالمشكلة هي ليست ان هنالك قسما من اليمين مهيمن، هذا القسم مهيمن لسببين رئيسيين:

السبب الاول: ان الانظمة الرجعية والاستسلامية العربية تدعمه، والسبب الثاني ان اليسار بمختلف اتجاهاته، القوى الوطنية الديمقراطية، القوى اليسارية، القوى الماركسية عجزت عن ان تكون

بديلا شعبيا ومع ان الجماهير الفلسطينية، هي اقرب الى مواقف اليسار، واكثر ثورية من قياداتها وليست مرتبطة مع اليمين. لقد اطلت في شرح هذه الاشكالية التي تواجهها الانتفاضة اشكالية العمل الثوري الشعبي الذي تقوده قيادة عمل من هذا القبيل، وهذه اشكالية كبيرة، لا اريد ان اطيل، لان هنالك اشكاليات أخرى يمكن ان نتحدث عنها، لانني اريد ان افسح المجال للزملاء في مواصلة مناقشتهم.

جورج بطل:

انا اريد ان اطرح سؤالًا يتعلق بالموضوع الذي تعرض له الرفيق ناجي علوش. فيما يتعلق بالبرنامج المرحلي والسؤ ال لا يتعلق بالبرنامج بحد ذاته، بمقدار ما يتعلق بما يجري حاليا على الارض، اوما جرى خلال هذه السنوات. من الملاحظ ان الثورة الفلسطينية قامت قبل احتلال الضفة والقطاع، ورفعت شعار تحرير فلسطين، تحرير الجزء المحتل من فلسطين الذي هوحاليا الكيان الصهيوني، لكن بعد قيام الثورة وبدء عملياتها الاولى بمختلف التيارات التي باشرت عملاً مسلحاً، ان كانت فتح اوحركة القوميين العرب، جاءت الحرب فأدت الى تغيير طبيعة النضال الفلسطيني مما ادى الى ما سمي البرنامج المرحلي، والذي اعطي تفسيرات مختلفة فمنها من اعتبره هدفاً استراتيجياً، علما انهم سموه مرحلي، يعني من حيث التسمية وبالاساس اعتبر محطة وليس هدفاً استراتيجياً، ولكن البعض فسره كهدف استراتيجي، والبعض يعتبره شيء ظرفي على طريق الهدف الاستراتيجي الذي هو التحرير الكامل، لكن الملاحظ حالياً، انه حتى هذه الثورة المسلحة التي قامت لتحرير فلسطين، انتهت وهي تضع امامها مهمة مباشرة هي تحرير الضفة والقطاع، وهذا هومضمون البرنامج المرحلي، لكن الملاحظ بالداخل حاليا، انه يوجد تحركين مختلفين عند الشعب الفلسطيني يوجد سكان الضفة والقطاع المنتفضين وحركة عرب فلسطين ١٩٤٨، الذين مازالوا ضمن الكيان الصهيوني، بموقع التضامن وليس بموقع الفعل في هذه الانتفاضة. هذه اشكالية غير مفروغ منها، وتطرح علينا السؤ ال، هل امام الانتفاضة في هذه الظروف العربية والدولية والفلسطينية تحديدا، هل على الانتفاضة في الضفة والقطاع ان تضع هدفها الاستراتيجي، بمعنى ان تناضل، ليس لتحرير الضفة والقطاع، ان تناضل لاسقاط الكيان الصهيوني، هل تستطيع ان تتحمل هذه الانتفاضة، بهذه الظروف كلها سواء الداخلية، والظروف العربية والظروف الدولية، التي لا ضرورة للعودة الى توصيفها، لاننا وصفناها بهذا الحوار الذي يدور بيننا، هل تحمل الانتفاضة هذا الشعار الكبير، الذي هو برأيي ولحد الآن، لا بالوضع العربي، ولا بالوضع الدولي ولا الفلسطيني هو شعار واقعي، هل نضع هذا الشعار امامها، ام نضع امام الانتفاضة الشعار الذي اختارته الجماهير. والجماهير هي غالباً أبرع باختيار شعاراتها من الشعارات التي توضع لها من خارج حركتها، حركة الجماهير في الضفة والقطاع، وضعت أمامها شعار تحرر الضفة والقطاع، واجلاء الاحتلال الاسرائيلي بمعزلٍ عن البرنامج المرحلي او بالارتباط معه. لم يحدد البرنامج المرحلي هذا الشعار، بل حددته شروط الانتفاضة بالذات، شروطها الداخلية، والشروط الفلسطينية والشروط العربية المحيطة، والشروط الدولية. في مرحلة تاريخية محددة ينبغي الوقوف عندها واخذها بالاعتبار بالكامل، هل نضع امامها ونحملها شعارات غير قابلة على تحقيقها، وهل لا يؤدي هذا، اذا حملناها هذا العبء، رغم أننا نريدها ان تكون ثورية أكثر إلى فقدانها

طابعها الثوري، بمعنى نؤدي الى احباطها. هذه اشكالية من الاشكاليات الكبيرة لان انتصار الانتفاضة بشعاراتها هي التي قد تنسجم مع الشعار المرحلي التي تتمسك به قوى، وتعتبره قوى أخرى ظرفي ومرحلي، تلتقي معه وعندها شروطها وشعاراتها. تدفع بهذه الشعارات لتحقيق الانتصار بالجلاء، بطبيعة الحال اجلاء اليهود عن الضفة والقطاع، واقامة دولة فلسطينية، ثم تعيد طرح القضية باشكال أخرى، بما في ذلك موضوع التحرير الكامل الفلسطيني، من منطلق قيام الدولة الفلسطينية.

هذا برأيي، يعيه الكثير من اليهود، والا لكانوا قدموا تنازلات اكبر لولم يكونوا واعين الى خطورة قيام هذا الكيان الفلسطيني الذي سيشكل بالضرورة عامل تناقض أساسي ودائم، هنا يتحول الصراع من صراع حدود إلى صراع وجود. لان هاتين الحالتين، ستنتصر إحداهما، تاريخيا.

قد تكون تجربة فيتنام، بهذا المعنى تجربة رائدة ورفيعة الشجاعة، لعملت الكثير من مراحل النضال، دون تغييب الهدف الاساسي. وهنا الفرق بين ما يجري في الداخل وما يجري في الخارج، بمعنى الشعارات التي تطرحها الانتفاضة والشعارات التي تطرحها بعض القوى السياسية. القيادة الفيتنامية لم تغيّب بعملها الفعلي، وهي تطرح مشاريعها المرحلية، لم تغيّب الشعار الرئيسي، بل ابقته داخليا وهو التحرير الكامل، تحرير كل فيتنام. حلت الحزب الشيوعي الفيتنامي، وعملت تنظيماً آخر اسمه جبهة تحرير فيتنام، واقامت دولة اشتراكية، ودخلت بمشاريع تعاون تنبع من خصوصية الموقف الفيتنامي. لكن القيادة هي قيادة الطبقة العاملة، وبالتالي هنا كانت الضمانة.

حمزة برقاوي:

في الحقيقة اخ ابو ابراهيم، انت ممن طرحوا موضوع المرحلية والتناقض، او اذا استبعدنا كلمة التناقض نقول: الخلاف ما بين بنية م. ت. ف. وبرنامجها وما بين الانتفاضة، قبل ان ننتقل الى هذه النقطة التي أثرتها، والتي فعلا تعرض لها الرفيق جورج، ارى اذا كان لدى الدكتور فيصل بعض التوضيحات ان يتفضل بذلك.

د. فيصل دراج:

لا أبحث عن التشتت، اذ ان الموضوع الذي نقاربه يغري بالتشتت لانه يتضمن عناصر كثيرة قابلة للنقاش لم أفهم بالضبط ماذا يعني ناجي بحديثه عن عجز القوى الشعبية، او اقترابها من شيء قريب من العجز، وبالتالي فان قبولها ببرنامج سياسي محدّد يعبر عن شيء من عدم الحكمة ـ لكنني كفلسطيني وانطلاقا من ميزان القوى السياسي الراهن عربيا وعالميا، فانني اعتقد ان النقطة المحورية لاترتبط بالبرنامج السياسي، سواء كان يطمح هذا البرنامج بتحرير شامل لفلسطين، او القبول بدولة مستقلة فوق أمتار مربعة، لأن الشيء الاساسي هو شكل الممارسة السياسية التي يتم القيام بها من أجل الوصول الى الدولة، لان هذه الممارسة هي التي ستحدد دور وطبيعة هذه الدولة، فدولة يتم الوصول اليها عن طريق النضال الوطني الحازم ستشكل نقطة تحوّل جذرية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي لانها ستكون قد برهنت على ان

المشروع الصهيوني قابل للهزيمة . ان العربي قادر على هزيمة الصهيونية ، اما اذا تم الوصول الى الدولة الموعودة عن طريق الاندراج في السياسات العربية المسيطرة ، فان وظيفة هذه الدولة لن تكون مختلفة عن وظيفة السلطات القائمة الآن في العالم العربي .

ان نضالا وطنيا مبدئيا يؤدي الى دولة مستقلة ، او يفرض على القوى المعادية لحقوق الشعب الفلسطيني القبول بدولة مستقلة فلسطينية ، **هذا النضال يمكن ان يخلق دينامية سياسية جديدة في العالم العربي** ، لأنه يكون قد هزم المشروع الصهيوني للمرة الاولى ، وخلق امكانية النضال للاستمرار حتى هزيمة هذا المشروع كاملا ، **الأمر الأساسي هو المنظور الذي يتعامل مع القضية الوطنية الفلسطينية** فالمنظور الجذري يرى في النضال الوطني سيرورة مفتوحة ، ويرى في الدولة حلقة في سلسلة من النضال المختلفة التي تتعدد أشكالها وفقا لميزان القوى في كل مرحلة ، في حين ان المنظور التقليدي ، البرجوازي ، البيروقراطي ، يرى في التسوية امكانية نهائية ، حيث يندرج بعدها في الحقل السياسي المسيطر في العالم العربي ، ويمكن القول ، ان المنظور الأول بين تحرير الأرض وتحرير الوعي الاجتماعي ، ويرى النضال الفلسطيني جزءا من النضال العربي الشامل ولا يعزل بين تحرير الأرض وتحرير الوعي الاجتماعي ، ولا يفصل بين الصراع ضد القوى الرجعية المعادية للشعب الفلسطيني والقوى الرجعية الفلسطينية ، اما المنظور التقليدي ، الذي يناضل لأهداف وطنية بأدوات وبوسائل رجعية ، فانه يلجأ الى اشكال من العمل التلفيقي للوصول الى سلطة يحتكرها اي انه يحتكر السلطة قبل الاستقلال المفترض وبعده ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف فهو يستعمل الكفاح المسلح والدبلوماسية السرية وتحريك الجماهير لكنه يوظّف دائما الكفاح ، كما التحريك ، من أجل اهداف محددة من وجهة نظر طبقية محددة وبهذا المعنى ، فان الكفاح المسلح ليس دائما ، بالضرورة ، عملا ثوريا ، اذ يمكن توظيف شعارات ثورية لاهداف محافظة ورجعية ، ان المنهج هو محدّد العمل السياسي ، وما نعاني منه هو سيطرة الرؤيا المحافظة سواء كان ذلك في التعامل مع الفرد او الفدائي او مع القضايا الكبرى مثل الوحدة الوطنية والتحالفات السياسية ، لذلك نرجع فنقول : ان اهمية الانتفاضة الجارية لاتكتمل الا اذا انتجت مستجدات سياسية في الحقل الفلسطيني بشكل يؤدي الى محاصرة القوى الرجعية ، ودعم القوى الوطنية الاكثر مبدئية ووضوحاً ، ان شعبا لايتحرّر في نضاله من أجل الاستقلال لايمكن له ان يعيش حرا بعد الاستقلال ، ولهذا فان النضال الفلسطيني الراهن صراع ضد القوى الصهيونية الرجعية ، بقدر ما هو نضال ضد القوى الرجعية الفلسطينية .

حمزة برقاوي :

هل يكفي ، ولو تدخلت ، هل يكفي ان يكون شكل الممارسة السياسية ، هي الضمانة بغض النظر عن طبيعة القوى القائدة الطبقية ، وبغض النظر عن ايديولوجية هذه القوى الطبقية ، انا في تقديري انه لايكفي ، قد اوافقك في موضوع البرامج ، ولكن اعتقد انه يجب ان تكون هناك ضمانات اكثر من موضوع شكل الممارسة ، يجب ان تكون هناك ضمانات كالتي تعرض لها الرفيق جورج ، الفيتناميون طرحوا عدة مراحل ، ولكن هناك قيادة للحزب الشيوعي ، وكانت في الواقع ، قيادة واعية ، وتعرف تماما ماذا تريد ، وهي

في حد ذاتها ضمانة ، لانها قوى طبقية لها مصلحة في هذا التحرير ، وبالتالي لم يكن هناك خوف في طرحها لاي برنامج ، او الشكل الذي تطرحه . لست معارضا لك ، ولكن اعتقد ان شكل الكفاح مهم وضروري ، ولكنه قد لايكفي واقصد بعدم الكفاية الاشارة الى طبيعة القوى الوطنية المكوّنة لقيادة المقاومة .

د . فيصل دراج :

اشكر الزميل حمزة برقاوي على هذا السؤال ، وهو سؤال جيد فعلا ، ما اعني فيه الممارسة السياسية والممارسة السياسية الوطنية الديمقراطية الملتحمة بالطموحات الشعبية والمعادية للامبريالية والرجعية والاستعمار بشكل جذري ، لان مثل هذه الممارسة تحمل نوعا من الدينامية الداخلية الذي يجعل افق المستقبل ، هو التحالف مع القوى الديمقراطية العربية ، من أجل هزيمة كل المشروع الرجعي ، وفي كل تلاوينه .

ناجي علوش :

الحقيقة ما اود ان اقوله في هذا المجال يتلخص بالتالي : اولا : انني لا افصل بين البرنامج السياسي والممارسة السياسية ، ولذلك عندما تحدثت عن اشكاليتين : اشكالية البرنامج السياسي واتفاق قوى اليسار عموما مع قوى اليمين على البرنامج السياسي او اشكالية الممارسة السياسية التي حاولت ان اؤكد في حديثي عنها في هذا المجال ، ان اليسار لم يستطع ان يخلق اشكالا من الممارسة السياسية تختلف عن اليمين ، لذلك انا لم اقصر حديثي عن البرنامج السياسي ، تحدثت عن البرنامج السياسي ، ولكني ايضا تحدثت عن الممارسة السياسية ، واعتبرت ان هنالك عجزا وقصورا لدى اليسار ، يجب ان يشار اليه ، ولا يجوز ان نكتفي بالحديث عن هيمنة اليمين ، اليمين مهيمن ، ولذلك اسباب ، ولكن هناك عجز وقصور لدى اليسار ، على صعيد البرنامج ، وعلى صعيد الممارسة .

الشيء الثاني ، تحدث بعض الزملاء عن موضوع البرنامج المرحلي ، ولي وجهة نظر في موضوع البرنامج المرحلي ليس هنالك ثورة تحقق اهدافها مرة واحدة ، ولقد سألني أحد القادة الفلسطينيين مرة ، قال هل تعتقد ان فلسطين ستتحرر مرة واحدة ، قلت له ان صلاح الدين الايوبي لم يستطع ان يحرر فلسطين من الصليبيين مرة واحدة .

في عهد الصليبيين وصلاح الدين ، لا في عهد الاسلحة النووية والاقمار الصناعية والهيمنة الرأسمالية العالمية ، وبالتالي انا لا اعتبر أن فلسطين ستحرر مرة واحدة ولكن هل يعني ذلك انني اوافق على البرنامج المرحلي بقيادة م . ت . ف . انني لا اوافق عليه مع تأكيدي ان هذا البرنامج هو ليس برنامج م . ت . ف . هذا البرنامج الرسمي العربي لتسوية القضية الفلسطينية الذي تبنته اولا ، لانها قيادة يمينية كما ذكرها الزميل ، ثم تكيفت القوى اليسارية داخل م . ت . ف . مع هذا البرنامج ، لماذا اعارض هذا البرنامج اعارضه للاسباب التالية : اولا : انا اعتبر ان هذا البرنامج المرحلي يجب ان يوضح التالي هل يمكن ان يتحقق البرنامج المرحلي بالتسويات السياسية ، بالمناشدات الدولية ، بالقرارات الدولية ، من وجهة نظري ، ان هذا سوف لا يتحقق ولن يتحقق الا ضمن اطار اختلال ميزان القوى لمصلحة العرب في الصراع العربي

الصهيوني والصراع مع الامبريالية الاميركية، وهذا الصراع ليس مبنيا على البرنامج المرحلي، انه مبني على برنـامج اكبر، على برنامج القوى العربية الديمقراطية البعيد المدى، في مواجهة الامبريالية، في تحرير فلسطين، في تحقيق الوحدة، في بناء المجتمع العربي الديمقراطي، اين موقع هذا البرنامج المرحلي من كل ذلك؟ لاارى لهذا البرنامج المرحلي موقعا في كل ذلك، نقطة أخيرة:

اعتقد ان المطلوب من القوى الثورية الفلسطينية، والقوى الفلسطينية ان تؤجج الصراع مع العدو الصهيوني الآن، وان تطرح برنـامج التحرير كاملا، لا لانها قادرة على تحقيقه، فهي ليست قادرة على تحقيقـه، ولن تكون كقوى فلسطينية قادرة على تحقيقه في يوم من الايام، ولكن الواقع الرسمي العربي استسلامي جدا الآن، ولانه يبحث عن مشاريع التكيف مع الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني. فعلى القوى الفلسطينية ان تطرح برنامج التحرير، لانها بذلك فقط تشد الجماهير العربية، تطور الصراع، تجبر القوى الرسمية العربية، على ان تتخلى من مشروعها الاستسلامي، وتفضحها في محاولاتها لتصفية القضية الفلسطينية، اما اذا تبنت القيادة الفلسطينية المشروع المرحلي، فان ذلك سيؤدي الى تبرير مزيد من خطوات الاستسلام العربية، هذا باختصار للايضاح.

حمزة برقاوي:

قبل ان ننتقل الى المحور الآخر، وهو موضوع دور المثقف، اعتقد ان الدكتور طيب يريد التعليق على هذا الموضوع.

د. طيب تيزيني:

برزت ملاحظتان اثناء استماعي للحديث، الملاحظة الاولى، تبدأ من حيث انتهى الاستاذ ناجي، وهي اني اكـاد اخشى ان يكون ماقاله الاستاذ ناجي قد يؤدي الى نوع من الاقرار بشكلية ما للبرنامج الاستراتيجي انا فهمت هكذا، ان البرنامج السياسي حينما يوضع على اساس استراتيجي الآن في مرحلة الهزيمة العربية عموما، سيكون شكلا من أشكال التحفيز العربي على التأكيد على الحق الفلسطيني في فلسطين كلها. هذا صحيح عموما. لكن الممارسة تبقى دائما اساسية وهامة. يعني لا يكفي اطلاقا ان نقر بوجود برنامج يقول بهذا وذاك من أجل منح هذا البرنامج مصداقية ما، لذلك أجد ان هذه القضية تثير قضية العلاقة بين المرحلية والاستراتيجية، القضية من المرحلية والاستراتيجية في ظني تبحث على مستويين مستوى اول: وهـو المستوى الجدلي الثوري الـذي يعني هنـا ان المرحلية ليست الا بعدا من ابعاد الاستراتيجية، وليست الا قناة قد تؤدي الى الاستراتيجية وعلى هذا المستوى لايمكن ان تطرح القضية الا من موقع قيادة ثورية، وهنا لاخوف اطلاقا كما اشار الاستاذ جورج، لاخوف اطلاقا ان نطرح المرحلية فعلا، لاننا نعلم انها وجه من أوجه الاستراتيجية نفسها، وهي ذات سياق تاريخي يؤدي الى الاستراتيجية، اما المستوى الثاني وهو الذي يثير شكوكا في الحقيقة، ويتمثل في ان طرح المرحلية قد ينطوي بذاته على طرح استـراتيجي، وهذا ما نعيشه الآن، عندما يقال بأن تحرير الضفة والقطاع هو الحد الاقصى والراهن، وبالتالي يعتبر هدفا استراتيجيا، هنا ينبغي النضال ضد هذا الموقف، نضالا عمليا ونظريا ايديولوجيا،

بحيث ان يصبح من الضروري ان نفضح البعد القاصر لهذه البرامج المرحلية، لانها تؤدي الى الخطأ الاساسي، الذي هو استراتيجي، مما يقودنا الى القضية الثانية، ملاحظة اخرى حول قضية طرحها الدكتور فيصل وهي العلاقة بين الممارسة والبرنامج السياسي، او الممارسة بصورة عامة، والنظرية. الموقف النظري في البرنامج السياسي، هنا كنت أيضاً اخشى ان يكون التأكيد على الممارسة قد يؤدي الى نوع من الموقف البرغماتي، حتى من موقع وطني ثوري. نحن نعلم ان هناك بعض القوى الثورية التي لاتمتلك برامج نظرية استراتيجية واضحة المعالم تدع نفسها تقاد من ممارسات صحيحة احيانا، لكن السؤال، هل هذه الممارسات ستؤدي فعلا الى ابعاد أكثر تقدما. من هنا اريد فقط أن أضيف الى ان مايطرحه الدكتور فيصل صحيح، خصوصا حينما يوضع في سياقه، كما قال، الوطني الديمقراطي الثوري، وهنا اضيف، ان هذا الطرح ينبغي ان يحاط برؤية من برنامج سياسي ذي بعد واضح المعالم، يقوم على مرحلية استراتيجية واستراتيجية مرحلية، بحيث يصبح الوجهان مسألة واحدة، الممارسة هي التي تشخص ضرورة هذا او ذاك في اطار ما.

حمزة برقاوي:

لا أدري اذا كان هناك احد يريد التعليق حول المواضيع التي اثيرت، اذا لم يكن هناك اي تعليق يمكن الانتقال الى النقطة الاخيرة وهي موضوع دور المثقف.

ناجي علوش

في الحقيقة انني اعتبر برنامج التحرير، برنامجاً استراتيجياً للثورة العربية، وللجماهير العربية، وانه ليس برنامجا تكتيكيا، وانني عندما اكدت على ان علينا الآن ان نؤكد على قضية التحرير اكثر، لان هنالك قوى استسلامية عربية، ولاننا نحن بحاجة ان نؤكد على ذلك الآن أكثر مما نحن بحاجة ان نؤكد عليه عنـدما تكون القوى الثورية في مرحلة انتصار. الشيء الآخر الذي اشار اليه الزميل جورج بطل، هو موضوع القيادة، ان القيادة ضرورية لاية ثورة، لان دور القيادات مهم جدا في انتصار الثورات، او في انكسارها، والقيادة التي تعرف كيف تتعاطى مع القضايا السياسية والاجتماعية، تعرف ماذا تطرح ومتى تطرح ان موضوع القيادة موضوع مهم جدا عندما نتحدث عن القضايا الوطنية وعن الاستراتيجية والتكتيك وهنالك فرق بين قيادات يمينية مستسلمة تطرح برنامجا مرحليا لتبرر به استسلامها ولتطفىء جذوة الصراع، وقيادات ثورية مؤمنة بشعبها ومدافعة عن وطنها وعن ارضها، تخضع لتكتيك تمارسه لهذه الاستراتيجية التي تؤمن بها، وتعبىء نفسها على ارضية هذه الاستراتيجية وليس على استراتيجية المساومة والتكتيك والالاعيب السياسية.

د. فيصل دراج:

يوجد ملاحظة واحدة فقط، انا اتفق مع التصويب السليم الذي قدمه الدكتور طيب تيزيني لكن حتى لايساء فهمها، انا تركيزي على مفهوم السياسة الوطنية الديمقراطية، انها في طبيعتها تخلق نوعاً من الدينامية المفتوحة التي لايمكن ان تقف الا اذا انهت الوجود الاسرائيلي، لانني اعتبر اسرائيل هي وظيفة

اساسية وليست دولة، وبالتالي لايمكن ان تحقق شيئاً اسمه استقلال فلسطيني، مادامت هذه الوظيفة الامبريالية التي تأخذ شكل الدولة قائمة الامر الذي يعني انه ليس هناك استقلال فلسطيني الا في اطار النضال الديمقراطي العربي الشامل، الذي ينهي وظيفة اسرائيل الامبريالية، حين ينهي الرجعيات العربية القائمة.

حمزة برقاوي:

في الحقيقة ضمن هذه المناقشة، يبقى لدينا محور هام بالنسبة لنا وهو موقع المثقف، للحقيقة نريد ان نسأل، هل استطاع المثقف ان يساهم في الانتفاضة بشكل ما هل تفاعل الادب مع الانتفاضة. كثير من كتابنا وغيرهم، قد اقول انفعلوا بالانتفاضة فقدموا بعض النتاجات الادبية، اما هل استطاع المثقف ان يكون له دور اكبر في الانتفاضة، دور تحريضي مثلا، وليس فقط ان ينفعل فيكتب قصيدة او رواية مستوحيا ماحدث. يبدو ان الشعر باعتباره يستطيع التفاعل مع الحدث بصورة أسرع من غيره جعل النتاجات الادبية او الثقافية التي وصلت لنا اكثرها كانت على مستوى الشعراء، لكن لاشك ان هناك نتاجات للمثقفين على مستوى التحليل، وعلى مستوى النقد، لكن على هذا الصعيد، هل استطاع المثقف ان يأتي بلغة تخاطب الشعب، تخاطب الشارع، وبحيث يمكنه ان يتضامن مع هذه الانتفاضة بشكل اكثر فعالية، هل استطاع المثقف فعلا ان يثبت وجوده ضمن هذه الانتفاضة. مجموع هذه الاسئلة في تقديري هامة، ويبدو انها قضية هامة ويجب ان نناقشها، لانها قضيتنا نحن بالدرجة الاولى ويمكن ان يكون دورنا في هذا المجال هو أكثر من دورنا في مجال آخر، بحكم طبيعة تواجدنا وطبيعة عملنا، حول هذه المسألة ارى ان يتحدث الدكتور فيصل دراج أولاً ثم يمكن بعد ذلك ان ننتقل الى اية مداخلات او تعقيبات.

د. فيصل دراج:

هل استطاع المثقف ان يثبت وجوده في الانتفاضة؟ ليس موقف المثقف من الانتفاضة إلا ترجمة لموقفه من القضايا التي سبقت الانتفاضة، ومن القضايا التي تلي الانتفاضة، ربما، فان كان المثقف مسؤولا ونقديا وواقعيا في الكتابة وخارجها، فانه سيكون بالضرورة مع الانتفاضة، بل ربما يكون قد ساهم وفي سنوات، في خلق هذه الانتفاضة، بهذا المعنى فان موقف المثقف يتحدّد بسلسلة ممارساته التي سبقت الانتفاضة، فمن لا يكون مسؤولا في كتابته وممارسته، قبل الانتفاضة لن يكون فاعلا في الانتفاضة أو منفعلا بها، والقضية الاساسية هي: ما هو المرجع، او ماهي المراجع، التي تحكم ممارسة المثقف الشاملة، ان كان المرجع هو الوطن، الثورة، الشعب، التراث الوطني، فان المثقف يمكن ان يستوعب دروس الانتفاضة، ويساهم، في حدوده الممكنة، في الدفاع عنها، اما اذا كان المرجع هو المصلحة الذاتية، فان علاقته بالانتفاضة، لن تكون اكثر من علاقة الريح بالماء، أكثر من ذلك، ان الانتفاضة الشعبية الفلسطينية المجيدة تتضمن، اولا، وأخيرا، نزوعا ديمقراطيا شعبيا، اذ انها ترجم الصهيونية والقوى الرجعية والطبقات الباحثة عن مصالحها الضيقة، اي انها طموح ثوري الى واقع جديد، والمثقف لايستطيع ان يتعامل مع هذا الطموح، الا اذا كان في ممارسته الشاملة ديمقراطيا وشعبيا، اي لايعتبر الكتابة ملكية

خاصة، او طريقا الى الثروة والامتياز او سلعة للتسويق في جملة لا متجانسة من الصحف والمجلات والدوائر، بل يعتبر الثقافة شأنا وطنيا عاما، وفعلا نقديا وأداة لتحقيق النقد والنقد الذاتي والنقد المضاد، ان المشكلة الراهنة، وبسبب ميزان القوى الراهن ان كما كبيرا من المثقفين وأشباه المثقفين، يمارسون دور المثقف الريفي، الذي لا يرى دوره الا بالتوسط المضلّل بين القيادة والشعب، مستثمرا (براءة الجماهير) التي يتخيلها، او عاملا على تجهيل الجماهير، لان نشر الجهل وانتشاره يسمح له بالاستفادة من امتيازه الذاتي، الذي هو معرفة الكتابة.

واذا كان سؤال المثقف يحيل مباشرة الى سؤال ميزان القوى الثقافي، وبالتالي ميزان القوى السياسي، فان دور المثقف لايتحدد الا بعلاقته مع طرف سياسي محدد، اي أن دور المثقف بشكل عام، لاوجود له، لان هذا الدور مشروط بطبيعة الافكار التي يدعو اليها المثقف ومدى قوة او ضعف القوى التي يدافع عنها، ان نسبة المثقفين الفلسطينيين، مثلا، الذين كانوا يتعاملون مع الهيئة العربية العليا، في مرحلتها الاولى، لم يكن يتجاوز ١٥٪ لكن هذا الرقم لم يلبث ان تزايد بعد ضعف القوى الوطنية الواضحة، حتى وصلت في سنوات النكبة الاولى وما تلاها الى ٦٥٪ وعلى ان ميزان القوى يميل بشكل عام، الى صالح القوى التقليدية، فان المثقف التقليدي هو المسيطر كما ان المنظور التقليدي للثقافة والمثقف هو المسيطر ايضا وهذا يعني ان المثقف يلعب، بشكل عام، دورا محدودا في دعم الانتفاضة. اكثر من ذلك، ان المنظور السائد جعل جزءاً من المثقفين يتعاملون مع الانتفاضة بشكل برغماتي، فهم لايقدمون شيئا للانتفاضة، بقدر ما يستغلون الانتفاضة لاغراض شخصية، اي تختزل الانتفاضة، من جديد، الى عملية ربح وخسارة وتسويق لصورة الذات ومدخلاً الى الاستعراض والتلفيق.

ان غسان وناجي وابا سلمى وغيرهم هم مثقفو الانتفاضة، حتى قبل صعودها. لذلك فان حديث المثقف التقليدي عن الانتفاضة لن يجعل منه قريبا الى غسان كنفاني أو ناجي العلي، لان مفهومه التقليدي للمثقف والثقافة لن يسمح له ان يفهم معنى الانتفاضة، اومعنى شهادة ناجي، وان فهم ذلك فانه يسخره مباشرة لمصلحته الذاتية.

ان دور الثورة هو اعداد المثقف كيفيا، تعليمه وتثقيفه من وجهة نظر الثورة، اي من وجهة نظر الانسان المقاتل من أجل مجتمع جديد. وهذا الدور يتنافى مع دور الادارة البيروقراطية، التي تعيد انتاج المثقف كيفيا ايضا، ولكن من وجهة نظر برجوازية بيروقراطية او من وجهة نظر ممارسة بيروقراطية فقيرة، ان امتثل اليها الكاتب اصبح برجوازيا، اي فقيرا في الكيف والحقيقة وغنيا في الكم والتضليل.

ان المثقف لاينتج لغة جديدة الا اذا كان جزءا عضويا في الفعل السياسي النقدي، هذا هو الجزء الثاني من السؤال وما معنى اللغة الجديدة أصلا؟ انها تلك اللغة التي تتكون في سيرورة نقد الاخطاء والبحث عن معرفة جديدة وعن اشكال جديدة من الفعل السياسي توائم التحولات السياسية والاجتماعية المستمرة، فلا جديد بدون نقد، اذا ان النقد ليس أكثر من الدعوة الى النضال من شكل محدّد في الفكر والسلوك الى شكل آخر مختلف عنه ومغاير له. وبهذا المعنى فان الانفعال لايخلق لغة جديدة، انه كالتصفيق في قاعة عامرة بالحماسة، يعطي اليدين حرارة، لاتلبث ان تزول بعد مغادرة القاعة،

اللغة الجديدة هي تلك الباحثة عن جديد وطني شامل، وهي لم تنتظر الانتفاضة، بل تستمر

بعدها، اذا كانت اللغة الجديدة هي لغة المنظور الجديد الداعي الى تحويل اجتماعي نوعي. أفليست لغة طه حسين ورئيف خوري وعمر فاخوري وغسان كنفاني لغة جديدة؟ لا اعتقد ان المسألة تقوم في لغة جديدة، تختزل عادة الى بهرج بلاغي فارغ، بل المسألة كل المسألة في منظور جديد للثقافة:

ما هي حدود الاستقلال الذاتي ـ النسبي لفعل الكتابة؟ هل الكتابة تبشير ام تعليم؟ ما هو مرجع الكتابة أولا؟ هل تصدر عن الانفعال والقاموس ودروس الانشاء المدرسية، ام انها فعل يتكون في جدل الممارسة اليومية وتراكم الثقافة؟ هل المثقف حاجب ام ناقد؟

ـ هل دوره ان يضيف سطرا تمجيديا على حاشية خطاب القائد السياسي ام ان دوره تأكيد دور القائد ان كان صحيحا، ونقد هذا الدور ان كان عامرا بالاخطاء؟

ان اللغة هي شكل التفكير، والتفكير انعكاس لجملة من الممارسات الاجتماعية، ومن لايكون جديدا في تعامله مع القراءة والكتابة لايكون جديدا في لغته، واذا كان الانفعال بالاحداث الكبرى، والانتفاضة حدث كبير، ينتج لغة جديدة، فما هي اللغة الأدبية الجديدة التي صدرت بعد الخروج من بيروت، وهو حدث تاريخي كبير؟ ان الخروج من بيروت لم يدفع المثقف الفلسطيني الى المراجعة بل دفعه أكثر فاكثر الى جزر الانانية وسرا ديب الحسبان الفقير، وزج به في دروب التشتت وانحلال المسؤولية لكأن الخروج لم يمنح البعض لغة جديدة بقدر ما أعطاهم مجالا جديدا للحركة الشائبة.

لايعبر عن انتفاضة الشعب الا من يقاتل معه، ولن يجد الشعب مثقفه الحقيقي الا حينما تصبح القوة الشعبية هي صانع القرار السياسي وحامله وممارسه.

حمزة برقاوي:

شكراً لكم جميعاً.

الملف

ملاحظات مؤقتة حول انتفاضة الشعب الفلسطيني*

د. أحمد برقاوي*

بين انتفاضة الشعب الفلسطيني وبين الكتابة عنها درجة من عدم التطابق. تماماً كالفرق بين المعرفة وبين الواقع. غير ان الاقتراب من الواقع كما هو بالفعل لانتاج معرفة موضوعية عنه يظل مطلباً مشروعاً وضرورياً. اي تبقى شروط انتاج معرفة صحيحة موضوعية عن واقع متشابك معقد امكانية تتوافر وقد لا تتوافر لمثقف يعج بمختلف الوان الايديولوجية التي تمنعه من رؤية الحدث التاريخي من الداخل. وقد تتوافر لمثقف يجعله انخراطه العضوي ومصالحه المتطابقة مع مطلب الموضوعية قريباً جداً من الحدث الذي يدرس.

القيت في الندوة التي اقامتها لجنة العمل النقابية حول الانتفاضة مابين ٢ ـ ٣ /٥/٨٨

.د. احمد برقاوي: د. في الفلسفة استاذ في جامعة دمشق له العديد من الابحاث المنشورة.

بعدها، اذا كانت اللغة الجديدة هي لغة المنظور الجديد الداعي الى تحويل اجتماعي نوعي. أفليست لغة طه حسين ورئيف خوري وعمر فاخوري وغسان كنفاني لغة جديدة؟ لا اعتقد ان المسألة تقوم في لغة جديدة، تختزل عادة الى بهرج بلاغي فارغ، بل المسألة كل المسألة في منظور جديد للثقافة:

ما هي حدود الاستقلال الذاتي ـ النسبي لفعل الكتابة؟ هل الكتابة تبشير ام تعليم؟ ما هو مرجع الكتابة أولا؟ هل تصدر عن الانفعال والقاموس ودروس الانشاء المدرسية، ام انها فعل يتكون في جدل الممارسة اليومية وتراكم الثقافة؟ هل المثقف حاجب ام ناقد؟

ـ هل دوره ان يضيف سطرا تمجيديا على حاشية خطاب القائد السياسي ام ان دوره تأكيد دور القائد ان كان صحيحا، ونقد هذا الدور ان كان عامرا بالاخطاء؟

ان اللغة هي شكل التفكير، والتفكير انعكاس لجملة من الممارسات الاجتماعية، ومن لايكون جديدا في تعامله مع القراءة والكتابة لايكون جديدا في لغته، واذا كان الانفعال بالاحداث الكبرى، والانتفاضة حدث كبير، ينتج لغة جديدة، فما هي اللغة الأدبية الجديدة التي صدرت بعد الخروج من بيروت، وهو حدث تاريخي كبير؟ ان الخروج من بيروت لم يدفع المثقف الفلسطيني الى المراجعة بل دفعه أكثر فاكثر الى جزر الانانية وسرا ديب الحسبان الفقير، وزج به في دروب التشتت وانحلال المسؤولية لكأن الخروج لم يمنح البعض لغة جديدة بقدر ما أعطاهم مجالا جديدا للحركة الشائبة.

لايعبر عن انتفاضة الشعب الا من يقاتل معه، ولن يجد الشعب مثقفه الحقيقي الا حينما تصبح القوة الشعبية هي صانع القرار السياسي وحامله وممارسه.

حمزة برقاوي:

شكراً لكم جميعاً.

الملف

ملاحظات مؤقتة حول انتفاضة الشعب الفلسطيني*

د. احمد برقاوي*

بين انتفاضة الشعب الفلسطيني وبين الكتابة عنها درجة من عدم التطابق. تماماً كالفرق بين المعرفة وبين الواقع. غير ان الاقتراب من الواقع كما هو بالفعل لانتاج معرفة موضوعية عنه يظل مطلباً مشروعاً وضرورياً. اي تبقى شروط انتاج معرفة صحيحة موضوعية عن واقع متشابك معقد امكانية تتوافر وقد لا تتوافر لمثقف يعج بمختلف الوان الايديولوجية التي تمنعه من رؤية الحدث التاريخي من الداخل. وقد تتوافر لمثقف يجعله انخراطه العضوي ومصالحه المتطابقة مع مطلب الموضوعية قريباً جداً من الحدث الذي يدرس.

القيت في الندوة التي اقامتها لجنة العمل النقابية حول الانتفاضة مابين ٢ ـ ٣ /٥/ ٨٨

د. احمد برقاوي: د. في الفلسفة استاذ في جامعة دمشق له العديد من الابحاث المنشورة.

ونحن في حالة الكتابة عن انتفاضة الشعب الفلسطيني المشتعلة الآن انما نكتب عن حدث راهن ينطوي على امكانيات مفتوحة من الصعب حشرها في اطارٍ نظري مجرد، حيث تقوم المصادفات والعوامل الذاتية والموضوعية الكثيرة بدورٍ كبير لا في تحديد سير الانتفاضة فحسب ، بل وفي تحديد مصيرها والنتائج النهائية لها .

وعندما نقول عن ملاحظاتنا انها ملاحظات مؤقتة ، فلا تصدر عن رغبة في الحيطة من ان تكذب الوقائع ملاحظاتنا وقد تكذبها فعلاً . بل ننطلق من ان الانتفاضة اعقد من ان نصدر حكماً نهائياً حولها . ولهذا فالملاحظات التالية هي اقرب الى الفروض . ووحدة الواقع قادرة على التدليل عليها او التدليل على عدم صحتها . بهذا المعنى فكل معرفة تتعلق الآن بحدثنا الراهن هي معرفة احتمالية .

نقطة اخرى يجب ان نشير اليها تتعلق بمسألة العلاقة بين المثقف الفلسطيني والمثقف العربي بعامة وبين الانتفاضة . اقصد هنا المثقف الذي ينتمي فعلاً الى هذا الحدث العظيم ، ويشعر ان الانتفاضة انما تعبر عن مصالحه وطموحاته . في حالة كهذه على المثقف ان يصرف النظر عن حالتين :

حالة القيام بدور الحكيم واصدار الوصايا والاوامر لشعب يصنع هو التاريخ الآن ، كي يعلمه طريقة وشكل نضاله وتضحياته، وحالة الافراط في التشاؤم او التفاؤل الساذج بنتائج الانتفاضة الشعبية .

ولهذا ارى ان المثقف الثوري وهو غير منخرطٍ مباشرة في الانتفاضة ، انما يعيد صياغة ذاته وتطوير معرفته وامتحان معتقداته ، اي ان الانتفاضة الفلسطينية الآن تقوم بالنسبة لنا بدور الاستاذ القاسي الذي يطلب من تلاميذه الاجتهاد . إذ ذاك يغدو المثقف قادراً على الانخراط في العمل في الممارسة السياسية في حالته الجديدة التي خلقتها الانتفاضة التي وفرت له امكانية اعادة انتاج الحدث التاريخي نظرياً وبشكل موضوعي ، فيسلم الشعب المعلم بمعرفة جديدة تساعده على وعي نضاله واسباب انتصاره . امام المثقف الفلسطيني سؤال مهم يجب ان يجيب عليه عملياً . كيف يجعل من الفكر سلاحاً روحياً في يد الشعب المنتفض ؟ . وفي هذه الحالة وحدها ينخرط المثقف في الانتفاضة كواحد من افرادها .

لن اتناول في هذه الدراسة الصغيرة الاسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت الى حدوث انتفاضة الشعب الفلسطيني : فانتفاضة شعبٍ يعيش تحت الاحتلال اكثر من عقدين من الزمن ، تلقي الضوء على الشروط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي تحيط بالفلسطيني والتي جعلت خياره الوحيد هو مقاومة الاحتلال والدفاع عن حريته .

ومع ذلك لا بد لنا من الاشارة الى بعض الشروط الفلسطينية الخارجية والعربية والعالمية التي سبقت ورافقت نشأة وتطور الانتفاضة من حيث هي عقبات يجب تجاوزها .

اولاً : من الصعب القول ان الانتفاضة كانت ثمرة نهوض في حركة التحرر الفلسطينية بعامة ، بل الاقرب الى الصواب القول ان الفترة السابقة على فترة انطلاقة الانتفاضة فترة ازمة بالنسبة الى هذه الحركة . . ازمة كادت لولا الانتفاضة ذاتها ان تصل الى جدار مسدود .

آ ـ فعلى الرغم من ان مؤتمر الجزائر قد تجاوز الى حد بعيد حالة الانقسام التي جسدها مؤتمر عمان ،

غير ان الوحدة الوطنية الفلسطينية لم تزل تعاني من اعراض الانقسام . سواء في اتساع الهوة بين الخطابات السياسية لدى كل طرف من اطراف المقاومة او في تناقضات الممارسات السياسية التي تبرز في هذا الشكل او ذاك . غير ان اخطر ما واجه العمل الفلسطيني في السنوات الاخيرة هو حالة الضياع وخيبة الامل لدى جماهير واسعة من الشعب الفلسطيني خارج فلسطين، كنتيجة لفتور العمل السياسي الوطني الفلسطيني ودخوله حلبة العمل العربي الرسمي .

ولا شك ان غياب الفعالية السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية واستمرار اعراض الانقسام ، وتراخي الالتفاف الشعبي حول قيادة منظمة التحرير اضعف الى حدٍ كبير عنصر المبادرة لدى الشعب الفلسطيني وبدا وكأن حالة من الركود الطويل تنتظر مسيرة نضالنا الوطني .

ب ـ يجب ان نعترف ـ نحن الفلسطينيين اولاً ـ ان حالة من الفساد مرعبة قد استشرت باجهزة منظمة التحرير الفلسطينية وداخل مؤسسات اكثر المنظمات الفلسطينية . حالة كهذه قد ازالت الاختلاف الواسع الذي كان يقوم بين حركة تحرر وطنية شعبية في الاساس وبين اي نظام عربي رسمي آخر . مما أفقد جزءاً كبيراً من قيادة الشعب الفلسطيني الهيبة الاخلاقية الضرورية من اجل استقطاب الشعب وشرعية التعبير عن مصالحه . غير ان وضعاً طريفاً من التناقض قد نشأ بين قيادة منظمة تكثف الشخصية الوطنية الفلسطينية وبين شعب لا يجد شخصيته خارج هذه المنظمة ذاتها .

جـ ـ لقد اعقبت الانتفاضة حالة من الممارسة السياسية الفلسطينية التائهة الفاقدة لعنصري العقلانية والثورية . أهم هذه الممارسات اللهاث خلف النظام المصري والثقة بقدرته على التأثير على الولايات المتحدة الامريكية والاعتقاد بان الولايات المتحدة الامريكية قادرة على حل قضية الشعب الفلسطيني اذا ما جرى الاقتراب من شروطها التي تفرضها وتحاول فرضها على العرب . هذا من جهة ، اما من جهة ثانية فالوقوف ضد نهج كهذا ظل دون المستوى المطلوب جماهيرياً بحيث طبعت ممارسات القوى الرافضة لهذا النهج بالعطالة والاكتفاء بتوجيه عنصر الاتهام بدلاً من طرح البدائل العملية .

ثانياً : لقد تفجرت الانتفاضة في شرطٍ عربي بالغ الركود والضعف وظهور قابلية شديدة للقبول بتسوية امريكية خارج مصالح الشعب العربي الفلسطيني ودون الاكتراث بمنظمة التحرير بحدود مطالبها الدنيا .

آ ـ تتسم الرجعية العربية منذ السبعينات وحتى الآن باستقرار سياسي واقتصادي قوي . وتلعب دول النفط العربية بقيادة العربية السعودية دوراً فاعلاً في المنطقة ان من حيث الحفاظ على هذا الاستقرار او من حيث اضعاف حركة التحرر العربية .

ب ـ بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية وجزء من قوات الثورة من لبنان ، وبروز ازمة داخل حركة التحرر الوطنية الفلسطينية برز النظام الملكي الهاشمي كعنصر فعال ومهم في تسوية يخطط لها الامريكيون . وراح هذا النظام ينشط اكثر فاكثر على هذا الاساس .

جـ - لقد تحول الاجماع العربي الذي ظهر في مؤتمر بغداد ضد كامب ديفيد الى شبه اجماع عربي في مؤتمر عمان على الاقرار بسياسة النظام المصري السائر على طريق التسوية التي ابرمها السادات مع الكيان العنصري الصهيوني .

ويمكن القول ان مؤتمر عمان لحكام الوطن العربي ، هو التكثيف الشديد لمستوى الثقة بالنفس والوقاحة التي لا تكترث بالشعب ، التي وصلت اليه الرجعية العربية . لكنها ثقة ووقاحة قوي قادرٍ على اهمال ممثل الشعب الفلسطيني الذي فرض على الجميع ذات يومٍ الاحتفال به صدقاً او خوفاً من نتائج ثورته .

د - تستقطب الحرب التي تقوم بين العراق وايران اهتمام العرب والعالم . وتستنزف « طاقات » مهمة ، مما جعل قضية فلسطين تتراجع من أمر أولي الى اهتمام ثانوي بالنسبة للكثيرين . ومؤتمر عمان شاهد على ذلك ايضاً .

هـ - في ظل هذه الشروط التي توفر للرجعية العربية هيمنتها وسيادتها على اكثر من صعيد ، تتراجع بالضرورة قوة وهيبة حركة التحرر العربية، حيث يشهد الوطن العربي خموداً وركوداً لحركة التحرر العربية ، وبالتالي فقداناً للقدرة التي كانت تتمتع فيها هذه الحركة بالوقوف ضد الخط الرجعي - الامريكي في المنطقة .

بل ان ما هو اخطر من ذلك هو سعي حركة التحرر ذاتها الى التلاؤم الفج مع هذا الواقع المأزوم . وهذا ما يبرز هامشيتها .

ثالثاً : في حالة عربية كهذه لا تجد الامبريالية الامريكية ما يفسد عليها حركتها الحرة في المنطقة ، وتمسكها بالخيارات التي تطرحها هي امام حلفائها . كما ان الاستعمار الاستيطاني اليهودي - الصهيوني لا يجد اي مبرر لان يقدم تنازلات ، بل على العكس فان سياسته العنصرية المتطرفة تزداد تطرفاً في ظل العجز العربي .

واخيراً فإن الانتفاضة قد قامت في مرحلة الفرقة القائمة بين منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا ، وهما العنصران اللذان من شأنهما اختراق حالة الركود الى جانب المقاومة الوطنية اللبنانية ، وسيأتي الحديث حول هذه النقطة لاحقاً . ما الذي ينتج من تحليلنا السابق :

اولاً : في المستوى النظري لاي تحليل سياسي ، فان شروطاً كهذه لا تنجب في الغالب انتفاضة عربية فلسطينية ، ومع ذلك يبدو انه كثمرة لهذه الشروط ذاتها جاءت الانتفاضة كسلوك ثوري لتجاوز ركود الشرق وسلبيات حركة التحرر العربية . اي ان الانتفاضة بحد ذاتها كخيار اخير أمام شعب فلسطين جاءت كثمرة فقدان الأمل في أي تحرك عربي جدي .

انطلقت الانتفاضة وما زالت مستمرة والشعب يبدع كل يوم اسباب صموده واستمرار انتفاضته . غير أن الشروط التي ذكرت سابقاً تعتبر مشكلات حقيقية تواجه قدرة الشعب الفلسطيني على الاستمرار في انتفاضته . ولا نبالغ في القول ان تغيير الشروط التي عجلت بانتفاضة الثورة أحد أهم

العوامل التي تجعل من الثورة اكثر اتساعاً وقوة وأقرب الى تحقيق انتصارها وانتصار الشعب الفلسطيني بعامة . اذ يجب ان نميز بين اسباب الثورة من جهة وشروط استمرارها وانتصارها من جهة ثانية . واعتقد ان التفكير بتغيير الشروط التي نعيشها فلسطينياً وعربياً ينقلنا مباشرة من مجرد التغني بالثورة الى التفكير والانخراط في العمل السياسي .

ثانياً : تعتبر الانتفاضة بحد ذاتها عاملاً مؤثراً بل حاسماً في التسريع يتجاوز عوائقها الفلسطينية والعربية ، ذلك ان المناخ الذي خلقته وتخلقه الانتفاضة فلسطينياً وعربياً من شأنه ان يقوم بدور صغير او كبير في تحريض الجماهير العربية الواسعة . والحقيقة ان الاحتمالات التي خلقتها الانتفاضة لاعادة وحدة الصف الفلسطيني كبيرة جداً :

أ - دللت الانتفاضة على انه كلما كانت الثورة الفلسطينية بشكل عام قريبة من اهداف الشعب ، وذات ممارسة جذرية بالمعنى الوطني للكلمة كانت أقدر على الاقتراب من تحقيق اهدافها . ونحن نعتقد ان ترابطاً متبادلاً بين الانتفاضة في الداخل والعمل الوطني الفلسطيني في الخارج من شأنه ان يرتقي بالعمل الفلسطيني الى مستوى اعلى وانجع . يقوم هذا الترابط في الصورة التالية : تفرض الانتفاضة في الداخل - نظرياً - ضرورة ارتقاء الثورة الفلسطينية في الخارج وقادتها الى مستوى فعل الانتفاضة ذاتها . وهذا الارتقاء بدوره يقدم للانتفاضة عملاً اساسياً لاستمرارها والتشبث باهدافها التي طرحتها . غير ان أخطر ما يواجه الانتفاضة ان يقوم ترابط خارجي زائف قد يسهم في اجهاض الانتفاضة . وليس في ولادة اهدافها على الارض وذلك حين ينظر الى الانتفاضة كسلم لايجاد لغة مشتركة مع الامبريالية الامريكية وحلفائها في الوطن العربي . تقف أمام احتمال كهذا عقبتان رئيسيتان حجم الرفض الامريكي - الامبريالي لمنظمة التحرير الفلسطينية وللثورة الفلسطينية بشكل عام بوصفها حركة - هي في جوهرها - وطنية تحررية . ثم حجم الالتفاف الشعبي الفلسطيني والعربي حول الانتفاضة .

ب - لقد اكد ربع قرن من النضال الوطني الفلسطيني قضية اساسية وهي ان وحدة النضال الوطني للشعب الفلسطيني في اي موقع كان - جغرافياً - اساساً لا بد من توافره اذا ما أريد للاهداف الوطنية ان تتحقق وان اي عزلٍ بين فلسطينيي الداخل والخارج من شأنه ان يضعف العمل الفلسطيني وان يهمش الاهداف الوطنية . واذا كانت الانتفاضة في الداخل قد دعمت على نحو من الانحاء هذه الحقيقة ، فان مهمة الثورة الفلسطينية في الخارج ان تنقل هذا الوعي الى مستوى الممارسة العملية . انتقال امكانية كهذه الى واقع متعين أمر يمتلك اسبابه في داخل الثورة ذاتها .

اذ من الخطأ الاعتقاد بان الثورة الفلسطينية بكل ما تنطوي عليه من سلبيات قد فقدت ايجابياتها . يجب ان لا ننسى ان الثورة الفلسطينية في الخارج ، ثورة شعبٍ ما زال يمتلك القدرة على اعادة بناء نفسه رغم ما يظهر على السطح من تردٍ وتشرذم . وان تناسب القوى الاجتماعية والسياسية داخل جسم الثورة الفلسطينية بقدر ما يشير الى الاختلاف ، بقدر ما يسهم ايضاً في وحدة الموقف الاستراتيجي العام .

جـ - في وضع ثوري خلقته الانتفاضة في الداخل والقت بظله على مختلف قوى المقاومة الفلسطينية

من الطبيعي ان يبرز خيار الوحدة الوطنية الفلسطينية كخيار وحيد . آخذين بعين الاعتبار ما قلناه في الفقرة (ب) فان الوحدة الوطنية ضرورة تُفرض على جميع الاطراف . فالتفكير بمستقبل الثورة والانتفاضة كجانبين لحركة واحدة أهم ـ على ما نعتقد ـ من التفكير بالماضي . ولكن التفكير بالمستقبل لا يمر الا عبر نقد الماضي ومراجعته ومساءلته واقامة طيعة مع سلبياته ودفع ايجابياته الى الامام .

اننا نرى ان أهم ما يمكن انجازه في الخارج ـ حتى لا نظل عقبة امام انتفاضة الداخل هو المراجعة النقدية الشاملة من قبل جميع الاطراف بلا استثناء . لا شيء في تاريخ ثورتنا قابل للتقديس افراداً او شعاراتٍ او ممارسات .

ان اخطاءنا على مدى ربع قرن اخطاء كبيرة . ويجب ان نكشف عنها دون تردد وما التشبث بالمواقف التي اثبتت ، الحياة خطأها وبطلانها ، الا سمة اولئك الذين تجاوزتهم الحياة وفقدوا الارتباط بها . هنا يبرز دور الفدائي المقاتل والسياسي الوطني والمثقف الثوري . ذلك انه من النادر ان تمارس القيادات ذاتها التي مارست الاخطاء عملية النقد الضرورية . انها لعملية معقدة وستواجه اذا ما بدأ انجازها صعوبات كبيرة جداً .

ثالثاً : من خلال ما سبق ذكره في الفقرة الثانية وتأسيساً على الوضع العربي الراهن ، فان الانتفاضة ظاهرة نشاز ومفاجأة وحدث يجب ان لا يتكرر من وجهة نظر الذين يسعون للاحتفاظ باستقرار المنطقة . فتدمير كل ظاهرة شعبية جزءٌ لا يتجزأ من سياسة معظم الانظمة العربية ، غير ان احد اكثر المتضررين من الانتفاضة الشعبية الفلسطينية هو النظام الاردني المرتبط ارتباطاً مباشراً بأهم القوى الامبريالية . يعود تضرر النظام الاردني من الانتفاضة الى سببين مهمين : استطاعت الانتفاضة بعد اتساعها واستمرار اوارها ان تطيح الى حد كبير بالخيار الاردني ، بل وبامكانها ان تطيح بكل محاولات الاردن في تمثيل الشعب الفلسطيني وبنتائج قمة عمان . وهذا ما يتنافى مع الدور الاردني الذي رسمه لنفسه ورسم له ، ثم ان تأثير الانتفاضة على الساحة الشعبية في الاردن مباشرٌ اكثر من تأثيرها على اقطار اخرى . بحكم جملة علاقات متعددة . وهذا اذا ما اخذ مأخذه فان خطراً حقيقياً قد يواجه السلطة الاردنية .

ولهذا فالسلطة في الاردن وان اظهرت قدرة كبيرة على التلاؤم مع الحدث الآن بصورة جد خارجية ، فانها ولا شك تبذل جهوداً كبيرة لانهاء الانتفاضة وطعنها كما طعنت الثورة في عام ٧٠ . ان خطر السلطة في الاردن ما زال قائماً على الانتفاضة ، وان تثوير الساحة الاردنية ، وان كان امراً في غاية الصعوبة الآن بعد هزيمة ٧٠ ، وتنامي قوى القمع الى درجة عالية جداً ، غير ان العمل على دخول الشعب الفلسطيني وهو الاكثرية والاردني الى ساحة المعمعة أمر في غاية الحيوية ، ونتائجه ستكون عظيمة .

ولكن العمل الفلسطيني على الساحة الاردنية كي يدخل عاملاً جديداً من عوامل اتساع الانتفاضة واستمرارها ، يقتضي قبل كل شيء التوجه الى القوى الشعبية الفلسطينية والاردنية واعلان الطلاق بين المنظمة والسلطة . انجاز حالة كهذه ليس رهناً بقوى الاردن الداخلية فحسب ، بل ورهناً بالتغير الذي يجب أن تتجه منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها على كافة المستويات السياسية والايديولوجية والعملية .

انجاز كهذا مرتبط قبل كل شيء بتحول الشعب الفلسطيني الى اداة ضاغطة ومستمرة وقادرة على اللجم وتحديد اتجاهات المستقبل في العمل الوطني الفلسطيني . وما الانتفاضة في الارض المحتلة الا نموذجاً رائعاً لمثل هذا التحول .

رابعاً : اذا كانت الانتفاضة الفلسطينية قد نقلت النضال الوطني الفلسطيني الى مرحلة جديدة ، مرحلة تحول الشعب الى كتلة تاريخية فاعلة ، فان هذا الشعب وهو يواجه عدواً يحتل اجزاء من الارض العربية : سورية ولبنانية . يفرض نظرياً تحالفاً عميقاً ووطيداً بين ثلاثة قوى اساسية في مواجهة مباشرة مع اطماع العدو ـ الثورة الفلسطينية والانتفاضة جزءٌ منها وسوريا والمقاومة الوطنية اللبنانية . اذ ذاك لا ينفرد العدو بمواجهة الانتفاضة فحسب ، بل سيفرض عليه التحالف الجديد اذا ما انجز مواجهة صعبة على ثلاثة جبهات ساخنة جبهة الداخل الفلسطيني والجبهة اللبنانية والجبهة السورية . فتوسيع دائرة المواجهة الى مواجهة بين العدو الصهيوني وتحالف عميق يعيد بناء الكتلة التاريخية يقضي مباشرة على كل امكانية لاجهاض الانتفاضة والمقاومة الوطنية اللبنانية والعمل الفدائي الفلسطيني والصمود السوري . وبالتالي يحقق شرطاً أساسياً من شروطه عرقلة التغلغل الامبريالي الامريكي، وتقزيم مشاريعه التي يسعى لفرضها في المنطقة بدءاً من مشروع ريغان وانتهاءاً بمشروع شولتز . وهو يحد بنفس الوقت من دور حلفاء امريكا في المنطقة وخاص الدور الذي تضطلع به السلطة الاردنية .

ان الخطر الاكبر الذي يواجه انتفاضة الشعب الفلسطيني لا يتأتى من حجم القمع الشرس الذي يمارسه العدو الصهيوني، وان كان حجم القمع قضية لا يستهان بها . بل ويمكن ان يفرض القمع الصهيوني اشكالاً اخرى ارقى من النضال واكتساب قدرة اكبر على استمرار انتفاضة الشعب ، بل الخطر الاكبر يتأتى من التعامل العربي مع الانتفاضة والنظر اليها كظاهرة مهزومة سلفاً ، استناداً الى الوهم المتمكن من تفكير الكثيرين وهو ان الولايات المتحدة الامريكية والكيان العنصري ـ الصهيوني قادران على فعل وتنفيذ ارادتهما في المنطقة . تفكير كهذا يقيم علاقة سلبية بكل مواجهة ممكنة مع الامبريالية في المنطقة .

هذا مع العلم ان الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الامريكية يعولان كثيراً على الاداة العربية لدحر كل فعل شعبي . والحقيقة ان تاريخ النضال الفلسطيني شهد ويشهد انه في كل مرة ينتفض فيها الشعب ويثور تكون الاداة الرئيسية للوقوف في وجهه اداة عربية سلطوية . فهزيمة الثورة الفلسطينية في عمان اداتها ملك وجيش وقتال الفلسطينيين في لبنان اداتها حركات فاشية طائفية . وقبل ذلك جرى تآمر عربي رجعي على ثورة ٣٦ . . الخ . دون ان نعفي انفسنا طبعاً من المسؤولية . لكن المقارنات التاريخية ـ مع ذلك ـ ليست دائماً صحيحة ، فالتاريخ لا يعيد نفسه اطلاقاً . واذا كنا نستعين بالتاريخ فما ذلك الا من قبيل الحذر الواجب في مثل حالة انتفاضة الشعب الفلسطيني والقوى التي تواجهه .

اقول ذلك استناداً الى بعض المقارنات التي تجري الآن في اوساط كثيرة من المثقفين والسياسيين بين ثورة ٣٦ وانتفاضة الشعب الفلسطيني الآن .

اذ يخف نفر لايجاد اوجه الشبه بين الواقع العربي الراهن والواقع العربي انذاك ، وبين قيادة العمل الفلسطيني الآن وقيادته في الماضي ، وبين السلطة العربية الحالية وبين السلطة العربية اثناء ثورة ٣٦ . . الخ .

واستناداً الى هذه المقارنة يصل البعض الى أن مصير الانتفاضة الفلسطينية المشتعلة لن يكون أفضل من مصير ثورة ١٩٣٦ .

وهكذا يقفلون الباب امام أي احتمال للانتصار .

اعتقد ان تفكيراً كهذا لا يمس الا التشابه الخارجي ولا يدخل الى قلب العملية التاريخية المعاصرة .

فعلى المستوى الفلسطيني : فان بنية الشعب الفلسطيني الراهنة السياسية والاجتماعية والثقافية ، بنية تختلف كثيراً عن بنيته في الثلاثينات والاربعينات . فخلال اكثر من ربع قرن من التطور الاجتماعي والسياسي والثقافي اكتسب الشعب الفلسطيني خبرة اكبر بكثير من خبرة اسلافنا . فالطبقة العمالية هي اكبر وافضل من حيث كيفها ، والفئات الوسطى الفلسطينية دخلت معترك الحياة السياسية بصورة كبيرة من خلال توزعها على جميع اطراف حركة المقاومة الفلسطينية . وفلاحي الضفة والقطاع هم بالتأكيد اكثر وعياً من خلال دخول العلاقات الرأسمالية الى الريف . وقيادات الانتفاضة الشابة والمسيسة اكثر معرفة بأساليب الامبريالية والرجعية العربية ، والثورة الفلسطينية في الخارج وان كانت تعاني من ازمات صعبة ، ليست في وضع يسمح لها - فلسطينياً - بان تسلك سلوك التفريط بأهداف نضالها وان كانت ممارساتها العملية في كثير من المراحل تشكل عائقاً امام تطور الثورة الفلسطينية ، والانتفاضة وهي تشكل صدمة ايقظت الكثيرين فانها جعلتهم اكثر قرباً من هذا الذي يجري في الداخل .

وليس الوضع العربي الراهن هو بحال من الاحوال ذاته الوضع الذي كان سائداً قبل ٥٢ عاماً . ناهيك عن الوضع الدولي الذي تغير تغيراً هائلاً .

ان الحكم على مشروع شولتز بالفشل واعتقد انه فاشل فعلاً لم يكن الا ثمرة الرفض الفلسطيني والسوري والوطني العربي بل والسوفييتي ، وهذا ان دل على شيء انما يدل على ان الولايات المتحدة والكيان العنصري الاستعماري الصهيوني ليس في وضع يجعلهما دائماً قادرين على فرض سياستهما في المنطقة وهي في النهاية سياسة واحدة . بل وان الرفض العربي الرسمي وان كان رفضاً ناعماً ، يشير الى هامش الخوف العربي من التعامل مع قضية مصيرية كقضية فلسطين . وهذا يعني ان تطوير النضال الوطني الفلسطيني والتحالف المنشود مع سوريا والمقاومة الوطنية اللبنانية من شأنه ان يعزز مواقع القوى المتناقضة مع الامبريالية ويرتقي بها الى مستوى الفعل في تحديد مصير المنطقة ككل .

وكما ان التاريخ لا يعيد نفسه حتى ولو كان التاريخ تاريخ الشعب الواحد ، فان تجارب هذا الشعب أو ذاك وان كانت مقيدة، لايمكنها أن تتساوى ولايمكن العمل وفقها . أي أن الشعب الفلسطيني بحكم شروط نضاله الذاتيه والعربية لا يمكن ان يستعيد التجربة الجزائرية في التحرر من الاستعمار ، فالاستعمار الفرنسي لم يجل شعباً كاملاً من ارضه ، وجاء نضال الشعب الجزائري في مرحلة زوال الاستعمار التقليدي

من كل انحاء العالم . كما ان الشعب الفلسطيني لن يكرر التجربة الفيتنامية التي جرت في شروط فيتنامية خاصة سياسية وثقافية وايديولوجية .

ان الشعب الفلسطيني وهو يمارس نضاله اليومي ضد ظاهرة فريدة في عالمنا المعاصر ، ظاهرة احتلال ارض وطرد معظم سكانها واقامة دولة لا يمكنها ان تعيش وتستمر الا بوصفها دولة تشكل اداة حقيقية للامبريالية الامريكية ليدع اشكالاً من النضال من احد يستطيع ان يحشرها في صيغة واحدة .

ومـا الانتفاضة في الارض المحتلة الآن الا صيغة لم تستنفد كل ما تنطوي عليه من امكانيات ، وامكانية خلق وحدة النضال الفلسطيني ، وحدة المنتفض والفدائي الذي يجتاز الحدود أنفاً عن حاميها ، ووحدته مع النضال اللبناني الذي ما انفك يلهب الجنوب والصمود السوري ، الا اللحظة التي ستجعل الانتفاضة صورة من صور نضال أعم ، وسيكون مصير كل طرف من اطرافه مرتبط بالطرف الآخر ، وكل انتصار شكلاً من انتصار الكل واذا لم تستكمل شروط النضال هذه ومارست وحدة العمل الوطني الفلسطيني والعربي دورها في الصراع ، فانه سيضاعف جداً جهد الانتفاضة من اجل الاستمرار واحراز النصر . لان عوائق انتصار الانتفاضة العربية والفلسطينية لن تكون اكثر من قذيفة اخرى توجه الى صدر الفلسطيني الاعزل الا من الايمان بقضيته والتضحية في سبيلها .

اما اذا ما انجزت وبسرعة جبهة ثورية عربية في حدود العناصر الثلاثة التي اشرت اليها على الاقل فان الانتفاضة منتصرة لا محال وسيكون للتفاؤل الثوري ما يبرره اذ ذاك .

الملف

انعكاسات الانتفاضة على الوضع في الكيان الصهيوني*

عطية مقداد*

أحدثت الانتفاضة بتفاعلاتها وانعكاساتها على مختلف الصعد هزة عنيفة في الوضع الداخلي في الكيان الصهيوني، وجسّدت بشموليتها واستمراريتها ومستواها النوعي الذي لم يسبق له مثيل، وكذلك بآثارها ونتائجها مأزق الاحتلال الصهيوني وأيامه العصيبة. ويتعامل المحتلون الصهاينة مع الانتفاضة على

* القيت في الندوة التي اقامتها لجنة العمل النقابية حول الانتفاضة مابين ٢ ـ ٣ /٥/٨٨

عطية مقداد: باحث في شؤون الصهيونية والصراع العربي الصهيوني، له العديد من الابحاث المنشورة.

أنها حرب جديدة تمثل تغيراً استراتيجياً هاماً في معادلة الصراع العربي ـ الصهيوني. وقد أصبح شائعاً في كتابات وتصريحات الناطقين بإسم المؤسسة الصهيونية توصيف الانتفاضة بأنها حرب سابعة تارة، وحرب استنزاف تارة أخرى وحرب من نوع جديد تارة ثالثة، فقد وصف الكاتب والسياسي الصهيوني المعروف أوري أفنيري في مقال له في صحيفة هعولام هزيه بتاريخ ١٩٨٨/١/١٣، الانتفاضة بأنها « حرب سابعة، تشغل قوات كبيرة كافية لخوض حرب من الحجم المتوسط على الحروب ويشكل فيها قاذفو الحجارة رأس حربة العدو الذي هو الشعب الفلسطيني بأسره » وقال عنها وزير خارجية الكيان الصهيوني شمعون بيريس « أنها مرحلة جديدة في حرب العرب ضد اسرائيل » (دافار ٨٧/١٢/٢٥). كذلك وصفها المعلق العسكري الصهيوني المعروف لصحيفة هآرتس (٨٨/٢/١٢) زئيف شيف، أنها « حرب استنزاف لم نعرف لها مثيل من قبل في كل حروبنا السابقة، وهي أشد ضراوة من كل الحروب العادية الاخرى، اضطرت الجيش الى تغيير انتشاره وأرغمت القيادة العسكرية على تخصيص جل وقتها لموضوع المناطق »، ووصفها الجنرال شموئيل اراد قائد سلاح المظليين والمشاة في جيش الكيان الصهيوني بأنها « حرب لها علاقة بوجودنا » (عل همعمار ٨٨/٤/١).

هذه الثورة الشعبية الفريدة من نوعها، تعتبر بالنسبة للصهاينة من نوع الحروب الصعبة، لأنها:

١ ـ تتم بمبادرة من الجماهير الفلسطينية، على عكس معظم الحروب السابقة التي كانت تتم بمبادرة المؤسسة العسكرية الصهيونية، ولذلك كانت حسب تعبير شمعون بيرس، مفاجأة للكيان الصهيوني « سياسياً وتكتيكياً وإستراتيجياً » (دافار ١٩٨٧/١٢/٢٥)، وتزخر صحف الكيان الصهيوني بالكتابات التي تتحدث عن أن الانتفاضة فاجأت أجهزة الاستخبارات والامن، وعن فشل تلك الاجهزة في توقع حدوث الانتفاضة وتقدير قدرتها على الاستمرار ومستواها النوعي الذي لم يسبق له مثيل.

٢ ـ حرب طويلة، خلافاً لما اعتاده الصهاينة في معظم حروبهم السابقة التي كانوا يحرصون على أن تكون قصيرة وسريعة، فبعد الاسبوع الاول من عمر الانتفاضة، بدأ الصهاينة يدركون أنها ليست كما توهموا في البداية ظاهرة موسمية مرتبطة بأسباب مؤقتة وعوامل طارئة، وأخذت أوساط صهيونية متزايدة تدرك أن الاحتلال يواجه حرباً عنيفة وطويلة الامد من الصعب احتوائها وقمعها. وفي خطة عمل الجيش الصهيوني للعام الحالي ١٩٨٨، تحدد الافتراضات الاساسية للخطة أن المواجهة مع الانتفاضة سوف تستمر طوال هذا العام (هآرتس ٨٨/٤/١٢) حسبما أعلن في مؤتمر صحفي عقده يوم ١٩٨٨/٤/١١ نائب رئيس الاركان الصهيوني الجنرال اهود براك. كذلك أعلن وزير الشرطة حاييم بارليف في مقابلة مع صحيفة هآرتس (١٩٨٨/٤/٢١) أنه لا يوافق على الافتراض بأن الانتفاضة ستنتهي قريباً « علينا أن نتعايش مع الانتفاضة ».

٣ ـ اعتاد العدو في حروبه السابقة أن يعمل على نقل الحرب الى خارج المنطقة التي يعتبرها عمقه الاستراتيجي أو حزامه الامني أو الاراضي التي يحتلها من فلسطين، والحرب الحالية تدور في هذه المناطق،

ولذلك تعتقد أوساط صهيونية كثيرة أن الانتفاضة أدت الى إنهاء الفرضية القائمة على اعتبار المناطق المحتلة حزاماً أمنياً للكيان الصهيوني، وحولتها الى « عبء أمني » سوف يزداد في المستقبل.

٤ ـ الانتفاضة تمثل حرباً من نوع جديد، يشارك فيها الشعب الفلسطيني في الوطن المحتل بكل فئاته الاجتماعية وقواه الوطنية وتتجلى فيها وحدة وطنية واسعة عريضة بشكل لم يسبق له مثيل كما تتجلى فيها روح التضحية العالية لدى المناضلين الذين أسقطوا نهائياً حاجز الخوف من الاحتلال وآلته العسكرية. وكان في مقدمة العبر والدروس التي استخلصها الصهاينة من الانتفاضة محدودية قوة الردع العسكري في مواجهة مثل هذا النوع من الحروب، وأنه على ضوء محدودية الطاقة البشرية في الكيان الصهيوني لا يمكن من الناحية العسكرية استمرار السيطرة على نحو مليوني فلسطيني.

٥ ـ التلاحم الكفاحي بين أبناء الشعب الفلسطيني من الضفة والقطاع وبقية أنحاء فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وانتقال ظاهرة حرب الحجارة الى الجليل والمثلث تثير قلقاً متزايداً لدى حكام الكيان الصهيوني وقادة المؤسسة العسكرية الصهيونية، الامر الذي جعل الصهاينة يتحسبون من أخطار قادمة تمس وجود الكيان الصهيوني نفسه، وأخذت القوى والاحزاب الصهيونية تتبارى في تقديم الوصفات العنصرية « لكبح ظاهرة التطرف والاتجاهات الفلسطينية بين عرب اسرائيل »، وظهرت مجدداً طروحات الترحيل واعادة فرض الحكم العسكري على بعض مناطق الجليل والمثلث والنقب.

* * *

وبالاجمال فان الانتفاضة أثارت ولا تزال تثير جدلاً واسعاً وعلامات استفهام حول المعادلات والمسائل التي توهم المحتلون أنها تكرست كأمر واقع بعد عشرين سنة من الاحتلال والقمع واجراءات التهديد والضم الزاحف ومحاولات تصفية القضية الفلسطينية، كما أثارت التساؤلات حول مستقبل الاحتلال وقدرته على الاستمرار، وأكثر من ذلك أيقظت كما يقول الكاتب الصهيوني عوزي بنزعان المحرر السياسي لصحيفة هآرتس (١٩٨٧/١٢/٢٩)، « أيقظت قضايا ومسائل تمس هوية اسرائيل وحدودها ومصيرها ».

وتعترف الاوساط الصهيونية، أن واقعاً جديداً نجم عن الانتفاضة في المناطق المحتلة، وأن ما كان يسمى بالواقع الراهن قد مات وولى الى غير رجعة، وحتى قادة الليكود والقوى السياسية الاخرى التي تقف في أقصى يمين الخارطة السياسية في الكيان الصهيوني، يتحولون عن ضرورة اعادة النظر في حساباتهم السابقة على ضوء الواقع المستجد في المناطق المحتلة نتيجة الانتفاضة.

ـ لقد، أجهزت الانتفاضة على الفكرة التي ظل المحتلون الصهاينة يتلهون بتكرارها طوال السنوات العشرين الماضية، وهي فكرة إقامة ما يسمى بالزعامة البديلة للتعاون مع الاحتلال والمشاركة في تنفيذ مخططات تصفية القضية الفلسطينية تحت شعار حلها. كذلك ماتت في المهد المحاولة الصهيونية التي سعى

المحتلون لتنفيذها في الايام الاولى للانتفاضة، قبل أن يستوعبوا مدى التحول النوعي المتجسد فيها، عندما عملوا على تلميع وابراز تحركات بعض الرموز الرجعية من ممثلي نهج الاستسلام والتي حاولت امتطاء موجة الاحداث والسطو على أمجاد الانتفاضة، لكن الصهاينة سرعان ما أدركوا أن الانتفاضة أكبر من أن تحتوى بمثل تلك الاساليب العتيقة. وقد اعترف كل من منسق أعمال جيش الاحتلال شلومو غورن ورئيس الادارة الحربية الاحتلالية في الضفة الغربية افرام شيه والوزير الصهيوني عيزرا وايزمن بانهيار فكرة الزعامة البديلة وبعدم جدوى وفشل محاولات عزل الانتفاضة عن بعدها الوطني والقومي والعالمي، وليس مجرد صدفة أن يتم في ظل تصاعد الانتفاضة حل آخر ما تبقى من روابط القرى العميلة التي توهم المحتلون ذات يوم أنها ستكون نواة « الزعامة البديلة » التي يعدونها.

ـ انهيار فرضية أن الزمن يعمل لصالح الاحتلال الصهيوني وسقوط خرافة التعايش اليهودي ـ العربي في المناطق المحتلة.

ـ وأكثر ما يثير قلق المسؤولين الصهاينة هو تفكك نظام الاحتلال وتداعي أجهزته وتفشي الشلل فيها وتقلص سلطاتها، فالاستقالة الجماعية للمئات من رجال الشرطة والموظفين العرب في دوائر الجمارك والضريبة، ولرؤساء وأعضاء المجالس البلدية والمحلية المعينة من قبل سلطات الاحتلال، ولمخاتير القرى الذين سبق لهم أن ارتبطوا أو تعاونوا مع روابط القرى العميلة، وفشل كل المحاولات الاحتلالية لكسر الاضراب التجاري المستمر في الضفة والقطاع، وامتناع العمال من أبناء المناطق المحتلة عن العمل رغم ظروفهم الاقتصادية والمعيشية القاسية ورفض المواطنين دفع الضرائب لسلطات الاحتلال، واعلان المتعاونين مع سلطات الاحتلال توبتهم بشكل علني من مكبرات الصوت في المساجد والكنائس، والانضباط الشامل بتعليمات قيادة الانتفاضة، واعلان العديد من القرى كمناطق محررة، وقيام ما يشبه السلطة الثورية الموازية لسلطات الاحتلال، كلها حقائق تؤكد تداعي نظام الاحتلال وتشكل مكونات الواقع الجديد في المناطق المحتلة.

* * *

لكن حكام الكيان الصهيوني الذين تعميهم الاطماع التوسعية ونزعاتهم العدوانية العنصرية عن قراءة التطورات وادراك مغزاها، ويتوهمون أن في مقدورهم معاندة حركة التاريخ وتيار الحياة، لا يملكون ما يواجهون به الانتفاضة سوى الامعان في أعمال القمع الوحشي، ويعطون الاولوية لمحاولة وقف الانتفاضة بأي ثمن، إن لم يكن بشكل نهائي فعلى الاقل تحقيق « نوع من الهدوء النسبي يمكن التعايش معه »، وعلى هذا الاساس تم ويتم حشد قوات كبيرة وبأعداد متزايدة، وتم رفع مستوى قيادة القوات الصهيونية التي تعمل لمواجهة الانتفاضة وعين ثلاثة ضباط برتبة عميد لقيادة هذه القوات في الضفة الغربية وقطاع غزة. ومن أجل ذلك أيضاً اضطر جيش الكيان الصهيوين الى وقف تدريباته ومناوراته العسكرية

المعتادة والى تغيير انتشاره، وخصصت القيادة العسكرية الصهيونية كل وقتها لمتابعة أحداث المناطق وللاشراف على أعمال القمع، وتم تجنيد المزيد من القوات الاحتياطية، كما تقرر زيادة عدد أيام الخدمة لعناصر الاحتياط في الجيش الصهيوني خلال العام الحالي الى ٦٢ يوماً بدلاً من ٣٠ يوماً في الظروف العادية. كما تقرر تحويل ضباط الاحتياط والعاملين في وحدات الخدمات والمؤخرة الى الوحدات المحاربة في المواجهة مع الانتفاضة، ووجهت قيادة الجيش الصهيوني برقيات شخصية في أواخر شهر آذار الماضي الى جميع الضباط الاحتياط الملمين باللغة العربية تدعوهم فيها للانخراط في الخدمة النظامية للعمل في الادارة المدنية الاحتلالية، وأقيمت منذ أوائل شهر آذار ١٩٨٨ هيئة استخباراتية جديدة تشارك فيها كل الاذرع الامنية الصهيونية لسد الفراغ الاستخباري الذي كشفت أحداث الانتفاضة عن وجوده وللقيام بجمع المعلومات وتقدير الوضع أولاً بأول في الضفة والقطاع وفي بقية المناطق العربية في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وأدخلت على برامج التدريب للمجندين الجدد في الجيش الصهيوني برامج تدريبية جديدة على كيفية تفريق المتظاهرين والقيام بأعمال الشرطة. وذكرت الصحف الصهيونية أن قوات الاحتلال تقوم حالياً ببناء أرضية عسكرية جديدة في المناطق المحتلة تشمل خطوطاً للمياه والكهرباء ومنشآت دائمة للخدمات والسكن على ضوء الافتراض بأن القوات الاضافية التي أدخلت للمناطق المحتلة ستبقى هناك لمدة طويلة. وهناك اتجاه للتوسع في اشراك المستوطنين الصهاينة في الضفة والقطاع في أعمال القمع وتشكيل وحدات مسلحة من بينهم. ولم تترك قوات الاحتلال وسيلة من وسائل القمع والعقوبات الجماعية وحرب التجويع والحصار الاقتصادي، إلا ونفذتها، وتفيد صحيفة عل همشمار (٢١/٣/١٩٨٨) أن رئيس الوزراء الصهيوني يتسحاق شمير، حصل على ضوء أخضر من واشنطن خلال زيارته الاخيرة لها، لتنفيذ ما يسمى بالسياسة الامنية الجديدة في المناطق المحتلة لمحاولة كبح الانتفاضة في أسرع وقت ممكن.

* * *

ومن ناحية أخرى، كان للانتفاضة تأثيرها الكبير على معنويات جنود الاحتلال. فقد اعترف وزير الحرب الصهيوني رابين بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٨ في اجتماع اللجنة السياسية الامنية التابعة لحزب العمل، أن يتلقى شكاوى كثيرة من الجنود والضباط مفادها، أن عملية مواجهة الانتفاضة صعبة وقاسية جداً. وذكرت صحيفة هآرتس بتاريخ ١٤/٣/١٩٨٨ أنه ارتفعت بنسبة ثلاثة أضعاف أعداد الشباب الذين يراجعون العيادات النفسية في الكيان الصهيوني في أعقاب تفجر الاحداث في المناطق المحتلة. ولذلك عمدت سلطات الاحتلال من أجل التخفيف عن الجنود الى استبدال الوحدات العاملة في مواجهة الانتفاضة بسرعة وعدم ابقاء أي وحدة أكثر من شهر ونصف.

* * *

وللانتفاضة انعكاسات واضحة على الوضع الاقتصادي في الكيان الصهيوني. وحسب تقديرات وزارة التخطيط والاقتصاد الصهيونية، فان استمرار الانتفاضة طوال العام الحالي سيؤدي الى خسائر تقدر بنحو ٧٠٠ مليون دولار، ومثل الخسائر في النواحي التالية:

ـ زيادة نفقات قوات الاحتلال، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد قدرت وزارة الحرب الصهيونية النفقات الاضافية المباشرة التي سوف تترتب على زيادة الحشود العسكرية في المناطق المحتلة بنحو ٤١٢ مليون شيكل (حوالي ٢٦٠ مليون دولار) خلال العام الحالي، مطالبة على هذا الاساس بموازنة اضافية، هذا علاوة على النفقات غير المباشرة الناجمة عن استدعاء الاحتياط وتقليص قوة العمل المدنية ونقصان المردود الاقتصادي.

ـ خسائر ناجمة عن امتناع العمال العرب من الضفة والقطاع عن العمل في الاقتصاد الصهيوني، حيث كان يعمل داخل الكيان الصهيوني نحو ١١٠ آلاف عامل عربي من أبناء المناطق المحتلة يشكلون نحو ٤٢٪ من قوة العمل في فرع البناء و١٨٪ في فرع الزراعة و٥٪ في الصناعة داخل الكيان الصهيوني. وامتناع هؤلاء العمال عن العمل في الاقتصاد الصهيوني سيؤدي الى حدوث شلل في فرع البناء وخسائر كبيرة للزراعة خصوصاً في مواسم القطاف، وقدرت هذه الخسائر بأنها ستصل الى ٣٠٠ مليون دولار خلال العام الحالي. يضاف الى ذلك خسارة نحو ٢٠ مليون دولار هي قيمة الحسومات من أجور العمال العرب والتي كانت تشكل أحد الموارد الاساسية لتمويل موازنة الادارة المدنية الاحتلالية.

ـ إنخفاض صادرات الكيان الصهيوني الى المناطق المحتلة التي تشكل ثاني أكبر سوق للبضائع الصهيونية بعد الولايات المتحدة، وقد بلغت هذه الصادرات في عام ١٩٨٧ الماضي ١١٥٠ مليون دولار، وعلى ضوء معطيات الشهور الاربع الاولى من هذا العام انخفضت صادرات الكيان الصهيوني للمناطق المحتلة بنسبة ٤٠٪.

ـ منذ اندلاع الانتفاضة انخفضت عائدات الاحتلال من ضريبة الدخل وضريبة القيمة المضافة بنسبة ٣٠٪، وتقدر سلطات الاحتلال على ضوء امتناع المواطنين عن دفع الضرائب أن تصل الخسائر الى نحو ٧٠ مليون دولار هذا العام.

ـ وتتوقع الاوساط المعنية أن يطرأ تدهور على فرع السياحة في الكيان الصهيوني وأن لا تزيد عائدات السياحة في العام الحالي عن نصف العائدات من السياحة عام ١٩٨٧ والبالغة ١٤٠٠ مليون دولار.

ـ انخفاض الاستثمارات الخارجية في الاقتصاد الصهيوني بسبب الاوضاع السائدة في المناطق المحتلة.

ـ نتيجة قرار البرلمان الاوروبي على خلفية أحداث المناطق المحتلة عدم المصادقة على ثلاث اتفاقيات تجارية مع الكيان الصهيوني تتوقع حدوث خسارة بمقدار ٥٠ مليون دولار كفروق في التخفيضات الجمركية التي كانت ستطبق بموجب الاتفاقيات المذكورة، وسينعكس ذلك بشكل خاص على صادرات الكيان

الصهيوني من الحمضيات والزهور لبلدان السوق الاوروبية المشتركة.

* * *

ويتوقعون في الكيان الصهيوني أن تؤدي الانتفاضة الى انخفاض في الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة والى تفاقم ظاهرة النزوح فقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ ١٩٨٨/٣/٩ الى العديد من اليهود الذين كانوا ينوون الهجرة الى الكيان الصهيوني في العام الحالي قد تراجعوا عن ذلك، وأن رئيس ادارة الهجرة في الوكالة اليهودية تلقى اتصالات من مبعوثيه في الخارج تفيد أن السكان ممن تسجلوا لديهم كمهاجرين جدد تراجعوا عن ذلك، وكانت نفس الصحيفة قد ذكرت بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٤ أن الانتفاضة أدت الى وقف مشروع اقامة معسكرات صيفية لسكان يهود من الخارج، حيث كانوا يتوقعون أن يصل في اطار هذه العملية عشرات الآلاف بمناسبة الذكرى الاربعين لقيام الكيان الصهيوني.

وفي استطلاع أجرته « رابطة مكافحة النزوح » في الكيان الصهيوني في منتصف شهر نيسان الماضي، تبين أن ٢٠٪ من السكان بين سن ١٨ ـ ٢٩ سنة ينوون النزوح الى الخارج.

* * *

وباعتبار الانتفاضة واحدة من أصعب حروب الكيان الصهيوني، وتحسباً من تفاعلاتها وانعكاساتها على أوضاع الكيان الداخلية والاقتصادية ومما يمكن أن تجره عليه من عزلة وادانة دولية، وكما حدث بالنسبة لحربي تشرين ١٩٧٣ ولبنان ١٩٨٢ تصاعدت أصوات وحركات احتجاجية صهيونية تحذر « من الكارثة » وتطالب بمحاولة احتوائها عن طريق « الحل السياسي ». وبغض النظر عن طروحات هذه الحركات والاوساط المحكومة كلها بسقف البرنامج الصهيوني، فانها تعكس من الناحية الموضوعية مأزق الاحتلال وعمق الهزة التي تعرض لها الكيان الصهيوني نتيجة الانتفاضة. ونورد فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر بعض الاعمال الاحتجاجية التي جرت في الشهور الماضية.

آ ـ بيانات وعرائض احتجاجية

ـ في ١٩٨٨/١/٢ أصدرت مجموعة من أساتذة الجامعات بياناً أعربت فيه عن قلقها العميق على مستقبل الكيان الصهيوني وطالبت بوقف أعمال القمع في المناطق المحتلة.

ـ ٢٨٠ مهاجراً جديداً وقعوا على عريضة ضد الطرد والاحتلال.

ـ ٥٠٠ من علماء النفس، أصدروا بياناً حذروا فيه من النتائج الخطيرة لمواصلة أعمال القمع، ومن الكارثة التي تنتظر الكيان الصهيوني.

ـ بتاريخ ١٩٨٨/٢/٤ قدم ٦٠٠ أكاديمي من الجامعات عريضة عبروا فيها عن قلقهم من الوضع في المناطق المحتلة مطالبين بحل سياسي.

ـ يوم ١٩٨٨/٢/٢١ توجه طلاب ١٢ مدرسة ثانوية يهودية في القدس المحتلة الى مكتب رئيس الحكومة شمير وقدموا له عريضة احتجاج.

ـ بتاريخ ١٩٨٨/٣/٣ قدم أهالي الجنود من أتباع حركة « هناك حدود » وحركة « السلام الآن »، مذكرة لحكومة الكيان يدعون فيها للحل السياسي ويقولون أن أولادهم يواجهون وضعاً صعباً في المناطق المحتلة.

ـ يوم ١٩٨٨/٣/٨ وجه نحو ألفي ضابط احتياط بينهم ٩٦ برتب رائد وحتى عميد، وجهوا رسالة مفتوحة الى رئيس الوزراء الصهيوني شمير يطالبونه فيها بأن « يختار طريق السلام وأن يفضل السلام على أرض اسرائيل الكاملة ».

ب ـ مظاهرات

ـ مئات من حركة هناك حدود تظاهروا قرب خط الهدنة مع قطاع غزة احتجاجاً على ما يجري في القطاع مطالبين بسحب القوات الصهيونية.

ـ يوم ١٩٨٨/١/٢٣ نظمت حركة « السلام الآن » مظاهرة في تل أبيب، شارك فيها ٥٠ ألف شخص مطالبة بخروج الجيش من المناطق المحتلة.

ـ عدد من الفنانين تظاهروا في تل أبيب يوم ١٩٨٨/٣/١.

ـ يوم ١٩٨٨/٣/٢ نظمت حركة « السلام الآن » مظاهرة تأييداً لخطة شولتز التسووية.

ج ـ امتناع عن أداء الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة

ـ يوم ١٩٨٨/١/٤ وقع ١٦٠ طالب ثانوي على وشك أداء الخدمة العسكرية الالزامية على رسالة وجهوها الى وزير الحرب الصهيوني رابين، يعلنون فيها رفضهم أداء الخدمة الالزامية في المناطق المحتلة. وقد انضم لهؤلاء مئات آخرين.

ـ حوكم حتى الآن ١١ جندياً وضابطاً رفضوا الخدمة في المناطق المحتلة، وصدرت بحقهم أحكام بالسجن لمدد تتراوح بين أربعة الى خمسة أسابيع.

وتتعرض سياسة الاحتلال لانتقادات كثيرة من أوساط سياسية وصحفية في الكيان الصهيوني، تطالب بحل سياسي.

وفي منتصف شهر آذار الماضي تشكل بمبادرة من الجنرال الاحتياط أهرون يريف ما سمي بمجلس السلام والامن، من ٨٠ شخصية بينهم جنرالات إحتياطيون وأساتذة جامعيون ورجال إدارة وأعمال تسعى للعمل « على توجيه الاعلام الواسع حول ضرورة وأهمية التسوية السياسية في المناطق ».

وعلى الصعيد الحكومي أخذ طرفا الائتلاف الحكومي، الليكود وحزب العمل، يتبادلان الاتهامات والمشاحنات بشأن الوضع في المناطق المحتلة بسبب دور شمير في تجسيد ما يسمى « مسيرة السلام »، والليكود يتهم حزب العمل بالانهزامية وأنه يريد تقديم «تنازلات» تضر بالكيان الصهيزني، ويعتبر الليكود اجراءات القمع التي يشرف على تنفيذها وزيرا حزب العمل رابين وزير الحرب وباراليف وزير الشرطة غير كافية. ولكن أمام تصاعد الانتفاضة اتفق الحزبان على اعطاء الاولوية لمحاولة قمعها واحتوائها، وعلى هذا الاساس تراجعت احتمالات حل الائتلاف الحكومي، وأصبح من المرجح أن تستمر الحكومة الحالية بتركيبها الراهن حتى الموعد الاصلي للانتخابات البرلمانية من شهر تشرين الثاني القادم.

* * *

وبهدف محاولة احتواء آثار الانتفاضة ونتائجها وديناميكية وحضور القضية الفلسطينية على مسرح السياسة الاقليمية والعالمية والالتفاف على موجات الشجب والادانة المتصاعدة في العالم ضد جرائم الاحتلال وارهابه البربري، جدد التحالف الامريكي ـ الصهيوني تحركاته التسووية، خلافاً لتوجهات سابقة بتجميد هذه التحركات خلال عام ١٩٨٨ باعتباره عام الانتخابات في كل من الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وفي الكيان الصهيوني اختلطت المناورات التسووية مع الاعتبارات الانتخابية، وخلال النقاش المتجدد لم تطرح الاحزاب الصهيونية المختلفة اي جديد في برامجها بخصوص التسويات، بعض هذه الاحزاب عاد ليجتر مقولاته القديمة والبعض الآخر أدخل بعض الرتوش الهامشية على طروحاته السابقة، دون المساس بالجوهر الالحاقي والتصفوي لتلك الطروحات.

وكان من الطبيعي في غمرة الصدام مع الانتفاضة ان تستمر ولكن بوتيرة اكثر سرعة، عملية تحرك الخارطة السياسية نحو التطرف اليميني، ونشطت الاحزاب اليمينية والدينية في تسعير النزعات العدوانية والتوسعية، ومن مظاهر التحرك اليميني في الآونة الاخيرة:

ـ اضفاء المزيد من التطرف على البرنامج الانتخابي لحركة حيروت من خلال اضافة بنود تجدد المطالبة بما يسمى « الحق التاريخي » على ضفتي الاردن، وعلى ان يكون الحكم الذاتي على اساس كامب ديفيد، ومطالبة حكومة الليكود القادمة بان تطبق « القانون الاسرائيلي » على الضفة والقطاع.

ـ في حزب المفدال المعروف بذرائعيته اسفرت الانتخابات الداخلية التي جرت في أواخر نيسان الماضي عن انتصار الخط الاكثر تطرفاً والذي تمثله حركة « متساد » وحلفاؤها من زعماء حركة غوش امونيم واحتل المكان الاول في زعامة المفدال المدعو افنير شاكي المعروف بانه يمثل اليمين المتطرف، والذي يعتبر الزعيم السابق للمفدال زبولون هامر رغم يمينيته معتدلاً بالنسبة له.

ـ تجدد المطالبة بترحيل المواطنين العرب، وبمبادرة من الجنرال الاحتياط رحبعام زئيفي عقد في شهر اذار الماضي اجتماع ضم اكثر من ١٥٠ شخصاً بينهم عدد كبير من الجنرالات الاحتياط لمناقشة فكرة

الملف ـ الانتفاضة: المقدمات ـ السياق ـ الآفاق ـ الملف

الترحيل.

ـ ظهور تيار اطلق عليه اسم « المحافظية الجديدة » يضم عدداً من الكتاب والادباء الذين كانوا حتى وقت قريب محسوبين على اليسار الصهيوني وعلى ما يسمى بالحمائم، ويوجه كتاب هذا التيار انتقادات لمواقف ما يسمى باليسار الصهيوني مطالبين بمراجعتها، ويتحدثون عن سذاجة الاعتقاد بأن الانسحاب من المناطق المحتلة سيؤدي الى السلام، وعن انه بسبب « كراهية العرب وشيطانهم » لا أمل في اية تسوية في المستقبل.

ـ مطالبة بعض اوساط زعامة حزب العمل بفرض « القانون الاسرائيلي » على المناطق التي يدعو مشروع آلون الى الحاقها بالكيان الصهيوني.

وعلى ضوء ما تقدم، فان كثيراً من المراقبين، يتوقعون ان يخسر حزب العمل الانتخابات القادمة، ويشيرون بهذا الصدد الى ان الغالبية من ٢٥٠ ألف ناخب جديد سيشاركون في الانتخابات لاول مرة من الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ ـ ٢٢ سنة وكذلك الاغلبية بين ٤٥ الف مهاجر قدموا للكيان الصهيوني بعد عام ١٩٨٤ سوف يصوتون في الانتخابات القادمة لصالح الاحزاب اليمينية والدينية، وعلى هذا الاساس يتوقع المراقبون ان تكون الحكومة القادمة في الكيان الصهيوني حكومة ائتلاف بين الليكود والاحزاب الدينية وحركة هتحيا وربما حركة كاخ بزعامة الحاخام كهانا.

* * *

اخيراً، لا يستبعد على ضوء فشل محاولات قمع الانتفاضة وانهائها، ان تلجأ المؤسسة العسكرية الصهيونية للمغامرة بعدوان جديد على احدى الجبهات العربية، بهدف محاولة نقل المعركة الى الخارج، وتوليد صراعات تصرف النظر عن الانتفاضة والمناطق المحتلة، وكذلك بهدف محاولة رد الاعتبار لما يسمى بقدرة الردع الاسرائيلية. ومما له دلالته بهذا الخصوص تصريحات قادة المؤسسة العسكرية الصهيونية حول « حرب على الابواب »، والضجة المثارة حول امتلاك بعض الدول العربية لصواريخ تستطيع اصابة اهداف داخل الكيان الصهيوني، وحول امتلاك سورية للاسلحة الكيماوية، لكن الصهاينة ومن يقفون وراءهم مضطرون في ان يعيدوا النظر اكثر من مرة في حساباتهم قبل المغامرة بعدوان جديد في المنطقة فحروب الكيان الصهيوني لم تعد كما اثبتت حرب تشرين وحرب لبنان وحرب الاستنزاف الفلسطينية الحالية، لم تعد في ظل المستجدات الاقليمية والدولية الحالية، وبسبب الاوضاع الداخلية في الكيان الصهيوني نزهات قصيرة الامد قليلة التكاليف.

ختاماً، ومهما تكن خيارات المحتلين الصهاينة، فان الانتفاضة تمثل بداية النهاية بالنسبة للاحتلال، وحسب تعبير الوزير الصهيوني السابق وعضو الكنيست الحالي واحد زعماء حزب مبام المعارض، فقد « صدر الحكم على سلطة اسرائيل العسكرية في المناطق المحتلة، وما يحدث الآن هو بداية النهاية، بداية العد التراجعي للانسحاب من هناك ».

الملف

الصدى العربي الشعبي والرسمي للانتفاضة*

سعيد سيف*

للقضية الفلسطينية موقع خاص في الوجدان الشعبي العربي، وفي الحركة التحررية العربية في مختلف البلدان العربية. فهي مرتبطة بالقدس ومقدساته الاسلامية والمسيحية، وبالحروب العدوانية الاوربية التي سميت زورا بالصليبية، وبالنضال التحرري العربي المعاصر منذ مطلع هذا القرن ضد الامبريالية الاوربية ثم الاميركية التي أرادت السيطرة الكاملة على الوطن العربي من مشرقه الى مغربه وجعلت مشروع اقامة قاعدة استيطانية عنصرية صهيونية أحد ابرز مفاصل مشروعها للسيطرة على المنطقة العربية، واضعاف قدرات الامة على تحقيق اهدافها الوحدوية والتحررية. وترتبط ايضا بموقع فلسطين من معركة الوحدة والتقدم العربي. وهي في برامج كثرة من الاحزاب العربية القضية المركزية للصراع العربي ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية.

وكان من الطبيعي ان يلتفت الفلسطينيون الى اخوتهم العرب في كافة الاقطار العربية وان تلتفت الثورة الفلسطينية الى اشقائها في حركة التحرر العربية اثر الانتفاضة الشعبية المجيدة التي انطلقت منذ ٨ كانون الأول ٨٧، ومع استمرار الانتفاضة وتصاعد القمع الصهيوني من جهة وتصاعد حملات الاستنكار العالمية

* القيت في الندوة التي اقامتها لجنة العمل النقابية حول الانتفاضة مابين ٢ ـ ٣ /٥/ ٨٨

* سعيد سيف: مناضل بارز من البحرين.

في عدد من أقطار العالم، برز السؤال الكثير الذي ردده كثرة من المناضلين الفلسطينيين والعرب: أين حركة التحرر العربية؟ أين الجماهير العربية؟. لماذا لايتحرك الشارع العربي متظاهرا منتفضا متضامنا مع الانتفاضة مشكلا عنصر الضغط الاساسي على القوى الامبريالية وعملائها المحليين لاجبار السلطات الصهيونية على التراجع والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

ومن الضروري قبل الاجابة على السؤال المذكور معرفة الحد الاقصى المطلوب عربيا (على الصعيد الشعبي) والحد الادنى كذلك، وتشخيص الاسباب التي اسهمت او عرقلت تحقيق الخطوات المطلوبة في هذا البلد العربي أو ذاك.

كان الحد الاقصى الذي ردده الكثيرون هو قيام المظاهرات والتظاهرات التضامنية والمسيرات والمهرجات الخطابية والتغطية الاعلامية وتشكيل لجان التضامن وجمع التبرعات المالية والطبية وغيرها، وحشد كل الطاقات الشعبية العربية للرد على التوجه الخياني الذي بلوره مؤتمر عمان الذي اعتبر القضية الفلسطينية قضية تأتي في المرتبة الثانية بعد الحرب العراقية الايرانية وذلك كامتداد للرد الفلسطيني الذي عبرت عنه الانتفاضة على هذا المؤتمر، وبالتالي كان المطلوب تناغم الرد الشعبي العربي مع الرد الفلسطيني واستنهاض حركة التحرر العربية وزج اوسع الجماهير العربية في حركة الرد على المشاريع الصهيونية الامبريالية التي لها اشكال متعددة في كل منطقة عربية.

ولان القضية الفلسطينية مرتبطة اشد الارتباط بالقضايا الاساسية لعدد من البلدان العربية وخاصة بلدان الطوق العربية، فمن الطبيعي ان تفجر هذه الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، باستمراريتها وعنفوانها واساليب النضال المستخدمة فيها كافة القضايا المرتبطة بالقضية الفلسطينية اخطر الادوار في التقاسم الوظيفي والمفاوضات السرية مع الصهاينة والتآمر على الثورة والقضية الفلسطينية او في لبنان حيث الصراع السياسي ـ الاجتماعي محتدم وحرب المخيمات وتوتر العلاقات بين اطراف لبنانية واطراف فلسطينية او في سوريا وعلاقاتها المميزة مع الثورة الفلسطينية وتصديها لمشاريع الاميركان والصهاينة ووقوفها الى جانب المقاومة المسلحة اللبنانية أو الفلسطينية وخلافها مع القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وحيث لايقتصر الامر على دول الطوق، بل يمتد الى الدول العربية في المغرب العربي ومشرقه وحيث لكل دولة عربية حساباتها الفلسطينية، فقد كان من الطبيعي ان تفجر الانتفاضة اشكاليات هذه العلاقة سواء في المغرب حيث الدور الخياني للملك الحسن وموقفه العدائي من منظمة التحرير او في منطقة الخليج والجزيرة حيث تتصدر انظمة مجلس التعاون الخليجي مشاريع التصفية للقضية انطلاقا من علاقاتها المميزة مع الامبريالية الاميركية، وتمركز اهتماماتها في الوقت الحاضر ـ ومنذ ان اندلعت الحرب العراقية الايرانية ـ في تقزيم الدور الايراني والدفاع عن مصالحها وتمتين علاقاتها مع الامبريالية الاميركية التي ترى فيها الحليف الاستراتيجي للدفاع عن انظمتها في وجه التحديات الخارجية والداخلية المتزايدة.

وفي مطلع الامر، لم يكن في ذهن احد سواء الانظمة او حركات التحرر او الجماهير الشعبية العربية ان الانتفاضة التي انطلقت في غزة ردا على جريمة الاغتيال لعدد من العمال الفلسطينيين وانتشرت بسرعة في

ارجاء فلسطين، لم يكن يدور في خلد أحد ان هذه الانتفاضة ستكون متميزة عن الانتفاضات والهبات الجماهيرية التي شهدتها فلسطين منذ يوم الارض عام ٧٦ بشكل خاص، ولكن استمرارية الانتفاضة وتحولها الى عمل منظم وكبير وممتد على كامل ارجاء فلسطين وبشكل خاص في الضفة والقطاع، قد خلقت شعورا متزايدا في نهوض فلسطيني كبير يكون مدخلا لنهوض تحرري عربي كبير يرد على التحديات المصيرية التي تواجه الشعب الفلسطيني وجماهير الامة العربية.

ولاشك ان ردود الفعل الشعبية قد تحكمت فيها عوامل عديدة ابرزها التالي

١ - هامش الحياة الديمقراطية المتاحة في ذلك البلد العربي، وبالتالي السماح للجماهير ان تعبر عن مواقفها دون تدخل من أجهزة الامن.

٢ - مواقف الانظمة العربية من القضية الفلسطينية ومدى استعدادها للسماح للجماهير بالتعبير عن تضامنها من جهة، واتاحة الفرصة لاجهزة الاعلام الرسمية والخاصة ان تلعب دورها في نقل الاحداث التي تجري في الارض المحتلة وردود الفعل العربية والعالمية وماتلعبه اجهزة الاعلام من تعبئة للجماهير حول القضية المعنية.

٣ - امكانيات القوى السياسية والهيئات الشعبية والنقابات والاتحادات العمالية والمهنية في حشد الجماهير والقيام بالنشاطات التضامنية المطلوبة، وبرمجة هذه النشاطات على ضوء المناسبات الوطنية والقومية وتطورات الاحداث في الارض المحتلة، والتناغم مع حركة النضال الفلسطيني وما يتطلبه من دعم عربي.

بالنسبة للهامش الديمقراطي فهو مشكلة المشاكل بالنسبة للمنطقة العربية، ويبدو ان غالبية المثقفين وحركات التحرر العربية تتفق على تشخيص هذا الجانب من الازمة التي تلف المنطقة العربية. يقول المناضل خالد محي الدين الامين العام لحزب التجمع الوحدوي في مصر «ان انعدام الديمقراطية في الوطن العربي يمنع الشعوب العربية من اتخاذ موقف ايجابي الى جانب الانتفاضة الفلسطينية (مقابلة مع السفير اللبنانية ٩/٤/٨٨).

أما المناضل أحمد بن بلا فانه يرى بان الانظمة العربية حشرت الجماهير في زوايا ضيقة من حياتها اليومية حيث يقول «ثمة شعوب عربية تموت لانه لايوجد بطاطا. نحن نموت من الجوع ومن اهانة حكوماتنا لنا، في الجزائر، مثلا شعب المليون شهيد انتهى الامر بان اصبح شعبا كل ما في ذهنه «البطاطس» وكيفية الحصول عليها. هذه مصيبة» (السفير ٣/٢١).

هذه مشكلة عامة تعاني منها الجماهير الشعبية في غالبية البلدان العربية. وفي كافة البلدان العربية الرجعية تم التعاطي مع مسألة المسيرات والتظاهرات التضامنية على انها شكل من اشكال الانتقاص من سيادة الدولة واخلال بالامن. وقد عبر وزير الداخلية الاردني بعمق ووضوح ليس فقط عن رأي الحكومات الرجعية قاطبة حيث قال: «لن اسمح لاحد بان يعبث بأمن الاردن... ولن ندع لاحد ان يحرض على الاضطرابات بذريعة مساعدة الانتفاضة... ان الهتافات تتبدد في الهواء... الطريقة الحقيقية الوحيدة للتعبير عن المساندة تتمثل في تقديم اموال واغذية وملابس» (الوطن الكويتية ١/٣٠).

ان هذا النمط من التفكير القمعي والسافل والذي لايرى في الانسان الا وعاء غذاء وكيس مال هو النمط السائد في الانظمة العربية الرجعية والدكتاتورية، فمن المشرق الى المغرب، تدعو الطبقات الحاكمة الجماهير الشعبية وقواها السياسية الى مغادرة استخدام العقل، والى عدم التفكير بهموم غير المال والاكل والكساء.. ان السياسة يجب ان تكون حكرا على الطبقات الحاكمة وخاصة الاسر المالكة الحاكمة في البلدان العربية.

لذا فان الانظمة العربية التي حشرتها الانتفاضة في زاوية وبددت أوراقها التي جمعتها في مؤتمر عمان الخياني، استنفرت كل قواها ضد الجماهير المتضامنة مع انتفاضة شعب فلسطين ولم تتردد هذه الانظمة ان تطلق النار على المتظاهرين قبل ان تمتد الايدي الى الحجارة لقذف قوات الامن والجيش ولم تتردد ان تقتل الابرياء كما جرى في المغرب حيث أطلق رجال الامن النار على المتظاهرين من الطلبة في مدينة فاس وسقطت الشهيدة سعاد السعيدي والشهيد محمد عادل الاجراوي (أنوال ٢٨/١/٨٨) وان تشن حملة اعتقالات واسعة النطاق كما جرى في الاردن ومصر والمغرب أيضاً، وان يصدر وزير الداخلية المصري قرارا يقضي بحظر المظاهرات في الشوارع في كل انحاء مصر (الاهالي ٦/١/٨٨) وشنت اجهزة الامن بعد ذلك سلسلة من الاعتقالات وسط الطلبة الذين تظاهروا من جامعة عين شمس (٦/١/٨٨) وكذلك الحال بالنسبة للنظام الملكي في الاردن الذي شن حملة اعتقالات وسط الوطنيين في نهاية شهر يناير ٨٨ وكشف عن دوريات أجهزة الامن المركزي لمحاصرة كافة التجمعات الشعبية واحباط اية تحركات تضامنية مع الانتفاضة في الارض المحتلة.

وكذلك الحال بالنسبة للانظمة الرجعية في دول مجلس التعاون الخليجي سواء في المملكة او سلطنة عمان او البحرين او الكويت حيث وضعت أجهزة الامن في حالة استنفار قصوى لمواجهة اية تحركات شعبية / وفي الحالة التي خرجت فيها مظاهرات متواضعة كما حصل في الكويت فان رجال الامن كانوا يرصدون بدقة كل تحركات المتظاهرين.

وقد خرجت مسيرات تضامنية وأقيمت المهرجانات والمؤتمرات الشعبية والندوات بشل واسع في بلدين عربيين وبمبادرة من الاحزاب والمنظمات الشعبية وذلك في السودان ولبنان. اما في الانظمة الوطنية فقد رعت الاحزاب الحاكمة وبالتعاون مع المنظمات الفلسطينية مسيرات التضامن والاحتفالات والمهرجانات كما حصل في سوريا واليمن الديمقراطية وليبيا حيث وقفت هذه الانظمة الى جانب الانتفاضة وبرمجت خطط التحرك الشعبي المناصر بالاضافة الى التعبئة الاعلامية الواسعة.

ان القمع ومنع المظاهرات لم يكن هو السمة الوحيدة لموقف الانظمة الرجعية العربية لعرقلة أية تحركات شعبية مناصرة للانتفاضة، بل امتد الامر الى الجانب الاعلامي، ففي مصر اشارت جريدة الشعب الناطقة بلسان حزب العمل الى ان وزير الاعلام المصري قد اصدر تعليمات الى المسئولين في جميع قنوات التلفزيون المصري بالعمل على تجاهل اخبار الانتفاضة وصورها والتقليل منها الى الحد الادنى وذلك بحجة ان التوسع في تغطية اخبار الانتفاضة قد اثار استياء قطاعات واسعة من الشعب ودفعها للتظاهر تضامناً معها

(٨٨/١/١٢) ولقد اتخذ النظام المغربي موقفا شبيها بالنظام المصري الى الدرجة التي دفعت مجلة انوال المغربية الى كتابة مقال مطول بعنوان «التلفزة والانتفاضة او بلاغة التعتيم» قالت فيه: «نسائل الاعلام الرسمي عندنا في المغرب مركزين على جهاز التلفزيون.. باحثين بين الركام المرئي يوميا عن حضور الانتفاضة، وبشكل عام عن حضور القضية الفلسطينية كهم وطني وقومي.. لاشك انه ليست هناك اية صعوبات في اثبات القصور التام والواضح لاعلامنا المرئي ازاء ما يحدث في فلسطين، فمن تغييب التحليل الموضوعي والمتكامل للاحداث والاكتفاء بالمقابل بما تلفظه وكالات الانباء الغربية (واغلبها يتحرك تحت امرة الاعلام الصهيوني) ومرورا بضيق الخبر الزمني المخصص لانباء الانتفاضة (.. اننا نرى صورتي ريغان وشولتز مثلا اكثر مما نرى صورة تتعلق بالوضع داخل الارض المحتلة» ويصل الكاتب الى القول «.. ارجعوا الى رشدكم ايها المسئولون عن الاعلام.. حتى لانكون مضطرين ان نعيد في شيء اسمه «الهوية الوطنية والعربية للتلفزة المغربية» (٨٨/٤/٩) والوضعية ذاتها بالنسبة للتلفزيون الاردني بعد أن شنت السلطات في نهاية شهر يناير (كانون ٢) حملة اعتقالات، جرت عملية تعتيم واضحة على الانتفاضة وأخبارها.. ولكن ونظرا لقرب المحطات التلفزيونية المجاورة وتغطيتها لاخبار الانتفاضة، اضطرت السلطات الاردنية الى التخلي عن هذه السياسة الهوجاء، واكتفت بتعزيز الأوضاع الامنية ورصد كافة التحركات الشعبية وقيام الملك باصدار البيان الشهير حول موقف الاردن من القضية الفلسطينية والمطالب المحددة للاردن التي سيناقشها في أي مؤتمر دولي ليحرك كافة الفعاليات المرتبطة معه لارسال البرقيات لتشيد بالقرار التاريخي والحكيم.. الخ.

ان القمع المكثف والمتعدد الاشكال المسلط على الجماهير العربية في كافة الاقطار وخاصة الانظمة الرجعية، قد اضعف التحرك الشعبي الواسع، والانظمة الرجعية تدرك ان المسيرات الشعبية لايمكن ان تغفل عن الدور الخياني لهذه الانظمة وبالتالي مطالبتها باتخاذ مواقف قومية سليمة من الصراع ضد الامبريالية الاميركية والكيان الصهيوني. فالقضية الفلسطينية ليست فقط مقياسا لمواقف الانظمة العربية وانما ايضا مدخلا للجماهير العربية لفتح الحساب مع هذه الانظمة في كل السلوك السياسي الذي تمارسه بحق الجماهير ودورها في المعارك الوطنية والقومية على السواء.

ولذا فان الموقف الجماهيري العربي الصحيح الذي ستتخذه الجماهير العربية في اي قطر عربي فيما لو اتيحت لها فرصة التعبير هو ما يمكن ان نشاهده في لبنان.

فقد كانت الانتفاضة الشعبية في الارض المحتلة افضل مخرج لحرب المخيمات التي استمرت اكثر من سنتين بين كر وفر، اربكت خلالها كافة التحالفات اللبنانية الفلسطينية والسورية، وتداخلت فيها مجموعة من العوامل التي عقدتها الى درجة كبيرة، وكان المطلوب حدثا كبيرا يسمح بالقفز على الجراح الكبيرة ويؤسس علاقات من نمط كفاحي بين اللبنانيين والفلسطينيين، وكانت الانتفاضة في الارض المحتلة هي الحدث التي دفعت الوزير نبيه بري الى فك الحصار عن المخيمات واطلاق سلسلة من المبادرات لحل هذه الاشكالية.

في لبنان وبالرغم من الجراح الكثيرة ومن الممارسات الخاطئة لفصائل الثورة الفلسطينية قبل وبعد الاجتياح الاسرائيلي، الا ان الانتفاضة قد ردمت كثرة من الحساسيات وشدت الانظار الى فلسطين وشعبها، وخرجت المسيرات والمظاهرات بعشرات الالاف من المواطنين اللبنانيين والفلسطينيين في طرابلس وبيروت وصيدا وغيرها من المناطق اللبنانية تهتف بحياة الثورة وبالتلاحم الكفاحي بين الشعبين، وتصاعدت العمليات الفدائية المشتركة ضد قوات العميل لحد وضد القوات الصهيونية / وتبارت سائر الاطراف الوطنية على التضامن وتسيير المسيرات والمهرجانات واقامة الندوات والفعاليات الاعلامية وتشكل لجان المناصرة لدعم انتفاضة الارض المحتلة.

العامل الاخر الذي أثر بشكل او بآخر في درجة التضامن مع الانتفاضة سواء على الصعيد المركزي القومي أو على الاصعدة المحلية في سائر الاقطار العربية فهو ولاشك وضعية حركة التحرر العربية والمنظمات والاتحادات النقابية والمهنية العربية وادائها النضالي في هذه المرحلة.

فعلى صعيد الاحزاب والتنظيمات التقدمية العربية، فمن الملاحظ ان هذه التنظيمات تعاني من شدة الضربات التي وجهت اليها في المرحلة السابقة وللوقت الحاضر، سواء في العراق او اليمن الشمالي او بلدان مجلس التعاون الخليجي او الاردن، مما عطل امكانية هذه القوى في القيام بدور فعال منذ البداية وعندما ارادت بعض القوى ان تقوم بتظاهرات التضامن، فقد سُلطت أجهزة القمع عليها كما حصل في الاردن والمغرب ومصر.

وفي البلدان التي تتمتع فيها المعارضة ببعض الامكانيات والقنوات للحركة السياسية، فقد قامت هذه الاحزاب بنشاطات وفعاليات كثيرة وخاصة في مصر والسودان وهذا ما سنتطرق اليه بعد قليل.

وعلى صعيد المؤسسات القومية، فان ابرز هذه المؤسسات هي مؤتمر الشعب العربي الذي كان من المفترض ان يقوم بكثرة من الفعاليات التضامنية في هذه المرحلة، الا ان وضعية هذه المؤسسة القومية تعكس بوضوح الخلل بين اطراف حركة التحرر العربية التي تشل فعاليات هذه المؤسسات فخلال الستة أشهر لم يتمكن مؤتمر الشعب العربي من عقد اجتماع تضامني مع الانتفاضة وعندما عقد دورته الاولى في هذا العام بالجزائر ووضع على جدول اعماله اقامة ندوة جماهيرية للتضامن مع الانتفاضة، لم يتمكن من ذلك لاعتذار اهل الدار عن مثل هذا العمل. واقتصر التضامن على بيان سياسي وخطابات في اروقة قاعة فندق الاوراس بين اولئك الحاضرين للدورة الاولى للامانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي.

كما لم يتمكن المؤتمر من تحريك مؤسسة أخرى هي الامانة الدولية للتضامن مع الشعب العربي وقضيته المركزية فلسطين في مثل هذه الظروف، لان الصراعات العربية قد انعكست على هذه المؤسسة وعطلت الى درجة كبيرة نشاطاتها الى الدرجة التي لم نسمع فيها عن فعالية ذات قيمة كما وجدنا في الفترة الاولى لانشائها حيث اقامت مؤتمرات كبرى حشدت فيها المئات من المناضلين والحركات الثورية الصديقة حول القضية المركزية.

ولم يتمكن مؤتمر قوى المعارضة العربية الذي دعى اليه المؤتمر العام للجماهيرية في نوفمبر من تعبئة

الطاقات العربية، لان الخلل الكامن في حركات التحرر وبين حركات التحرر يعرقل نشاطات ذات قيمة في هذه المرحلة.

وعلى صعيد المؤسسات والاتحادات النقابية والمهنية، فقد بان بوضوح بان الاتحادات التي تتمتع باستقلالية عن الانظمة العربية، والتي تمكنت من تحقيق رصيد لحركتها المستقلة عن الانظمة، هي التي تمكنت من التحرك الفعال والانشط على الصعيدين القومي والمحلي وعلى الصعيد العالمي لدعم الانتفاضة ونخص بالذكر اتحاد المحامين العرب الذي قام بكثرة من الفعاليات التضامنية ابرزها دعوة كافة اعضائه في مختلف البلدان العربية الى التوقف عن العمل لمدة دقائق كمشاركة رمزية في الاضراب الشامل في الارض المحتلة وذلك في الساعة الثانية عشرة يوم ١٩٨٧/١٢/٢١، وعقد ندوة حضرها المئات من الشخصيات السياسية في القاهرة يوم ٣/٣١ بعنوان/ الصهيونية والعنصرية / واقام مهرجانا خطابيا كبيرا مساء ذلك اليوم تضامنا مع الانتفاضة.

وعلى صعيد الاتحادات النقابية والمهنية، فقد دعت الامانة العامة لغالبية الاتحادات النقابية والمهنية العربية الى عقد دورات استثنائية لمجالسها المركزية للتضامن مع الانتفاضة واتخذت سلسلة من القرارات الهامة لعل ابرزها تلك القرارات التي اتخذها الاجتماع الطارىء للمجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب والتي جاء فيها:

١ - اقامة مهرجانات يوم ٨٨/١/١١ في كافة البلدان العربية.

٢ - فتح باب التبرع في التجمعات العمالية.

٣ - تقديم مقترح لمنظمة العمل الدولية لتخصيص يوم من أيام المؤتمر للتضامن مع فلسطين.

ولاشك ان هذه القرارات تعبر عن الوضعية العامة للحركة العمالية والنقابية العربية، حيث ان الطبقة العاملة العربية تستطيع ان تقوم بالكثير من الاعمال المعادية للامبريالية الاميركية والضغط على حكوماتها لاتخاذ مواقف داعمة للقضية الفلسطينية، تعيد الى الاذهان تلك المواقف والاعمال الشجاعة التي اتخذها العمال العرب في الخمسينات والستينات.

أمام ارادة الانظمة العربية من جهة والازمة التي تعاني منها حركة التحرر العربي والاتحادات والمؤسسات القومية، وامام استمرار وتصاعد الانتفاضة في الارض المحتلة فقد بات واضحا ان الانظمة لاتريد السماح بتوجيه ضربات للمصالح الامبريالية في المنطقة العربية، وان الانتفاضة قد تخطت كثيرا توقعات وتكهنات أكثر القوى ثورية في سائر البلدان العربية، مقدمة نموذجا جديدا لحركة ثورية شعبية أصيلة يجب أن يتعلم منها الجميع خارج الارض المحتلة، كما ان الاحزاب والقوى التقدمية الرسمية وجدت ان حشد الطاقات الى جانب الانتفاضة يستدعي تركيز الجهود على الممكن وهذا ما نشاهده في عدد من البلدان العربية سواء في المغرب او مصر او الامارات.

وفي الوقت الحاضر فاننا نشاهد الفعاليات التالية:

١ - في اغلبية البلدان العربية تشكلت لجان لدعم الانتفاضة.

ففي مصر عقدت احزاب الوفد وتحالف العمل والاخوان المسلمين والاحرار والتجمع الوطني وحزب الامة اجتماعا يوم ٨٧/١٢/٢٧ وتشكلت اللجنة الوطنية المصرية لدعم الانتفاضة في الارض المحتلة، وضمت لاحقا كافة الاتحادات والفعاليات والشخصيات التقدمية.

وفي لبنان وبمناسبة يوم الارض، فقد تم الاعلان عن تشكيل اللجنة اللبنانية لدعم انتفاضة شعب فلسطين في «ارضه من عدد كبير من الشخصيات وقادة الاحزاب اللبنانية، كما تم في الشهر ذاته تشكيل هيئة المبادرة الشعبية لدعم الانتفاضة وثورة مصر» من عدد كبير من الشخصيات التقدمية، حيث جاء في بيان الاعلان بان «الانتفاضة تشكل رافعة استنهاض للنضال الشعبي العربي الوطني والقومي في هذه المرحلة فهي جزء من نضال الجماهير العربية ضد التبعية والنهب والافقار ومصادرة الحريات الديمقراطية والتفسخ الاجتماعي والاستسلام للعدو الامبريالي الصهيوني. لذا فان التضامن مع الانتفاضة مرتبط موضوعيا بالانتفاض على الاوضاع العربية المزرية السائدة».

وفي السودان اعيد الاعتبار لعمل الجبهة الشعبية المساندة للثورة الفلسطينية والتي تضم قادة الاحزاب والهيئات والنقابات والشخصيات التقدمية السودانية.

وفي المغرب تم تفعيل الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني، وانضمت الى نشاطاتها التضامنية كافة الاحزاب وقادة الاتحادات النقابية والمهنية.

وفي مطلع العام تشكلت في دولة الامارات العربية المتحدة لجنة الامارات الاهلية للتكافل العربي ووضعت شعارها على النحو التالي: الثورة الشعبية في فلسطين زلزلت اسرائيل وأقلقت امريكا - لكن شرط انتصارها عربي - فساعدها على الانتصار»

وفي اليمن الديمقراطية قرر المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني تشكيل لجنة وطنية لمناصرة الانتفاضة الفلسطينية ضمت عددا من قادة الحزب والهيئات والاتحادات المهنية والنقابية في اليمن الديمقراطية (السياسة الكويتية ٨٨/١/٢٧).

وفي الاردن تشكلت لجنة التبرعات لدعم الانتفاضة من عدد من الشخصيات الوطنية والنقابية (الرأي الاردنية ٨٨/٢/١).

وفي البحرين تشكلت في مطلع العام لجنة مساعدة الشعب الفلسطيني في الاراضي العربية المحتلة ضمت الجمعيات المهنية وعددا من الشخصيات.

وفي قطر تم تشكيل اللجنة القطرية العليا لجمع التبرعات للانتفاضة الفلسطينية في مطلع شهر فبراير (شباط ٨٨).

وفي الكويت نشطت لجنة المناصرة الخيرية لفلسطين ولبنان والتي يبدو انها تشكلت منذ الاجتياح الاسرائيلي للبنان.

وفي المملكة السعودية وتحت الضغط الشعبي استجابت السلطات السعودية لتشكيل لجان شعبية في الرياض وجدة والدمام وعدد من المدن في الجزيرة، لكنها وضعت على رأس هذه اللجان افراد من الاسر

الحاكمة اسوة ببقية اللجان التي تشكلت في البحرين وقطر والامارات.

وفي سوريا تداعت حركات التحرر الوطني العربية والصديقة وشكلت لجنة للتضامن مع الانتفاضة اثر اللقاء التضامني الذي دعت اليه جبهة الانقاذ الفلسطيني في شهر مارس (اذار ٨٨)

ويمكن القول ان حركة تشكيل اللجان الشعبية التضامنية قد عمت اغلبية البلدان العربية وان الدور الذي تقوم به يتفاوت بين بلد واخر حسب الحريات المتاحة لتحرك لهذه اللجان.

٢ ـ تعمل الاحزاب والمنظمات التقدمية على تحويل الانتفاضة الى موضوع سياسي قومي مرتبط بالقضايا الوطنية في بلدانها ولعل ابلغ الادوار في ذلك ما تقوم به الاحزاب والفعاليات اللبنانية والمصرية في هذا المضمار.

فلبنان الذي ربط شعبه وقواه التقدمية مصيره بمصير الشعب الفلسطيني وقضيته التحررية ودمر كافة الاسس التي ارتكز عليها النظام التابع المرتبط بالامبريالية / وقدم الالاف من الشهداء / وواجه الاعتداءات الاسرائيلية العسكرية المتكررة منذ السبعينات وللوقت الحاضر دون ان يتخلى لحظة عن القضية الفلسطينية/ ان هذا الشعب قد ارتبط مصيريا بالقضية الفلسطينية بل اصبح المقياس الاساسي في الحكم على الافراد والاحزاب يحمل جانبا فلسطينيا / ان هذا الشعب الذي واجه العدو الاسرائيلي وهزمه وأجبره على الانكفاء كما اجبر القوات المتعددة الجنسيات على الانسحاب وقدم نموذجا للعمل الشعبي المسلح ضد العدو الصهيوني واسياده الامبرياليين / هذا الشعب قد جعل من الانتفاضة موضوعه اليومي سواء على الصعيد الاعلامي او التحرك السياسي للقوى السياسية التقدمية والوطنية او على صعيد الفعاليات الثقافية بمختلف انواعها حيث الفرق الغنائية اللبنانية وابرزها فرقة مرسيل خليفة تجوب الاقطار العربية تغني لفلسطين وتجمع التبرعات لدعم الانتفاضة.

ان تعبئة الجماهير الشعبية بروح الانتفاضة والقيام بالمبادرات السياسية من الاضرابات والمهرجانات الخطابية وحملات التضامن باشكالها المتعددة قد جعلت لبنان في مقدمة البلدان العربية المتضامنة مع الانتفاضة بكل ما يتطلبه ذلك من أشكال الدعم المعنوي والمادي وابلغ اشكال هذا الدعم العمليات البطولية التي يقوم بها ابطال المقاومة الوطنية اللبنانية من الحدود اللبنانية سواء ضد جيش العميل لحد او القيام بعمليات فدائية في فلسطين والتي كان ابرزها العملية البطولية التي قام بها ابطال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) والتي شكلت الرد المقاوم على قرارات مؤتمر عمان الخياني.

أما الرد الشعبي الكبير الذي يرتبط بالقضية ويتفاعل معها، فانه رد الجماهير المصرية وقواها الوطنية والتقدمية والتي اعتبرت النضال ضد اتفاقيات كامب ديفيد مرتبط اشد الارتباط بالتضامن مع الانتفاضة، وكان ابلغ تعبير عن هذا الترابط ما قالته المناضلة فريدة النقاش في رسالة وجهتها الى الشعب الفلسطيني قائلة: «ان مساهمة الملايين الشرفاء المواطنين من شعب مصر الحقيقية هي ان تعيد بلادها الى مقدمة المواجهة. (الوطن الكويتية ٨٧/١٢/٢٣).

وجاء في البيان الذي صدر عن احزاب المعارضة التي اجتمعت يوم ١٢/٢٧ للتضامن مع الانتفاضة قرارا يدعو الحكومة المصرية الى طرد السفير الاسرائيلي وسحب السفير المصري وقطع العلاقات مع العدو الصهيوني. (الاهالي المصرية ٨٧/١٢/٢٨)

واصدرت نقابة المحامين المصريين بيانا تضامنيا اكدت فيه ان «اسرائيل والسلام نقيضان» ودعت الحكومة المصرية الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ووقف كل اشكال التطبيع معها» (القبس ٨٧/١٢/٢٨) وعلى صفحات الاهالي دعا حزب التجمع كافة المواطنين الى التوقيع على بيان موجه للرئيس مبارك يدعوه الى قطع العلاقات مع اسرائيل وانهاء كافة اشكال التطبيع (الاهالي ٨٧/١٢/٣٠)

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده نقيب المحامين المصريين احمد الخواجة بمقر النقابة يوم ٨٨/٢/١٠ تضامنا مع الانتفاضة قال: «ان نقابة المحامين قد وهبت نفسها للدفاع عن الشعب العربي، وان الارض العربية لاتتسع لليهود والفلسطينيين، ولابد للصهيونية ان ترحل عن ارضنا العربية» (٨٨/٢/١١)

وفي معرض الحديث عن الفعاليات التضامنية اشار لطفي الخولي أمين عام اللجنة الوطنية المصرية للتضامن مع الانتفاضة: «ان متوسط الدعوات لعقد مؤتمرات في مصر للتعبير عن المشاركة مع الانتفاضة من اسوان الى الاسكندرية هو بواقع ١٢ مؤتمراً في اليوم على الأقل» واضاف «من الاسكندرية الى اسوان لاتوجد مدينة او قرية أو جمعية ثقافية أو فنية او اجتماعية الا وشغلها الشاغل ما يجري الان في فلسطين. . . والشعب المصري يعتبر هذه الانتفاضة نوعا من عودة الروح التي ترتبط فيها الوطنية المصرية بالوطنية الفلسطينية بالقومية العربية.» (القبس ٨٨/٣/٣).

ولعل اخطر قرار اتخذته اللجنة المصرية لدعم الانتفاضة هو قرار مسيرة المليون عربي الذي اتخذته في اجتماعها مساء يوم ٣/٢٩ وبحضور قادة الاحزاب الوطنية والنقابات والهيئات الشعبية على ان تنطلق المسيرة وفي يوم واحد من مصر وسوريا ولبنان والاردن وبذلت اللجنة جهودا كبيرة للاتصالات مع الفعاليات والاحزاب العربية لانجاح هذه المسيرة. واشارت وكالات الانباء الى ان منظمات جماهيرية في الجزائر والمغرب والبحرين وتونس واليمن الجنوبي طلبت المشاركة في المسيرة (القبس ٨٨/٤/٤)

وفي البلدان الوطنية وخاصة سوريا وليبيا واليمن الديمقراطية فان التفاعل الشعبي والرسمي مع الانتفاضة يسير جنبا الى جنب، حيث تحولت كافة الندوات والمهرجانات الخطابية والمؤتمرات الى تظاهرات سياسية ربطت بين المعركة ضد الصهيونية والمعركة الاساسية ضد الامبريالية العالمية وخاصة امبريالية الولايات المتحدة التي تقف بالمطلق الى جانب الكيان الصهيوني. وعبرت قيادات هذه البلدان عن وقوفها الكامل الى جانب الانتفاضة بكل الامكانيات والسبل الممكنة.

٣ ـ الدعم المالي:

لاشك ان التضامن الشعبي مع الانتفاضة في هذا الميدان شامل لكل البلدان العربية، بل يمكن القول بان الدول التي سدت الطرق امام الاسناد السياسي الشعبي ارادت تنفيس غضب الجماهير عليها من خلال حملات الدعم والتبرعات المالية سواء في المملكة او الامارات او الكويت او البحرين وقطر وبالرغم من اهمية

الدعم المالي وضرورة توصيله للجماهير في الارض المحتلة وتمويل الفعاليات التضامنية في الخارج، فان القوى الوطنية في هذه البلدان قد وجدت ضرورة السير في طريق جمع التبرعات واقامة الامسيات الشعرية والغنائية والضغط المستمر على الانظمة لابراز الانتفاضة في وسائل الاعلام المرئية والمسموعة، ويمكن القول بان نجاحات لابأس بها قد تحققت في هذا الميدان خاصة وان بعض الانظمة الخليجية باتت تتزايد على بعضها البعض في دعمها للانتفاضة، ولابد للوطنيين ان يستفيدوا من ذلك لتطوير وتعزيز الدعم المالي والمعنوي والاستفادة من ذلك لشرح ارتباط القضية المركزية مع القضايا المحلية وتقدم مبررات للانظمة لتعطيل الفعاليات التضامنية/ اضافة الى تزايد التغلغل الاميركي والصهيوني في هذه المنطقة لتدمير امكانياتها والهيمنة عليها من الداخل واثارة المزيد من الصراعات لتحويل امكانياتها وصبها في خدمة مخططات الاحتكارات وتجار السلاح الامبرياليين.

استنتاجات:

ماجرى استعراضه هو جزء بسيط من التضامن العربي الشعبي مع انتفاضة الشعب الفلسطيني الباسلة، ومن المفيد ان نسجل بعض الملاحظات.

١ ـ لقد هزت الانتفاضة اعمق وجدان الجماهير العربية، من شيبها وشبابها ونسائها. يكفي ان نورد الحادثة التي اشارت اليها جريدة الخليج الصادرة في الشارقة بتاريخ ٨٨/١/١٥، فقد ذكرت الصحيفة ان ثلاث فتيان جاؤوا الى مقر الجريدة ومعهم صناديق توفير مغلقة، وطلبوا اللقاء مع رئيس التحرير كان اكبرهم ١٢ سنة من العمر واصغرهم ٨ سنوات. وقدموا الصناديق الثلاثة بما فيها تبرعا للانتفاضة وقالوا بانها حصيلة التوفير التي قاموا بها منذ فترة وان الاهل في الارض المحتلة اولى بها! كان بالصندوق الاول قرابة ١٥٠ درهم والاخر ١٣٠ والثالث مبلغ قريب من ذلك / كلهم من ابناء الامارات. وقد عبر رئيس التحرير عن تأثره العميق بهذا العمل قائلاً: لقد شعرنا بان هؤلاء الاطفال أكبر منا بكثير!

وفي استفتاء اجرته صحيفة صوت العرب جاء فيه ان ٢١,٤٪ من المصريين يرغبون في التطوع للقتال الى جانب الفلسطينيين (القبس ٨٧/١٢/٢٨).

ان حجم التعاطف والتضامن الشعبي العربي كبير ومن الضروري معرفة كيفية الاستفادة من هذا الموقف الشعبي لتسخيره لمصلحة الانتفاضة ومن أجل مراكمة مثل هذه المواقف لمراحل نضالية قادمة.

٢ ـ ان كثرة من المناضلين الفلسطينيين والعرب يقولون أين الجماهير العربية. لماذا لاتعبر عن وقوفها الى جانب الشعب الفلسطيني. لقد جاء الرد على هذه الاقاويل في مقابلة مع المناضل احمد بن بلا: «انا لا اقر هذا أبداً. نعم خذلتهم الحكومات. خذلهم حتى بعض الفلسطينين. الحكومات خذلتنا نحن ايضا.. لايوجد قضية تلائم الشعب العربي وتماشى معه الا قضية فلسطين... لاتوجد قضية التف حولها الضمير العربي كما فعل بالنسبة الى القضية الفلسطينية» (السفير ٨٨/٣/٢١)

واعتقد بان من الخطأ الفصل بين الفلسطينيين وبقية اخوانهم العرب خارج الارض المحتلة (حتى لو اضطررنا الى التمييز أحيانا) ولكن هناك نشطاء عرب في كل الاقطار العربية يعتبرون القضية الفلسطينية

قضيتهم كما ان هناك بعض الفلسطينيين الذين تملكهم اليأس او يزنون خطواتهم على وقع الانظمة الرجعية، وبالتالي فان العمل التضامني مع الارض المحتلة يجب ان يشكل مدخلا لخلق حركة تضامن شعبية عربية واسعة النطاق يستفاد فيها من العنصر المحلي والعنصر الفلسطيني في البلد المعني.

٣ ـ ان اعدام الحريات الديمقراطية في غالبية البلدان العربية والخوف من تحرك الجماهير الشعبية يلعب الدور الاساسي في تعطيل حركة التضامن الشعبية العربية مع الانتفاضة.

كما ان الازمة التي تعاني منها فصائل حركة التحرر في بنيتها الداخلية وعلى صعيد علاقاتها مع بعضها البعض تنعكس سلبا على حركة التضامن الشعبية.

وبعد مرور أكثر من خمسة اشهر على الانتفاضة وتصاعدها المستمر، لابد ان هذه الاستمرارية تعكس نفسها سواء في المستوى الذي تسمح بعض الانظمة للجماهير ان تتحرك / او على صعيد استنهاض القوى التقدمية لقواها ـ ضمن المعطيات المحددة وتصعيدها لاحقا ـ لخلق اشكال أرقى من العمل التضامني مع الانتفاضة.

٤ ـ ان من الضروري ان تتحمل الاتحادات النقابية والمهنية والاجتماعية مسؤولة متصاعدة في التضامن وبشكل خاص الاتحادات العمالية والطلابية والنسائية وكافة المنظمات والهيئات الشعبية إن خلق فعاليات للتضامن مع الانتفاضة قد يعيد النشاط لعدد من الاتحادات الشعبية والهيئات والفعاليات، هذه النشاطات التي يجب ان تتصاعد لتفرض وقائع جديدة على ارض الصراع في كل بلد عربي.

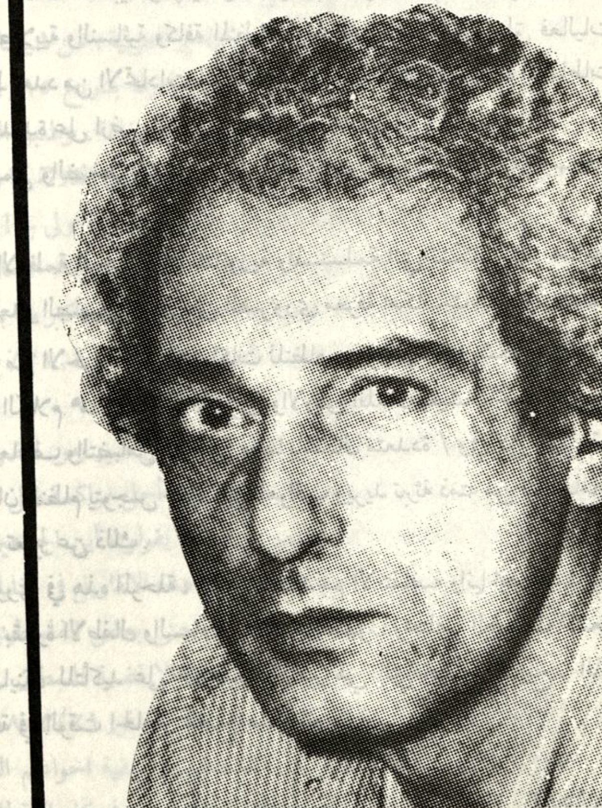
٥ ـ لاشك ان هناك تأثر كبير بين العمل والضغط الشعبي وبين التحركات السياسية التي يقوم بها هذا النظام او ذاك.

وإذا كنا نطمح الى تغيير عدد من الانظمة الرجعية والدكتاتورية والمستسلمة التي تشكل ركائز اساسية للامبريالية الاميركية وصمامات امان للعدو الصهيوني، فان من الضروري معرفة امكانيات الواقع، والعمل بفعالية في قناة التضامن لتشكل المزيد من الاحراجات والارباكات للنظام ورموزه وتجشره بشكل متزايد في زوايا ضيقة / ولاشك ان المعنى بهذا الكلام هما النظامان المصري والاردني اللذان يعيشان تخبطا ملحوظا من جراء استمرار الانتفاضة وتزايد التعاطف والتضامن الشعبي معها باشكال متعددة / وفي كل عمل تقوم به الفعاليات والتجمعات الشعبية، فان النظام يتوجس خيفة من العواقب ويريد تبرئة ذمته من اية اتهامات توجه إليه / وما يجري في الاردن ابلغ تعبير عن ذلك.

ان الضغط الشعبي مطلوب وضروري في هذه المرحلة، ليس فقط لدعم الانتفاضة وانما ايضا لبث روح الانتفاضة وسط الجماهير لاعادة الثقة بقدرة الاطفال والنساء والشباب والكهول ومختلف الطبقات الشعبية على عرقلة مشاريع الاميركان والصهاينة، للتأكيد على ان هذه الجماهير هي التي تصنع التاريخ، الذي يسطر الفلسطينيون في الارض المحتلة في الوقت الحاضر أنصع صفحاته.

٨٨/٥/٤

مع
ناجي العلي
في
ذكراه السنوية



تابعت لجنة العمل النقابية جريمة اغتيال الفنان الشهيد ناجي العلي أحد اكبر فناني الكاريكاتير في العالم والذي كان بحق فنان الشعب العربي الذي تتابع ملايينه كل صباح ابداعات هذا الفنان العظيم.

وكان واضحاً منذ اللحظات الأولى ان وراء جريمة الاغتيال مؤامرة واسعة النطاق، فقامت اللجنة بمتابعة خيوط مؤامرة اغتيال رئيسها وقامت بعدة اتصالات مع محامين ومثقفين من العرب والاجانب، ثم اصدرت بيان الاتهام التالي:

آ ـ بيان اتهام:

لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين
بيان اتهام
في قضية اغتيال الفنان ناجي العلي

ان لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، تنظر بجدية كبيرة الى محاولة اغتيال الفنان الكبير ناجي العلي رئيس اللجنة شعوراً منها بالمسؤولية، ازاء كل الكتاب والصحفيين والفنانين والمثقفين خاصة، والمواطنين الفلسطينيين عامة.

واللجنة التي تكونت للاسهام في الدفاع عن الثقافة الوطنية والديمقراطية، والنضال من أجل ضمان حق الكتاب والصحفيين والفنانين الفلسطينيين في العمل لتحرير وطنهم، والتعبير عن آرائهم بحرية، ومنع كل انتهاك لحقوقهم هذه، واعتداء عليها، نقف بحزم ضد كل اعتداء على حرية الرأي، وتجرم كل عملية اغتيال، تستهدف حرمان المواطن من حقه في التعبير عن رأيه. واللجنة، لذلك، ترى ان الاكتفاء بشجب عملية الاغتيال فقط، وتقييد القضية ضد مجهول، لايكفي لمنع القتلة من مواصلة عدوانهم على الكتاب والصحفيين والفنانين الملتزمين بالدفاع عن حقهم في النضال لتحرير وطنهم، وفي التعبير عن رأيهم.

وتجد اللجنة من واجبها ان تعلن ان المعلومات التي استقتها من مصادر مطلعة وموثوقة تؤكد ان ياسر عرفات شخصياً، هو صاحب قرار الاغتيال.

وقد ظل عرفات يطارد ناجي العلي، منذ ١٩٧١، لان ناجي العلي تمسك بخط التحرير والتزم بمصالح الجماهير، وكرس فنه للدفاع عن القضية الوطنية، ومحاربة نهج الاستسلام وكل المشاريع الاستسلامية. وقد زادت هذه التهديدات في المرحلة الاخيرة، لان القيادة المصممة على مواصلة نهج الاستسلام، ارعبتها ريشة فنان صادق لايخاف.

وكان من نتيجة هذه التهديدات ان اضطر ناجي العلي لاطلاع شخصيات ثقافية وسياسية وقيادات رسمية في فصائل المقاومة وم. ت. ف لقناعته بأن التهديدات جدية، ولانها تواترت من شخصيات ثقافية وسياسية، مقربة من ياسر عرفات شخصياً، ومعروفة بعلاقاتها الوظيفية معه.

ان لجوء عرفات الى هذا الاسلوب لاسكات الاصوات المعادية للاستسلام الملتزمة بخط التحرير يطرح قضية الشرعية الفلسطينية من جديد، كما يطرح خطورة ان توظف الشرعية الفلسطينية امكاناتها

لقمع الارادة الوطنية، ولمحاربة العلم والثقافة والفن، فالقيادة التي ترعبها ريشة فنان، ليست جديرة بالاحترام او البقاء.

وان لجنة العمل النقابية، اذ توجه هذا الاتهام المباشر، فانها تؤكد التزامها بالدفاع عن الرأي، وحق النضال لتحرير الوطن، كما تؤكد حرصها على كشف القتلة ومحاكمتهم حتى لايفلت المجرمون من العقاب.

ولذلك فان اللجنة تطالب كل المنظمات والمؤسسات العربية والمعنية بمصير المقاومة وتحرير فلسطين والثقافة الوطنية بما يلي:

١ ـ العمل على انقاذ حياة ناجي العلي.

٢ ـ اتخاذ مواقف حازمة، من جريمة الاغتيال هذه، وكل جرائم الاغتيال المرتبطة بحرية الرأي.

٣ ـ العمل على تكليف لجنة عربية بمتابعة قضية اغتيال ناجي العلي.

وتعلن لجنة العمل النقابية استعدادها للتعاون مع كل الاطراف المعنية في هذا المجال.

ب ـ اجتماع تضامني:

وقامت اللجنة بعدة فعاليات وأنشطة على مختلف الاصعدة ودعت الى اجتماع تضامني حضره حوالي مائة كاتب وصحفي وفنان ومثقف فلسطيني عربي اصدروا في نهاية اجتماعهم التضامني البيان التالي نصه:

ان الكتاب والصحافيين والفنانين والمثقفين العرب، المجتمعين في مقر فرع اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين في دمشق، يوم الاربعاء ١٩٨٧/٨/١٩، يعلنون انهم التقوا تضامنا للفنان الكبير الملتزم ناجي العلي، الذي مازال في غيبوبته، منذ اطلاق رصاص الغدر عليه يوم ٨٧/٧/٢٢.

ويدين المجتمعون هذه الجريمة النكراء، باعتبارها اعتداء غاشماً على الادب والفن والثقافة، وعلى حق الانسان في التعبير عن رأيه، بالطريقة التي يريد، وفي ان يتمسك بحقه في الدفاع عن وطنه ورفض كل اشكال الاستسلام.

ويرى المجتمعون ان مثل هذه الجريمة، يحتاج الى موقف حازم، ابعد من الاحتجاج اللفظي، يمنع القتلة من الاسترسال في ممارسة سياسة القتل هذه.

ويعلن المجتمعون، بروح المسؤولية، تقديرهم واعجابهم بالتزام الفنان ناجي العلي، وبموقفه الوطني الصلب، واحترامه لفنه وتمسكه بحقه في التعبير عن رأيه، رغم كل اساليب الترهيب والترغيب التي واجهها بإباء منذ عام ١٩٧١ وخاصة في الفترة الأخيرة.

ويعتبر المجتمعون سلوك ناجي العلي مثالاً لسلوك الفنان الملتزم بقضايا شعبه وامته والحريص على الاخلاص لفنه، ومقاومة كل سياسة استسلامية وطنياً، ومعادية للثقافة اجتماعياً.

ويطالب المجتمعون كل الاتحادات الادبية والصحافية والفنية وكل الشخصيات الثقافية في الوطن العربي والعالم باعلان التضامن مع ناجي العلي.

ويناشدون كل الجهات الصديقة القادرة على الاسهام في انقاذ حياته، ببذل كل جهد، يعيد لناجي



العلي حقه في الحياة، وقدرته على الابداع.

ويحمل المجتمعون الحكومة البريطانية مسؤولية البحث عن الجناة واعتقالهم، ومحاكمتهم علنا ليعرف كل العالم من هم الذين يهدرون دماء الادباء والفنانين والمفكرين، ومن هم الذين يطلقون الرصاص على المبدعين، من ابناء شعبنا.

ان الجريمة كبيرة، لانها تمثل موقف القوى الاستسلامية القمعية من الحرية والابداع.

المجد للفنان العظيم ناجي العلي الذي مازال يتحدى الاستسلام والموت، كما كان دائماً.

والخزي والعار والموت للقتلة.

جـ ـ مهرجان تأبيني:

وبعد استشهاد الفنان ناجي العلي يوم ١٩٨٧/٨/٢٢ بذلت اللجنة جهوداً مضنية لنقل جثمان الشهيد لدفنه في مخيم عين الحلوة حسب وصيته، إلا أن ذلك لم يتحقق. وبمناسبة اسبوع على استشهاده اقامت اللجنة النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين مهرجاناً تأبينياً وجنازة رمزية للشهيد الفنان ناجي العلي، يوم الجمعة، الحادي عشر من أيلول، الساعة الخامسة مساء، في النادي العربي الفلسطيني بمخيم اليرموك.

شارك في هذه المهرجان قيادات فصائل المقاومة والاحزاب والقوى السياسية العربية وقيادات المنظمات الشعبية وشخصيات سياسية ونقابية وثقافية، وجماهير الشعب.

وكان ذلك هو جزء من نشاط عام لتكريم الشهيد، تقوم به لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين على صعيد الوطن العربي تضمن بتنظيم عمليات الاستنكار واقامة المهرجانات التأبينية والجنازات الرمزية والندوات والمعارض حيث كتبت العرائض واقيمت المهرجانات في عدة اقطار

عربية ومنها مهرجان تأبين واسع في مخيم اليرموك حضرته السيدة نجاح العطار وزيرة الثقافة في القطر العربي السوري وعدد من قيادات الفصائل الفلسطينية وجماهير الشعب.

ووقعت لجنة العمل النقابية البيان الذي اصدرته المنظمات الشعبية الفلسطينية التالي نصه:

د ـ بيان مشترك:

واصدرت المنظمات الشعبية الفلسطينية بما فيها لجنة العمل النقابية بياناً حول استشهاد الفنان ناجي العلي، هذا نصه:

بيان
صادر عن المنظمات الشعبية الفلسطينية
بمناسبة استشهاد ناجي العلي

باستشهاد ناجي العلي فقدت اليوم فلسطين شعباً ووطناً وثورة علماً بارزاً من اعلام الثقافة الملتزمة بهدف التحرير ووحدة شعبنا وارضه.

ان ناجي العلي الذي كرس ريشته لترسيخ وعي وطني وقومي ثوري لدى الجماهير الفلسطينية والعربية، وحيث مثلت هذه الريشة سلاحاً فعالاً لايقل في أهميته عن البندقية المقاتلة، وثبتت خطاً سياسياً متناقضاً مع نهج التكيف والتعايش مع الكيان الصهيوني، قد جعلته مستهدفاً من قبل قيادة م. ت. ف التي اخذت مؤخراً تسارع الخطى نحو المفاوضات مع الاعداء الصهاينة.

ان جريمة اغتيال المثقف الوطني الملتزم ناجي العلي جاء تلبية وانسجاماً مع الخط السياسي لقيادة م. ت. ف ومتطلبات تنفيذه في كم الافواه الوطنية الرافضة لتحركاتها على طريق الاستسلام.

ان الطابع الفاشي لهذه القيادة سيزداد ترسخاً في المستقبل وسيستشري اكثر كلما اوغلت في مسيرتها الاستسلامية ومن هنا، فان الالتقاء معها، تحت اية ذريعة، سيقدم لها الغطاء والمبررات، وسيضعف دور القوى الوطنية في هزيمة نهجها اللاوطني.

ان صمت القوى الوطنية الفلسطينية والعربية يشجع هذه القيادة على ارتكاب المزيد من الجرائم السياسية ضد الشخصيات والقوى الوطنية الفلسطينية الرافضة للتصالح مع العدو الصهيوني. وبذلك يثير هذا الصمت علامات استفهام كبيرة حول نوايا وتوجهات تلك القوى ولذلك، فاننا نهيب بكل القوى الوطنية والهيئات والشخصيات الثقافية والديمقراطية الفلسطينية والعربية والدولية ان ترفع صوتها عالياً لشجب واستنكار هذه الجريمة، وادانة قتلة ناجي العلي، وفضح قيادة م. ت. ف التي انتهجت هذا الطريق الخطر على مسيرة حركة التحرر الوطني الفلسطيني والعربي، كما نهيب بها للقيام باوسع حملة للدفاع عن كل مامثله ناجي العلي من روح كفاحية وطنية وقومية وموقف بطولي جريء واحترام لفنه الملتزم بقضية شعبنا الفلسطيني وقضايا امتنا العربية.

ان اغتيال فناننا المناضل الكبير ناجي العلي الذي بلغ التزامه الحاسم بمبدأ تحرير فلسطين كاملة حداً جعله يفضل الموت على التراجع عن ذلك المبدأ، (علماً ان القتلة واصلوا تهديداتهم له بالقتل منذ منتصف السبعينات)، ان هذا الاغتيال يطرح من جديد مسألة الشرعية الفلسطينية والموقع القيادي الذي يمثله القتلة في هذه «الشرعية» فهل يمكن ان يكون لقتلة الوطنيين أمثال ناجي العلي شرعية وهل يجوز أن تسخر الشرعية الفلسطينية لقمع وقتل الوطنيين المخلصين المعادين للتصالح مع المحتلين الصهاينة؟

المجد والخلود لناجي العلي

والعار والخزي للقتلة

وسينتصر خط ناجي العلي الملتزم بنهج تحرير فلسطين كاملة.

دمشق ١٩٨٧/٨/٣٠

- اللجنة النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
- الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية فرع سوريا
- الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين ـ فرع سوريا
- الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين
- الاتحاد العام لعمال فلسطين
- الاتحاد العام للاطباء والصيادلة الفلسطينيين
- الاتحاد العام لعمال الاردن
- الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين

هـ ـ ادانة السلوك البريطاني:

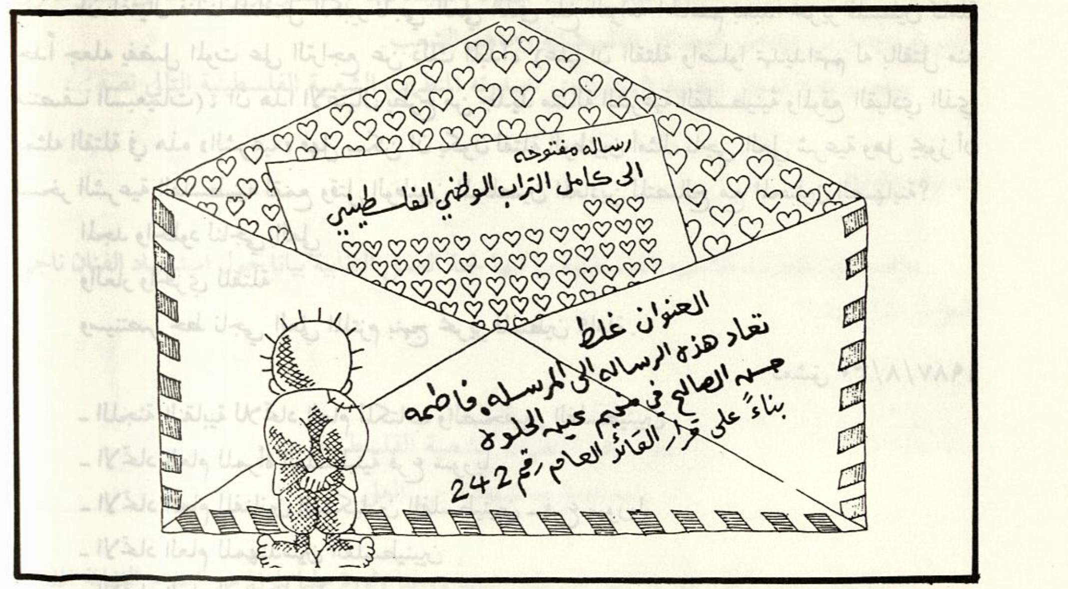
وادانت لجنة العمل النقابية سلوك الحكومة البريطانية خلال التحقيق وخاصة تسليمها القاتل الى حكومة الكيان الصهيوني الذي تبين انه عميل مزدوج مندس في صفوف الحاشية العرفاتية. واصدرت اللجنة حول ذلك تصريحاً صحفياً جاء فيه:

اعلنت الصحف العربية، يوم ٨٧/١١/٢٤ ان الحكومة البريطانية، سلمت قاتل الشهيد ناجي العلي الى حكومة الكيان الصهيوني، بعد ان اعترف بأنه عميل مزدوج وبأنه يعمل لمصلحة الموساد عبر احدى المنظمات الفلسطينية.

وتود لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين والتي كان الشهيد ناجي العلي رئيساً لها، ان تؤكد مايلي:

١ ـ ان سلوك الحكومة البريطانية منذ ارتكاب جريمة الاغتيال كان مشبوهاً، اذ حرصت على لفلفة القضية ويزداد سلوك الحكومة البريطانية اثارة للشك بعدم التعليق على الانباء الصحفية المشار اليها، مع انها نشرت في بريطانيا اولا:

٢ ـ ان لجنة العمل النقابية، معنية باثارة القضية على اوسع نطاق دولي وبمطالبة كل الجهات



الرسمية وغير الرسمية المعنية بحقوق الانسان والدفاع عن الحريات الديمقراطية بالعمل لاجبار الحكومة البريطانية على اعلان الحقيقة وباسترداد القاتل ومحاكمته.

فليفضح دور العدو الصهيوني، واية جهات اخرى مشاركة، في جريمة اغتيال ناجي العلي، وليعرى ايضاً الاسلوب الذي يتبع في اغتيال المناضلين والمثقفين الفلسطينيين، لا في بريطانيا فقط، بل في اماكن اخرى من اوروبا والعالم.

لجنة العمل النقابية

دمشق ٢٩/١١/١٩٨٧

و ـ تكليف المحامين العرب

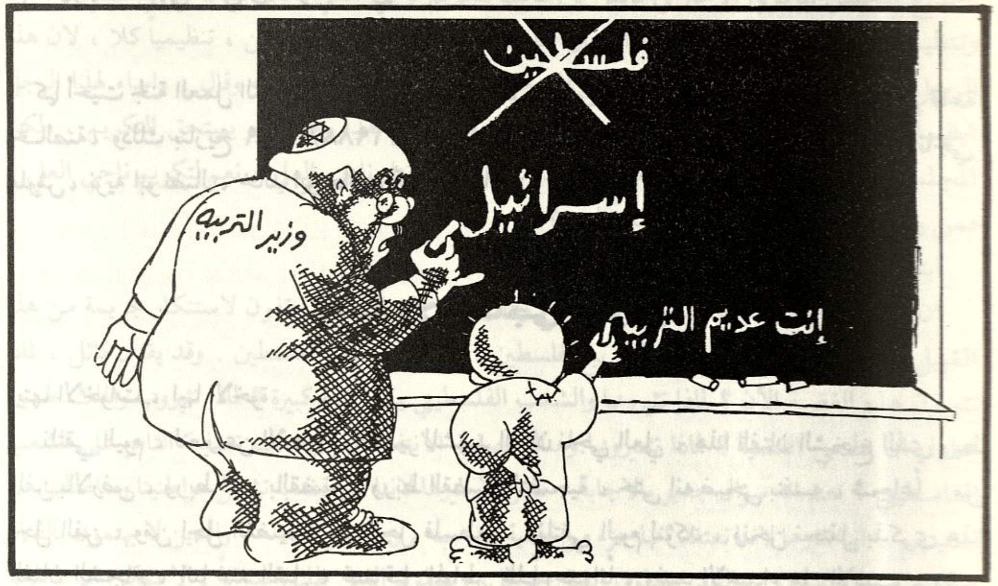
وارسلت اللجنة البرقية التالية الى اتحاد المحامين العرب في القاهرة.

الأخ رئيس اتحاد المحامين العرب ـ القاهرة

اذاعت وكالات الانباء يوم ٢٣/١١/٨٧ خبراً منقولاً عن الصحافة البريطانية يفيد ان الحكومة البريطانية سلمت قاتل الشهيد ناجي العلي الى سلطات العدو الصهيوني، بعد ان ثبت انه عميل للموساد اخترق احد الاجهزة الفلسطينية.

ان لجنة العمل النقابية لاتحاد العام للصحفيين الفلسطينيين التي كان ناجي العلي رئيساً لها ترجو ان تحركوا للتحقق من الواقعة لان عملية تسليم القاتل تعتبر تواطؤا مع القتلة وخرقاً للقانون.

وان معرفتنا بمواقفكم الشجاعة تجعلنا واثقين من تعاونكم مع هذه القضية.



مع الشكر والاحترام

واكد السيد فاروق ابو عيسى الامين العام لاتحاد المحامين العرب في برقية جوابية انه جرى استنفار الهيئات المعنية باتحاد المحامين العرب ووضع خطة للتحرك لمتابعة قضية تسليم قاتل الشهيد ناجي العلي الى السلطات الصهيونية.

جاء ذلك في برقية وجهها الامين العام لاتحاد المحامين العرب من القاهرة الى ناجي علوش امين سر لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ردا على البرقية التي كانت اللجنة قد وجهتها الى امانة اتحاد المحامين العرب وقال ابو عيسى ان هذه القضية تنال من اتحاد المحامين العرب كل الاهتمام.

اللجنة النقابية لاتحاد الكتاب
والصحفيين الفلسطينيين

ز ـ تخليد

وقام فرع سورية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بتسمية قاعة باسم قاعة الشهيد ناجي العلي، كما قام اتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين باطلاق اسم الشهيد على احدى قاعات العرض الكبيرة.

ولازالت اللجنة تواصل فعالياتها ونشاطاتها حيال الموضوع سواء لجهة تخليد فنان الشعب الشهيد ناجي العلي بتسمية عدد من الصالات باسمه واصدار أعماله ونشر مدرسة الفنية النضالية او لجهة متابعة الكشف عن جريمة الاغتيال وملابساتها، والعمل على نقل فاته الى مخيم عين الحلوة حسب وصيته.

ح ـ مهرجان لناجي العلي في ذكراه السنوية

كما أحيت لجنة العمل النقابي ذكرى الفنان ناجي العلي السنوية بمهرجان أقامته في مخيم اليرموك/ قاعة الخالصة، وذلك بتاريخ ١٩٨٨/٨/٢٩، وقد ألقى في هذا المهرجان الشعبي كل من الأخوة: ناجي علوش، نزيه ابو نضال، خالد ابو خالد الكلمات التالية:

كلمة الاخ ناجي علوش

ايتها الاخوات ، ايها الاخوة

نلتقي اليوم ، لنعبر عن الاحترام والتقدير للشهيد الفنان ناجي العلي ، هذا الفنان الشجاع الذي ربط الفن بالارض ، وربط الفن بالقضية ، وربط القضية بالتضحية ، حتى انه ضحى بنفسه ، شجاعاً ، من اجل الفن ، ومن اجل القضية ، ومن اجل فلسطين . ونلتقي اليوم لنؤكد ، ونحن نحتفل بذكرى هذا الفنان الشجاع ، اننا ضد القتل ، ضد قتل المواطن ظلماً وعدواناً ، وضد الاعتداء على الاديب ، وضد قتل الفنان ، لنؤكد اننا مع الحرية ، فلا وطن بلا حرية ، ولا وطن مع القتل . نلتقي في هذا المهرجان المتواضع ـ ونحن سعداء بذلك ـ نفر مؤمن بقضية الفن ، بقضية فلسطين ، يستنكر اغتيال الفنان ، واغتيال الفن ، يجتمع في هذه القاعة ـ، لا قادة ، لا اضواء ، لا بهرجات . نحن سعداء بذلك ، سعداء ، لان القادة ليسوا معنيين بقتل فنان ، وليسوا معنيين بالاحتفال بذكراه . واذا كانوا ليسوا معنيين بقتل فنان عظيم ، وليسوا معنيين باستنكار جريمة عظيمة ، فبأي شيء هم معنيون ؟ هل هم معنيون بفلسطين ؟ ان العناية بفلسطين تبدأ من العناية بقضية كهذه . نلتقي هنا ايها الاخوة والاصدقاء ، لنقول لكم ان جريمة قتل ناجي العلي المعلومة والمعروفة ، تمر امام عيون الجماهير الفلسطينية ، دون ان تهتم قيادة ، او فئة من هذا الشعب بمتابعتها . فمنذ اللحظة الاولى كان معروفاً من هو القاتل ، ومنذ اللحظة الاولى كشفت القضية . وقامت الحكومة البريطانية ، بناء على اتصالات عربية ، اجرت جزء منها قيادات منظمة التحرير الفلسطينية من اجل تغطية القتلة . ولقد وافقت الحكومة البريطانية على ذلك . وعندما القي القبض على العميل المزدوج بشار سماره في لندن ، قررت الحكومة البريطانية ان تسلمه للكيان الصهيوني . فماذا فعلت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ؟ بدلاً من ان تطالب ، بان تتسلم القاتل وتحاكمة ، قررت ان تغطي على القضية . وحين حوكم اسماعيل صوان ، العميل المزدوج الآخر ، وحكم ١١ عاماً ، وتبينت علاقة مدير مكتب أمن المنظمة في لندن بهذه الشبكة ، ماذا فعلت قيادة المنظمة وقياداتنا ، واتحاد الكتاب والصحفيين ، والجهات الثقافية الفلسطينية ؟ ماذا فعلت كل هذه الجهات ؟ انها سكتت تماماً . الامن البريطاني سمح لعبد الرحمن مصطفى ، ان يغادر الى بلد عربي . والقيادات الفلسطينية غطت عبد الرحمن مصطفى لتغطي الجريمة ، لان القاتل معروف ، ولانه لا يوجد هنالك من هو مستعد ان يطالب بمحاكمة القاتل . وحين تطوع الاخ المناضل عبد الجواد صالح ، وطرح القضية في

اجتماع المجلس المركزي الاخير في تونس ، وطالب بتكريم ناجي العلي ـ بالاحتفال بناجي العلي تكريمياً وتنظيمياً ـ وقف السيد رئيس منظمة التحير الفلسطينية ليقول . تكريمياً يمكن ، تنظيمياً كلا ، لان هذا الرجل اساء للشعب الفلسطيني ، واشار الى جورج حبش الجالس الى يمينه وقال ، واساء لهذا الرجل ايضاً . فماذا فعل الحاضرون ؟ الدكتور جورج حبش قال : هذا رجل كبير يستحق التكريم ، ولكن المجلس المركزي الفلسطيني لم يفه بكلمة واحدة ليقول : لا لقتل ناجي العلي ، نعم لتكريم ناجي العلي . فمن يمثل هذا المجلس المركزي الفلسطيني ؟

ايتها الاخوات ، ايها الاخوة . .

ان هذه الجريمة الكبيرة تستحق وقفة كبيرة وعظيمة . لان الذين لا يقفون لاستنكار جريمة من هذا القبيل ، لا تتوقعوا ان يقفوا لاستنكار بيع فلسطين ، والتفريط بقضية فلسطين . .وقد يقول قائل ، لماذا تثيرون هذه القضية الآن ؟ لماذا تثيرونها والشعب الفلسطيني يمر بأزمة كبيرة ؟ لماذا تثيرونها والملك حسين يحاول ان يصفي القضية ؟ لماذا تثيرونها وهناك تصفية الانتفاضة ، وهنالك تصفية التآمر على الشعب الفلسطيني ؟ نعم انه سؤال جدير بالاجابة . نحن لا نثيرها لاننا نثير قضايا تشغل مواطنينا ومناضلينا عن قضيتهم . اننا نثيرها لاننا نعتقد انها جزء من قضية الشعب ، وجزء من نضاله . والذين لا يهتمون بالفنان وبالمناضل وبالانسان ، والذين يقبلون القتل جزافاً ، ويقبلون القتل ظلماً وعدواناً ، لا يمكن ان يدافعوا عن قضية عادلة ، ونحن ندافع عن قضية عادلة ، ندافع عنها هنا ، ندافع عنها في الارض المحتلة ، ندافع عنها في لبنان ، ندافع عنها في كل مكان ، ولا يمكن ان نسمح لاحد ان يلعب بقضايا الشعب ، اما الذين يلعبون بقضايا الشعب ، فيثيرون في هذا اليوم قضية ليغطوا قضية اخرى . نحن لا نثير قضية لنغطي قضية اخرى . نعم هنالك مؤامرة على المقاومة الفلسطينية ، وهنالك مؤامرة على فلسطين ، وهنالك محاولة لتقزيم القضية الفلسطينية ، ولتحويلها من قضية نضال الى قضية مفاوضة . هنالك محاولة لتصغير القضية الفلسطينية ، وتحويلها من قضية جماهير الشعب الفلسطيني كله ، والجماهير العربية كلها ، الى قضية جماعة في الضفة الغربية وغزة ، يطالبون بدولة ، بدولة منفى ، بحكومة مؤقتة ، بحكومة منفى ، يقدمون اية مطالبة ، ولكنها مطالبة خارج الحركة النضالية ، وخارج حركة الجماهير العربية ، وخارج حركة التحرر . وبالتالي فهي حركة لا تقود الى تحرير فلسطين ، ولا تقود الى رفع الضغوط الواقعة على الجماهير الفلسطينية ، لا ترفع المعاناة عن المواطن الفلسطيني ، لا تقوده على طريق تحرير وطنه . وتخلق لديه من الاوهام ما يجعله بعد سنة او سنتين او ثلاث يشعر بخيبة الامل الكبيرة .

ايتها الاخوات ، ايها الاخوة

ان قضية فلسطين كبيرة ، والذين انشأوا الكيان الصهيوني ، انشأوه ، لا ليحتلوا فلسطين فقط ، بل ليسيطروا على الارض العربية كلها . ان مقاومة العدو الصهيوني لا يمكن ان تكون مقاومة فلسطينية فقط ، انها تحتاج الى الجهد العربي كله . ونحن الآن لسنا مخيرين بين ان نأخذ جزءاً من فلسطين ، ان نتخلى عن جزء من فلسطين . نحن مخيرون بين النضال من اجل التحرير ، من اجل العودة الى الوطن ، وبين تصفية القضية . ولا خيار ، لا طريق ثالث بين هذين الطريقين . اما ان نستعيد فلسطن ، ان تحرر فلسطين ، وان نسير على طريق تحرير فلسطين ، او ان نصفي القضية الفلسطينية . النهج السائد الآن في

قيادة م . ت . ف ، لا يقودونا على طريق التحرير ، بل يقودنا على طريق التصفية . ولذلك ، فهذه القيادة التي تتنكر للميثاق الفلسطيني ، والتي تحاول ان تشعر الجماهير الفلسطينية ، انها طُعنت وضربت ، وان الجماهير العربية لا أمل فيها . ان هذه القيادة تقتل الفنان ، وتقتل الاديب ، وتقتل المناضل ، لانها تسير على طريق التصفية . علينا جميعاً ان ننتبه جيداً ، لاننا لسنا مخيرين بين حل وسط ، بين حل وطني ، وبين التحرير . فنحن مخيرون بين التصفية وبين التحرير . وعلينا ان نعي ذلك جيداً . لذلك ، ايتها الاخوات وايها الاخوة ، فنحن نثير قضية مقتل الفنان ناجي العلي ، لندافع عن الادب والفن والفكر ، لنمنع القتلة من ان يسيطروا على الساحة . لنقول للجميع ، نحن نحترم الفن ، نناضل لحمايته ، لان الوطن العظيم ، الوطن المستقل ، يحتاج الى فن عظيم والى أدب عظيم ، ولان الوطن العظيم لا يكون عظيماً الا بالادب العظيم ، وبالفن العظيم وبحرية الانسان . نحتفل بهذه الذكرى لنؤكد لناجي العلي ، اننا نسير على طريقه ، اننا نحن المثقفون الفلسطينيون مصرون على ان نسير على هذا الطريق . فلا نقبل المهادنة ولا المساومة ، ولا نقبل التفريط بابة حجة من الحجج ، ومهما قل الذين يؤمنون بمثل هذا الطريق ، سوف نظل ندعو اليه ، حتى تحرير فلسطين . نحتفل اليوم لنقول ايضاً لجماهير الشعب الفلسطيني ان هنالك قتلة في الشعب الفلسطيني ، وهنالك طغاة ، ولكن ايضاً هنالك مناضلون ، يدافعون عن التحرير ، ويدافعون عن الفكر والادب والفن ، وانهم سيواصلون الطريق .

ايتها الاخوات ، ايها الاخوة

ان ناجي العلي فنان عظيم ، وسوف يزول كثير من الامعات الذين يطفون على السطح في هذه الايام . اما ناحي العلي فسيبقى ، لان الفن العظيم سيبقى ، وفلسطين سوف يبقى لها مناضلوها الذين يدافعون عن قضيتها ، ولا يخشون الارهاب ، اي نوع من الارهاب وشكراً لكم .

كلمة الاخ نزيه ابو نضال

ناجي العلي وعبقرية البساطة

(١)

حين اطلقوا النار على ناجي العلي في احد شوارع لندن، في ٢٢ تموز ١٩٨٧ تساءلنا جميعاً:
من يقف وراء جريمة الاغتيال؟

كثيرون قالوا: ان الموساد «الاسرائيلي» هو القاتل، لان العدو الصهيوني يريد اخراس احد الاصوات المؤثرة والفاعلة في الشارع العربي والتي لاتزال تتحدث عن تحرير كامل التراب الفلسطيني وعن الثورة المسلحة وعن العمق القومي العربي للنضال الوطني الفلسطيني، ولان هذا العدو يريد الخلاص من هذا الطائر الغريب الذي لازال يغرد خارج السرب المدجن والذي يرفض كل منوعات السياسة السائدة والتسويات الرائجة.

اخرون قالوا: ان اجهزة عرفات هي التي تقف وراء الجريمة، لأن ناجي العلي ومنذ أن بدأ الانحراف السياسي في الساحة الفلسطينية مع طرح البرنامج المرحلي، ظل يخوض حربا يومية ضد نهج التفريط والاستسلام وضد كل رموزه السياسية والثقافية. وكانت سوابق اجهزة عرفات بتصفية ومطاردة اكثر من مثقف ومناضل فلسطيني وعربي تشكل براهين كافية لكي توجه اصابع الاتهام الى هذه الاجهزة.

اكثر من ذلك فقد تواترت معلومات متعددة ومؤكدة عن تهديدات جدية بالقتل وصلت ناجي العلي من اجهزة عرفات قبل اطلاق الرصاص عليه بأيام معدودة.

البعض الآخر ذهب الى اتهام اجهزة المخابرات العربية بارتكاب الجريمة لان ناجي العلي ظل على الدوام مشهرا ريشته في وجه مواقفها السياسية وممارساتها القمعية. وهكذا وجدنا ان اصابع الاتهام قد توجهت الى اكثر من طرف لدى سماعنا نبأ الاغتيال الفاجع. ولكن ماهي الحقيقة الآن وبعد مرور عام كامل على وقوع الجريمة وبعد ان توفرت معلومات مؤكدة عن هوية القتلة وعن الجهات التي تقف وراءهم.

ليس هدفنا هنا تمحيص هذه المعلومات للخروج بوثيقة اتهام، ولكننا نريد فقط الاتكاء على بعض المعلومات الثابتة للخروج باستنتاجات من نوع آخر.

(٢)

لقد بات مؤكداً الآن ان احد المتهمين الرئيسيين في ارتكاب جريمة اغتيال ناجي العلي بشار سمارة هو عميل مزدوج للموساد «الاسرائيلي» ولاجهزة عرفات، وبأنه على علاقة وثيقة بالمتهمين الرئيسيين اسماعيل صوان وعبد الرحيم مصطفى العضو المعروف في جهاز الـ ١٧ التابع مباشرة لياسر عرفات. فهل هذه الحقيقة حول هذا العميل المزدوج هي مجرد صدفة؟

ان الصدفة احياناً ترتقي الى مرتبة الضرورة، مما يجعل تساؤ لاتنا حول الجهة التي تقف وراء الجريمة واصابع الاتهام الموجهة الى اكثر من طرف تتوحد في شكل تساؤ ل واحد وجواب واحد وطرف واحد يأخذ هيئة عميل مزدوج لاكثر من جهاز يريد الخلاص من ناجي العلي.

فكيف يمكن تفسير هذا الاجماع الغريب؟ وهذه الصدفة التي تأخذ شكل الضرورة؟

لايحتاج المرء هنا الى عملية تفسير بوليسية لفهم ماحدث فالحقائق الموضوعية الكبرى تقدم لنا اجابة حاسمة في اكتشاف العلاقة الجدلية بين الصدفة والضرورة. . بين جهاز الـ ١٧ وجهاز الموساد ودون ان يكون هناك اية علاقة بين الجهازين

(٣)

ان منطق التسوية بكل تلاوينه وتدرجاته يقف من حيث الجوهر على أرضية واحدة هي ارضية التسوية الصهيونية. وكل من يقف بصلابة وفعالية في مواجهة منطق التسوية هذا هوعدو مباشر واساسي

لاصحاب حلف التسوية، ومهما بدا من خلافات وتباينات بين اطراف هذا الحلف. ناجي العلي كان صلباً وفعالاً في مواجهة التسوية السائدة بكل منوعاتها ورموزها ولهذا بات رأسه مطلوباً من الجميع. فهل تكون صدفة بعد ذلك ان تنفذ ذراع عميل في الموساد قراراً الـ ١٧ او العكس؟ ولكن لماذا ناجي العلي بالذات؟ فهناك العديد من الفنانين والمناضلين والمثقفين الثوريين الذين يقاتلون بضراوة ومنذ سنوات طويلة نهج التسوية السائد؟

هذا السؤ ال يضعنا مباشرة امام ناجي العلي الفنان وامام الدور الذي ظل يلعبه ولايزال سنين طوال.

لعل الكثيرين منا قد احسوا وهم يتابعون رسومات ناجي العلي اليومية بأنهم مرتبطون بمواقف وانتماء هذا الفنان وبخياراته السياسية بالغة الوضوح والحسم تجاه مختلف القضايا التي تمس حياة المواطن ومستقبل الوطن، حتى بات من الممكن القول بوجود حالة اسمها حزب ناجي العلي.

ان متابعي رسومات ناجي العلي الكاريكاتيرية قد باتوا يقرأون الصحيفة من الصفحة الاخيرة ولكن ليس بحثاً عن ابتسامة يبدأون بها يومهم مع قهوة الصباح وانما بحثاً عن الموقف الذي يحدده ناجي العلي من القضايا المطروحة وعن الكيفية الفنية التي يعبر من خلالها عن هذا الموقف باسلوبه الخاص الذي يجعلنا نضحك حتى البكاء او نبكي حتى الضحك، على طريقة شر البلية..

وعبر رحلته الفنية الطويلة التي تمتد قرابة الثلاثين عاماً خاض ناجي العلي من خلال الكاريكاتير معاركه اليومية على جبهات متعددة ضد كل اعداء الوطن والمواطن من براميل النفط الى اسواط الجلادين مروراً باصوات اشباه المثقفين والسياسيين المنحرفين انظمة ومنظمات وافراداً.

(٤)

ناجي العلي لم يكن يخشى أحداً أو يجامل احداً، ولم يكن لديه ماهومقدس سوى الوطن والفقراء والمقاتلين البسطاء. وكان هونفسه في حياته وسلوكه اليومي واحداً من هؤلاء الفقراء المقاتلين فلم يغادر ثيابه البسيطة ولغته الفلاحية وانتماءه العميق للمخيم، حتى في قلب مدينة لندن. وظل حتى اللحظة الأخيرة صعلوكاً عربياً حقيقياً، لايملك الا محبته للناس ومحبة الناس له، حتى توحد مع «حنظلة» ضمير الفقراء، وفي شخص واحد هاجسه الوحيد هو الوطن الفلسطيني ومستقبل المحرومين العرب. ولهذا كله لم يستطع اعداء ناجي العلي ان يجدوا أية ثغرة في حياته ومواقفه لينفذوا منها لتوجيه اتهاماتهم المعتادة بالارتباط والعمالة لهذه الدولة او ذاك النظام. بل ان مجلة «فلسطين الثورة» في قبرص حين ارادت مهاجمته قبل اغتياله بأيام لم تستطع سوى القول بأنه قد تطاول على القيادة الفلسطينية وبأنه قد تجاوز الحدود، ولكنها عجزت عن اطلاق أي اتهام بأنه يفعل ذلك لمصلحة طرف ما.

ولأنهم فشلوا في تشويه ناجي العلي شخصياً وسياسياً لم يجدوا سوى رصاص الاغتيال الجبان وسيلة لاسكاته. ان ملوك الثورة والثروة ماعادوا في ظل اوضاعهم الجديدة وفي ظل خياراتهم السياسية الخطيرة يحتملون همسة نقد بسيطة من احد فقد تضخمت ذواتهم الملكية بطريقة مرضية وسط مجموعة المنجرين والمصفقين من اشباه السياسيين والمثقفين، فكيف يتجرأ بعد ذلك هذا الصعلوك الفقير على التطاول على

الذات الملكية!! فكان ان ارتفع الصوت القديم مجدداً: «يامسرور اقطعوا رأس هذا الخوارجي».

ولكن مرة ثانية لماذا كان ناجي العلي يزعجهم الى درجة الموت؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات قتلوه؟

(٥)

خلال السنوات الاخيرة خضعت الساحتان الفلسطينية والعربية اوكادت لما يمكن ان يسمى بقانون الاواني المستطرقة فأخذت غالبية الانظمة والمنظمات تتماثل وتستوى داخل هذه الاواني المستطرقة وراحت تتكيف في ظل السائد السياسي وتلتحق تدريجياً وبالتتابع ببرنامج التسوية وبممثله (الشرعي) وغير الوحيد، تحت شعارات الوحدة الوطنية والتضامن العربي. وفي ظل عملية النفخ المرضية بالفلسطينية الاقليمية وبالقرار المستقل.

وكان من شأن هذا الانهيار السياسي شبه الكامل ومارافقه من مواقف وتنازلات جديدة في مختلف المجالات ان يعمق من حالة الفرز القائمة وان يصعد من حدة الصراعات والخلافات السياسية والفكرية.

ولم يكن الخصوم من السياسيين المنظمين، بفعل مجموعة ممارساتهم مؤهلين لا لتشكيل البديل الوطني ولا حتى للرد وتحريض الشارع الفلسطيني والعربي ضد النهج السائد.

في ظل هذه الأوضاع تزايدت اهمية وفعالية الدور الذي لعبه ناجي العلي الذي صعد من وتيرة هجومه اليومي ضد النهج السائد ولم يرحم الملتحقين به: منظمات واتحادات ومثقفين.

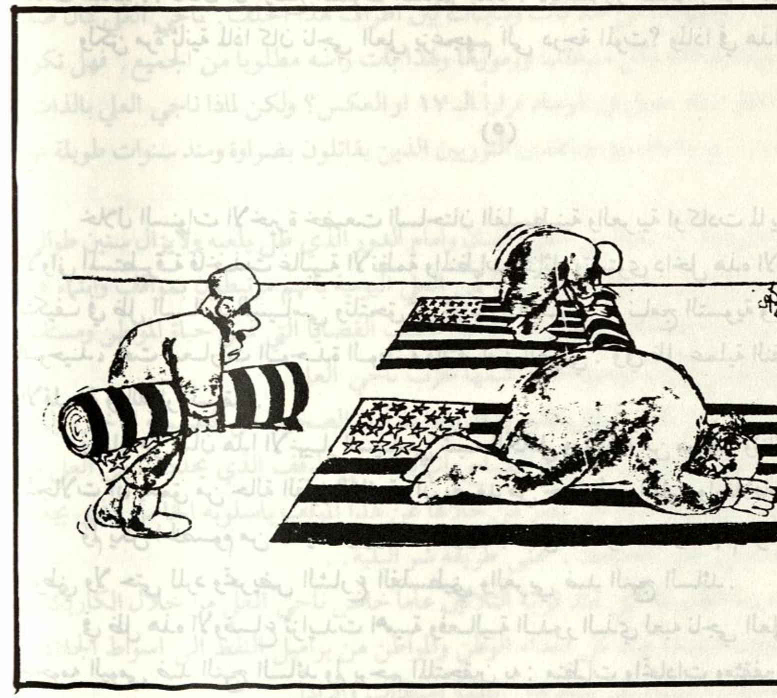
لقد شكل ناجي العلي ومعه حنظلة وفاطمة وزينب جبهة كاملة لمواجهة هذا النهج وبكل اصطفافاته الجديدة داخل الاواني المستطرقة الفلسطينية والعربية. فهل نستغرب بعد ذلك أن لانجد من بين هؤلاء، وحتى الابرياء منهم، من يتابع بمسؤولية وجدية جريمة اغتيال ناجي العلي وكشف ملابساتها حيث اكتفوا ببعض التصريحات والانتقادات الخجولة؟!

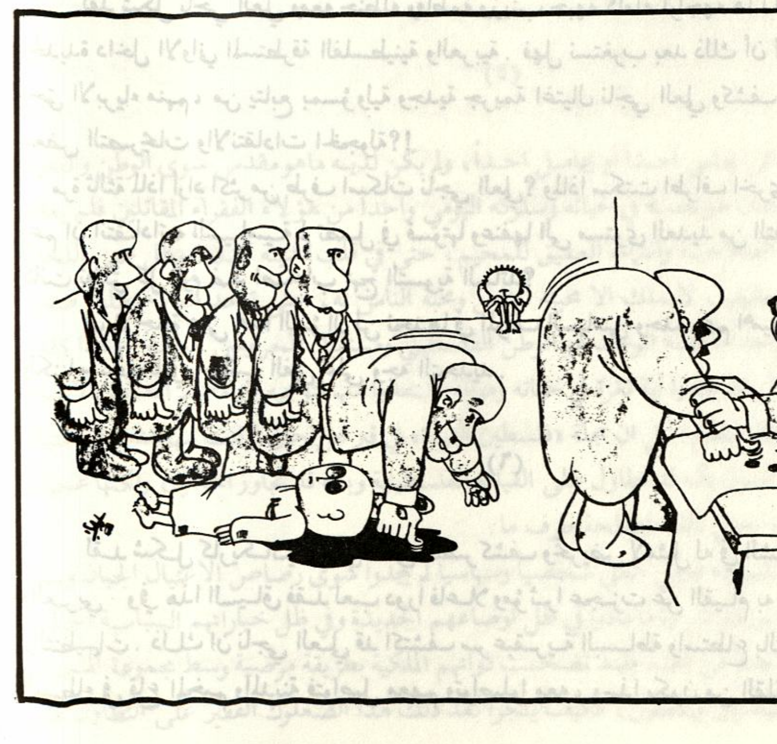
مرة ثالثة لماذا أراد اكثر من طرف اسكات ناجي العلي؟ ولماذا سكتت اطراف اخرى على جريمة اغتياله؟ رغم ان انتقاداته السياسية لم تصل في قسوتها وعنفها الى مستوى العديد من التصريحات والبيانات التي كانت تطلق كل يوم ضد اصحاب نهج التسوية السائد؟

ان الاجابة على هذا السؤ ال لن نجدها في الموقف السياسي وحده رغم اهمية وخطورة هذا الجانب، ولكننا سنجدها في الجانب الفني على وجه التحديد.

(٦)

لقد شكل كاريكاتير ناجي العلي عنصر كشف وتحريض لامثيل له في الشارع الشعبي الفلسطيني والعربي. وفي هذا السياق فقد لعب دوراً فاعلاً ومؤثراً عجزت عن القيام به العديد من الاحزاب والتنظيمات. ذلك ان ناجي العلي قد اكتشف سر عبقرية البساطة واستطاع بالتالي الوصول الى الناس البسطاء في قاع المخيم والمدينة فتواصل معهم وتواصلوا معه، وبهذا يكون من القلة النادرة التي استطاعت





ان تجد الحل الصحيح للمعادلة الصعبة وهي كيف يمكن للفن ان يكون فناً عظيماً وحقيقياً وان يصل في نفس الوقت الى الغالبية الساحقة من الجماهير الشعبية.

ان ابواب الفن جميعاً تغري اصحابها بولوج عوالم فنية جديدة وبتجربة اشكال واساليب مستحدثة تحت هاجس الارتقاء والتطوير الفني للاشكال والاساليب القديمة، لقد حدث ذلك في الشعر كما حدث في الرواية والقصة والفنون المسرحية والموسيقية والتشكيلية.

وفي معظم الاحوال فان مثل هذا الهاجس الفني يكون على حساب علاقة الفن بالجماهير وبمدى تحقيق الوصول والتواصل معها. ولايستثنى من ذلك الا الفنان الحقيقي الملتزم بهموم واهتمامات الفقراء والمحرومين والمشدود دوماً لقضية الفن المركزية وهي الوصول الى الناس وتغييرهم من أجل ان يقوم هؤلاء الناس بتغيير الواقع.

وكلما كان هذا الواقع بحاجة اكبر الى التغيير كلما كانت مسؤولية الفنان اكبر في توظيف فنه في معركة التغيير. فهل هناك واقع اكثر حاجة الى التغيير من واقعنا الفلسطيني والعربي؟

الفنان العظيم بابلو نيرودا اعطى لنفسه في فترة ما من فترات الحرية في التشيلي الحق بولوج عوالم الفن السحرية الجديدة، ولكن في اللحظة التي سقطت فيها بلاده في قبضة ديكتاتورية العسكر صرخ قائلاً: الآن علينا ان نلقي بترف الفن جانباً ونشهر سلاح الشعر. ولهذا بالضبط رفض ناجي العلي ترف الفن واصر أن تظل ريشته سلاحاً في معارك شعبه اليومية.

(٧)

ان من يتأمل كاريكاتير ناجي العلي يجده مرتكزاً على معادلة حسابية اومنطقية بسيطة وهي ان اقرب مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم، ولهذا نجده على الدوام يصل الى فكرته اوهدفه مباشرة بأقل عدد من الخطوط والتفاصيل والكلمات ودون أي هوامش اضافية اورتوش تجميلية لامبرر لها، حتى ان الكثيرين قد يخامرهم الاعتقاد بان ايا كان يستطيع بسهولة رسم مثل هذا الكاريكاتير. وهذا هو السهل الممتنع الذي يحقق الفنان من خلاله اعلى درجات النجاح الفني والجماهيري معاً.

ولكن ناجي العلي الى جانب ذلك حقق اعمالاً كاريكاتيرية بمواصفات جمالية وفنية مدهشة يمكن ببساطة تصنيفها كلوحات فنية مثل رسوماته عن بيروت وعين الحلوة والشهداء غير ان الاهتمام الجمالي هنا مرتبط مباشرة بمضمون الفكرة التي يريد الوصول اليها بالتأثير على وجدان المتلقي لاعلى عقله فقط، وذلك لكي يحقق التفاعل المطلوب بين هذا المتلقي وبين الموضوع الذي يتناوله الفنان وفي المقابل فان ناجي العلي حين يريد ان يتصدى لفكرة ما او شخص محدد فانه يلجأ الى الخطوط والتشكيلات البسيطة واللغة الدارجة احياناً كثيرة، ويدير بذكاء شديد لعبة المفارقات اللفظية والشكلية مثل «خيبتنا الاخيرة» و«حقيبة المسافر» وهو هنا يتعمد اضحاك المتلقى الى اقصى حد ممكن لأن الضحك هنا يساوي بالضبط السخرية المباشرة من الفكرة او الشخص الذي اراد ناجي العلي انتقاده او الرد على مواقفه.

لقد احاط الكثيرون انفسهم بهالات القداسة والاعجاب بسبب تاريخهم النضالي او الفني، وكان

من الصعب نزع هذه الهالات عنهم رغم مغادرتهم التدريجية لتاريخهم النضالي، ولكن ناجي العلي وحده كان قادراً على نزعها من خلال اثارة سخرية الناس من سياسات وممارسات اصحابها. وربما لهذا السبب بالذات اهدروا دمه.

(٨)

ظل ناجي العلي طوال مسيرته الفنية والنضالية نبعاً لاينضب من العطاء اليومي، وظل حتى اللحظة الاخيرة في حالة الاستنفار القصوى دفاعاً عن الارض وعن فقراء الامة ومقاتليها وسيفاً مشهراً في وجه اعدائها وقد دفع ثمن هذه المواقف جوعاً وتشرداً له ولاسرته.. الى ان قدم حياته نفسها دفاعاً عن مواقفه وقناعاته.

ان حجم العطاء الذي قدمه ناجي يفوق كل تصور سواء على مستوى الكم ام الكيف. وكان يدهشنا بقدرته الهائلة على العطاء اليومي، وخاصة في فترة كان يقدم فيها رسوماته لصحيفتين يوميتين معاً في بيروت والكويت..

وقد سألته في احد الايام اذا كان يجد صعوبة في رسم اكثر من كاريكاتير يومي فرد ضاحكاً: بل قل الصعوبة بايجاد الصحف التي تلحق علي ولعلمك فانني اقدم اكثر من رسم كاريكاتيري لكل صحيفة حتى تختار من بينها، لأن العديد من رسوماتي لايستطيعون نشرها لاسباب رقابية او سياسية.

وأضاف قائلاً: قد تستغرب اذا قلت لك بانني كلما رسمت اكثر انفتحت شهيتي على رسم المزيد وصعوبة الرسم تبدأ عندي بعد فترات التوقف او الاجازة فقط.

في ظل حياة الاستنفار الدائم التي عاشها ناجي العلي في قلب معارك شعبه اليومية حقق مايزيد على اربعين الف لوحة كاريكاتيرية لم ينشر الكثير منها حتى الآن. وهذه الرسومات لاتتصل فقط بالمناسبة التي رسمت فيها ولكنها تظل صالحة على مدار السنوات لانها تتناول ذات القضايا التي لاتزال تواجهها الامة في مختلف معاركها اليومية، ولهذا فاننا الان وبعد مرور اكثر من عام ونصف على استشهاده نرى العديد من الصحف والمجلات نواصل نشر انتاجه المنشور او غير المنشور، وكأن ناجي لازال بيننا ويخوض معنا معاركنا اليومية.

لقد توهم الذين قتلوا ناجي العلي بأنهم قادرون على التخلص منه بالرصاص، ولكن فاتهم بأننا لو نشرنا كل يوم كاريكاتيراً لناجي العلي فسنظل ننشر له لمدة تزيد على المئة عام، اي ان ناجي العلي سيتواصل حياً بعد موت القتلة بعشرات السنين.

(٩)

لقد عاش ناجي العلي نظيفاً وشريفاً ومقاتلاً وبسيطاً في صفوف شعبه واستشهد دفاعاً عن الارض والفقراء ولم يغادر حلمه الجميل بتحرير وطنه وبانتصار الجائعين والمحرومين في ظل احلك الاوقات، ولهذا

فان ناجي العلي بمسيرته الشخصية والسياسية والفنية سيظل حياً بيننا متواصلاً معنا وفينا رغم انف القتلة والطغاة.

ان الذين قتلوا ناجي العلي في لندن وازالوا تمثاله في عين الحلوة لايعلمون ان لناجي العلي تمثالاً حياً في قلب كل واحد منا.

وانني ارى الآن ابتسامة ساخرة على شفتي حنظلة وهويدير ظهره للقتلة ويواصل التقدم الى الامام.

كلمة الأخ خالد ابو خالد

تتجدد أهمية ناجي العلي، السياسية، والانسانية اثر كل تطور في حركة النضال الفلسطيني، كما في مواجهة عمليات غسيل الدماغ التي تمارس على المؤسسة الفلسطينية، ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بهدف تحويلها عن مسارها، ومنطلقاتها المتمثلة أساساً في ميثاقها الوطني من جهة وفي ممارسة المناضلين فيها، أو في اطارها لتحقيق هدف التحرير والعودة وتقرير المصير وبناء الدولة الديموقراطية على كامل الارض الفلسطينية من جهة أخرى.

والذين تابعوا رسوم ناجي العلي، يدركون أنه واحد من مؤسسي حركة النضال الفلسطيني المعاصرة، منذ أوائل الستينات، فمنذ أن كان يعمل في مجلة الطليعة الكويتية، وهو يؤهل خطوطه كي تلعب دورها في العلاقة الجدلية القائمة والحية بين النضال القومي على صعيد الامة العربية وعلى صعيد فلسطين..

وبمرور السنوات والايام، لم يتحول ناجي العلي، لا الى فنان «كاريكاتير ساخر» انما وجدناه فناناً يقدم اضافة هامة لفن الكاريكاتير الصحفي جعلته يحتل مكانة بارزة في هذا الفن متميزة ومختلفة، فهو يجمع بين مقومات اللوحة، والملصق والكاريكاتير، دون أن يكون أي منها منفرداً بل في سياقها جميعاً..

كما أن ناجي لم يتكلس عند حدود معينة في هذا الاطار، كما أنه لم يتحول الى فنان رومانسي عارض، أو عابر في تاريخ الفن، أو الصحافة بل أصبح عضواً هاماً، ومؤثراً في كل حلقة صحفية، أو ثقافية، أو ثورية ساسية على امتداد وطن بكامله.

ذلك لانه وضع نفسه في المواجهة دائماً من ساحة الصراع.. كان يدرك أن رسومه لها تأثير القصف على العدو، والقوى المضادة للثورة الفلسطينية، كما كان يدرك أنه مطالب بأن يتسلح بروح نبي من أجل أن يحقق القناعات التي أسس عليها خطوطه وفنه.

وعندما كون شخصية حنظلة، وأصدر بيانه باسمه، كان يدرك أنه انما يفخر في الصورة جوهرها.. الذي يرى كزرقاء اليمامة ويحارب كعنترة، وعروة بن الورد، بالرغم من أن سلاحه هو الريشة، والصدر العاري والنحول الذي يحمل دلالة الانتماء الى فقراء الشعب، وفقراء الامة..

وفي أوائل السبعينات، بدأت الصورة العامة تفرز نفسها في المشهد أمامه.. بدأ يقرأ، ويسمع ويرى، أن هناك استقطاباً جديداً في ساحة الثورة الفلسطينية يستهدف جرها بمجملها الى برنامج التسوية المؤسس على أوهام امكانية التعايش والتفاوض، والتصالح مع العدو الذي يحتل الارض ويمارس القتل المدني والسياسي لكل الذين يقاتلون من أجل فلسطين، أو يعيشون على أرضها.

وراحت رسومه تتخذ طابع الانذارات، بحركة أكثر من الايماء، وأبعد تأثيراً، وبدأت القوى المضادة للثورة تنتبه لناجي، ولتأثيره على المواطن في المخيم الفلسطيني، وعلى المواطن العربي في الوقن ذاته، فتعرض أثناء وجوده في بيروت الى حملة من الضغوط البوليسية الفلسطينية التي استهدفت تحويله عن قناعاته أولاً، وترويضه ومن ثم توظيفه بالتالي، في نهج غريب عنه وعن وعيه وثقافته ومسلكيته.. وكان الرحيل عن بيروت رحيلاً في السياق العام للرحيل الفلسطيني، لكنه لم يذهب الى المنفى الذي حلم به الآخرون..

واختار العودة الى متابعيه في الكويت على وعي منه بأن الصحافة هناك مازالت تملك مساحة من الهامش تتيح له مواصلة التعبير عن هموم شعبه وأمته ومواصلة مواجهة الطروحات اتي ازدادت فاعلية وتأثيراً فيما يتعلق باستمرار الثورة على نهجها وبرنامجها الاصيل، والتي تستهدف بعثرة، وشرذمة القوى الفلسطينية في وقت هي أحوج ما تكون فيه، الى الوحدة والتماسك ومواصلة برنامجها في تطوير قدراتها، على طريق التحرير.

تلك هي اذن الاهمية الثقافية والتاريخية والفنية لناجي العلي، في حياته، وهي الاهمية التي ترتدي بعداً في الزمن، وبعداً في الثورة بعد استشهاده الذي رسم علامة فاصلة في التاريخ الراهن للثورة، وحدد أن قتلة ناجي العلي ليسوا فعلاً مع فلسطين، وهم في الخندق المعادي لها بالمحصلة، مهما رفعوا من شعارات، وأن وجود عناصر للموساد في أجهزتهم، لاينفي مسؤوليتهم عن القتل الذي تعرض له الفنان العظيم..

وتشهد رسوم ناجي العلي، تلك التي نشرت قبل استشهاده بكثير، أو بفترة قصيرة أن أصحاب المصلحة الحقيقية في قتله، هم أولئك الذين يخشون ما تحدثه رسومه من تحول في الرأي العام الفلسطيني، والعربي، تجاه اطروحات وأوهام التسوية.

لقد رسم ناجي العلي ملتقطاً الاتجاه الرئيسي الكامن في حركة الشعب الفلسطيني وثورته من الكفاح المسلح.. الى الكفاح بالحجر، والى مساحة الكفاحات الفلسطينية المركبة، في مواجهة العدو المركب من العدو الصهيوني، والعدو الامبريالي والعدو الامريكي، والعدو المتمثل بالقوى المضادة للثورة، أو المتمثل بقوى وعناصر الثورة المضادة فلسطينياً وعربياً، وظل يردد بينه وبين أصدقائه وزملائه، كما في رسومه، بأن الكلمة والخط هما سلاحان لايقلان أهمية عن البندقية، والمدفع، والصاروخ، وأن قدره - وهو مقاتل المغاوير القديم، في «الثورة اللبنانية عام ١٩٥٨ - أن يقاتل بريشته هذه المرة، وبريشته وحدها، لانه مقتنع بأن لكل انسان، ولكل أداة دزرها في حرب الشعب.

ناجي العلي، وبعد عودته من فيتنام ولاوس وكمبوديا عام ١٩٨١ وبعد أن شهد الاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢ أصبح مقتنعاً أكثر، بأن هزيمة العدو ممكنة، ومتاحة اذا ما توفرت العوامل الفلسطينية والعربية لتحقيق ذلك كما حدث في فيتنام، ولاوس وكمبوديا.. وأن الانتصار على العدو المباشر مشروط بالثبات على الموقف الوطني المستقل للثورة واسقاط الطفيليين فيها من خلال صراع الخطوط.

وكان يدرك أن غياب الديموقراطية في الساحة الفلسطينية لاتؤكده الاقوال بأنها واحة ديموقراطية، فقد كان يرى بعينيه مقدار القمع والاستلاب الذي يتعرض له كتاب، وصحفيو، وشعراء فلسطين تحت شعارات الشرعية..

ولكنه وبالرغم من كل ذلك، ناضل، بشجاعة، وبسالة نادرتين وكأنه في «هايد بارك» وهو يدرك أن القتلة يلاحقونه من شارع لآخر، ومن بلد لآخر، وأنهم في النهاية سوف يقتلونه.. لذلك كتب وصيته أكثر من مرة في رسوماته.. واتصل قبيل مقتله بجهات فلسطينية يضعها في صورة ما يتعرض له من تهديد بالقتل..

لكن ناجي العاري الصدر لم يخف، ولم يرتعش وواصل التعبير عن حركة نضال شعبنا، وعن ايقاعاتها الاساسية، فاضحاً كل الاتجاهات التي تستهدف، اخراج هذا النضال عن مساره الصحيح، مهما تسترت، أو مهما رفعت من شعارات.. ولانه فعل ذلك قتل..

لكن قتل ناجي العلي، والقرار الذي اتخذ بدفنه تحت ضباب لندن، لم يمنعا تأثير موقفه، واستمرار هذا التأثير في الساحة الفلسطينية.

ورفعت عدة من لصحف والمجلات، صورة حنظلة شعاراً لها.. كما واصلت صحف عربية وفلسطينية نشر رسومه، تماماً كما كانت تفعل أثناء حياته، مما يحمل دلالة هامة على أن لناجي العلي، ومواقفه السياسية الشجاعة أهميتها حتى بعد أن استشهد..

ولقد أضيف بعد استشهاده ذلك الاثر الذي أحدثه أيضاً على الصعيدين الفلسطيني والعربي، بأن أصبح ناجي العلي شخصية ثقافية عالمية، تكتب عنه الصحف والمجلات في العالم كله، كما تنشر رسومه وكتيبات عنه كل القوى المساندة لفلسطين على مستوى نضالي ومتميز، ويحظى كل يوم بالمزيد من الاحترام..

من هنا يغدو القول بأهمية ناجي العلي حياً.. وأهميته شهيداً، موضوعاً جديراً بوضعه في سياق حركة النضال على المستويات الفلسطينية، والعربية، والدولية، مما يؤكد الانطباع القديم، بأن قتل المناضلين لايلغي أثرهم، خاصة اذا كانوا على هذا المستوى من التأثير في عقول وقلوب الجماهير..

ولسوف تظل رسوم ناجي العلي، الشاهد الاكثر حسماً ودلالة على روح مناضل شعبي عظيم، قاتل أعداء شعبه بالريشة وبالصدر العاري.. كما ستبقى واحدة من أدوات المجابهة الهامة لمجمل مشاريع التسوية على الصعيدين الفلسطيني والعربي الى وقت طويل..

تعبيرات المعتقد الشعبي الفلسطيني

عوض سعود عوض*

تصحو الذاكرة المسافرة عبر الزمان، يستيقظ الماضي، يتدفق ينبوع الارث الاسطوري إلى تعاويذ بشموعه وتمائمه، وتلفك ذكريات البخور برائحتها، ويسلمك إلى تعاويذ الطلاسم وترانيم النسوة وتغريدهن، فينتشر في سماء خيالك سحر الكلمة، وفجأة تتوهج في الصدر الرهبة، وتخيم البهجة، فتهرب الآلام والأوجاع، وتنير الفرحة القلوب المحبة.

لوسألت عن الكون والانسان والحياة، لوجدت ذلك مجموعة من الأساطير والخرافات تتولد مع العشق.. ذات يوم خرجت الحوتة من مياه المحيط، واتجهت إلى السماء وكلها أمل بلقاء حبيبها. في فؤادها خبأت مقطوعة ستغنيها له، ثم تعود ساحبة إياه، ونتيجة ذلك تغرق الأرض في الظلمات، ويتحول قمرها لانارة عالم البحار والمحيطات، لكن هذه لم تمر، إذ كشفت الطبيعة محاولة التهام بدر السماء والامساك بشموعه. فاصفرت أوراق الأشجار ونامت الرياح والغيوم والأمواج، وهرعت الأسماك إلى الشاطىء، وخرج الناس مذهولين خاشعين وفي قلوبهم لوعة، وقتها بدأت مظاهر الاحتجاج، فامتزجت أصوات الموسيقا بالصراخ والرصاص والطبول، خافت الحوتة، واتجهت الى اليم تخفي رأسها في عالمها الواسع العريض، تخبره بما حدث، فتبكي البحار عشيقها، في حين تكون هذه لحظات عودة الحياة وهزيمة الظلمة. يفرح الناس يدبكون ويغنون، وتزقزق العصافير شادية، وتفتح الصبايا النوافذ لعذوبة الحياة، مطلقات في لحظة الابتهاج ملايين الزغاريد. بينما القمر يسرح في البراري يوزع بسماته، ويتراقص نوره في

* باحث في قضايا التراث وروائي من فلسطين.

كل مكان، إنه اليوم أكثر اعتزازا وقوة، ولم لا فالانسان صانع الحكايات سيظل إلى جانبه.. في هذا الوقت تطل الحوتة من جديد ترقب حبيبها، وتغني أغنيتها، فتسمع ألف تنهيدة، تهرب إلى القاع تحمل لوعة الفراق، وتنتظر الفرصة من جديد، وهي تحلم بقمر ينير ظلمات البحار.

المعتقد الشعبي ظاهرة حضارية، لأنه يعبر عن تكيف الانسان مع البيئة الغامضة في حدود ثقافته ووعيه، وهو يكشف جوانب الأمة، لأنه يحمل ارثها، إنه لغتها التي تنطق بحضارتها، وأصالة مافيها، يعبر عن كل ذلك بالقول والعمل، في لحظة التقاء الماضي مع الحاضر، والتقاء الفكر والخيال بالخرافة والواقع، وهو دعوة لاستمرار الحياة، ومحاولة لفهمها وتسخيرها، وهذا ما دأب الانسان على فعله.

المعتقد خلق انساني، وجد نتيجة عجز الانسان تفسير الظواهر الحياتية والكونية، راسخ في الفرد والجماعة، إنه صار جزءا من فكر الانسان وثقافته، ولعلاقته بالوضع الاجتماعي والاقتصادي والصحي والنفسي والثقافي.. فإذا تملكك شعور بفعل أو قول شيء ما، وحسبت ألف حساب لعدم القيام به، فإنك تكون أمام رهبة المعتقد، هذه الرهبة التي هي مزيج من رحلة العذاب والأفراح، عبر الدموع والابتسامات.

المعتقد بقايا خرافات وأساطير اندثرتْ، فبقي أثرها حتى يومنا، أو بقايا دينية أو وثنية لها علاقة بمستوى الناس الذين يؤمنون بها، وفي المعتقد ما في حياتنا، فمثلا الماء والنار هما أداتا التطهير، فلتطهير شخص ما وجب حرقه، وهذا مؤجل للآخرة، وهو من اختصاص الاله، أما تطهير الانسان في الحياة الدنيا فعن طريق الماء.

وفي فلسطين تنتشر المعتقدات المتوارثة منذ الحضارة الكنعانية، والحضارات الأولى في التاريخ، إذ يسود الاعتقاد بالقوى السحرية والنذور والأدعية المبنية على التواكل والقسمة والنصيب، وفي المثل الشعبي: «تركض ركض الوحوش، وغير نصيبك ما تحوش أو «تجري جري الغزال، غير نصيبك مابتنال».

المعتقد في جذوره مبني على مزيج من تفاعلات قوى الخصب والعطاء، الموجودة في الأشجار والنباتات والمرأة والماء، هذه القوى التي هي ركن أساس في فولكلورنا، وكذلك «الفدو» المرتبط باسالة الدم أو تقديم التضحية، خوفهم من افتقاد أول من يدخل المكان، لأن المكان هو ملك لمخلوقات العالم السفلي قبل سكنه من الانسان، فتذبح الذبائح عند الانتهاء من بنائه، كما توضع أغصان خضر أو نقود فضية تحت عتبة البيت، لاعتقادهم أن ذلك فيه الخير والبركة، وهو استمرار لهما. و«الفدو» يقدم للالهة لقوى الخصب وخاصة الينابيع، ففي حكاية «حشيش بنت العرب» الغول يحجز مياه النبع، ويطلب كل عام فتاة.. إضافة إلى ذلك هناك الجزء الذي يأخذ صفات الكل، فمثلا عظم الحيوان الموضوع على صدر الوليد له قوة الحيوان، ولقطرة الدم قوة الانسان. وهو (أي المعتقد) مبني على المصالحة ما بين قوى الشر والخير، وتوزيع الأدوار ما بين عالم سفلي وعالم الانسان، أما الحديث عن جان خطفوا امرأة، أو عن مصاحبة انس لجنية أو العكس، فهي حالات يعم السيطرة عليها وحلها بالطرق السحرية وبرضاء الطرفين. وأنا أرى أن مثل هذه الحالات، جذورها تدل على عدم تلاؤم الفرد مع بيئته، وعجزه عن تحقيق علاقة متوازنة وجيدة مع الجنس الآخر، لهذا يضطر الى تخيلها، ثم الايمان بأن علاقة ما جرت مع غير عالمه.

المعتقد جزء من الفولكلور المبني على تفوق الرجل على المرأة وادانتها، لأن له دورا مهما في صنع هذه

المقولة، ولأنه الأقوى، وهنا لابد من الاشارة إلى أن جذور معتقدنا قديمة قدم الانسانية، وفيه «أي في المعتقد» تتحدد انسانية الانسان بعمله للخير، وعندما يحيد عن هذا الطريق، يتحول عن هذا الطريق، يتحول الى حيوان أو جماد، فإذا كان مظلوماً، فإن المصادفة وسير الحوادث وحدها كفيلة باعادته الى انسانيته، فينتصر دائماً الخير. . وفي المعتقد تناقض وتضاد كما في الحياة، معتقدات داله على الليل وأخرى على النهار، الخير والشر، الانس والجن، واليمين واليسار. في المعتقد الشعبي ترتبط الكنوز بقوى الخصب كالاشجار والخرائب، على اعتبار أن الخرائب صورة عن حضارة قديمة، والشجرة رمز للخصب والحياة. أما أماكن تواجد الجن فهي الكهوف والمغاور وأحيانا البيوت المهجورة والمتهدمة، إضافة إلى مسكنها الأصلي وهذا العالم السفلي.

المعتقدات المتعلقة بالأسرة:

الرجل والمرأة هما عماد الأسرة، والمرأة كما في المعتقد مخلوقة من أحد أضلاع الرجل، وهذا يعني أنها جزء، وبما انها كذلك فلا يحق أن تمتلك حقوق وصفات الكل، ولهذا فمسألة خضوع المرأة للرجل في ظل هذه المقولة مسألة طبيعية ومنطقية، لايحق لها أن تكون كالرجال من حيث الوراثة واداء الشهادة، ولذا فالرجال قوامون على النساء ومسؤولون عنهن. كما تحتاج الحياة الخشنة «الرعوية والزراعية» إلى قوى عضلية لاخضاعها، والفاعل الأساس الرجل، ومع هذا كانت المرأة طوال العصور الماضية عاملة، وعلى الرغم من ذلك فقد نشأت بعض الثقافات المتصارعة بحقها، لكن هذه الثقافات لم تنصفها، وكان نتيجتها أن قرر الرجل السيادة على الأسرة دون منازع، في وقت توصل فيه إلى وحدانية القيادة. وليس هذا فقط بل عمل صانع الأفكار والمؤثر عنها، الحط من مكانة المرأة، مما أدى إلى الاعتقاد انها آثمة ولو لم ترتكبْ أي عمل منكر، وهذا نابع من دورها والقصص التي تروى عن آدم وحواء، مع أن هذه النظرة فيها نكران لذاتها واسقاط لدورها، ولم يقفْ الأمر عند ذلك، بل تعداه، اذ اعتبر أن المرأة نجسة من مسها فليتطهرْ.

من هذه الثقافة جاءت المعتقدات الشعبية، ومنها التي تصف المرأة الحامل بأنثى، كيف يصير ظهرها عريضاً وبطنها متدلياً، فتفقد جزءاً مهماً من جمالها نتيجة دلائل الحمل، في حين لاتظهر هذه العلائم عند الحامل بالذكر. كما تظهر هذه المعتقدات في حركة الجنين داخل بطن امه، فيقال ان حركة ناعمة بشكل انسيابي، اما الانثى فتكون حركتها على شكل دقات او نقرات، وحتى عندما استخدم الانسان الطرق البدائية لمعرفة جنس المولود في نهاية الحمل، يظهر الانحياز، فمثلاً عندما تضع الحامل بضع نقاط من حليبها على خيط حرير، فإن النملة لاتجره لان المولود أنثى، بينما تسحب الخيط اذا المولود ذكراً. أو تضع نقطة حليب في كأس، فإن طفت على سطح الماء فالجنين انثى اما اذا رسبت فالجنين ذكر. ومثل هذه الطريقة يستخدمها الرجل بوضع قليل من مادة الاخصاب، في وعاء، فإن طفت فالنقطة المنوية لاتنجب.

يعلق المعتقد اهمية كبرى على الانجاب، فالمرأة التي انجبت صبياً يقال فيها «انها دقدقت أوتادها في البيت» حتى وان تخاصمت مع زوجها فإنها عائدة إلى بيتها «أم القاعود على الدار بتعود». اما انجاب الانثى فتحمل المرأة مسؤوليته، اذ يقسم زوجها يمين الطلاق، ان هي فعلت ذلك، وأنجبت بنتاً أخرى. .

ولاستمرار انجاب الذكور، تتناول المرأة بعض انواع الطعام، التي تساعدها على خلفة الصبيان، فيقدم لها ديك تأكل بيضاته، أما التي تلد الانثى فيطعمونها لحم العجل حتى تغير من بنات لذكور، وهذا عائد لتقديس العجل ولأنه رمز الفوة. وأحياناً يقدم لحم الخروف والبيض الملون ومعه الزبدة لمن وضعت الصبي اكراماً لها، بينما يقدم بيض بقشره لمن وضعت بنتاً.

وتقول الاغنية في ذلك:

بطن جاب الزباري
اطعموه لحم ضاني
واطلعوه عالعلالي
بطن جاب البنية
اضربوه بالعصية
اطعموه لحم بايت
ولاتقولوش خطية

أما المرأة التي تلد توأمين، فينظر على انها ملاك مقدس، فعلى سبيل المثال، اذا وطئت ظهر شخص التوى شفي تماما. نتيجة النظرة المختلفة لكل من الذكر والانثى، يعامل المولود معاملة خاصة حتى في سير حياته ونموه الجسماني، فعليه ان يقعد وهو في سن اربعة اشهر اما البنت فلو لم تقعد وهي ابنة ستة اشهر، وجب تركها حتى تقعد وحدها، وفي هذا السياق يقال: «ابن اربعة ربعوه وان ماقعد اصفعوه، وبنت ستة ستوها وان ماقعدت لاتغصبوها» من هنا فان فطام الانثى بعد سنة ونصف اما الذكر فبعد سنتين كما في «البنت سنة ونصف واجرك على الله». حتى القابلة تنحاز، فإذا قالت «صلين على النبي» فالمولود ذكر، اما اذا قالت «الحمد لله على سلامتها» فان سلامتها هنا أهم من المولود، في هذه الاثناء تدق احدى النسوة في الحبل العسري، فاذا احتوى حبيبات كروية، فالمولود القادم ذكر. وتفسير ذلك ان الدائرة اكمل الاشكال الهندسية ولأنها تعني الحماية الالهية لذا فوجود دوائر يفسر بشكل ايجابي، وعدم وجودها يعني العكس.

النظرة الى الانثى تشمل الاقارب، فاذا كانوا من جهة الأب، فان لهم فاعلية اكثر من أقارب الام بما لايقاس، فمثلاً اذا وضعت العمة اصبعها على لثة الطفل، لتحس اسنانه داعية «انا العمة اخت الاب هوينات ولينات» فان الطفل يسرع في اخراج اسنانه، اما الخالة فعكس ذلك حيث يقولون «العمة بتخلي العظام ملتمة، والخالة بتخلي العظام نخالة» وفي هذا الصدد يقال ان البنت كعمتها في الاخلاق، والجمال لقولهم «خذو البنات من صدور العمات».

المرأة التي لاتنجب لاتضمن استمرار حياتها مع زوجها، لذا فالحمل والانجاب ضمان لاستمرار الحياة الزوجية، وعلى الحامل ان تتقيد بما يضمن صحة الجنين، عليها ان لاتتقلب في النوم، حتى لايختنق الجنين لاعتقادهم ان امعاءها تلتف على رقبته، لذا عليها بالجلوس اولا ثم تغيير اتجاه نومها بهدوء.

إن مطالب الحامل واجبة التنفيذ مهما كلف الامر، لان الذي تتوحم عليه يظهر في جسم المولود، كما عليها ان ترتاح طوال فترة الحمل، وخاصة الاشهر الأخيرة، لان ذلك يؤثر في صحتها، ويؤدي الى نتائج

سيئة تطال المولود، كالاسقاط والمرض. . واحياناً تعرض نفسها للسعة العقرب، لاعتقادهم ان العقرب اذا لسعت الحامل، فان وليدها لايتأثر من لسعتها ابداً.

المعتقد يتجلى في العرس، فايقاد النار والفدو والغناء والرقص، يمكن أن تختفي كلها بعد فض البكارة، لان العروس تكون قد تجاوزت مرحلة الخطر، وهي مرحلة يخشى ان يعتدي عليها أحد من سكان العالم السفلي، الذين لايرون. ولهذا السبب ولغيره تمسك وقت زفافها مذراة ملبسة، لرد العين والاذى، وكذلك لتلقي الضربات نيابة عن العروس، وفي بعض القرى تحمل سيفاً تشهره امام وجهها، ليرد ويدافع عنها. وخوفا من ملاحقة موكب العرس، لايجوز أن يعود ـ الموكب ـ من الجهة التي ذهب منها. . في بعض المناطق زيادة في الاحتراس، يوضع على عتبة البيت سيف وصحن وماء، فتدوس عليها العروس، كما أن كسر بيضة على رأسها يعطيها المناعة، لأن للبيض قوة بعث وحياة. تلجأ العروس الى تحصين بعض مناطق جسدها بالحنة، لما لها من دور في رد الأذى، لذا فهي تحني يديها ورجليها. في اليوم التالي تذهب العروس الى العين تملأ جرتها، حتى تمتلي هي أيضاً، لان للماء قوة عطاء وحياة.

ومن المعتقدات الخاصة بالزواج عدم قطع الزوجين للنهر لمدة اسبوع حرصاً على نسلها وفي العرس تتزين العروس بعرق زيتون اخضر، ليكون قدومها قدوم خير، لان الغصن الاخضر رمز للعطاء والجمال والحب. وقبل دخولها غرفة الدخلة، تمسك عجينة وتلصقها فوق باب البيت وأحياناً في صدر الغرفة، لتظل حياتها مستمرة مع زوجها، لأن العجينة رمز للعطاء، تكبر وتنتفخ والمرأة كذلك عندما تحبل.

ان العرس والتضحية هما ضمان لحياة واستمرار الزواج، اذ لولا ذلك لتعرضت العروس الى اعتداء في ليلة زفافها، وكثيرة هي المرويات الشفوية التي تذكر ذلك. وهذا يندرج تحت عنوان معتقد الامكنة المسكونة، وفي هذا المنطلق على الزوج ان يبسمل قبل جماع زوجته، حتى لايسبقه ابليس الى جماعها، ويكون ابنه «ولد حرام».

المرأة وظيفة اجتماعية اقتصادية وظيفتها الأولى الانجاب ومساعدة زوجها. اما العمل بشروطه الانسانية، فليس من حقها، ولم يكن متوفراً. ان انجاب الاطفال ورعايتهم هما محور حياة الاسرة، ولهذا نشأت العديد من المعتقدات التي تهدف الى تحصين الطفل وتنشئته وحمايته. ويلعب الزيت والملح دورا في تحصينه، لان في الزيت قوة إخصاب وتوالد، أخذها من شجرة الزيتون المباركة، اما الملح فهو طعام الالهة، يطهر الجسد ويباركه، وبضع نقاط منه ـ الماء المملح ـ ضرورية حتى لايصير الطفل وقحاً.

إذا تعسرت الولادة، تلجأ النسوة الى الرقى والتعاويذ، يكتب على صحن العبارات التالية «حنة جانب مريم» ومريم جانب عيسى، اخرج أيها المولود، بحق الرب المعبود «تختلط هذه الكتابة بماء الصحن، وحين تشر منها، تفعل فعلها. او تحضر كمية من تراب مقام ولي، وهي كافية لتخفيف آلام الوضع، لأن للتراب قوة الوليد، وفي هذا المجال فإن نخوة الخضر أبي العباس لها فعلها أيضاً، بالاضافة الى حملها للحجاب الذي يمتلك قوة سحرية وخرافية.

ومن المعتقدات المتعلقة بالطفل:

* الأم لاترضع صغيرها وهي متعبة أو نائمة، حتى لاينتقل التعب اليه وعلائمة الاسهال، أما علائم

ارضاعه وهي نائمة اصفرار جسم المولود.

* تحمم الام طفلها وعمره اربعين يوماً، وهي لاتحممه لانها في مرحلة النفاس وخوفها على صغيرها.
* تلحيس الطفل السمنة البلدية، ينظف معدته وامعاءه من الاوساخ التي فيها.
* إذا ضاع شيء من ملابس الطفل واخذته امرأة وعرفت لمن الثياب ولم ترجعها، فان الطفل يمرض.
* اذا مرض المولود في ايامه الاولى، فتفسير ذلك ان امرأة حائضا زارته.
* المحافظة على صرة الطفل حتى لايصيبه المرض والموت، فتوضع في حائط ويطين عنها، او توضع بمخدته، او يحفر لها وتطمر بالتراب. . كما توضع المشيمة في مكان آمن حتى لاتعير المرأة عاقراً.
* عدم اخراج المولد حديثاً قبل الاربعين يوماً، فاذا اضطر الاهل لذلك، يضعون على صدره رغيفاً حتى لايخر نجم عليه، وفي هذا علاقة مابين الفدو والرغيف، كذلك ينصح ان لايرى النجم أي أثر للطفل، فلايبقى الغسيل منشوراً حتى طلوع النجم، لانه يؤدي إلى ألم في ظهر المولود.
* المولود اذا ابتسم، فانه بعنته هي التي تلاعبه.
* يظل المولود في سرير فاطمة ابنة الرسول حتى تقص اظافره او اذا حنيت يده، لأن للحنة مفعول سحري يرد الشر عن الطفل.
* اذا رسم صليب بين عيني الطفل، فانه يرد عنه الشر والعين، لانهم يعتقدون ان الخط العامودي النازل من الاله، يقطع الشر، ويشكل حماية له.
* يعتقد ان الطفل الذي يولد في المستقرضات، وهي الاربعة ايام الاخيرة من شهر شباط والثلاثة الاولى من اذار، يظل معتل الصحة، كذلك فان الممارسة الجنسية في هذا الايام غير مستحبة. وهي غير مستحبة اثناء الدورة الشهرية حتى لاتلد طفلاً مشوهاً.
* يلجؤون الى الطفل لاستقراء امر ما، فمثلاً يطلب منه رفع احدى رجليه، فان رفع اليمين فهذا فأل حسن اما اذا رفع اليسار فهذا فأل سيء، شريطة عدم معرفة الصغير للجهات.
* عند تبديل الطفل لسنه، يمسك بها ويرميها الى الشمس لاعتقاده ان الشمس ستهبه افضل منها، قائلاً «ياشمس ياشموسه، خذي سن الحمار، واعطيني سن الغزال، من اسنان اولادك الصغار».

المعتقد والطب الشعبي:

يعتقد العامة ان المرض هو لعنة من الاله، وأسبابه متعددة، فقد يصاب الانسان بالعين، وذلك لما للعين من مفعول سحري، وللخلاص من آثار الاصابة بالعين، يلجؤون الى طرق بدائية كالرقية، وهي تعويذة تستنجد بقوى ماوراء الطبيعة، لأن «العين تأخذ حقها من الحجر» والعين التي تترك أثرا سيئا هي الزرقاء، ولاتقائها يضعون الخرزة الزرقاء او الاحجار وبعض الحجب، لقدرتها على رد الشر، لان الله استعان بالاحجار وقبض عليها وهو يستكمل الخلق. من هنا فالحجارة في الخاتم تجلب الخير والبركة والرزق، وبعضها يشفي من الامراض، لذا فالام تخيط الاحجار والخرز وكذلك الحجاب على صدر الطفل او على غطاء الرأس. مع كل هذه الاحتياطات اذا أصيب طفل فيجب التخريج عليه بدعاء خاص يطالب

العين ان تكف عن افعالها السيئة، فاذا لم تفلح هذه التحويطة، فالام تحرق ولو خرقة من اثر الذي تشك به، وهذا يعني ان اخراق الاثر سد احراق الشخص ذاته وتطهيره. فاذا ظل الطفل مريضا، ولم تنفع كل هذه الوسائل، فمعنى ذلك ان الام لم تستطع أن تعرف من اصاب صغيرها بالعين الفاجرة»

عندها تقوم بسكب الرصاص الذائب في وعاء موضوع فوق رأس الطفل، لترسم شكلا ما يعتقد أن هذا الشكل تجسيد لمن أصاب طفلها، وتفسير ذلك ان سكب الرصاص في الماء يطهر من كان سبباً في مرض صغيرها. احيانا تستخدم الام شعير المولد في حال توفره ـ لانه شعير مقروء عليه مولد النبي ـ كرقية ضد العين تمزق قسم منه.

ان تقديس الخرز والاحجار، يعني أن الحضارة في بلادنا، لم تستطع الى حد ما تفسير المرض والكوارث الطبيعية وغيرها تفسيرا صحيحاً، لكن حتى مثل هذه الثقافة على الرغم من رجعيتها، فان الانسان لم يتوصل اليها، الا بعد ايجاده نظريات لنشوء الكون والخلق، وهذه كانت القاعدة العريضة التي استندت عليها الانسانية في تطوير نظرتها. ان الفكر الانساني في مرحلة ما هو الذي قدس بعض الحيوانات والجمادات، لا لانها مقدسة بل لان فكره هو الذي قدسها. وفي معتقدنا الشعبي هناك بعض الخرزات المقدسة التي يعتبر وجودها في البيت ثروة، مثل خرزة (الحصار) عندما يصاب الطفل بمرض يسد المجاري البولية، خرزة (الحليب او الذرة) لدر الحليب وخرزة (المحبة) ليظل زوجها متعلقاً بها. وفي الحكاية الشعبية استطاعت الخرزة حماية جبينة من عبدتها، طوال وجودها في عنقها.

تضع الام عظماً صغيراً يسمى «عظمة الذيب» للمذيب اي لمن يسعل ويخرج صوتا كعواء الذئب، وهنا واضح ان عظم الذئب، له قوة الذئب، لهذا يعطي الحماية للطفل، احياناً تخيط الام عودا صغيرا جدا من غصن شجرة على كتف او طاقية الصغير، لشفائه من المرض، او لتحصينه لان للعود ما للشجرة من مفعول ـ له قوة الخصب والتوالد التي هي في تضاد مع المرض، والاعتقاد بقدرة الاعشاب وبعض النباتات على الشفاء من المرض، قائم على مبدأ الخصب والتجريب، ففي الاعشاب والنباتات البرية روح الخصب التي تتغلب على المرض اضافة الى استخدامها اليومي واستنتاج بعض ميزاتها. واشهر هذه النباتات المرمية، اذ يعتقد ان ستنا مريم جلست جانبها، فانعشتها رائحتها، فقالت لها «كوني مباركة الى الابد» ومنذ ذلك الحين عرفت تلك العشبة بالمريمية، ومع الزمن صرفت الى مرمية او مرمرية.

اعتقد الذهن الشعبي بوجود بعض النباتات السحرية «كعشبة القرقعة» وهي نبتة خرافية، يقولون أن من يحصل عليها، يتحول كل مايلمسه إلى ذهب، وإذا لمس طرف ثوب بنت الملك تبعته. وبعد التجربة استخدم أغصان بعض الأشجار والنباتات لمعالجة الالتهابات، وذلك بوضع عيدان زيتون أخضر في النار، وجمع كمية من السائل الذي يخرج من العود لدى اقترابه من مصدر حراري، ثم دهن مكان الاصابة، واستخدم بعض النباتات كرقية ضد العين كنبات «كف العذراء»، وبعضها كرقية حب «كتفاح المجانين» بعد أن يستنفذ المريض فرص شفائه، يلجأ إلى حرق جزء من الجسم، لتخليصه من الأمراض، أو مادعوه بالكي، لاعتقاده أن الأرواح الشريرة، تخاف من النار وتهرب، والكي عادة على الرجل والخاصرة أو فوق الصرة...

ربط الانسان مابين التآليل وعد النجوم، لذا فقطع عودتين اسوادي في وقت محدد يؤدي إلى الشفاء.

واكتشف العلاقة ما بين اسالة الدم الطازج من الأذن الخارجية «التشطيب» والشفاء من بعض الآلام، وهذا الاعتقاد مبني على أساس استرضاء الأرواح الشريرة، وهو لاينفصل عن المعتقد الخرافي الخاص بالتضحية والفدو كما لاحظ أن وجود نقاط سوداء كالنمش، يعالج بالثوم والملح والوخز بالابر «التخريم». وعن طريق التجريب تأكد من قدرة رقاقة العجين على سحب الوجع وتخفيف الحرارة، وهذا ماعرفه في كاسات الهواء، التي تعالج منطقة انحناء الظهر بعد الاصابة بلفحة برد، ولم يرق له شكل الوجه نتيجة انحناء الفم وميلانه، فقرر علاج ذلك بالضرب، لكن بأي شيء؟ الضرب بالحذاء من قبل شخص معين له مواصفات محددة.

ان الاعتقاد بقدرة الوشم على رد العين الحاسدة، عائد إلى الايمان بقدرة الأشكال التي ترتسم على الوجه. إلى جانب كونه مهماً في زينة المرأة، وكذلك الحناء لها مفعول سحري وجانب جمالي، وجودها يبعد المخلوقات الشريرة، وتستخدم أحياناً كدواء بعد شفاء المريض حتى لايتعرض لانتكاسة مرضية. أما المياه فلها قدرة على الشفاء من بعض الأمراض، لكونها بحد ذاتها رمز للخصب، إذ بسببها ينمو الزرع ويكبر، فلا عجب أن يعتقد الذهن الشعبي بقدرتها وقوة خصوبتها، فمثلاً عين سلوان قرب القدس تساعد المرأة العاقر على الانجاب، وتشفي عين أم الدرج من الأمراض والعاهات، وتشفي مياه حمام أيوب من الأمراض الجلدية. كما أن شرب الماء من وعاء مكتوب عليه عبارات محددة «طاسة الرعبة» يزيل آثار المفاجأة، ويخلصه من نتائجها المؤثرة على قوة الخصب في الانسان، والقول الشعبي يصف لحظة المفاجأة وتأثيرها على الانسان «ماعاد يجيه ضنى».

أخيراً هناك بعض الأنبياء والأولياء، لهم قدرة على شفاء بعض الأمراض، عن طريق نجدتهم وزيارة قبورهم أو أضرحتهم، فالخضر «مار جرجس» للأمراض العقلية، وأيوب للأمراض الجلدية، والرفاعي للشفاء من لدغة الأفعى.

التفاؤل والتشاؤم في المعتقد:

المعتقد قانون وعرف شعبي غير مكتوب، تؤمن به الجماعة بارادتها، لقناعتها التامة بصدقه، لذا فهو راسخ في الفرد والجماعة، جذوره الحضارة والمعارف الانسانية،

الانسان منذ وجد على الأرض بدأ يكيف حياته عليها، يراقب ويلاحظ الظواهر الطبيعية، يحاول ايجاد تفسير لها، ومع مئات وآلاف السنين استطاع الانسان العاقل، أن يرسم رؤياه لهذه الحياة، ولم يكن ابن منطقتنا «شرق المتوسط» بعيداً عن هذه التطورات. ومع حدوث ظواهر لم يألفها، راقب نتائجها وأصدر تفسيراته وأحكامه، ومع الزمن صار لديه خبرة وتجربة في الحياة وظفها في خدمة معتقداته النابعة من مكان وجوده وزمانه ومدى تطوره ورؤيته للأمور غير المعزولة عن وضعه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والنفسي. فهو يتفاءل بالربيع والصيف، لتوفر الخضرة والفواكه وجمال الطبيعة، ويتشاءم من الظواهر التي عجز عقله عن حل لغزها، فربطها في بعض الأحيان بالمصائب والكوارث، كالنجم المذنب والخسوف والكسوف.

وبما أن انسان هذه المنطقة يتمتع بصفات جسمانية معينة. لذا فالذي لايمتلك هذه الصفات يخشى

منه، لأن شكله حاد عن الجماعة، فصاحب الأسنان المتباعدة، أو صاحب العينين الزرقاوين، أو خفيف الشعر جانب الأذنين ليس له أمان، فلا يتخذ رفيقاً «أفرق السنين وأزرق العينين ومقطع العوارض مايترافق».

العين مفتاح العقل والقلب، تتأثر بما يجري حولها، يسيل دمعها ليعبر عن حاجة انسانية، هي الفرح أو الحزن، فإذا دمعت عين اليمين «اليمين بكي وعنين» أما الشمال «فعين الشمال فرح سار»، يخافون من رفة رمش العين، ولتجنب ذلك يضعون فوق الجفن قشة، أما إذا طنت الأذن، فهذا يعني أن شخصاً مايتحدث عن صاحبها، أما حكة اليد فتعني أن صاحبها سيقبض نقوداً أو سيسلم على شخص عزيز. تفسير من يغص أثناء الطعام، أن أهله جياع.

التفاؤل والتطير موضوع انساني، فإذا كان خروجاً على المألوف والعادة فإنه نذير شر، كمن يرى شخصاً لايحبه، ورجلاً لاينبت الشعر في ذقنه، وكذلك إذا شاهد قطاً أسود اللون، أو إذا تعثر بحجر وهو خارج من بيته. كما يتشاءم السائق من تحميل الميت، وإذا اضطر إلى ذلك، طلب من ذويه أن يذبحوا دجاجة أو صوصاً، لاعتقاده أن ملك الموت مسافر معه، فإذا تم الذبح وسال الدم، يكون قد فدى سيارته ونفسه.

التشاؤم من نباح الكلب، إذا كان صوته شبيهاً بالعواء، والدجاجة التي تغير صوتها، وكذلك القط الذي يموء ليلاً مصدراً صوتاً كبكاء الطفل، وتفسير ذلك أن الحيوانات تلجأ إلى تنبيه أصحابها، عندما ترى الأشباح، فيتغير صوتها.

التفاؤل بالطير والطرب لصوت الديك الرنان صباحاً ولزقزقة العصافير وشدوها، وكذلك لشروق الشمس ويدعون لها دعاءً خاصاً، وكانوا يصلون لها صلاة الضحى، ولظهور الهلال في بداية كل شهر، وللمطر الذي يطهر الجسد والأرض، حتى أن عملية الاغتسال والتطهير ترضي الاله.

التشاؤم من الشكوى، لخوفهم من انتقالها لمجرد سماعها، ومن الأعور الذي لم يفقد بصره إلا لأنه ارتكب جريمة بحق الآلهة، ومن بعض الأحلام، ولتعايديها يقدمون ضحية.

الخوف من العين هاجس الإنسان حتى فترة قريبة، لهذا تقوم الأم أو امرأة مختفية بتحويطة الطفل وقراءة التخريجة، وأحياناً تمسك الابرة وتلف حول الطفل قائلة: «بسم الله الرحمن الرحيم، ثنيتك بالله، ثلثتك بالله، ربعتك بالله..»

والخوف من العد، إذ لايجوز احصاء النعمة، حتى لاتتبدد.

إذا قام الطفل بحركة غير طبيعية، فهذا يعني أن أمراً غير عادي سيحدث، فإذا كان يمشي وفجأة حبا، فذلك يعني أن ضيوفاً قادمون، ونجد هذا التفسير إذا زارت البيت «نحلة الصيف».

يقال أن المرأة تجلب السعد إذا كان كعبها أخضر، وتجلب النحس إذا كان قاسياً.

يمكن عرف الطالع عن طريق الشبر بأن تشبر امرأة بشبرها من الخنصر إلى نهاية الذراع ثم العودة من الكتف إلى الخنصر، فإذا قصر فالنتيجة سيئة، وإذا طال فهي حسنة. كما يمكن تعرف المستقبل بقراءة الودع «الحجارة» أو قراءة الفنجان، أو العد السبحة.

التشاؤم من زيارة المرأة الحائض، خاصة إذا كان في البيت مولود حديث اولادة، فإذا مرت فوق شخص أصابته بسوء، فيقولون «فشخقة الحية ولافشقة البنية». التفاؤل إذا صادف حية وهو في طريقه، كذلك إذا

صادف كوماً من الرماد، لأن لبقايا النار مفعول النار ذاته، لذا كان الناس يضعون بقايا النار على شكل كومة شبيهة بالهرم، فهي تعني الكرم، وتبعد المخلوقات الشريرة.

الحياة الشعبية في المعتقد

المعتقد يحمل معه حياة الشعب بما تتضمنه من حب وخوف وحرب وحياة وموت، لذا ربط الناس حياتهم بمدى تمسكهم الأخلاقي بعادات وتقاليد المجتمع، لأن التخلي عنها نذير بنهاية الحياة، هذه التي قرنوها مع تردي المجتمع نحو الرذيلة، وظهور أعور الدجال الذي يغوي الناس ويبعدهم عن الحق، وهذا الوضع يؤهل لظهور المهدي، لاعادة الناس إلى سواء السبيل.

في معتقدنا الشعبي يبرز الصراع مابين النور والخير والشر، فإذا حدث نجاح للظلم فهو مؤقت ولايدوم، لأن النهاية والنتيجة هي انتصار الخير، وهذا واضح في حكاياتنا الشعبية وأمثالنا وفي المعتقد.. لذا نجد في الحياة الشعبية بعداً طبقياً، لأن هدف المعتقد استمرار حياة الناس ودوام اعطائهم، لهذا انطبعت المعتقدات في أذهان الناس، متلائمة مع ماوصل إليه الناس من وعي اجتماعي وثقافي..

وإذا كانت الحياة تعني البناء والاستمرار في الوجود والطموح إلى الخلود، فإن الموت يعني نهاية الحياة على وجه الأرض، ليستعد الميت للحساب، ولجهله بالحياة الأخرى، يتسلح عادة بوسائل يعتقد أنها تساعده في رحلته الأخيرة، لذا يدفنون معه بعض حاجاته، خاصة إذا كانت عزيزة عليه، ويؤمنون أيضاً بأن الميت يسمع ويرى، ولكنه لايستطيع فعل شيء بسبب فقدانه للروح، التي ترفرف حول الجسر، معلقة مابين السماء والأرض، لاتصعد إلى الأعلى إلا بعد الدفن. أما إذا كان الموت قتلاً، فإن دمه يمتلك قدرة تكوين هيكله، يظهر في أوقات متقاربة أو متباعدة لأشخاص يعرفهم، ويطلب منهم الثأر. ولتفادي هذه المواقف، بنوا فوق نقاط دمه مقاماً.

يعتقد أن الطفل، يتحول بعد موته إلى طائر من طيور الجنة، يدفع الأذى والنار عن ذويه إذا كانوا جهنم، يرفرف فوقهم لايتركهم، يسكب عليهم الماء، لتخفيف عذاباتهم، أما جنازته فهي صغيرة تتألف من أقاربه وامرأة واحدة، تقوم بسكب الماء على أيدي الرجال الذين قاموا بحفر القبر والردم.

يوزع أهل الميت النقود والحلوى على روحه، الهدف منها استمرار عمله للخير وكذلك اسقاط ذنوبه. ويحتفل سنوياً بذكرى الأموات المصادف في خميس الأموات النصف الأول من شهر نيسان. فتذهب النساء والأطفال لزيارة القبور، وهن يحملن البيض المسلوق والمصبوغ والأطعمة المصنوعة بالزيت يوزعونها على الفقراء... وبما أن الليل هو لعالم الأموات، وحتى يلتقي الزائر مع روح الميت، وجبت زيارته قبل شروق الشمس.

ان عدم تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً صحيحاً، أدى إلى وجود بعض المعتقدات حول الكون وكل مايتعلق بالحياة والوجود، منها المعتقدات التالية:

*يعتقدون أن النجم يخر ليقتل ابليس، ولهذا ولغيره جاءت مسألة رجمه.

*النهار والليل في صراع أبدي، ينتهي مع ظهور الشمس صباح ذات يوم من الغرب، وهذه من علائم يوم القيامة، النهار للشمس التي تطرد الأشباح والجان، الذين لايستطيعون مواجهتها، أما الليل فتختفي

فيه مظاهر الحياة والحركة . . . تسيطر القوى غير المرئية .

*لايجوز سكب الماء ولاالاستحمام ليلاً خوفاً من الجان . وإذا اضطر الانسان لذلك عليه طلب الاذن ، قبل الحمام يقول :

يامية لاتأذيني ولاباذيك

محمد أبو فاطمة سبقنا وتحمم فيك

*عدم الايفاء بالنذر ضار بصاحبه ، لأن النذر دين على الناذر ، يوفى عند توفر الامكانية ، وإلا فإن الله سينتقم منه ،

*الاعتقـاد بمفعول الحنة السحـ ي ، ففي حكاية «بسيمة» تحاول البطلة استرضاء الأدوات الموجودة في البيت كي لاتخبر الغولة بهربها ، دهنت كل مافي البيت ونسيت الهاون ، الذي وشى بتصرفات بسيمة إلى الغولة ، مما سبب لها مصاعب شتى .

*الأكل والشرب له تأثيره على جسم الانسان ، فالحليب يمنع شاربه من الركض ، بناء على طلب الغولة ، بعد هرب الشاطر محمد واخوته . وهي تدعو:

«ياحليبي روب روب عقد في الركوب»

*الاعتقاد أن الغناء يستدر عطف الطبيعة . تخرج بعض النسوة والأطفال طالبين الغيث من السماء ، مما يؤدي إلى نزول المطر .

*استجـابة الدعاء ، كما في دعاء ستنا مريم عنيد ببرعونة» الناشف ، إذا ركعت على حافة البئر وصلت قائلة : «امتلي يابير تايشرب الصغير» ، من هنا نرى أن دعاء المرأة مستجاب خاصة إذا كانت مظلومة أو في محنة . عادة تقف كاشفة ثدييها ، داخل مقام الولي أجو بالقرب منه ، أو في أي مكان قائلة : «أنا متقبلة قبلتي ، وربي يسمع كلمتي ، دخيلك ياسيدي . . . »أو تقوم بكنس مكان العبادة ، ثم تطلب من ربها أن يستجيب طلبها ، ويكنس أعداءها .

*الـدائرة تعـطي الحـماية وتحـاصر الشر ، في الـبرية تقوم النسوة بالتحويط حول نفسها وحول أطفالها قائلة : «محوطين من الرفاعي من كل شيء ساعي ، محوطين بالزعبي من كل شيء يدبي . . . »

*الصيام في عاشوراء والتكحل وطبخ الطعام ، وخاصة اللحم لاعتقادهم أن الملائكة يحضرون ويفتشون القدور ، ومهما يجدون يقولون دايمة ، وحرصاً على استمرار النعمة يتركون قسماً من اللحم في القدور . أو يتركون الطواقي ، وهذا يعني كثرة الأولاد .

*الحلم حقيقة يريها الله للانسان كي يتجنب طريق السوء ، فإذا رأى الدم فالحلم يفسد ، وإذا رأى نقوداً وذهباً فهذا نذير شر ، وإذا أعطاه الميت فخير ، أما إذا أخذ منه أو دعاه لزيارته فشر .

*الاعتقاد بوجود مغارات مرصودة تحت الأرض ، لايفتح إلا بكلمات سحرية . أو بحضور شخص محدد .

*الاعتقاد أن للدين تأثير على أوضاعنا ، أي ان الابتعاد عن تعاليم الدن تلحق الأذى بالناس كقولهم :

«من قلة هدانا صار صيفنا شتانا»

*علاقة أعلى الصدر بذمة الانسان ، لارتباط بعادة نفض مقدمة أعلى الثوب من ناحية الرقبة ، وهذا يعني عدم وضع أي شيء في ذمته ، هذه العادة تسمى «نفض الزيح» .

*الاعتقاد بأهمية بعض الأرقام كالعدد ثلاثة وسبعة . . . وبما أن اليوم السابع مشؤوم ، وجب التعطيل فيه والامتناع عن العمل .

*الربط مابين النمل والوفرة والغنى ، وهذا واضح نتيجة طباع النمل . يقسم الأطفال النمل إلى نوعين ، النمل الأسود ويمثل أعداءنا ، والنمل العادي وهو يمثل الصديق .

*الاعتقاد أن خصومة كائنة مابين الانسان والأفعى ، وبينه وبين المرذون ، ومصالحة مابينه وبين العظاءة . وتفسير ذلك أن الأفعى خدعت الشمس ، فشاهدت بطن الشمس ، بينما الأفعى رفضت الكشف عن بطنها ، لذا وجب على كل من يقتلها أن يقلبها على بطنها ، أما الحرذون فإنه يضع الحطب في نار جهنم التي تحرق الانسان ، على عكس العظاءة ، التي تخفف آلام الناس ، فتسكب الماء على من بجهنم ، وتسمى في بعض الأوساط الشعبية بأسماء مختلفة هي : السقاية ، السليمانية ، رضاعة المعز .

أصالة المعتقد الفلسطيني :

المعتقد مزيج من بقايا اسطورية وخرافية خيالية ، وهو قديم ، ومعتقداتنا متوارثة عن أجدادنا الكنعانيين ، تتحدث عن جوانب الحياة والكون ، منها المتعلقة بالعمل والزراعة ، فالفلاح الفلسطيني يشتري بثمن أول صليبة قمح خلوى أو فواكه ويقسمها على الأطفال والنساء والرجال الموجودين على البيادر ، كما يقوم بترك قسم بسيط من زرعه دون حصاد حتى يتصيفه الفقراء ، ويسمى (الجورعة) ، أي احتفال المزارع بانهاء حصاده .

ان عودة الحياة للطبيعة تستوجب تقديم الأضاحي ، وعدم تناول أول وجبة حليب ، ولدى الكنعانيين بواكير الصيد للهيكل ، وكذلك بواكير الغلال ، وعندهم عيد بواكير الأثمار ، إذ يطبخ جدي بلبن أمه ، وبـواكير الأثمار والجداء والحملان وسائر الماشية ، تقدمه للآلهة الكنعانية . . ومن قراءته في نص ملحمة كارت ، نتبين بعض معتقداتنا التي مازالت تؤكد على تقديم الذبائح بعد الشفاء من المرض أو في الأفراح والأتراح :

«إنني دعوتكم للطعام والشراب

كي تبكوا على كارت»

«إن الموت زال ، وشعتقه انتصرت ، فأمر

كارت النبيل رافعاً صوته منادياً :

اسمعي أيتها السيدة حورية

اذبحي حملاً فآكل وفطياً فأتفدى»

تجدر الاشارة إلى أن شعتقه ، اسم مشتق من جذر عتق ، ويعني التحرير من المرض وشفائه ، وهي أي «شعتقه أو شعتقات» صورة يمكن للمرض التحول إليها ، إذا يعمل الاله إيل» بنفسه على اخراج المرض :

«وبيمناه قرص قبضة من التراب

فصنع منه صورة انسان

ورقى الصورة ودعاها شعتقات

وطارت شعتقات لمعالجة كرت»

وفي الرقية الفلسطينية، إذا لم تعرف الأم من أصاب صغيرها، فعليها أن تحضر قطعة من الرصاص تذاب على النار، ثم تصب على وعاء فيه ماء، فترسم شكلاً ما، هذا المشكل صورة يمكن للمرض التحول إليها، لأن هذا الشكل هو نفسه من أصاب الطفل..

وكانت الفتاة الكنعانية تتزين بالقلائد والخواتم وحزام عليه رقى وتعاويذ، ليرد عنها الشر، في حين تضع الأم الفلسطينية على صدر أو رأس وليدها مثل هذا الرقى.

الولائم عند الكنعانيين كانت سبعة أيام، مثل وليمة «دانيال» في الملحمة التي تحمل الاسم ذاته، وهي سبعة أيام في قرى فلسطين قبل النكبة، فاحتفالات الأفراح تدوم طوال الاسبوع.

عن الكنعانيين أخذنا التعاويذ وتقديم الأضاحي والغناء والرقص ودور الوليد في خدمة أبيه، وكذلك المسخ «أجابت البتول عناة: اجلس يايعضان واصغ إلى كلامي، سأمسخك نسراً، وأضعك في جعبة السهام». وفي المعتقد الفلسطيني يمسخ الطفل إلى قرد، لأن أمه مسحت مؤخرته برغيف.

ارتبطت الاحتفالات الكنعانية بظهور الربيع والحشيش، الذي يعني عودة الحياة للأرض، وهذا أمر مرتبط بملحمة كنعانية«مع اطلالة كل ربيع ومع عودته إلى الأرض، كانت تتفتح زهور حمراء قرمزية، حيثما سقطت قطرة من دم أدونيس، إنها شقائق النعمان تبشر بعودة النعمان، يجلب معه الخصب والتجديد» وفي نص كنعاني أيضاً يحكي كيف راحت عشتارت تفتش عن أدونيس وتجرحت قدماها، والدم الذي سال منها لطخ زهرة شقائق النعمان باللون الأحمر..

المعتقد الشعبي الفلسطيني، لايبتعد كثيراً عما تقوله النصوص الكنعانية، انما هو استمرار للمعتقدات والملاحم والأساطير والخرافات الكنعانية. فالكثير من الطقوس الكنعانية، كانت تستهدف توفير الخير للجماعة والرقص والذبائح وممارسة الخصب في أعياد معينة.

لقد توارث الفلسطينيون بعض أعيادهم واحتفالاتهم عن أجدادهم الكنعانيين، خاصة تلك التي تتعلق بالخصب، ففي كل خميس من شهر نيسان يجري احتفال له علاقة، بما كان يمارسه أجدادنا. بعض هذه الاحتفالات مظاهر وطقوس لها تقاليد قديمة تعود إلى احتفالات عودة الحياة الكنعانة المرتبطة بملحمة «أدون»

في خميس البنات تخرج الفتيات إلى الطبيعة، فينتشرن في البراري لجمع الأزهار، يتركنها في الماء تحت النجوم في الليل، لتمارس تأثيرها عليها، ثم تغسل كل فتاة شعر رأسها بذلك المنجم، وهذه فرصة للبنات في الخروج للاحتفالات وتعرف الحياة والاختلاط مع الشبان.

خميس الأموات، بقايا من احتفالات بدائية لها علاقة بندب أدونيس. أما خميس الموسم فهو عبارة عن مهرجانات احتفالية تعم فلسطين، في الخميس الثالث من نيسان، يذهب الناس مشياً على الأقدام أو يركبون السيارات، حيث ينضمون إلى (بيرق القدس)، وبعد تجمع البيارق في نابلس والخليل، تبدأ المسيرة المشهورة بعد صلاة الجمعة الى مقام النبي موسى في أريحا. في الوقت نفسه يحتفل بموسم النبي روبين في يافا، وموسم الخضر في حيفا.. هذه المواسم ابتدعها صلاح الدين الايوبي في وقت ورود الحجاج المسيحيين من أوروبا. تترافق احتفالات الموسم بحلقات الفرح والدبكة والغناء وكل ضروب الفرح. أما

خميس البقرات، فهجوم احتفالي ترتاح فيه الحيوانات، فلا تُرسل للعمل، ولا يُباع حليبها، تصبغ الجرار، وتصبغ ما بين القرون، وفي هذا اليوم يقوم أصحاب الغنم بغسل أغنامهم وجز صوفها لتزايد حرارة الشمس مع اقتراب نهاية شهر نيسان.

أخيراً ما زالت المعتقدات الكنعانية تعيش فينا، من خلال القول والعمل والممارسة اليومية، وهذا وحده يثبت اننا ورثة الحضارة الكنعانية.. واليوم تحاول الصهيونية سرقة كل ما يمت الى الفلكلور الفلسطيني، لأن الفولكلور هو تضافر كل ما حدث على الارض غير معزول عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وإذا تذرع الصهاينة، بأن اليهود حكموا فلسطين يوماً، فإن هذا لا يعطيهم الحق في ذلك الآن، لأنهم ليسوا ورثة سلالة يهود فلسطين، يهود العهد القديم، الذين كانوا مزيجاً من شعوب مختلفة بما فيهم العرب، اضافة الى ذلك فإنهم «أي اليهود» لم يغيروا لا قبل ولا أثناء حكمهم لجزء من فلسطين ولا بعده، في البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل العكس من ذلك، هم الذين تأثروا بالثقافة الكنعانية، حتى لغتهم هي لهجة كنعانية قديمة. فالصهيونية عندما تدعي وتعتمد اليهودية، انما تدعي شيئاً ليس ملكها، لأن اليهودية دين العديد من الناس، وهي حصيلة تفاعل الحضارات الانسانية في بلادنا. وعلى هذا فاسرائيل تجميع غير متجانس لفئات من مجتمعات متعددة، تحمل معتقدات بلادها، وعلى هذا فليس هناك معتقدات شعبية خاصة بالصهيونية. في حين يحمل الفلسطيني ثقافته وشخصيته المستقلة المبنية على حقه في وطنه.. بينا الصهيونية حركة عنصرية عدوانية استيطانية، تطارد شعبنا الفلسطيني، وتحاول سلبه هويته.

مصادر دراسة المعتقد الشعبي الفلسطيني :

١ - مجموعة مؤلفين - دراسة في المجتمع والتراث الفلسطيني - قرية ترمسعيا - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث وجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني في الكويت - آب ١٩٧٣.

٢ - الجوزي - صليبا جمع وإعداد، القروي الفلسطيني من العسرة الى الحضرة، منشورات الاعلام المركزي لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني، ط١ بيروت ١٩٧٥.

٣ - سرحان - نمر موسوعة الفولكلور الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطيني، ج٥، ط١ عمان، تموز ١٩٨١.

٤ - عوض، عوض سعود، دراسات في الفلكلور الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الاعلام والثقافة دمشق ١٩٨٣، الاستشهادات من فصلي

* التنجيم والتداوي.
* الاساطير والخرافات.

شعر

بريد الحجارة

«إلى ولدي ـ وسام»

حجر لراجمة جديدة..
حجر لراجمة من الايدي يسافر كي يصلْ
حجر يراسلنا..
فتقرأه الجبال.. وتشترى أفقا بهِ
وتغادر المستنقعاتِ
تعيد ترتيب الحجارة في خرائطها.. وأسئلة الشجرْ

***

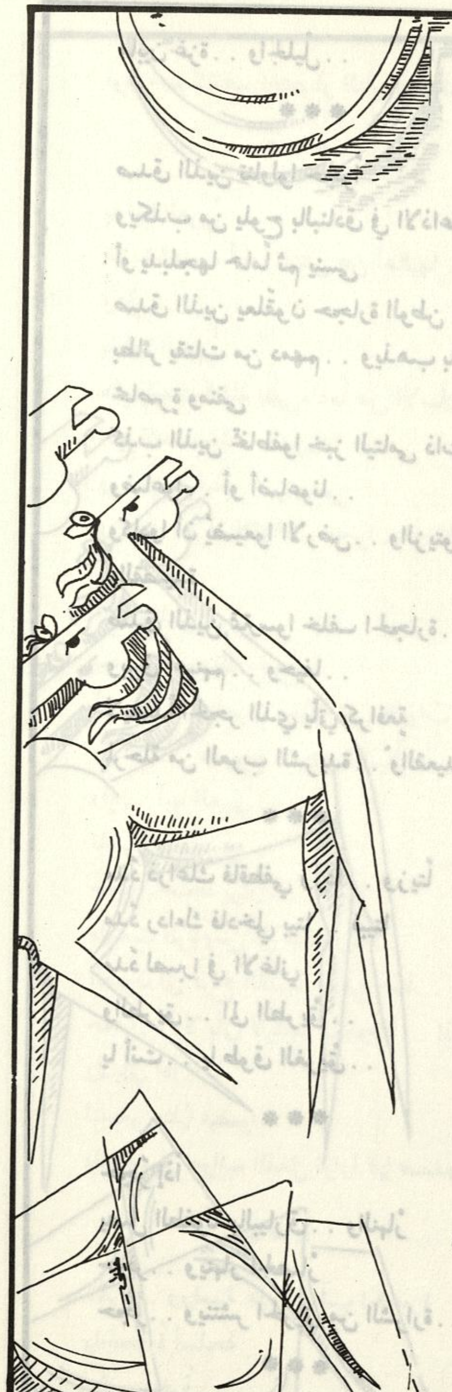
مطر.. وأجوبة..
وجيش مقلع في طائرات من حجارتنا
ومن أضلاعه يبني الجسور
وليس من جسر اليه سوى الكلامْ
مطر ويأتي مرة في كل عامْ
مطر ومن دمنا.. يصيح.. ولاينامْ
يا أيها المتقوقعون أمام صورته على الشاشاتِ
في زمن التردي... والنخاسة.. والرغامْ

***

حجر يلخص حالة

خالد ابو خالد*

* شاعر من فلسطين له عدة مجموعات شعرية.



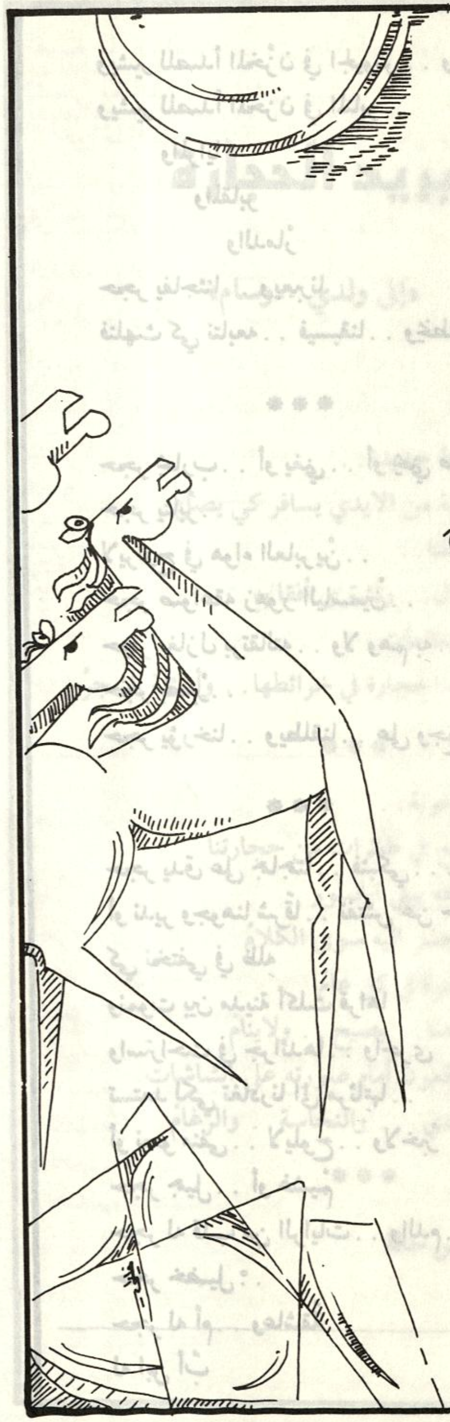
ويشير للصدأ المخزَّن في الجيوش.. وفي النفوسْ
ويشير للصدأ المخزن في المنابر
والمرايا
والمقابر
والدمارْ
حجر يفاجئنا.. ويعبرنا
فنلهث كي نتابعه.. فيسبقنا.. ويخطئه الحصارْ

***

حجر يحارب.. أو يغني.. أو يحني صوتهُ
حجر يثابرُ..
لايراوح في هواء العابرينْ..
حجر صواعقه زهور الياسمينْ..
حجر يغازل برتقالته.. ولا وهم بهِ..
حجر بصيرْ..
حجر يؤرخنا.. ويطلقنا.. على وجع أصيلْ..

***

حجر يدق على جماجمنا.. فنبكي...
أو ندير وجوهنا شرقًا.. نفتش عن حجرْ
كي نختفي في ظلهِ
ونموت بين مدينة أكلت قراها
واستراحت في جرائدها.. واخرى
تستعد لكي تغادرنا الى مرثاتها..
أو نحو منفى.. لايلوح.. ولاخبرْ
حجر جميل.. أو غشيمْ
حجر له قلب من الرايات.. والدم.. والنخيلْ
حجر خضيل؟..
حجر له أم.. وعاشقةٌ
له ابن أبٌ



مابين غزة . . والجليلْ . .

* * *

صدق الذين تناولوا حجراً
ويكذب من يلوح بالبنادق في الاذاعةِ
أو يدبلجها حماماً ثم ينسى
صدق الذين يعلقّون حجارة الوطن العظيم
بطائر يقتات من دمهم . . ويذهب باتجاهاتٍ
محاصرةٍ ومنفى
كذب الذين تخاطفوا خبز اليتامى ذات بارقةٍ
وضاعوا . . أو أضاعونا . .
وكادوا أن يُضيعوا الارض . . والزيتون . . والدمَ
والقصيدة
صدق الذين تمترسوا خلف الحجارة . . والثيابِ
وبرق أعينهم . . وحيفا . .
لايصدأ الحجر الذي يأتي كرافعةٍ
لمرحلة من العرب الشريدة . . والقعيدة . .

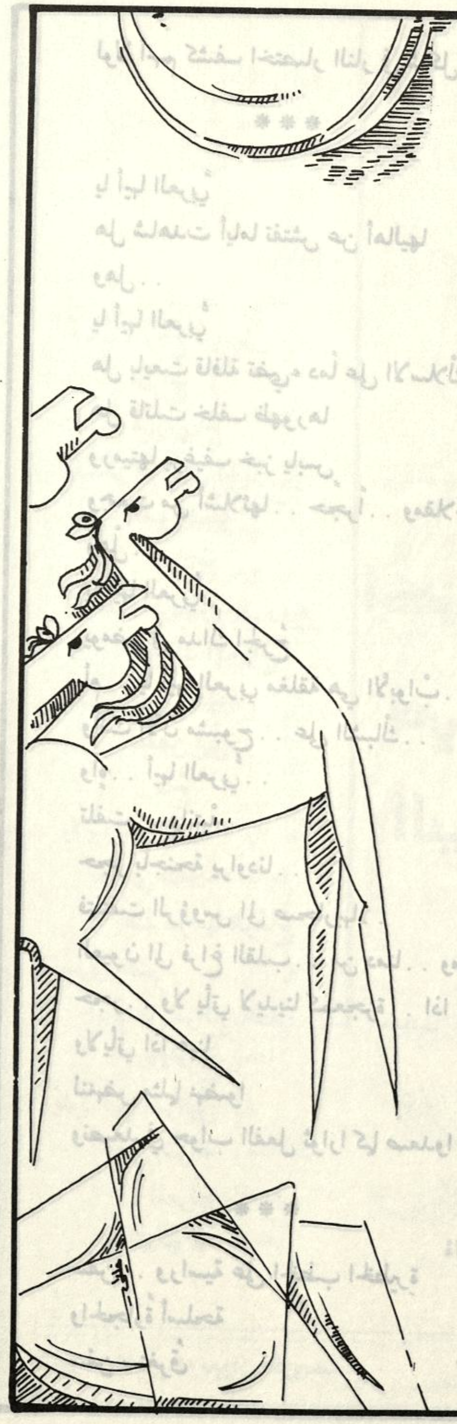
* * *

مددٌ ذراعك فاقطفي ورداً . . وزيتاً
مددٌ رداءك فادخلي بيتا . . فبيتا
مددٌ لصبرا في الاغاني
والطريقُ . . الى الطريقْ . .
يا أنت . . يا طوق الغريقْ . .

* * *

حجرٌ إذاً
يصل الطفولة بالبيارق . . والنهارْ
حجر . . وينهار الحصارْ
حجر . . وينتشر الحريق من الشرارة . . والحوارْ

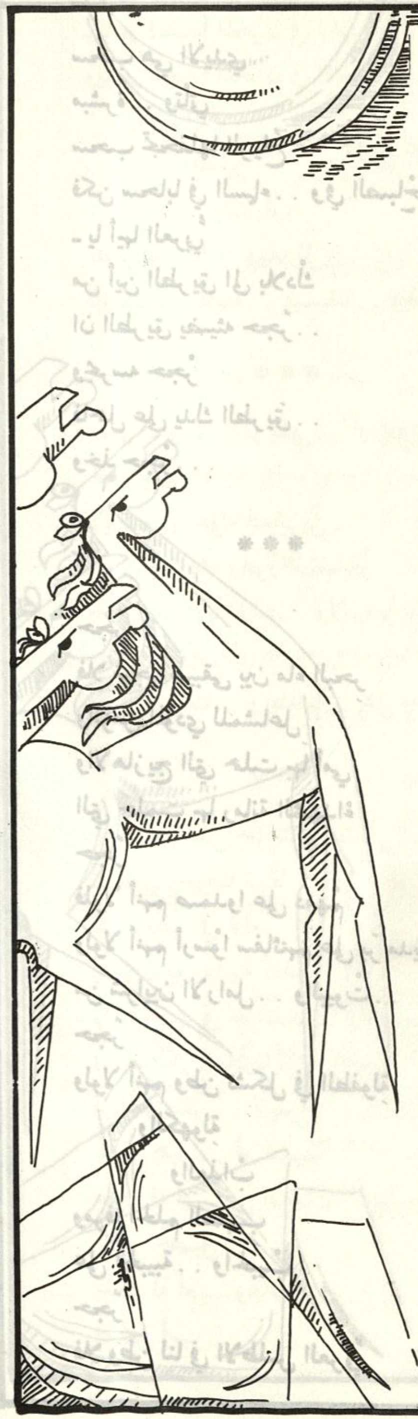
* * *



سحبٌ هي الايدي
مبشرةٌ . . وتأتي
سحب تجحفلها الرياحُ
فكن سحابا في السماء . . وفي الصباحْ
- يا أيها العربيٌ
من أين الطريق الى بلادكْ
ان الطريق يضيئه حجرٌ . .
ويحرسه حجرْ
فاحمل على يدك الطريقَ . .
وخذ حجرْ . .

* * *

حجرٌ . .
فلا شجر سيبقى بين ماء البحرِ
والزمن المؤدي للمشاعل
والاهازيج التي حملت بها أمي
التي حلمت بها رمانة الشهداء
حجرٌ
فلولا أنهم صمدوا على دمهمْ
ولولا أنهم أرسوْا سفائنهم على برّ مديدٍ
من شرايين الارامل . . والبيوتْ . .
حجرٌ
ولولا أنهم وطن تشكل في الطفولةِ
والكهولةِ
والعذابْ
ومرفأ الحلم الصبيب
على الحبيبة . . والحبيبْ
حجرٌ
فلا وطن لنا في الاطلس العربيِّ



لولا أنهم كشف اختصار النار في شكل الحجرْ . .

***

يا أيها العربيَّ
هل شاهدت أياما تفتش عن أهاليها
وهل . .
يا أيها العربيُّ
هل بايعت قافلة تضيء دماً على الاسلاكْ .
هل قاتلت خلف ظهورها
ورميتها برغيف خبز يابس
وجمعت من أشلائها . . حجراً . . ومقلاعاً
وهلْ . .
يا أيها العربيُّ
يومض في مداك الجرحُ
أم . . يا أيها العربي مغلقة هي الأبوابْ . .
وأنت الآن مشبوحٌ . . على الشباكْ . .
وآهٍ . . أيها العربيُ . .
تلفت . . وانتبهْ . .
حجر باجنحة يراودنا . .
فتلتفت الرؤوس الى صحاريها . .
العيون الى فراغ القلب . . من دمنا . . ومنّا
حجر . . ولا يأتي لايدينا كمعجزة . . اذا تُهنا
ولايأتي اذا غبنا
لننهض مثلما نهضوا
ونصعد في جواب الفعل ثوارا كما صعدوا

***

سفن . . وراسية على الخطب الخطيرةِ
والحجارةُ أسلحة
سفن ستغرقُ



بينما سفن ستبحرُ
سفن ستخسر بينما سفن الحجارة رابحة . .
يا أيها العربيُّ مرّ بهم قبيل الجائحة
واجمع حجارتك البعيدةَ . . والقريبة
واحترسْ . .
ما أشبه اليوم الذي يأتي . .
بيوم البارحة . .

***

وطن يسمينا . . ويفرزنا
يعيد مواطنيه الى مشارفهِ
ومحنته الى لغة الصراعِ
وبالحجارة أولاً
أو بالحجارة ثانياً
ويدير معركة تحوّل طفله رجلاً
وصخرتهُ
الى مطر من السجّيل . . والزعترّ . .
وطن لنا
يصل الحجارة . . بالحجارة . . والبشرْ

***

وطن الفلسطيني يعلن نفسه وطناً
لمن خرجوا على القمع المبرمج . . والمجاعة . .
والجسورِ الى العدو . . أو الجسور الى الرمادْ
وطن لمن خرجوا على التدجينِ
أو خرجوا على الاسماء . .
وطني أنا . . يا أيها العربي . . .
ممتد من الجبل الفلسطيني . . حتى نخلةِ الصحراء
وهو قيامة العنقاء . . .

دمشق ٢٢/١/١٩٨٨

شعر

اكزوديس في الدار البيضاء

احمد المجاطي*

عُبابٌ، رَجْعُ مُوسيقى
صُراخٌ
عَنْبرٌمُهْتاجْ
وتَسْكَر من أنين الجازِ
ألف مليحةٍ
مِغناجْ
وتزْحَفُ اكزديس على ربيعٍ
ضاحِكِ الامواجْ
فَلا كُثْبانَ من سيناءَ
غَلَّفهن ليلٌ
داجْ
ولابيداءْ
يصدى الماءُ
عِنْدَ سَرابها الوهّاجْ
سِوى حلمٍ
تهيمُ على مواقعِ خَطْوهِ
الافواجْ
يُلوِّنُ لَيْلَ إسرائيلَ
من إشْراقةِ
المِعراجْ
***

عُيونُك يابلادي
ضَحْوةٌ غَبَشت
وحُزنٌ ضافْ
أفاعي الليل
تَعْبَثُ في الدروب
وتَرْقُص الأطيافْ
ونَجْمكَ مُسْتعارُ الضوءِ
لَمحٌ
بارقٌ
خوّافْ
أشاحَ بوجْهه
عن مَوْجةٍ
يَغْتالها مُجْدافْ
نَفَضت اكزديسٌ
جناحَ رَبٍّ
في يقيني طافْ
وَسالَتْ في دمائي
موجةٌ
مثلوجةُ الأعْطافْ
فَيا صَحراءُ
ظِلي ماتْ

* شاعر من المغرب له ديوان الفروسية.

هلاّ أورقَ الصَفْصافْ
***
دُروبُ اللص
نَهْرٌ من دَمٍ
يَرْعاهُ إنجيلٌ
تُطلُّ
فَتَسْتَهِلّ أشعةٌ
ويشيعُ تَرْتيل
ولكنَّ الذي يَجْري
دمٌ
في القُدْس
مَطْلولُ
فإنْ قُلْنا
غداةَ غدٍ
يدقّ النصرَ
أرغولُ
أغارَ على جَناحِ النَسْرِ
في الظَلْماءِ
شاويلٌ (1)
وتَزْحَفُ اكزديسُ
في دَمي
والسيفُ مَسْلولُ
وشمحة
فرحةٌ في الشطِّ
تنْشرها المناديلُ
***



جراحُ اليأس
تصرخُ في صَلاتي
أدمعاً
وترابْ
فأدلجُ
جفني المكدود
نعلي
والمرادُ
سرابْ
تَفْتحُ عشوةُ العَيْنين
بضعةَ أضلعٍ
وحرابْ
وفكُّ أدْردُ
تحتَ النعالِ
وطِفلةٌ
وكِتابْ

وتجّارٌ في ضَميري
نجدةٌ مذبوحةٌ
وعتابْ
فأينَ أفرُّ
لانفقٌ
تَغلْغلَ في الثرى
وانسابْ
ولاكفٌّ
يهُدّ السورَ
يَغْسل لعنةَ الأحقابْ

* اكزوديس: من أوائل البواخر التي حملت الصهاينة من امريكا الى فلسطين

١- شاويل وشمحة يهوديان مغربيان اعتنقا الصهيونية وهاجرا الى فلسطين.

شعر

كل عام وأنتم.. على سفر

ادم فتحي*

سَقَطَتْ رِيْشَةٌ مِنْ جَناح الشِّتاءِ على كَتِفي
فانتبهتُ إلى سحْنَةِ الأيكِ هَلْ مَرَّ عام
وساقيةُ الحبِّ مُتْخَمَةٌ بالشَّجارْ
وَطَيْرُ الخُطى مُثْقَل بحجار المسافاتِ
هَلْ مَرَّ عام؟ وَقافلتي تَعَبٌ في انتظارِ مَراحلها
وأنا بَيْنَ صَمْتي وأغنيتي صِلَةُ الظِلِّ بالليلِ
ماغادَرَتْني شَآبيبُ هذا الفَراغْ
وَلاغادَرَتْ لُغتي
أيُها المُدْلِجون إلى خَيْمةٍ في زِحام القُرى
كلُّ عامٍ وأنتم على سَفَرٍ فاغمسوا في دَمِ النهر عابرهُ
وانظروا خلف دمع الشَّجرْ
ربّما أبطأت نجمتي في القدومْ
غير أن معي جسداً
يشتهي في الهواء الذي فسدتْ ريحُهُ
أن يدومْ
أيّها القابسون على غرَّةٍ
من عرائشَ أحفظ نكهتها

* شاعر من تونس له عدة مجموعات شعرية.

الذين إذا مسّهم حلُم
أسدلت واجهات الزجاج عليهم ستائرها الخَرِقَةْ
فغدا حُلْمهم صَدَفَةْ
وغدت برَكُ الماء في عتبات الزحام مرايا
تُحيل تجاعيدهم سيرا . .
الذين إذا عشقوا
مسّهم عرقٌ من سواحلَ مختلفة
فابتَنَوا زمناً داخل الارغفة
وسقوا
دون أن يَغْنَموا شَجَراً . .
الذين إذا تعبوا
ضربوا خيمةً في الرحيلْ
ينشرون على الارصفة
قمراً وصِباً وزواجِلَ مؤتَلِفة
ثمّ يمضون من لهفٍ
في معاطف غبطتهم دون أن يتركوا أثراً . .
كلّ عام وأنتم على سفرٍ ومعي
ـ وطنٌ غائم في ملابسه الداخليةْ
ـ ريشُ عصافيرَ يبكي على حافة الاغنية
ـ لحظةٌ يتوسّنها البردُ تنبش ذاكرةً مطفأة
ـ عنق تقتلُ الوقتَ أو تمنحُ الوقت شكل الترابْ
ـ كلُّ شيءٍ كما هو
ذكّرتني بالدم العربيّ القديم
وذكّرتني بالنجوم التي ضَفرت شعرها في الظلام
ـ كل شيء كما هو إلّا المشانقُ بدَّلت اليوم أوراقها
وارتدت بعضَ حُلْوِ الكلامْ
وأنا بشرٌ لا أطيق سوى أن أُلملمَ حزني
وأُنكره حين يَسْمُقُ في جسدي وأقولُ غداً
و « غداً » لم يجيء

قد يتمّ ولم يبتدئ
أيُها القابسون على غِرَّةٍ من حدائق من فرط حبي لها عشت أُحرقها
كلّ عامٍ وأنتم على سفرٍ
وانتظارٍ
وثرثرة في المقاهي
وخَشْوَلَةٍ في سواقي الحياة
كخشولة الورق الاصفر المُتزامِنِ
في عربات خريفيّة تمحّي وأنا
أتحمّل أسئلتي في مساربَ من كلمٍ زَلِقِ
مُنْعَمٍ بمشاعِرَ عابرةٍ
ومتاعِبَ عابرةٍ
مُثْخَنٍ بحلاوَتِكُمْ
وحلاوةِ دنيا أُكلّمُها بينما أشتهي
● أن نُحطّم ما قام من جدرانِ الكلامْ
● أن نعلّم أطفالنا
كيف لا يهجرونَ طفولتَهُمْ في رفوفِ المدارسِ
خاليةً من هديلِ الحمامْ
● أن تصيرَ الصداقةُ زنبقةً
نتعهّدُها بالصداقةِ ليل نهارْ
● أن نُزيحَ الغبارْ
عن شوارعَ تُفضي الى جذْعِ نخلٍ ظَليلْ
كان يَجمعُنا
قبلَ أن نتلهّى بجَمعَ النخيلْ
أيُها الأصدقاءُ
كلّما مرَّ عام
شعرتُ بأن الكتابةَ آخرُ زاويةٍ للطفولةِ
وسْطَ الزّحام . . .

■

واحِداً وثلاثونَ عاماً بَنَتْ نَفسها مِن جِداري
فهدّتهُ آجُرَّةً تلوَ أُخرى
ولَمْ تَنْتَبِهْ لانهياري
رَجاءً
دَعي مِنْ غُباري
قَليلا
لِما هوَ آتْ . . .
واحدُ وثلاثونَ عاماً أطاردُ حُلماً كظلّي :
لو أنّي أملك شيئا
لأخْسَرَهُ
هكذا
يَخسرُ الشُعراءُ
الحياةْ . . .
واحدُ وثلاثونَ عاماً أرى قبريَ المُتحرّك
يسحبُني مِن ذُؤابةِ رُوحي
على
حَصَبِ
الطرُقاتِ . . .
كلُ شيءٍ
لهُ وقتُهُ
ويموتْ
كيفَ أمكنَ لي أن أموتَ مدى هذه السنواتْ . . .

■

بيان إلى ابراهيم الجرادي

شعر

محمد لافي°

أقول انتهى كل شيء°
مسافاتنا... للسرابِ
بيارقنا... للهزيمةِ
ايامنا... للخليفةِ
احلامنا... لليبابْ

سنرقص في ساحة الراقصينَ
ونكتب في دفتر الحالمينَ
ولا حلمَ... لا رقصَ
ماأشبه اليوم بالامسِ
يابن الجرادي انتهى كل شيء°..

° شاعر من فلسطين له عدة مجموعات شعرية.

ولا لطقوس الجنازةِ
لا للوصيِّ علينا
ولا للدموع التماسيحِ
لا للمراثي ولا للكتابةِ
نذهب في الموت حتى المهابةِ
من جلدنا يخرج الخارجونَ
ومن جلدنا يعبر العابرونَ
ومن جلدنا خيمة كالسماءْ
فاية مرحلة جهزتنا لهذي الاغاني
وأية مرحلة توجتنا لهذا البكاءْ؟!

أقول انتهى كل شيء
لكم حاصرتنا الفنادقُ
كم سرقتنا الشوارع من يومنا
كم اعدنا امام المحقق اسماءنا
كم ذهبنا الى دمنا واتكأنا عليهِ
وهذا انا شاعر ضالعٌ في الندامةِ
من اول الشعر حتى اتكائي عليهِ!
وهذا انا ولد ضالع في الندامةِ
من اول البندقية حتى انكفاء الرجالْ!
لماذا تقول الذي لايقالْ؟
هديل الحمائم اسرع من طلقة في السواحلِ
ابعد من نجمة في اقاصي الجبالْ
لماذا تقول الذي لايقالُ..؟
العناوين حزينةٌ والرفاق قليلونَ
اصعد من وردة في السؤالِ
واهبط في باحة المشنقة
لماذا نسينا عناويننا
ووصلنا الى الزمن المشنقة؟

حزيران ١٩٨٧

قصيدة النبات
إلى قمر الانتفاضة
في أوج اكتماله

شعر
وفيق سليطين*

بوحٌ على طَلَلٍ يلمُّ نثاره،
قمرٌ بآنيةٍ من الفخّار تشربه النجوم
رئةٌ تحركها الأنوثةُ ثم ترشح في المكان
سهلٌ ينام بحضن رابيةٍ . .
ونافذةٌ بجذعِ الليل يفتحها النبات
أنقاض أشلاءَ يبرعم جذرها دمُها
ويبعث غرسها الطفليَّ ترضعه الرياح
شِلْوٌ هنا وشظيةٌ تهفو بقامتها الطعينة نحو معصم أختها
وتكاد أن تخطو . .

* شاعر من سورية.

فتسفحها مُدىً ومخالب وحراشف ترغو قواقعها بأوبئةٍ
ولكن لاتموت
ياهذه السفن الغريبة والغريقةُ في مياه الروح
نحن مرفأكِ الذي يبقى . .
ونحن الجرحِ مرساكِ الأخيرة
نحن بوصلةٌ إذا صارت برسم واحدٍ كلُّ الجهات
الأرض قبلتنا نقشنا وجهها الحنطيَّ آياتٍ بسفح القلب
لا خرائط غيرنا حفظتْ ثراها
أنا ابنُها أحبو وتحضنني الكروم في كل دربٍ معطفٌ يلتفُّ حولي
في كل شبرٍ زفرةٌ تحنو على خطوي
ومن خوفٍ تدثرني بمعطفها الرياح
ياريحُ . . ياثوبي الذي لم أنتهِ من نسجه
ياأنت يالغتي الهتونَ وشعلةً تخبو لتزكو
ثم تنفحها وتنشرها يدان
تمضي وتلهبها يدانْ
ويدان نابتتان من وجع المخيم كوتين ونجمتين
ويدان مثمرتان من وجد النخيلْ . .
ويدان طالعتان صوب فضاء محنتنا
ومشرقتان فيه رسالتين: حمامتين وغيمتين
ويدان: يدٌ كونية للأرض. والأخرى لأمي
ويدان
يدٌ زيتونة . . ويدٌ نشيد من معاولَ لاتضيق
ولايضيق بها الحوارْ
النارُ موسيقى على الجسد الفلسطينيِ
يَجْبَهُ موتَه بيدٍ
ويجبه موتنا بيدٍ
ويغرس جذعه في الأرض زنبقةَ النهار
النارُ موسيقى
وترقص شجرةٌ لنشيد ينبوعٍ تجسّدَ قامةً ومعاولاً
وأجنةً . . زغباً بقايا نسوةٍ يفرشن بالوجع الطريق

يفرشنها فتقوم تلبس جرحها الزاهي قلادة عاشقٍ
تمضي وتشتمل الردى ثوباً ترصّعه الشظايا
مورقاً فيها كما العشب الخضيل .
زمنٌ عجيفٌ من تفسّخه تَورّدَ او تَورّمْ
او ينوس
جثث وموتى يضحكون،
وطفلةٌ بالقهر تسقي عشبة الكلمات،
نجمٌ يقود شجيرةً للدار ،
نجمٌ يطالع في كتاب نزيفه
ويجسُّ في الاشياء نبض النارْ
وشهيدنا النجم الذي يبقى
متسامقاً في كونه الانقى
وشهيدنا النجم الذي يرحل،
لسطوعه الامثل .
مرَّت غزالةُ روحه فتفتحتْ لغةٌ على شفة الطريق،
ـ من انتَ؟
تسأل وردةٌ خرجت بزيّ محاربٍ
شوكٌ بأغنية يلفُّ على بيوت الطين،
ـ أنا من نبات جراحهم . .
وأنا الغدُ
في المهد كلّمتُ المناديل التي تنمو أغانيها
تعرّش في أكف الأمهات .
حجرٌ بشجو خميلةٍ يمضي يعاضده حجرٌ،
أنا ذلك الحجر الذي يحكي بأيديهم
وتزهر فيه أملاح الغضبْ
البحرُ أطلالٌ
وتلعقُ موجةٌ من نزفها
في حضرة البارود جاءت صخرةٌ لوريد سنبلةٍ
ولفَّتْ شالها من حوله ،
أعطَتْ ثديها شفتين نابتتين من جمرٍ ومن سغبٍ

وأعطتْ طفلها العشبيَّ خمر الكلمة الأولى
قَطَفَتْ له من عوسجِ الكلمات سرَّ النار
قدمي صنوبرةٌ على الدرب التي لاتلتوي
إلاّ لتبدأ من جديد،
ويدي على كتفِ القريب من الجداول
راية الافق البعيد
وغناؤنا للقادمين على شفير النار،
لجرارنا الحبلى تزفُّ بشارة الآتي
وتسقي من أناملها البحار،
لحصيرةٍ مجدولةٍ بضفائر الشمس
للطير تغمس ريشها في تربة الكلمات
تنثر في حقول الكون سنبلة القصيدة .

شعر

وقت عربي للضفة

مصطفى خضر*

مالذي ينتجهُ الوقتُ، وتبنيهِ يدانْ؟/
مالذي تلبسهُ الأرضُ؟/
فضاءٌ من حجرْ
عورةٌ يسترُها الماءُ، يواريها الدخانْ!/
ماالذي ينشئهُ التاريخُ؟/
قبرٌ أم رواقٌ أثريّ

* شاعر من سورية له عدة مجموعات شعرية.

لغةٌ أم جسدٌ يهوي، وبيتٌ يُدَّخَرْ
غسقٌ للبيتِ، قبرٌ للنّهَرْ
كفنٌ من زنبقٍ أم طعنةٌ تحت الرداءْ!/
فَلْتبكّرْ فضّةٌ قبل الأذانْ
بدمٍ يخلعهُ الحلمُ عليّ!

●

معولٌ للروح ، وقتٌ للبكاءْ
تتلاشى فيه أجناسٌ، تواريخُ ،
وتبلى فكرةٌ أو دولةٌ بين يديْ
وَهْيَ تجري في فضاءٍ من حجرْ!/
فَلْتكنْ أنقاضُنا بيتاً لطقسٍ موسميّْ
وَلْتبكّرْ ضفّةٌ إذْ ترثُ الحربُ البَلَدْ!/

●

كيف أعطي الحربَ شكلي الآدميّْ؟
كيف أصحو في ترابي، وأغنّي للولدْ؟
وأسميّ الأرضَ قبراً،
وأسميّ أوّلَ الارضِ الجسدْ؟/

●

بين تيهٍ وزبدْ
بين حربٍ ومجازٍ يتجلّى كوكبٌ
أو تهبطُ العذراءُ في قاع النخيلْ
ثمّ تهديني الخليلْ
غابةَ، أو تخرجُ القدسُ إليّْ!/
كيف تدعوني إلى فصحٍ بديلْ
ورغيفٍ ونبيذٍ من ربيع الناصريّْ
وعليها غسقٌ يحنو وجرحٌ نبويّ؟/

●●●

هو وقتٌ لمديح ذهبي
جمعتْ عذراؤهُ أعضاءَهَا
تحت سماءٍ من حجرْ
وانحنتْ تحملُ طفلاً في قماطٍ
وتعرّي خزفاً يخضرُّ،
والأرضُ يسجّيها عشاءٌ دمويّْ
بينما تبيضُّ أسنان الهواءْ!/
زهرةٌ في بيت لحمٍ ، وانتظارٌ لدليلْ
ضفّةٌ يُقبسها نجمٌ كليلْ
بينما تعدو الجليلْ
في فضاءٍ من حجرْ!/
هو وقتٌ آدميّْ
لم تزلْ تنسجُ فيهِ الضفّتانْ
مخدعاً من مطرٍ،
أو شرفةً من أرجوانْ
ويعريّ مهرةً من لهبٍ،
يغسلُها عطرٌ ونارٌ ودخانْ
وعلى النهدينِ تغفو جمرتانْ
وتعرّي صدرَها تحت الضفيرهْ
طلقاتٌ في المطرْ!/

●

وأرى الطفلَ الذي تحضنُ كفّاهُ الفطيرهْ
وعلى دفترِهِ أجراسُ خبازى،
وفي عينيهِ يذوي قمرٌ من هِنْدِباءْ. . .
كانَ يرعى قبّةً من خُوذٍ أو قبّراتْ
كوّةٌ في غيمةِ الناي تناديهِ،
وحقلٌ من عصافيرَ وعشبٌ ونواةْ!/
وأرى تحت سماء من حجرْ
نخلةً تتئمُ إمّا فضّها طلعُ السّحَرْ
وأرى بين الثدي
قمراً يهبطُ في بيتٍ،
صدى قيثارةٍ يكسرهُ غصنُ الشررْ!/

●

فَلْتدمْ أغنيّةٌ تخضلُّ فيها الأجنحةْ
وَلْتخضّبْ برماد المذبحهْ
جمرةً تبيضُّ، تزكو في أكفٍ ومعاول°
وَلْيكنْ وقتٌ قريبْ
لصباحٍ من حليبٍ ودماءْ! /
ربّما يقبلُ فيه وارثوهُ بربيع حجريٌّ
بجذورٍ ونباتاتٍ وأمّاتٍ وماءْ
بينما تشهدُ عذراءُ السنابلْ
لغةً أو شهوةً ينسجُهَا
لحمٌ بسيطٌ ونقيْ!

●●●

جسدُ ينقسم
في شتاءِ الضفّتينْ
أمْ دمٌ يلتئمُ؟ /
ونهارٌ في يدينْ
بالمُدَى يغتسلُ
وعلى الأرضِ الدمُ! /
بيننا تكتملُ
فكرةٌ أم حلمُ
بانتظارِ العاشقينْ!

●●●

هو وقتٌ لمديح ذهبيّ
خزفٌ يخضرٌّ، طفلٌ أخضرُ الكفّين يحبو،
أفقٌ من معدنٍ،
مرضعةٌ تذوي وحاملْ
وشتاءٌ لعذارى وأيائلْ! /
وردةٌ تطلع فيها الناصرةْ! /
طعنةٌ في خاصرةْ
كوكبُ يخرج منها،



دوّنته الذاكرة!

●

ضفّة أم ضفّتانْ
واحتضار في المكانْ؟ /
مالذي يخضرّ في الأفق؟
وهذي خوذةٌ أم نَخلةٌ
هل ينتمي الطفلُ إليها،
أم يغنّي لحريقٍ في الهياكلْ؟ /
هو ليلٌ شاهدٌ يقطف أرضاً حاضرهْ
شمسهُ تنشرها رؤيا دمٍ،
والدمُ يجري حنطةً بين المداخلْ!
بينما ينكسرُ الخبزُ،
وتصحو في رماد الذاكرةْ
طفلة أو ساحرةْ
في أكاليل شظايا وخلايا تُخْتَصرْ
وعلى الأرض قناديل يوشيّها
غبارٌ ودخانٌ وعنادلْ! /

●●●

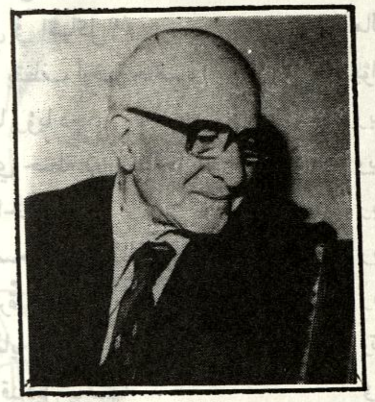
هو وقتٌ لمديحٍ يُبْتكَرْ! /
ضفّة ملأى بعذراء المكانْ
ضفّة تحفظها أرضُ الشعاعْ! /
هذه الأرضُ التي تدلقُ أقماراً على سرّتها،
يخضرُّ فيها عاشقانْ!
هذه الأرضُ التي يوقظها ماءُ الذكرْ
هذه الأرضُ التي تمنحنا مقبرةً
أو يحتمي فيها جياعٌ بالمطرْ!
هذه الأرض التي تحرثها ذريّةٌ،
أو تنتهي فيها بقايا الوارثينْ
مالذي تنجبهُ بعد شقاءٍ وصراعْ؟
مالذي تختارهُ الروحُ عليها

عندما يرشحُ جسمٌ بالدماءْ؟
مالذي نبصرهُ بين يديها
عندما تلتجيء الروح إليها؟
مالذي يختارُ فيها الوارثونَ الطيبّونْ؟

●

وإذا النجمُ هوى،
أو غادرَ النحلُ القفيرْ
مالذي تفعلهُ أرضٌ
يؤاخيها رجالٌ ونساءْ؟ /
ربما يبتعد القمحُ،
ويبكي حقلُ ليمونٍ فقيرْ
ربما تبكي على قيثارةِ الكفّ عيونْ
ربما ينتشرُ الزيتونُ والتينُ وملح المائدة! /
ربما تحيا العناصرْ
وتفيق الوالدهْ
في ربيعٍ من دفاترْ
بين ليلٍ وقماطٍ وسريرٍ
فترى وجهاً أليفاً،
وبذوراً وطيوراً عائدةْ!
. . . وأراني خزفاً يبرئه طفلٌ،
وتحميهِ عيونٌ وغصونٌ وابتهالٌ في المطرْ! /
هِي أنثى الأرضِ تنمو! /
تخرجُ الأرضُ من القبر الدفينْ
تمنح الطينَ جناحينِ وناياً للحجرْ
وأراجيحَ وأطفالاً ونهراً
وسريراً وثماراً وسماء و. . . الخ! /
ويقيم الدمُ فيها،
ويؤاخيها الحجرْ! /
هو وقتٌ لجنون آدميّ!
هو وقتٌ ليقين عربي!

ملتقى ابو سلمى الاول للشعراء الشباب



أقامت لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ملتقى «أبو سلمى» للشعراء الفلسطينيين الشباب وذلك في قاعة الخالصة بتاريخ ١٩٨٨/٣/٢٩ وقد شارإ الشعراء الشباب التالية أسماؤهم بعدد من القصائد:

بثينة عبد العزيز، يوسف حطيني، عماد موعد، مرهف زينو، محمد الصوان، سليم مصطفى، خليل الداموني، هيثم عبد الله، خليل عادي، حسام الدين منصور، بيسان أبو خالد، اياد عاطف الحياتله.

وبتكليف من لجنة العمل النقابية قام عضو اللجنة الشاعر خالد أبو خالد بتقديم الشعراء الشباب وفي الصفحات التالية نص التقديم وبعض قصائد الشعراء:

في أيام هذه الانتفاضة المجيدة وفي اسبوع يوم الارض الفلسطينية، ينهض جيل جديد من الشعراء، كما ينهض جيل جديد من المقاتلين في مشهد الدم والبطولة الذي يأخذ مكانه الآن في الضمير العربي، والضمير الانساني، معلناً أن فلسطين التي تقاتل منذ ما يزيد على قرن من الزمن أن فلسطين هذه، هي الاسم الحركي، لهذا الوطن العربي.

وانها تبرهن في اطار الجبهة الثقافية كما في مساحة النضال أنها قصة تتضمن كل قيم العطاء والخصب..

واذا كانت لجنة العمل النقابي للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين قد أخذت على عاتقها مهمة تقديم شعراء فلسطين الشباب، فقد فعلت ذلك تحت شرط غياب المؤسسة الثقافية الشبيبية التي من واجبها أن تقوم بهذا الدور.

ولقد كان فرحنا كبيراً، وعظيماً ونحن نستقبل نتاجات الشباب الشعراء، لاننا ندرك، ومن خلال معاصرتنا للعملية الثقافية الفلسطينية العربية بأن صراع الاجيال الثقافية، انما يعبر عن نفسه في السويتين الفنية، والسياسية للمسألة... ولا وجه آخر لهذا الصراع..

واذا كان هذا الملتقى الاول قد حمل اسم أبي سلمى للشعراء الشباب فلان أبا سلمى مثل بحق شاعر الاجيال الفلسطينية، وكان أبداً جديراً بأن يأخذ موقع القائد الرائد، على جبهتنا الثقافية عبر كل الاجيال التي واكبته وتعلمت منه حتى يومه الاخير.

وهنا لابد من الاشارة الى أن اللجنة التي كلفت بقراءة النصوص المقدمة الى هذا الملتقى قد وضعت في اعتبارها مسألتين.

الاولى: مسألة الديمقراطية المتعلقة بحرية التعبير وارتباطها بحرية الاشكال الفنية التي يختارها الشاعر.

الثانية: أنها لم تشترط في النصوص التي قدمت، أن تكون تعبيراً عن اتجاه سياسي بالتحديد كما أنها لم تشترط ضرورة أن تكون هذه القصائد مسيّسة بأية صورة من الصور..

هذا كله بالاضافة الى أنها لم تضع مقياساً نموذجياً نقدياً تقيس به النصوص المقدمة، بسبب من ادراكها لطبيعة التجربة الشبيبية الشعرية، باعتبارها تجربة مازالت في مطالعها الاولى..

ولقد كان واضحاً منذ البدء بالنسبة للجنة، أن قراراتها ليست مؤهلة لصناعة الشعراء وأنها لاتدعي ذلك بأي حال من الاحوال..

وأن واجبها يتحدد في تسليم الشعراء الشباب مفاتيح البداية وعليهم هم أن يقوموا بتطوير تجاربهم خارج الرعايات الابوية التي قد تشكل في أحد جوانبها خطراً حقيقياً على نمو وتنمية هذه التجارب باعتبارها تجارب ابداعية، لا مدرسية بالمعنى الدقيق للكلمة.

كما أن اللجنة، قامت باستبعاد كافة النصوص التي قدمها شعراء أعضاء في الاتحاد بسبب من ضرورة اعطاء فرصة كاملة للمشاركة الشبابية في هذا الملتقى..

ويسرنا هنا أن نعلن ما يلي:

أولاً: أن اللجنة لم تتدخل في اجراء أي تعديل على النصوص كما أنها اختارت القصائد المرسخة للملتقى من بين القصائد الموجودة لهذه الغاية.

ثانياً: أنها تعبر عن فخر واعتزاز جبهتنا الثقافية، بالنصوص التي سوف تلقى، والتي تتمحور حول الموقف السياسي الصحيح فيما يتعلق بقضية شعبنا، وأن التوازن بين هذا الموقف والموقف الفني الاكثر نضجاً قائم بالفعل لدى كل المشاركين في هذا الملتقى بتفاوت يختلف من شاعر الى آخر.

ثانياً:

ان اختيار اللجنة النقابية للشاعر خالد أبو خالد، لتقديم الشعراء يشكل مصدر فخر واعتزاز لجيله من الشعراء الذين تطلعوا أبداً الى ولادة هذا الجيل الجديد من شعراء فلسطين بمحبة، وشوق..

ثالثاً: أننا نعلن لكم أيها الشعراء الشباب، ومن خلال هذا الملتقي، بأن أحد الشروط الهامة لتطوير العملية الابداعية ـ كما لتطوير العمليات الثورية الاخرى وعلى كل مستوياتها الثقافية، هو تمثل قيم خط وطني ديموقراطي حقيقي على مستوى الثقافة كما على المستويات السياسية والحياتية الاخرى، خط مؤسس على نهج تحرير كامل تراب وطنا حقنا في تقرير مصيرنا عليه في أفق أمتنا العربية بجماهيرها المؤمنة والملتزمة بتحرير فلسطين.

رابعاً: يشرفنا كثيراً ـ وبلا حدود أن يكون من بين من درسوا هذه النصوص شيخ الأدباء الفلسطينيين الشاعر الدكتور عبد الرحمن كيالي والموجود الآن بيننا والذي قدم لنا رؤيته وخبرته كأستاذ ومرب كبير..

خامساً: يسعدنا أخيراً أن نرحب في هذا الملتقى بالشاعر العربي الكبير عبد الكريم الناعم الذي أكرمنا بحضوره للتعرف الى شعراء فلسطين الشباب.

ختاماً:

مرحباً.. بأحفاد أبي سلمى وعبد الرحيم محمود.. شعرائنا الشباب.. مرحباً بفلسطين في عطاءاتها وخصبها.. ومستقبلها الذي لايقبل الغياب..

شعر

ماء لصمت الصحارى

عماد موعد

أيُّ فرح خبأة النخيل
وأيُّ صرخة اختصرت المدى كي تنام في امتداد البراري
كبرنا ونمت ضفائرنا في مخاض الرحيل
فالتجأنا الى الحلم
كي نشهد فينا تفتح الحصى والياسمين

تأتين الآن.. نجمة للعشق
غابة صفصاف، تنتظر
إشتعال العشاق، جرة ميلاد لجسد تقمص المنام
لعينيك.. كان موتنا يزدهي في اندفاع الرصاص الى مخيم
يخبىء في أرحامه الورد والقصائد
ولزعتر يخرج من وراء الأصابع
سنقرأ دفاتر الشعر
وسنشرع شبابيك المدينة لفجر سيطلع من مرايا عينيك
آن لك.. ان تنهضي من زهرة الحزن
آن لك.. ان تخرجي من عباءة الليل

أولاً: أن اللجنة لم تتدخل في اجراء أي تعديل على النصوص كما أنها اختارت القصائد المرسخة للملتقى من بين القصائد الموجودة لهذه الغاية.

ثانياً: أنها تعبر عن فخر واعتزاز جبهتنا الثقافية، بالنصوص التي سوف تلقى، والتي تتمحور حول الموقف السياسي الصحيح فيما يتعلق بقضية شعبنا، وأن التوازن بين هذا الموقف والموقف الفني الاكثر نضجاً قائم بالفعل لدى كل المشاركين في هذا الملتقى بتفاوت يختلف من شاعر الى آخر.

ثانياً:

ان اختيار اللجنة النقابية للشاعر خالد أبو خالد، لتقديم الشعراء يشكل مصدر فخر واعتزاز لجيله من الشعراء الذين تطلعوا أبداً الى ولادة هذا الجيل الجديد من شعراء فلسطين بمحبة، وشوق..

ثالثاً: أننا نعلن لكم أيها الشعراء الشباب، ومن خلال هذا الملتقي، بأن أحد الشروط الهامة لتطوير العملية الابداعية ـ كما لتطوير العمليات الثورية الاخرى وعلى كل مستوياتها الثقافية، هو تمثل قيم خط وطني ديموقراطي حقيقي على مستوى الثقافة كما على المستويات السياسية والحياتية الاخرى، خط مؤسس على نهج تحرير كامل تراب وطنا حقنا في تقرير مصيرنا عليه في أفق أمتنا العربية بجماهيرها المؤمنة والملتزمة بتحرير فلسطين.

رابعاً: يشرفنا كثيراً ـ وبلا حدود أن يكون من بين من درسوا هذه النصوص شيخ الادباء الفلسطينيين الشاعر الدكتور عبد الرحمن كيالي والموجود الآن بيننا والذي قدم لنا رؤيته وخبرته كأستاذ ومرب كبير..

خامساً: يسعدنا أخيراً أن نرحب في هذا الملتقى بالشاعر العربي الكبير عبد الكريم الناعم الذي أكرمنا بحضوره للتعرف الى شعراء فلسطين الشباب.

ختاماً:

مرحباً.. بأحفاد أبي سلمى وعبد الرحيم محمود.. شعرائنا الشباب.. مرحباً بفلسطين في عطاءاتها وخصبها.. ومستقبلها الذي لايقبل الغياب..

شعر

ماء لصمت الصحارى

عماد موعد

أيُّ فرح خبأة النخيل
وأيُّ صرخة اختصرت المدى كي تنام في امتداد البراري
كبرنا ونمت ضفائرنا في مخاض الرحيل
فالتجأنا الى الحلم
كي نشهد فينا تفتح الحصى والياسمين

تأتين الآن.. نجمة للعشق
غابة صفصاف، تنتظر
إشتعال العشاق، جرة ميلاد لجسد تقمص المنام
لعينيك.. كان موتنا يزدهي في اندفاع الرصاص الى مخيم
يخبىء في أرحامه الورد والقصائد
ولزعتر يخرج من وراء الأصابع
سنقرأ دفاتر الشعر
وسنشرع شبابيك المدينة لفجر سيطلع من مرايا عينيك
آن لك.. ان تنهضي من زهرة الحزن
آن لك.. ان تخرجي من عباءة الليل

وان تعلقي الوهم على شجر الليمون
كي ترسمي
اشتياقاً للندى ، ليمامة غابت في المدى
لوحل مخيم تغمس برائحة المطر
انهضي من فوضانا وانثري ورودك على جدران المخيم
سلسلة من الصباحات والندى
أقرأي السلام على النائمين في آخر المدى
وابدأي في الكلام
أنت ماء لصمت الصحارى ونبيذ لحطام الروح
أنت للقلب المشرد هديل حمامة

تأتين الآن
في غيمة تغدو فوق جراحنا
وفي موت طفل يومض بالمنام
تأتين في مظاهرة التلاميذِ
في حجر صغير يفجّ رأس جندي
في علم خيط برمش العيون
في انفجار الفدائي فوق احتقان المفاصل
في شراع سيتجلى في أفق سمانا
في نصل سكين لتمزق التشرذم فينا

عودي الى خطانا لتكتشف التوحد فينا
فلا شيء يكسرنا
ولا شيء يهزمنا غيرُ هذا الطاعون
لا شيء يقتلنا إلا صهيل الجياد الخائرة
يلبسون جلدك ويمضون خلف غموض النهار وغبار خطانا
يقتنصون أحلامنا الاولى كطائرةْ
تلاحق فراشتين
يعلقون همنا أوسمة على صدورهم ونياشين
يغرسون حرابهم في صدرك

ويصفقون
كي يقتسموا دمنا في ساحات القبائل
تباً لصمت هياكلهم . . تباً
تباً
لعبث الحرس ، لذباب يخرج من أجسادنا
كي يمتص نسغ الربيع فينا
تباً لركام الفوضى ، للخلطِ ، لارتباكِ
الطريق
في غفلة الميلاد
لا نرجسةٌ دون غصة
لا قصيدة دون ارتحال
ولا مجد إلا مجد الصاعدين الى نخيل سيطلع من أريج موتانا

قد آن لنا الآن . . أن نمضي
الى يمامة غابت
الى عيون عاشقة تكتم عشقها
ولا تبوح بالمنام لغير عاشق يصعد سلم البنفسج ويغتسل بالحنين
آه . . من ذكرى تلوح في حبة زيتون
ومن فنجان قهوة ارتجف
لميلاد الصباح
آه . . من هواء لا يأتي عبر النوافذ الا دقائق
ومن متسع في الفراغ
نحترق فيه . . شظايا وقصائد تنسف المدى
تكنس الجرائد . .

شعر

«رؤية ابن جزرٍ لثورة الحجر»

بيسان ابو خالد

كبوت على كفٍ اسمنتكَ الآن إني
شجيّ الربوع شجي الغرابة مذ أغرقتني التراتيلُ
في ليلة المولد المستحيلْ . .
كبوت على كفِّ اسمنتك الآن ملءِ الرمادِ
وملءِ الجفون الدخان الذي ظلَّ يُعول في مستهلّ الرحيلْ
وملءِ العيون التي قد غشاها الغبار الممرّد
من شارع في دمشق الشتاءِ الى شارع من حفاة الجليلْ . .

كبوتُ . .
وياليتك الآن سرج الهمومْ
لنغتال من صحونا الموت عري الوجومْ
لنسرق من كبوة العشق ظل المخيم
أو قد لنرحل خلف الحدود ونولد في البرتقال الحزينْ .
لماذا نمدّ جسوراً من اللحن ما بيننا! . .
أما عاد لي الآن غير الاذاعات غير التصاريح تورق في آخر الجرح ياليلنا

عزيف الحجارة صار الرصاص وملء المخازن جوع البنادق للشمس والحربِ والميجانا
فطوبى لعري الصدور التي غادرتها المتاريس في برهة قد رواها العذابْ .

وسحقاً لمتراسك الآن يولد في مجلس الأمن يسحق
في ثورة الارض طهر الترابْ . .
فماذا سأقتات هذا المساءْ . .
أأستذكر اليومَ أحياء غزّة
أوراق غسانَ
أو خلجة من مرايا البكاءْ

أأستذكر الآن أني ترجَّلت من واحة الكتب طفلاً
وجبت الحواري الحزينة عمراً
وأني كبرت لأشهد في معصميها الرعافْ
وفي صدرها الأفق صرخةْ
وأني كبوت على شهقة الليل من بيرق الحزن حرقةْ

فلسطين إن خانك اليوم وجد المسافات في عوسج البعد
لاتغفري
فإني غريبك مذ علقوه على كذبة الحربْ
إني الذي أورقته الحجارة للمرة الألف في دفتر العشق والزعترِ
وإني الذي يشنق العمرَ في غربة الوقت والمهجرْ .

عام مضى . .
عام مضى والدخان ارتدى وجهك اليعربيَّ
وخلفتني شرفة تستفيض الأسى . .
ثم عام مضى والمساء غريب عن الحزنِ
تلك الليالي التي علمتني البكاء وعام مضى . .
ماتبقى رهين الزنازين

والزّيف
إني وحيد ولي أغنيات الوطن

وهذا المساء يدجج في عتمة الحزن ألغامه في الدروب . .
تراكمت ياشوك أصدافه الغائمة
تراكمت في الشاطىء المشرقيّ
وأقلقت طيف المنارات في عالم من جليد السفنْ
وهبّت من الشوق أيقونة في دمي
تجاهلت فيها رنين الرجوع وأوصدت بابي
وكلّ الشبابيك كيلا أفرّ الى ومضة من ربيع أغرّ

وصار الدوار رفيق المكان رفيقاً لليل يدجج في الحزن ألغامه ثمّ يمضي
بريئاً من الفجر من صرخة لاتطال السماءْ . .
يكاد الحنين يورّد في الجفن شمعةْ
تكاد السنين تردد باللكنة المستباحة في شارع من رفات البشرْ
ماذا نخبىء خلف الكلام وخلف الصورْ
مطاف العذابات في آخر الليل جرحٌ كبرْ . .

آهِ . فكّ الاسارير هذا زمان النحاسِ
زمان تقبّل فيه الخيانة وجه القمرْ . .

أينا أخطأ الآن يا صاحبي
أينا قد أصابْ
أم ترانا غرقنا مع الجزر مذ قد ولدنا
ومذ قد نصير الترابْ
وحين اقتنينا زجاج المحابر والنافذات
طوينا دماً
وانطفأنا على ورقة من بياضْ

ووجهان كنا اختبأنا مع الدمع بين السطورِ

وكنا انتزعنا التفاصيل من زحمة الوقت والأغنيات .
مساءاً مررت على أيكه الحزن ما عادت الآنَ
تعني المغادر أوراق أحزانه السافرة
فللصخر عينان من شاهدات العبور ومن قافيات الجسورِ
ومن زهر أجسادنا الفانية . .

فيا نجم بحرٍ تراءى على جثة الرمل مثل الغريبِ .
ويمّم صوب المنارات في طيفه ألف طيرٍ
أحس بأني وليد فيافيك يوماً بيومٍ
وأختار أني لست أنا
ثم لست التي تحلم الآنَ في أن تكونْ
وصخر المدينة قد عبدّته السجون
وأكره أني منحتك يا أمّنا الارضَ
حبر الصخور الشجون
وطيرين من قافيات الجنونْ . .

شعر

دروب عارية

اليك يانضال ابو رز
حين يخونونا الحلم

خليل عادي

مضطربة يا هذه
الدروب . .
كأعاصير وردة
تمرّغ وجهها بتراب الفجيعة .
أسير ببطء
كالخريف
وأوراقي الصفراء
تنوح عند منعطفات الجفاف
تُسحق على الطرقات
في لحظة الصقيع
تندب
أوهام الفصول المحنطة
في حجرة الصمت .

أُرتب أكتاف اغنيتي
وأمضي
كسلحفاة الانكسارْ
في جنازة الوهمْ .
للحلم مراكب الحيرة .
مضطرباً تجتاحني الدروب الشريدة
وتجدف في دمي
جراح العصافير .
ماذا كنت تفعل هناك؟
أكنت تخلق نجمة
لاجنحة اللوز
المحترق في مواقد الدمع؟

٢

اليوم قاتم
والثواني رصاص
يشرخ القلب الى نافذتين .
الصفصاف حزيناً
يبكي أطفاله في ليل الزنزانة
والوقت سياط
تبحث عن عيون هاربة
في طلقة الافق .

٣

قلبي
المجنون
واقدامي
البداية
القتيلة

٤

وهذا صفير الناي
تنهدات الام
تهدهد الذكريات التي تتقافز كطفلٍ
بين خيوط الشمس
بين دماء الورد .
ذكريات
عن رجل كان يفرش وجه الارض
بعينيه
يغني لبراعم الشمس
تتفتح على ضفاف الطرقات
النائمة .
ويغسل جراحه في ابتهالات الفرح .

في اللحظة الموجعة من الحلم
يستيقظ
فيرى نهار أشجاره أرملة ،
وفصوله صفراء
تنوح على الدروب
مضطربة
كقطعان أنملها ناي الظلمة
يداهمه صقيع العريّ
يمشي
مرتدياً تمزقات عريه
كمن يمشي في جنازته
الى
مقبرة
اليوم القاتم .

[في العيد]

برؤوس الاصابع
بقرف ! !
يضعون الازهار على القبورِ
يضعون الازهار على قبور الشهداءِ
وهم يرتدون
البدلات المخملية
يركبون
السيارات العجيبة
يضعون الازهار
يشربون القهوة
يتقيئون
يذهبون
دون أن ندري
كاللصوص .

[علاقة]

هكذا كانت تبكي المدينة
ويندلق رأسها بين كفيها
كأم حزينة
وهي تدندن الهديل
كالحمامة
بين يديكَ
كانت المدينة تختبىء
في عش عينيك
عندما تغمضها
بانكسارْ .

- قصة -

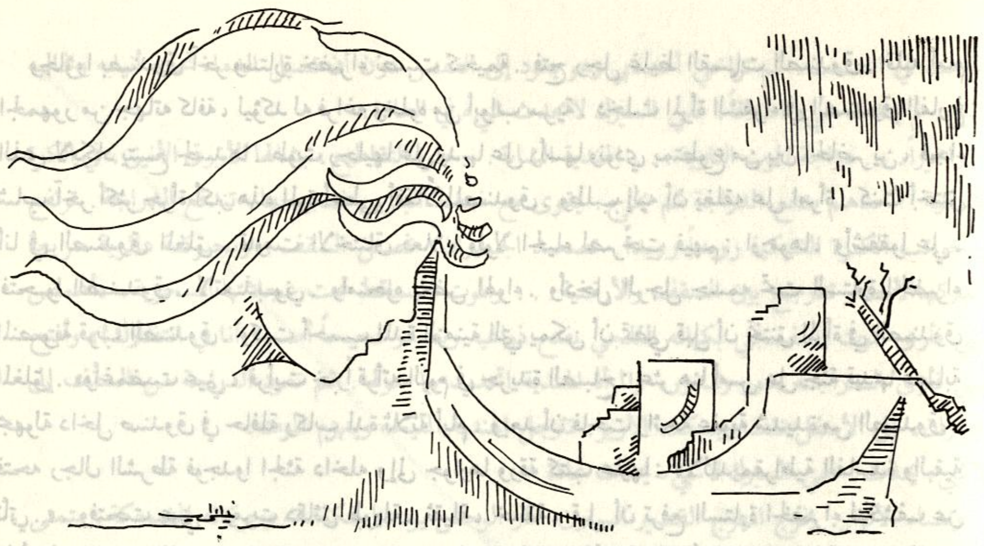
السيرك

د. محمود موعد*

لأمر خارج عن ارادتي، وجدتني، فجأة، داخل خيمة السيرك الكروية الضخمة. ربما دفعتني الاحباطات المتوالية في عملي، وفي حياتي اليومية، وفي علاقاتي بالآخرين، إلى نشدان بعض التسلية البريئة إلى حين. هالني هذا الحشد الكبير من البشر، أطفالاً وشباباً ونساء وشيوخاً كلهم أقبلوا، كأن المدينة بأسرها زحفت لمشاهدة العرض. عجبت كيف اتسعت القبة الكروية لكل القادمين، تساءلت عما دفع كلاً من هذا الخلق إلى الحضور. هاجني ضيق مفاجيء، فهممت بالخروج هرباً من الزحام، فوجدت الدروب قد سدت من خلفي، وأن من العبث التفكير في ذلك قبل انتهاء العرض، وقاومت احساساً بالاختناق لازمني في الفترة الأخيرة كلما وجدت نفسي في موقف مماثل. وما إن أخذت مقعدي بين الصفوف المتراصة، حتى بدأت ضربات قلبي تشتد، وأنفاسي تتلاحق. وانتابني شعور قوي، عصي على التفسير أن شيئاً فظيعاً يوشك أن يقع، شيئاً يخرج عن المألوف. صوت داخلي ينشر النذير في أعصابي: انج بنفسك!. ولكن الأوان قد فات.

سرّي عني قليلاً حين بدأت الأضواء تنطفيء حتى عم الظلام، وأخذت حزم نور قوية توجه إلى الحلبة. ويخفت الضجيج والضحك والشتائم من الجموع الواقفة التي سدت الممرات، ويظهر المقدم في ملتقى الأنوار الكاشفة، وهو مهرج سمين، قصير القامة، كبير الأذنين قد تلطخ وجهه ببقع بيضاء وسوداء وصفراء، وصبغ أنفه باللون الأحمر، وحشر جسمه في ملابس مخططة كحمار الوحش، وعلى رأسه قبعة دائرية عريضة ناصلة اللون. أخذ يلقي فكاهات مبتذلة، تستجر الضحكات، مصحوبة بحركات هي التي دفعتني إلى الضحك من أعماقي. ووعد ببرنامج ثلاث ساعات حافلة. وحين انحنى للجمهور الضاحك استدار ليختفي وراء الستائر، تعثر بشريط كهربائي ممتد فسقط على وجهه واشتدت موجة

* قاص وناقد من فلسطين.



الضحك وعلا الصفير. وقام بحركات مبالغ فيها ليقنع الجمهور بأن السقطة، هي الأخرى، جزء من البرنامج. وابتدأت الرحلة مع العروض.

جاؤوا بصندوق فيه فتحة واسعة في الأعلى، وثلاث فتحات ضيقة في الأسفل وقف رجل أسمر طويل، غزير الشعر، ضافي الثياب، وإلى جانبه امرأة شقراء ترتدي ثياباً قصيرة تكشف عن ذراعيها وساقيها. وبإشارة من يده أخذت المرأة تمرر من الفتحات الثلاثة السفلى ثلاث جزرات. وانتحت جانباً ارتفعت في الجو موسيقى صاخبة مصحوبة بحركات من الرجل. وسلطت الأضواء على الفتحات الثلاث. تراجع الرجل الطويل الأسمر إلى خلف الصندوق. وأشار إلى الجمهور بمراقبة مايجري. وبلمح البصر، ومع اشتداد الموسيقى، أصدر حركة سريعة من يده فانزلقت سكين كالمقصلة قصت الجزرات الثلاث، فسقطت تتدحرج على الأرض. وتقدم يطلب، وهو يطوف بالصفوف الاولى، متبرعاً يخرج من بين الناس، فأحجم كثيرون وأخفيت رأسي وراء الرؤوس، حتى لايراني فيخرجني أمام العيون وأنقذ الموقف الشاب متحمس أخذ موقعه خلف الصندوق. ولم يكن يخلو، على الرغم من جرأته، من تردد: رأسه في الفتحة العليا ويداه في الفتحتين الجانبيتين، والجزرة أخذت موقعها في الفتحة الوسطى تراجعت المرأة الشقراء وبدأت الموسيقى الصاخبة وأخذني ذعر شديد. ودخل في روعي أن اللعبة حقيقية، وأن يدي الشاب المتحمس ستسقطان بعد نزول السكين المقصلة إلى جانب الجزرات المقصوصة فأغمضت عيني فرأيت الرجل النحيل، بعينيه الضيقتين المذعورتين، وذقنه ذات الشعرات الشائبات المهتزة، والعملاق صاحب السيف الحاد، وهو يمسك بيده الأخرى يد الرجل النحيل المرتجفة. وبلمحة خاطفة يهوي السيف الحاد في اليد الماهرة العملاقة على اليد المرتجفة النحيل فتسقط بعيداً كشيء مهمل ليس من صاحبه الذي سرق - كما قيل بضعة أرغفة ليطعم أولاده الجياع، وفتحت عيني على صوت الرجل الأسمر الطويل يصيح: استعد! وتهوي السكين فتسقط الجزرة وتنجو اليدان، وأنا أبحث عن قلبي الذي تهاوى تحت ضجيج الجمهور وتصفيقه، وأطمئن نفسي: اننا في سيرك، وفي السيرك لاشيء يحدث عادة!

وجاؤوا بصندوق آخر وستارة خضراء نصبت كخيمة. فتح رجل غليظ القسمات الصندوق. قلبه أمام الجمهور من جهاته كافة، ليؤكد له فراغه وخلوه من أبواب سرية. دخلت المرأة الشقراء في الصندوق الفارغ الذي لايكاد يتسع لجسدها. طوت رجليها على يديها على رأسها ونودي بمتطوع من بين الحاضرين، فجاء شاب آخر أكثر جرأة أكبر هذه المرة أعطي أقفالاً للصندوق. وطلب إليه أن يغلقه على امرأة. كنت أختنق أنا في الصندوق المغلق. قاومت الاختناق فعلاً. ولولا الحياء لصرخت فيهم: ارحموها، وأشفقوا علي. افتحوا الصندوق. لاتعذبوني. وامنحوه بعض الهواء. وأدخل الرجل جسمه تحت الستارة الخضراء المنصوبة قرب الصندوق. وكنت أحسب المدة الزمنية التي يمكن أن تمضي قبل أن تختنق المرأة في الصندوق المغلق. «وأغمضت عيني، فرأيت خبراً قرأته اليوم في جريدة الصباح: عثر هنا أمس على جثة قيدتها عصابة مجهولة داخل صندوق في حافلة ركاب لمدة ثلاثة أيام. وبعد أن فاحت رائحة عفونة شديدة من الصندوق، فتحه رجال الشرطة فوجدوا الجثة داخله وإلى جوارها ورقة كتب عليها: «لاللديمقراطية الفاسدة والبقية تأتي.». وفتحت عيني. ومرت دقائق طويلة، ثقيلة، خانقة، قبل أن ترفع الستارة الخضراء لتكشف عن المرأة الشقراء - وياللعجب مختبئة فيها. ويستدعى الشاب ليفتح الأقفال التي أغلقها بيده، لنكتشف الرجل غليظ القسمات قد انطوى بعضه على بعض داخل الصندوق. وقام يتمطى كأنه يخرج من نوم طويل. وتنفست الصعداء وذكرت نفسي بأننا في سيرك وفي السيرك لاشيء يحدث عادة.

وتتابعت المشاهد: الصندوق المقسوم إلى نصفين على شكل (8) والمرأة السمراء المصلوبة في الجزئين معاً، والأسياخ العريضة الحادة تخترق العنق والصدر والبطن والفخذين. «وأغمضت عيني لأرى السكاكين المسنونة والآلات القاطعة تخترق أجساد الأطفال والشيوخ والنساء في مخيمي صبرا وشاتيلا». وأفتح عيني لأرى دماء المرأة السمراء تنساب من أسفل الصندوق فلا أرى أثراً. وتخرج المرأة معافاة بلا أدنى جرح في جسدها، ففي السيرك لايحدث شيء غير مألوف عادة ثم القفزة الثلاثية الهائلة في الفراغ: الرجل الذي يتأرجح في سقف القبة العالي معلقاً من قدميه طليق اليدين، والرجل الآخر في الطرف المقابل من القبة، والأنشوطة تتأرجح ذهاباً وإياباً وهو يتردد في الامساك بها يقبض عليها، يتطوح بها في الفراغ استعداداً للقفزة الهائلة، دون شبكة أرضية تقيه شر السقوط إذا سقط. التحفز والترقب والصمت المعلق في الحناجر والقفزة المنتظرة. «وأغمضت عيني لأرى جار أبو سليم يتهاوى عن السقالة في الطابق العاشر في الفراغ، لتتهاوى أسرته بين صبيان وبنات في دوامة ليس لها قرار». وأفتح عيني لأرى اليدين المدربتين لرجل الأنشوطة تقبضان على يدي الرجل المعلق الممدوتين، وتصفيق الجمهور المخدر، واندحار الموت ولاشيء يحدث.

ثم النمر الضخم المهيب، يخرج كالنابض من القفص الحديد المروض النحيل الأسود... السوط الطويل وفرقعاته اللاسعة في الهواء. المروض بحذره وخبثه والنمر بكبريائه وجهاً لوجه الفم المفتوح والأنياب البارزات وهدير الصوت المخيف، وترقب انقضاضه على الجمهور، وانكماشي على نفسي أن يكون جسدي ممزقاً بين مخالبه وأنيابه. «وأغمضت عيني لأرى أشلاء المروض الهرم حين انقض عليه نمر استيقظت فيه روح الغدر في إحدى حدائق الحيوان». وأفتح عيني لأرى النمر يخضع تحت تهديد مروضه، وجلوسه متطامناً منكمشاً على الطاولة الصغيرة، ثم وقوفه على قدميه وانحناءته للجمهور، ثم وقوفه مقعياً كالتمثال

الذاهب في الصمت. ثم تراخي أعصابي وهو يعود إلى القفص دون أن تسيل الدماء تحت أنيابه ومخالبه وزئيره. لم يحدث شيء اطلاقاً، ففي السيرك لايحدث شيء في العادة.

وأخيراً... دراجة الموت النارية... الهندية الشابة.. حلوة التقاطيع، بشالها الأزرق الأنيق، في الكرة الشبكية. أحدهم يدفع الدراجة ثم يخرج. يقوى مع ضغط البنزين ضجيجها. تندفع الدراجة. ترتفع في جوانب الكرة الشبكية رويداً رويداً. تصعد الجدران. تصل السقف. وبحركة دائرية سريعة لاتدركهاالأبصار تتأرجح بين السقف والأرضية... والموت المتساقط تحت عجلاتها السحرية. «أغمض عيني فأرى الموت البنفسجي بكيانه الثلجي يفتح ذراعيه ويصدر فحيحاً أصم: أنا في انتظارك!» وأفتح عيني فأرى الدراجة تدور وتدور، والمرأة الهندية اتحدت بما حولها. ثم تعود الدراجة من السقف إلى الجدران، إلى الأسفل تقف ويسكت الأزيز. تترجل الهندية المليحة وينهزم الموت.
ولاشيء يحدث، ففي السيرك لاشيء يحدث عادة.

وتضاء الأنوار. يخرج المهرج القصير السمين حمار الوحش يودعنا بفكاهاته وحركاته المضحكة. يتمنى لنا ليلة سعيدة.

أشع أنني خلقت من جديد. أحلف بيني وبين نفسي ألا أعود إلى هذا المكان. أتساءل: أشعر كثير من الحاضرين بهذا الترقب والخطر، أم أنني الاستثناء الوحيد؟ انقضت على كل حال، الساعات الثلاث الموعودة. وبدأت أترقب رائحة الهواء النقي حين تتحرك الصفوف نحو الخارج. يطول الانتظار ولاشيء يحدث. فجأة يرتفع من مكان ما في القبة الضخمة الهائلة صوت عميق حاد النبرات:

أيها السادة.. أيها السادة.. أعلم وأنتم في هذا المكان منع التجول لخطورة الأوضاع، وترقب عدونا الخارجي.. قد يمتد ذلك حتى الصباح وربما إلى بضعة أيام. لذلك نرى من واجبنا عليكم تسليتكم والترفيه عنكم. ليلزم كل واحد مقعده. وليبق الواقف واقفاً. نرجو الهدوء وضبط الأعصاب. وسنقدم إليكم عرضنا مستمراً حتى إشعار آخر.

وفي هذه المرة والعرض يدور تسقط الأيدي فعلاً من الرسغ مدماة وتتناثر مع قطع الجزر. وتختنق أجساد حقيقية في الصناديق المقفلة. وينساب الدم الطري حقاً من شقوق الصندوق السفلى وتتمزق أشلاء تحت أنياب النمر. ويسقط من شاهق أكثر من ضحية. وينتصر الموت أكثر من مرة. ويروح الجمهور في صخب وضجيج ومجادلات لاتنتهي. ولم يأبه أحد من الحاضرين - وياللعجب - بما يحدث الآن فعلاً - فنحن في السيرك - ولاشيء غير مرغوب فيه يحدث في السيرك!

ـ قصة ـ

قف على جنب

زيد مطيع دماج*

أحكمت اغلاق ماتبقى من زجاج نافذة السيارة على يساري . . كان الجو باردا في ذلك الوقت من الليل . . والسحب كثيفة وقطرات مطر متفرقة تهطل . . هذا الوقت من الليل ليس متأخراً بالقياس الى ماهو معتاد في بلدان العالم . . فالساعة الآن لاتتجاوز العاشرة ومع ذلك تكاد الحركة ان تتوقف الا من سيارات الجيش والامن المتنوعة وبعض سيارات العسس بأرقامها المزورة .

كنت قد أوصلت زميلاً لي الى مسكنه اثر جلسة جماعية في منزل زميل آخر بعد أن تناولنا «القات» في فترة «القيلولة» وتسلينا بحكايات شيقة ثم بلعب الورق كنت دائماً حريصاً على أن لاأتأخر عن منزلي الى مثل هذه الساعة . . لكنها حصلت . . استوقفني جندي مدجج بالسلاح عند منعطف الشارع الدائري . . أغلقت المسجل الذي كلن يشدو بأغنية محببة «لفيروز» .

فتحت النافذة ونظرت الى الجندي المدجج بالسلاح . . لم ينظر الي بل فتح الباب ومدّ يده الى جوانب ستري كمن يبحث عن شيء . .

---

* قاص من اليمن.

حاولت ان اكتم غضبي ولاأترك له فرصة ان يندفع . . استسلمت . . ربما يبحث عن سلاح . . !؟ قلت لنفسي . . دعه يبحث فقد كثرت حوادث الثأر في هذه المدينة لكنه أمرني ان افتح صندوق السيارة الخلفي . . دست على زره فانفتح . . دون أن أخرج من السيارة . . غاب الجندي برهة ثم أقبل نحوي . . فأدرت محرك السيارة، وقد اعتبرت أن الموضوع قد انتهى . . مجرد تفتيش عادي . .

قال آمراً ومشيراً بيده :

ـ قف على جنب . .

ـ لماذا . . ؟

على جنب

نظرت اليه مرة أخرى فوجدته جاداً مستنفراً . . ركنت سيارتي على الجانب الأيمن للطريق . . الوقت يمر . . . نظرت الى ساعتي . . وجدتها قد تجاوزت العاشرة . . لابد أن يقلق أولادي وأمهم لتأخري . .

خرجت من السيارة . . كان الطقس بارداً مع رذاذ المطر المتساقط . . وقفت بجانب باب السيارة انتظر وانظر في نفس الوقت نحو الجندي . . لم أكن قد هيأت ثيابي لتقيني البرودة القارسة وقطرات الماء المؤلمة . .

صاحبي الجندي لديه أرديه غليظة تقيه كل شيء . . من زخات رذاذ المطر الى زخات الرصاص . .

اتجهت اليه . . وأنا على يقين تام بأنه لاتوجد أية أسباب أو مبررات لايقافي على «جنب» . . لاشيء محظور . . لامنشور . . لاسلاح . . لامشروبات روحية . لارقم سيارة مزوراً . . لاضريبة لم تدفع . . لاأثر للشك بأن سيارتي قد ارتكبت حادثة مرورية . .

حتى شكل سيارتي . . بسيط وصغير . . . ولونها غير مزعج . .

ـ يأفندم . . . !

ـ نعم . . .

ـ هل أذهب . . . ؟

ـ لا . . .

ـ لماذا . . . ؟!

لم يجبني بل أوقف سيارات أخرى وفتشها وانشغل بالحوار مع سائقيها وقفت منتظراً . . قلت له وأنا أتبعه :

ـ أهنالك مخالفة مني تستوجب توقيفي على جنب . . ؟!

نظر الى شزراً وقال :

ـ أنا قادم إليك تواً . .

حمدت الله بأنني تشرفت بهذه الاجابة التي توحى بأن مظهري محترم لديه كما كنت قد تخيلت توجه نحو الصندوق الخلفي ـ لسيارتي ـ الذي كان مايزال مفتوحاً وجذبني من كتفي قائلاً:

ـ ماهذا . . . ؟

- كأس. . . ؟
- ماهو؟
- كأس فارغ. . . ؟
وأزاح بطانية كانت مرتبة في ركن من أركان صندوق السيارة وقال:
- وهذه. . . ؟
- بطانية وكأسان فارغان ايضاً. . !
- فارغان مماذا أيها المحترم. . . ؟!
تعجبت من هذا الاستفزاز وابتسمت. .
- فارغان إلّا من الهواء. . . !!
لم تعجبه شبه النكتة التي قلتها. .
- ماذا كان بداخلهما. . ؟
- لاشيء كما ترى. . . !
توقف برهة. . كان زملاؤه يفتشون السيارات الاخرى التي يصطادونها في مثل هذه الساعة من الليل. . . !!
نظر الي قائلاً:
- أين كنت. . ؟
- عند زميل. .
- ماذا تفعلان. . . ؟
- نتحدث. . حديث «مقيل قات»
- عماذا تتحدثان. . ؟
هممت أن أقسو في اجابتي. . لكني تمهلت وأجبته:
- أضروري ان تعرف. . . ؟
- نعم. . .
- بأي حق؟
- هكذا. .؟!
- نعم هكذا. . .
- عن القات هل هو مشكلة أم قضية وطنية. . عن الزملاء والاصدقاء. .
- ومن هم؟
- أنت لاتعرفهم ياأخي؟!
- نحن نعرف كل شخص في المدينة. . . !
- سبُوح قدُوس. . . !!
- أتسخر مني. . . ؟

- معاذ الله. . .
- هذه الكؤوس الفارغة!. . ماذا شربتم فيها هذه الليلة. . ؟
- لم نشرب شيئاً فيها. . !!
- أريد تفسيراً معقولاً. . ؟
- هي خاصة بالاطفال أيام العطلات. . يشربون فيها العصير والماء. .
- ها. . عصير وماء. . ؟؟!! قالها وهو يدحرج الكئوس بأرضية صندوق السيارة. . . أثارني فقلت:
- لقد تجاوزت حدودك. . بأي حق تستوقفني. . واي قانون يخول لك ان تتصرف معي هكذا. . . ؟!
توتر الموقف موحياً بأنه سيؤول الى وضع سيء. . لكني كنت قد وصلت الى ذروة الغضب والشعور بالمهانة وكان ذلك يدفعني عادة الى الاندفاع ببسالة والى المقاومة العنيفة مهما كلفني ذلك من ثمن
ترك الجند من فوق سيارتهم المكشوفة (الطقم) مدججين بكل انواع الاسلحة الخفيفة والثقيلة وبملابسهم العسكرية المموهة وخوذهم الخاصة بالاقتحام أيضاً كان وقع رذاذ المطر على رأسي شبه الاصلع وعلى جسمي يؤذيني. . دخلت برغم تجمعهم حول السيارة وأغلقت بابها وفتحت المسجل كانت «فيروز» تشدو بأغنيتها المحببة لي. .
وأدرت محرك السيارة. . . تشنج الجند واحتاروا فيما يفعلونه اذا انطلقت بالسيارة توقعي كان انني اذا اقدمت على ذلك فانهم على الاقل سيقومون باطلاق زخات من اسلحتهم على السيارة وعلى اطاراتها بالتحديد وكنت على يقين بأنهم سيبررون ذلك حتى لونتج عن تصرفهم مقتلي بأنني مخرب خارج على القانون. . وقد عثر بداخل سيارتي على اسلحة ومنشورات وخمور ايضاً. . وبأن أربعة رفاق كانوا معي في السيارة استطاعوا الفرار ومايزال رجال الامن يبحثون عنهم وربما قد عثروا على بعضهم وسيقدمون الى محكمة امن الدولة العليا. . . !
دار في ذهني كل ذلك فأوقفت محرك السيارة. . واوقفت حتى المسجل الذي كان يشدو بأغنية «فيروز» المحببة لي. . !
انتبهت لصمت الجند المشاغب ووقوفهم بحركة آلية كأنهم تماثيل جامدة. . . كانت سيارة لاتحمل رقماً. . رمادية اللون قد وقفت بجانبي. . وكان بداخلها شخص تحدث الى قائد الجند. . شعرت بأن الحديث يخصني. .
جاء الجندي الي قائلاً:
الافندم يريدك. .
- أفندم من. . . ؟
- الافندم. . ضابط عظيم. .
- ماعظيم الا الله. . يأتي هو. .
- ماذا تقول. . . ؟!
- لقد سمعت ماقلته. . .

استشاط غضباً . . وعاد الى الافندم . . ودار حوار طويل بينهما . .

ترجل الافندم فنزل جند حراسته الخاصة من أمامه وخلفه وعن يمين ويسار أقبل نحوي كطاووس متباه . .

مدّ يديه قابضاً على طرف النافذة بعد أن تأملني جيداً ثم قال :

ـ ماقضيتك . . . ؟

ـ ليس لي قضية . . . !

ـ أيعقل هذا . . ونحن الان في منتصف الليل . . . . ؟

ـ أنا هنا منذ الساعة العاشرة . . . أوقفت دون مبرر

ـ . . . دون مبرر؟

ـ نعم . . .

ـ لايعقل ذلك . . . . ؟!

ـ . . . . !

ـ وكل هؤلاء الجند المحيطين بك . . . دون قضية . . . ؟

ـ تعنت . . أو فسره كما تريد . .

ابتسم قائلاً :

ـ . . . ليس تعنتاً كما تعتقد . . . لابد من أن أنهم عثروا على مايبرر ايقافك على جنب . .

ـ اسألهم المبرر والسبب الذي دعاهم لايقافي حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل وفي هذا الطقس الرديء . . . !

قدم الجندي الشرس الاول فنظر اليه «ضابط عظيم» مستفسراً . . فقال الجندي

ـ عثرنا على كئوس فارغة وبطانية . .

ـ وماذا من ذلك . . . ؟

ـ أجابه الضابط العظيم» . .

ـ الكئوس من النوع الخاص بالخمور . . والبطانية من النوع الخاص بممارسة الحب والجنس . . .

ـ ماهو الدليل . . . ؟

ـ يافندم . . الدليل واضح جداً . . كئوس خاصة بالخمرة وبطانية ناعمة خاصة بممارسة الفاحشة .

كان الاثنان يتحاوران تحت قطرات المطر وأنا قابع على كرسي القيادة . . . وفجأة ادخل الضابط العظيم رأسه من نافذة السيارة وقال :

ـ أعرف انك قد سمعت حواري مع الجندي المناوب . .

ـ ربما؟ . .

ـ ماردك . . . ؟

ـ الكئوس الفارغة هي لاطفالي يشربون بها الماء . . واما البطانية فأمهم تفرشها في الحديقة العامة ليستريح عليها الاطفال في يوم الاجازة . .

ـ حديث مستوحى من التراث . . . !!

ـ بل مستوحى من القرآن الكريم . .

ـ اتبعني الى القسم . .

ـ أي قسم؟

فتح باب السيارة وجذبني نحوه . . تحملت ذلك . . بالرغم من رذاذ المطر المؤذي جذبته انا ايضاً نحو الصندوق الخلفي للسيارة الذي مازال مفتوحاً . . وقلت متسائلاً

ـ هل هذه الاشياء دليل على الجرم المزعوم . . ؟

ـ نعم . .

تناولت الكئوس . . . ورميتها واحداً اثر الآخر لتتكسر فوق الرصيف وأخذت (البطانية) ورميتها ايضاً على الرصيف . .

كنت على استعداد ان ارميه ايضاً وانهي هذه الحالة السيئة من الامتهان . . كان التحفز من جانبه وجانبي قد بلغ ذروته . . كنت مستعداً ان امسك بتلابيبه وأجهاد نفسي على الانتصار عليه، وكان هو الاخر متحفزاً ايضاً بسلاحه وبزته العسكرية وجنده المحيطين به . .

فجأة أوقف الجند سيارة (صالون) فارهة واقبل احد الجنود صائحاً :

ـ يافندم . .

وهمس في أذنه . . فهرعا معاً نحو السيارة الصالون الفارهة . .

نظرت نحوهما وقد تجمع الجند حول تلك السيارة وحوار صاخب يدور . . اقفلت صندوق السيارة الخلفي واتجهت الى مقعدي وادرت محركْ السيارة وانطلقت بها . .

كنت انظر في المرايا العاكسة لأرى ان كان احد يتبعني .

لم أر أية انوار خلفي . . قلت لنفسي . . لقد عثروا على صيد ثمين حقيقي فعلاً . .

تجنبت الشوارع الرئيسية وسلكت الازقة الفرعية الموحلة خوفاً من لقاء جنود اخرين أو (ضابط عظيم) آخر!!

كان الوقت فجراً عندما وصلت امام باب منزلي . .

أوقفت السيارة ونزلت لاقرع الجرس . . لكن الباب كان قد فتح قبل ان اضع اصبعي على الزر . . .

كانت الزوجة في انتظاري بلهفة . . احتضنتني بشدة والاطفال وراءها فرحون وكان السهر قد اعياهم . .

دخلت صامتاً . . وارتميت على الاريكة . . وقد تجمع الكل حولي . . كانت امامي الخزانة الزجاجية المليئة بالتحف والكئوس والصحون والاشياء الخاصة بالسفرة . .

نهضت أخذت جميع الكئوس المشابهة وفتحت الباب وكسرتها الواحدة اثر الآخر والزوجة والاولاد يتفرجون في دهشة . . استدرت اليهم باسماً وارتميت على الاريكة . .

وقبل ان يعلو شخيري كانوا يعودون الى غرفة نومهم وعلامات الدهشة ماتزال عالقة بأجفانهم المثقلة بالنوم!

ـ قصة ـ

«الأمل الوحشي»

يوسف ضمرة*

عيناه ضيقتان. لكن احمرارا خفيفا نبت فيهما، واستسلمتا للدمع. يعبر الجسر مرة في العام. يحمل (تنكتين) من زيت الزيتون. يتفقد بهما ولديه، ولا يتفقده أحدهما بمليم واحد. وهو الذي حرث قلبه والارض فاصبحا مدرسين. هما اختارا الشرق واختار البقاء.

مذ أعلن رسميا سقـوط الضفـة، خرج الناس ليلاً الى الكهوف المعتمة. وعيونهم ترقب الطريق الترابية للقرية، في انتظار الاضواء العسكرية. لكن عمي لم يخرج، ولم يطفىء مصباح الكاز في سقيفته المقسومة الى جزئين. واحدٍ للعائلة، يرتفع بعتبة عالية عن الجزء الاخر المخصص للبغلة.

لم يقل شيئا حين مررنا به في تلك الليلة. لكن رعبا ساكنا استقر في عينيه وكسا ملامح وجهه. نصحه أبي بالخروج فصمت. وحين ألحت زوجته شتمها بغضب واضح. تلك من المرات القليلة الي أراه فيها حزينا.

وحين يجيء كل عام، يقول لي وهو يضحك.

ـ صرت رجلا يا ابن الملعون، بهذا الشارب تشبه عساكر اليهود الشرقيين.

واسأله عن الصحة فيقول إن كل شيء بخير والحمد لله. لكنه في هذا العام الذي دخل منه الى الصيف السبعين، كان خجولا، ولأني اعرفه انه لايخجل من شيء عادي، فقد فوجئت، وفاضت روحي بفضولها وسألت:

ـ ماذا حدث؟

قال ضاحكاً

ـ عمك صار (مزراب)

قلت بدهشة

ـ كيف؟

قال بحزن لايكاد يبين بيسر.

* قاص من فلسطين صدرت له عدة مجموعات قصصية.

ـ لم أعد أمسك نفسي. اصبحت أخشى زيارة الآخرين..

صمت قليلا ثم اضاف ضاحكا

ـ ولاتنس انني اصبحت مثل امرأة عمك.

قهقهت طويلا ثم سألته

ـ ألم تشبع؟

ـ قال وهو يهز رأسه.

ـ تظنهم يضعون التراب في عيني الميت لله؟ من الذي يشبع؟

خرجت الممرضة ولفظت اسمه. دخل عيادة الطبيب وانتظرت.

انتصب عمي القديم في ذاكرتي جبلا. يحرث زيتونة قبل الاخرين، ثم يحرث زيتون البعض بأجر يومي، وفي ايام السنة الأخرى، يحصد القمح الاشقر، ولا يلذ له النوم الا على قش البيدر. مكسوا بنور القمر تحت قبة السماء اللامعة. وفي ايام اخرى يركب بغلته قبل فجر القرى. يذهب الى (وادي ربـا) ليعود محملا بالخضار. وكثيرا ما ارسلني ابي معه الى هناك، واحيانا عبر (وادي القتيل) الى (الفـوارة) لنشـتري الليمـون. حينها كنت اخاف برغم وجوده.. أحيانا أسير أمامه ولا أطمئن للحظة القادمة. كأن ينتصب شبح القتيل أمامي، ويسد الطريق بلباسه الابيض مثل اكفان الموتى.. أحيانا أسير في الخلف، ولا أجرؤ على الالتفاف ورائي خشية وقوع عيني على ذراعين بيضاوين تطيحان بي عن ظهر الحمار. كنت أحب أن يرسلني أبي إلى أيّ مكان باستثناء وادي القتيل الذي يزرع الرعب في القلب.. أمسكه ثلاثة رجال غرباء ربطوه الى ساق شجرة الخروب الأزلية. سلخوا جلده عن جسده وهو حيّ يرزق. ثم قطعوا اعضاءه ووضعوها في فمه، وعيناه تخرجان من محجريهما حتى اندلقتا على وجهه وخمد. بعدها راح شبحه يخرج في عتمة الوادي، يركض صارخا بصوت يقطع القلب، يشبه الى حد بعيد عواء الذئب الجائع. يرتدي ملابس بيضاء واسعة تجعل جسده أكبر بكثير من أيّ رجل في القرية. وامتدت ذراعاه كثيرا، وامتلأتا بقوة الهية، حيث يستطيع بها ان يحمل صخرة، لايقوى على تفتيتها أمهر الحجارين في حشو الثقوب بملح البارود، ويغلق الوادي بها متى يشاء. وهو لا يخرج من الوادي في اية لحظة. ويقال إن اشجار الغار التي يزيد ارتفاعها عن قامة الرجل، تفرش في الليل أغصانها واوراقها لينام حين يشاء. وكلما خطر ببال أبي ان يرسلني الى (الفوارة) في النهار وحيدا، لايشفع النهار لخوفي.. فقد يخرج القتيل من سريره الذي لاتراه الشمس الا لحظات في اليوم. وحين أكون بصحبة عمي قرابة الفجر. ينطلق لساني دون ضابط، محاولا إخافة الخوف.

ـ متى نصل يا عمي؟

فيقول بهدوء:

ـ بعد قليل، أسكت.

كان يجبرني حين يطلب الصمت. وخمنت أخيراً أنه لابد يفكر في شيء ما. وارتبك ذهني وانا احاول قراءة افكاره التي لاتتنفس الا في الصمت، ولما كنت أخاف أن أسأله عن ذلك، وعجزت بنفسي عن معرفة أي شيء، فقد كنت أتابع.

- هل تظن أنهم قطفوا الليمون الآن؟

- قطعوه أم لا، قلك لك اسكت.

يقول ذلك بصوت مرتفع فافرح. أجمل شيء أن يصرخ في تلك اللحظات.

- هل تعرف يا عمي . . . اظن انهم يغشوننا في الليمون.

- يغشون جحشا مثل (ابوك).

في البداية كنت أغضب، لكني اعتدت شتائمه. ثم اصبحت احبها وأنا أراه ينثرها احيانا في وجه أبي وهما يضحكان . . .

- ولماذا لم يقطفوا الليمون، هل ننتظر؟

ينفجر بصوت قوي

- اسكت يا ولد، الحق على الملعون الذي أرسلك.

فاقول ببراءة مصطنعة

- ياعمي انا أسأل فقط

فيصرخ مرة أخرى

- انت تبول من فمك

اصمت قليلا ريثما اتيح لغضبه فرصة الركود، ثم أعادت الحديث.

- هل تعرف ياعمي . . لقد احضرت معي (النقيفة)، فقد نصيد بعض العصافير.

يتململ غضبه قليلا وهو يقول

- (انقف) بها (. . .) أين هو الوقت يا حمار؟

فاقول ضاحكا

- سأقسمها مناصفة بيني وبينك

فيصرخ من جديد

- لعنه الله على اليوم الذي جئت فيه.

اشعر حينها ان كلمة واحدة مني، تكفي لسقوط كفة الخشنة على وجهي، فالجأ الى حيلة أخرى غير العصافير التي لا اعرف اصابتها، أشد (رسن) الحمار فيتوقف. اترك عمي يسير بعض الامتار، ثم أنادي بصوت مرتفع اعتبره مشروعا في لحظة كهذه

- هية . . ياعم . . الحمار (احرن).

يضرب كفا بكف، فيمتزج صدى كفه بصدى صوتي وابتهج. لكنه يصرخ

- علي الطلاق انه يفهم أكثر منك ومن ابيك.

اتصنع الغضب، واقول بصوت مرتفع يحمل رنة احتجاج منخفض.

- لماذا تشتم ابي دائما؟

- لانه انجبك.

وعندما الحظ انقشاع شيء من العتمة عن السفوح العالية، تبدأ سحب الخوف انقشاعها عن روحي

ببطء، وتخف حركة لساني. لكني اقول بجد مصطنع وقد استهواني غضبه.

- تشتم أبي دائما وتأخذ الليمون الجيد، وتترك التالف لي، والله لاخبرنه اليوم.

يقذف ابي بعدة شتائم، ثم يقول كأنما يخاطب نفسه.

- لعنة الله عليك ما اسفلك.

فاقول ضاحكا

- أنا ابن أخيك يا رجل.

ونسمع من بعيد صوت المؤذن، يتوقف، يقفز عن بغلته، ثم يربطها الى ساق شجرة قريبة . . لم أكن احب ذلك، لان فيه صمتا يحرك الخوف، وما أن يبدأ صلاته حتى يرتفع صوتي خارقا سكون الوادي.

على الرياح وعلى الرياح
صندوق مسكر بلا مفتاحِ
والله مافوتك يم الشباحِ
يللي انتِ قمر والناس نجوما

اصمت لحظة، وأنا اعرف أن هذا يثيره الى حد الجنون، لا أدري لماذا. . ربما لا يحب أم الشباح أو يحبها أحيانا يصرخ قبل أن أكمل الاغنية، احيانا بعد ذلك. . لا أدري إن كان يلقي تحيته على ملائكة الكتفين كما تفعل أمي حين أرتكب خطأ ما. . المهم انه يصرخ

- يلعن شباح والدك.

وهذا ما يجعلني اعتقد ان هنالك علاقة بين أم الشباح وغضبه فاقول متصنعا الغضب.

- ماذا حدث انت تصلي وانا اغني . .

- اه (معلوم). جاءك الطرب الآن. افتح فمك مرة أخرى لأضع فيه (كاوتشوكة) عتيقة.

أدخل في الصمت. أبتعد قليلا، ثم اعيد الكرة وعيناى ثابتتان عليه.

يركض باتجاهي، وقبل أن يصل اصرخ متوسلا.

- أنا في عرضك.

يمسكني من يدي ويقول بكل غضبه

- سأربطك الى ساق شجرة، وان شاء الله حين اعود، يكون الضبع قد شبع منك.

وعلى الرغم من اني اعرف انه لايفعل، الا ان حكاية الضبع تثير الهلع. . يبول علي. يركض. اركض خلفه صارخا (انتظر يا أبي) ولا ينتظر. يدخل مغارته فادخل خلفه، يضعني أمام زوجته واولاده. يأكلونني. الا اذا اصطدم جبيني بأيِّ شيء صلب. حينها اتوقف عن الركض، واعرف ان الضبع ليس أبي. تماما كما حدثَ مع (جابر ابو قرن). حيث ظل يركض خلف الضبع حتى وصل المغارة. ولان (جابر) اطول من مئذنة الجامع الصغير، فقد اصطدم جبينه بصخرة فوق باب المغارة، بينما كان يحاول الاندفاع الى الداخل خلف الضبع، وما أن ضرب الصخرة بجبينه حتى عرف ان الضبع خدعه (ببوله) فغضب غضبته التي تهد الجبل، وكاد يدخل المغارة بعد ان استل (البلطة) من تحت حزام (قبازه) لكنه خشي أن يحشره الضبع وزوجته وابناؤهما ويتغلبون عليه. أمسك بمقبض (بلطته) ووقف مستندا الى جانبّ باب

المغارة، وهو يعرف ان الضبع سيفتقده ويخرج بعد حين للبحث عنه وهذا ما حدث فعلا. اطل الضبع برأسه أولا، فهوى جابر بالبلطة على عنقه، وبرغم قوة الضربة الا ان الضبع قفز في الهواء ثم هبط على قائمتيه الخلفيتين، محاولا الامساك (بجابر) الذي كان يقفز بدوره يمينا وشمالا، ويهوي بالبلطة على أي جزء من جسد الضبع الذي خارت قواه بالتدريج، وانبثق الدم من انحاء جسده، وتحول صراخه الوحشي الى همهمة متقطعة راحت بدورها تذوي حتى انطفأت ولم تخرج (الضبعة) أو أبناؤها، الا ان جابر خشي من دخول المغارة في تلك الليلة، وأجلّ ذلك حتى الصباح. وفي الصباح كانت زاوية جبينه منتفخة كحبة التين.

فقالت القرية ـ جابر أبو قرن ـ وظل الاسم حتى بعد ان اختفت (حبة التين) من زاوية جبينه.

خرج عمي من العيادة. لمحت سحابة الخجل على وجهه مرة ثانية، وقد خيل الى انها اكبر من السابق. كان يحمل في يده بعض الاوراق. جلس الى جانبي ضاحكا. قلت:

ـ خير؟

قال وهو يضحك

ـ لعنة الله عليه مَن خير

قلت مهدئا

ـ (البروستات) بسيطة. بضع كبسولات وينتهي الامر

قال ضاحكا بخجل

ـ هذا ليس مهما

ـ اذن؟

نظر حوله وهمس

ـ الفحص

ـ تعني المختبر؟

قال بنفاذ صبر

ـ فحص الدكتور، هل تعرف كيف؟

ـ كيف؟

رفع سبابته الخشنة امام وجهي وقال ضاحكا

ـ هكذا..

رفع سبلابته وهو يدخلها الى يده الاخرى المكورة

قهقهت بصوت مرتفع فهمس

ـ لاتفضحنا

قلت ضاحكا وشامتا

ـ كله؟

قال وهو يشيح بوجهه

ـ الجريمة انه مؤلم

التفت إلي واضاف ضاحكا

ـ ملعون الوالدين، اظن أنه..

قاطعته بشماتة اكبر

ـ يفعلونها، ليس لهم دين.

قال من بين اسنانه.

ـ يلعن والدك، قم.

نهضنا معا، في الطريق سمعته يهمس كأنما لنفسه.

ـ لو تداويت عند اليهود.

ـ تظنهم احسن؟

ـ لا.. لكن اصبع اليهودي لايهم.

ـ لماذا؟

قال بصوت طافح بالكآبة

ـ لاننا نجلس فوق خازوقهم من الف عام.

قلت بسماجة

ـ كلها خمسة عشر عاما

قال هامسا

ـ بالنسبة اليك

قلت ضاحكا

ـ الخازوق خازوق، يهودي او عربي... كلها خوازيق

سألني جادا

ـ اذا انتهى الالتهاب، هل يتحسن الحال؟

قلت بخبث

ـ يذهب الالم

قال بحدة

ـ فقط؟

قلت بخبث أكبر من السابق

ـ والله يا عمي ربك اعلم.. لكن بعد السبعين..

قاطعني بحدة

ـ يلعن أساسك الأول، جدك مات بعد السبعين، وهو يقول زوجوني.

قلت بسرعة حتى لا افقد السيطرة على روحه.

ـ وهل صدقته؟ والله لو طار وعاد سبعين مرة لما استطاع.

صمت. رحت ارقب ملامح وجهه العكرة، وقبل ان احاول تهدئته قال بهدوء

ـ ان شاء الله حين اعود، سأزوج ابن عمك الأخير.

ـ اليس صغيرا بعد؟

قال ضاحكا

ـ أخذت أمه وعمري عشرون عاما.

ـ طيب، والجامعة؟

قال بلا مبالاة.

ـ محسوبة. يوم فيها. يوم في حضن (المرة) ويوم عند الخواجات.

ـ يأخذونه كثيرا؟

ـ كل اضراب والثاني. كل مظاهرة. والله وكيلك (مقاول) لكن علي الطلاق انه رجل.

ـ وانت لاتخاف عليه؟

قال بانفعال

ـ والله العظيم لم يرفع رأسي سواه.

قبل دخولنا البيت، همست جادا

ـ اذا انتهى الالتهاب، تصبح مثل الحديد

طفح وجهه بالفرح، ودمعت عيناه اكثر من المعتاد، ثم سأل ووجهه يكتسي بحمرة طارئة

ـ بعد السبعين؟

قلت بحدة

ـ بعد الالف يا عمي.

حزيران /١٩٨٣

ـ قصة ـ

السماء تمطر دماً

يوسف جاد الحق*

تلبدت السماء بالغيوم. تكاثفت وتكاثفت. تراكمت طبقات بعضها فوق بعض حتى أمست في قتامها أقرب الى سواد ليل حالك. ثم هبت رياح عاتية، فما لبث المطر أن أخذ يسَّاقط هيناً، أول الأمر، ثم اشتد انهماره فبات غزيراً وشاملاً، على نحو لم يعهد مثله في السنوات المنصرمة من حيث الغزارة والشمول.

كان المطر يتنزل فيما مضى في أماكن متفرقة ومواقيت متباعدة، لكنه، أبداً، لم يعم كل مكان كما يحدث الآن، حتى أن مذيع النشرة الجوية أعلن ـ وصوته يرتجف قليلاً ـ أن المنطقة لم تشهد مطراً، بهذه الغزارة، منذ أربعين سنة.

* كاتب وقاص من فلسطين.

صمت. رحت ارقب ملامح وجهه العكرة، وقبل ان احاول تهدئته قال بهدوء

ـ ان شاء الله حين اعود، سأزوج ابن عمك الأخير.

ـ اليس صغيرا بعد؟

قال ضاحكا

ـ أخذت أمه وعمري عشرون عاما.

ـ طيب، والجامعة؟

قال بلا مبالاة.

ـ محسوبة. يوم فيها. يوم في حضن (المرة) ويوم عند الخواجات.

ـ يأخذونه كثيرا؟

ـ كل اضراب والثاني. كل مظاهرة. والله وكيلك (مقاول) لكن علي الطلاق انه رجل.

ـ وانت لاتخاف عليه؟

قال بانفعال

ـ والله العظيم لم يرفع رأسي سواه.

قبل دخولنا البيت، همست جادا

ـ اذا انتهى الالتهاب، تصبح مثل الحديد

طفح وجهه بالفرح، ودمعت عيناه اكثر من المعتاد، ثم سأل ووجهه يكتسي بحمرة طارئة

ـ بعد السبعين؟

قلت بحدة

ـ بعد الالف يا عمي.

حزيران /١٩٨٣

ـ قصة ـ

السماء تمطر دماً

يوسف جاد الحق•

تلبدت السماء بالغيوم. تكاثفت وتكاثفت. تراكمت طبقات بعضها فوق بعض حتى أمست في قتامها أقرب الى سواد ليل حالك. ثم هبت رياح عاتية، فما لبث المطر أن أخذ يسّاقط هيناً، أول الأمر، ثم اشتد انهماره فبات غزيراً وشاملاً، على نحو لم يعهد مثله في السنوات المنصرمة من حيث الغزارة والشمول.

كان المطر يتنزل فيما مضى في أماكن متفرقة ومواقيت متباعدة، لكنه، أبداً، لم يعم كل مكان كما يحدث الآن، حتى أن مذيع النشرة الجوية أعلن ـ وصوته يرتجف قليلاً ـ أن المنطقة لم تشهد مطراً، بهذه الغزارة، منذ أربعين سنة.

• كاتب وقاص من فلسطين.

لم تكن الأرض ـ في تلك الاحوال والايام ـ تعطي غلالاً ذات شأن، على الرغم من خصوبتها، بل كانت مجدبة في معظم أرجائها، إلا من براعم وسنابل وأزاهير تنبت في هذا المكان أو ذاك في بعض المواسم، ثم لاتلبث أن يعتريها الذبول، أن تنطفىء، إما بسبب انعدام رعايتها كما ينبغي، وإما بفعل الأنواء وتقلبات الجو المتلاحقة. وعندما كانت تهب رياح السموم كان يكتمل ذبولها، فتغدو هشيماً تذروه الرياح في شتى الآفاق من جهات الأرض الاربع، بل ويتنافر بعضها في الفضاء الأعلى. .

هذه المرة تساقط المطر غزيراً وبغير توقف على مدى أسابيع متواصلة. كان هناك حراس أوكلت اليهم مهمة حراسة تلك الأرض. ولأن هؤلاء لم يكونوا من أبنائها فقد زودوا ـ من أجل انتزاع الجبن من نفوسهم ـ بكل ما يزود به الحراس والنواطير عادة، من أدوات الحراسة، كالهراوات والبنادق والكلاب. ضاق أولئك الحراس بالمطر المتساقط ذرعاً، لاسيما حين أخذ ينهمر فوق رؤوسهم انهماراً لم يعهدوه من قبل، دون أن يجدوا لأنفسهم ملجأ أو وسيلة تحميهم من دونه. ارتدوا المعاطف الواقية. . لوحوا بقبضاتهم نحو السماء. . ولما لم يجدهم ذلك نفعاً، خطر لهم أن يتقوا المطر بخوذات فولاذية فوق رؤوسهم، لكن ذلك أيضاً لم يجدهم شيئاً، فالمطر كان من الغزارة على نحو ذكرهم بطوفان نوح، مع فارق أن السماء الآن لاتقلع ولا الأرض تبتلع ماءها. غاصت أقدامهم في الوحل. .

أوشك المطر أن يغرقهم. تشاور قادة الحرس فيما بينهم عما عساهم يصنعون. اتفقوا على أنهم ينبغي أن يصنعوا شيئاً. . اختلفوا على الطريقة. . كيف يعالجون الأمر. بعضهم فقد زمام أعصابه بعد أن حاول أن يتمالك تلك الأعصاب اجتاحهم الذعر لأن دفق المطر لايتوقف رغم كل شيء. وفي حمى ذلك الذعر أخذوا يطلقون بنادقهم في الفضاء نحو حبات المطر، ثم في كل اتجاه وبلا تحديد. كان المشهد بائساً ومضحكاً في الوقت عينه، لكنه كان يدعو للرثاء في كل الأحوال، فبالبنادق يحاول النواطير أن يوقفوا زخّ المطر. ثم اكتشفوا ـ لأول مرة ـ أن البندقية لاتصد المطر. .

سالت المياه في السواقي. امتلأت الجداول والغدران. تحولت إلى أنهار في أماكن ثم شلالات في أماكن أخرى، بدا لونها بلون التربة، ولأن التربة حمراء. اتخذت المياه لوناً أحمر قانياً. تعجب القوم كيف يكون لون الماء أحمر هكذا. حتى المطر المتساقط اخذ يتلون بذات اللون الأحمر. هذه هي المرة الأولى يتساقط فيها مطر بلون الدم، برائحة الدم. ولو خطر لأحدهم أن يتذوق لذاق طعم الدم.

ولأنها ظاهرة غريبة ونادرة صحا الموتى من قبورهم يستطلعون ما يجري، وليطمئنوا، أيضاً، إلى أن أحداً لن يقض مضاجعهم في رقادهم الطويل. قاموا بأكفانهم فركوا عيونهم بأكفهم. نظر بعضهم الى بعض مرة أخرى في عجب. كيف يجدون أنفسهم أحياء ولا دماء تجري في عروقهم، ولماذا وجوههم كسواد الليل الفاحم. فكر الموتى في عقد اجتماع طارىء لتدارك الأمر، للتوصل الى تفسير للظاهرة لكنهم قبل أن يفعلوا وحتى قبل أن يفيقوا من ذهولهم رأوا الأرض تنبع فجأة سنابل وورود حمراء، تنمو سريعاً أمام أعينهم، تتطاول شيئاً فشيئاً الى الاعلى تتفتح واحدة إثر أخرى وهم ما فتئوا يحدقون مشدوهين تماماً. . وزاد من دهشتهم أن شاهدوا على كل وردة وسنبلة اسم. . على السنابل اسماء مثل: عادل ابراهيم، حسين، الياس. . وعلى الورود أسماء مثل مريم، عائشة، حياة. كيف يتأتى ذلك؟ تساءل الموتى، حاولوا أن يتحركوا لكن أجسادهم كانت مشدودة الى الأرض بأصفاد من حديد ومعادن أخرى كالفضة والذهب. لم

يستطيعوا الخلاص من ذلك الحذر الذي أورثهم إياه رقاد مزمن. عيونهم وحدها كانت شاخصة، مفتوحة أكثر من حدها الطبيعي، يملؤها الذعر والدهشة معاً. غير أنهم أفلحوا، أخيراً، إثر الاصرار على المحاولة، فدبت الحياة في ألسنتهم. . في ألسنتهم فقط، فرحوا بذلك، على كل حال، فهذه علامة حياة على الاقل. أخذوا يتناجون، ثم علا الهمس فغدا أصواتاً مرتفعة، ماعتم أن تحول الى صخب لايفقه منه أحد شيئاً، فرحوا أكثر، إذ أمكنهم، حتى في موتهم، أن يقولوا شيئاً. ليس مهماً أن يكون ذا نفع أو قيمة. قال واحد منهم: يجب ألا نبقى أمواتاً ايها الاخوة. . ! قال آخر علينا أن نفهم أولاً لماذا لون الماء هذا أحمر. ولماذا تتخذ السنابل والورود أيضاً هذا اللون. وكيف ظهرت عليها هذه الاسماء. . قال آخر: علينا ابان محاولتنا للفهم أن نحرك أكفنا بالتصفيق، أجل حتى قبل أن نتوصل الى فهم الظاهرة، كيلا يفوتنا شرف الادعاء بأننا أسهمنا فيما يجري. سأل سائل منهم ما جدوى ذلك ياصديقي الميت؟ رد الأول الذي يبدو أنه كان وجيهاً قبل أن يلم به الموت: لابأس أن نفعل ذلك فنبرىء ذمتنا يا أخي الميت أمام التاريخ والجغرافيا والشيطان. . وهذا أضعف الايمان. . هتف آخر: وندفع عناتهم وقوفنا موقف المتفرجين، ولربما استطعنا أن نوقف تدفق المطر الأحمر هذا في الوقت المناسب، وقبل أن يجرف السيل بقايانا كالنفايات. وتساءل واحد منهم ظل صامتاً زمناً عما اذا كان هذا يوم القيامة وأنهم يبعثون الساعة. طمأنه ميت آخر أنهم لم يبعثوا بعد، وإن تكن القيامة آتيه دون ريب.

لم يكف الحراس في هذه الاثناء عن اطلاق قذائفهم على المطر المنهمر، لكن غزارة المطر سرعان ما تطفؤها وتحولها الى دخان. ولأن ذلك استمر طويلاً، أصابهم الاعياء، فتساقطوا واحداً اثر آخر، والسيل لا ينقطع على الرغم من صلوات الكهنة، والأكف الضارعة نحو السماء أن يكف المطر، معلنين أنهم حسبوا لكل شيء حسابه إلا هذا المطر المتساقط بلون الدم. لكن المطر مازال يتدفق، ولا تبدو أية بادرة تشير الى أنه ينوي أن يكف عن الانهار والموتى، من جانبهم، ما برحوا ينتظرون. . ماذا ينتظرون. . فالمطر مازال ينهمر ـ أيها السادة ـ حتى كتابة هذه السطور. .



حمدي الحسيني
فقيد الثقافة الوطنية الفلسطينية

● في السادس عشر من أيار الماضي وسط آلام أربعين عاما من الاحتلال الصهيوني توقف في غزة الممنوع أهلها من التجوال، قلب مثقف عربي فلسطيني يتقن عشرا من اللغات هي: الانكليزية، التركية، اللاتينية، الاسبانية، اليونانية، الايطالية، الألمانية، الفارسية، الأردية، والعبرية، عدا عن لغته القومية العربية. كان هذا المثقف الموسوعي الذي ولد عام ١٨٨٩ قد قضى معظم هذا القرن الذي عاشه في معمعة النضال الفلسطيني والعربي القومي والتقدمي.

● ففي ليلة عرسه عام ١٩١٤ اعتقلت السلطات المدرس حمدي فيصل الحسيني وساقته منفيا الى أنقرة عبر دمشق التي سبقه اليها شقيقه شكري منفيا من غزة، والذي سعى لدى اصدقاء والدهما لبذل جهودهم لدى جمال باشا السفاح لاستبدال انقرة بقونية. وقد نجحت هذه الجهود وقضى حمدي الحسيني عامي ١٩١٤ - ١٩١٥ في قونية.

وكان سبب النفي نشاطه القومي العربي إذ حاول الهرب من غزة الى مصر ليتمكن من الاتصال بالحسين بن علي شريف مكة الذي كان يعد العدة - بالاتفاق مع بريطانيا - للثورة على الاتراك، لكن محاولة حمدي باءت بالفشل نتيجة المراقبة التركية الشديدة عليه والتي أدت الى اعتقاله، إذ كان أصغر عضو في حزب اللامركزية العثماني.

● وبعد عودته من منفاه بقونية التحق حمدي بفيصل بن الحسين في قرية أم الرمان في شرقي الاردن والذي كلفه بمهمة اقناع سلطان باشا الاطرش زعيم جبل العرب ومركزه السويداء «سورية» وجاب الحسيني قرى الجبل ومضافاتها ومجالس عشائرها يقنع الزعامات بالثورة، الى أن حصل منهم على وثيقة ترحيب بفيصل والثورة العربية الكبرى. والجدير بالذكر أن «كذاب الثورة العربية» الضابط الانكليزي لورنس الذي كان بخدمة فيصل وجعل من نفسه مؤرخا وقائداً عسكرياً وسياسيا لتلك الثورة يتجاهل في كتابه الملىء بالأغاليط «أعمدة الحكمة السبعة» دور فقيدنا الحسيني، الذي لم يترك فيصلاً حتى صار على مقربة من دمشق، فغادر عبر قطار درعا - سمخ - حيفا إلى غزة وشارك في النضال ضد بريطانيا ووعد بلفور وتشرشل وهربرت صموئيل الى أن تم نفيه مجددا الى بئر السبع، كما عاد في عام ١٩٢٥ الى صديقه سلطان باشا الأطرش ليشاركه في الثورة السورية ضد فرنسا.

● ويبدو أن فقيدنا قد بدأ في هذه الفترة نشاطا صحفيا واسعاً، إذ عثرت له على عدة مقالات ومراسلات صحفية في جريدة الكوكب القاهرية في عام ٩١٩ وقمت بتصوير بعض هذه المقالات التي كان يوقع بعضها بالحرفين الاولين من اسمه (ح. ح) ويبدو لي أنه كان يوقع مقالاته الاكثر خطورة باسم مستعار آخر، خاصة وانه كان يكتب في أكثر من صحيفة مثل: صوت الحق، الكرمل، الدفاع، فلسطين وغيرها. وتبدو فترة العشرينات بالنسبة لحمدي الحسيني فترة سجن ونفي وكتابه حيث سجن ونفي وحددت اقامته غير مرة، ثم تكرر ذلك سنة ١٩٣٧ إذ كان خلال اضراب الست أشهر المعروف عام ١٩٣٦ عضواً في اللجنة المنظمة في منطقة غزة، وعضوا في المؤتمر الفلسطيني. وكان رحمه الله عضوا في قيادة حزب الاستقلال الى جانب المثقفين الفلسطينيين الكبيرين محمد عزت دروزه واكرم زعيتر، إلا أنه لم يكن نشيطاً في هذا الحزب فقد صنف نشاطه الى جانب الشيوعيين الفلسطينيين وإن لم ينضم إلى الحزب الشيوعي في أية مرحلة من مراحله.

● وكان فقيد الثقافة الوطنية الفلسطينية معروفاً كمناضل على مستوى عالمي إذ حضر عام ١٩٢٦ مؤتمرا ضد الاستعمار عقد في كولونيا بالمانيا، ولبى دعوة من ستالين وزار الاتحاد السوفياتي سرا، وانتخب «وهو سجين في فلسطين» رئيساً فخرياً لمؤتمر مكافحة الاستعمار الذي عقد في برلين عام ١٩٢٩ ومن دلائل شهرته النضالية العالمية ارسال الدوتشي الايطالي موسوليني، اليه رسولاً يعرض التعاون ضد بريطانيا، فقال حمدي الحسيني للرسول: يبدو أنه غاب عن ذهن الدوتشي انني ضد كل الاستعمار، بما فيه الاستعمار الايطالي في ليبيا.

وفي عام ١٩٤٥ رفضت سلطات الانتداب البريطاني نجاحه في الانتخابات لبلدية غزة، نظر لملفه المعادي لها. واعتزال الحسيني العمل السياسي عام ١٩٥٠ ورفض المشاركة في حكومة عموم فلسطين أو المشاركة في ضم باقي فلسطين الى المملكة الاردنية الهاشمية.

وكثير من مثقفي جيله ترك حمدي الحسيني الكثير من المخطوطات عن أدب القوة والحجاج بن يوسف الثقفي والغزالي والرصافي وفي علم النفس وغيرها.

سهيل الخالدي



حمدي الحسيني
فقيد الثقافة الوطنية الفلسطينية

● في السادس عشر من أيار الماضي وسط آلام أربعين عاما من الاحتلال الصهيوني توقف في غزة الممنوع أهلها من التجوال، قلب مثقف عربي فلسطيني يتقن عشرا من اللغات هي: الانكليزية، التركية، اللاتينية، الاسبانية، اليونانية، الايطالية، الألمانية، الفارسية، الأردية، والعبرية، عدا عن لغته القومية العربية. كان هذا المثقف الموسوعي الذي ولد عام ١٨٨٩ قد قضى معظم هذا القرن الذي عاشه في معمعة النضال الفلسطيني والعربي القومي والتقدمي.

● ففي ليلة عرسه عام ١٩١٤ اعتقلت السلطات المدرس حمدي فيصل الحسيني وساقته منفيا الى أنقرة عبر دمشق التي سبقه اليها شقيقه شكري منفيا من غزة، والذي سعى لدى اصدقاء والدهما لبذل جهودهم لدى جمال باشا السفاح لاستبدال انقرة بقونية. وقد نجحت هذه الجهود وقضى حمدي الحسيني عامي ١٩١٤ ـ ١٩١٥ في قونية.

وكان سبب النفي نشاطه القومي العربي إذ حاول الهرب من غزة الى مصر ليتمكن من الاتصال بالحسين بن علي شريف مكة الذي كان يعد العدة ـ بالاتفاق مع بريطانيا ـ للثورة على الاتراك، لكن محاولة حمدي باءت بالفشل نتيجة المراقبة التركية الشديدة عليه والتي أدت الى اعتقاله، إذ كان أصغر عضو في حزب اللامركزية العثماني.

● وبعد عودته من منفاه بقونية التحق حمدي بفيصل بن الحسين في قرية أم الرمان في شرقي الاردن والذي كلفه بمهمة اقناع سلطان باشا الاطرش زعيم جبل العرب ومركزه السويداء «سورية» وجاب الحسيني قرى الجبل ومضافاتها ومجالس عشائرها يقنع الزعامات بالثورة، الى أن حصل منهم على وثيقة ترحيب بفيصل والثورة العربية الكبرى. والجدير بالذكر أن «كذاب الثورة العربية» الضابط الانكليزي لورنس الذي كان بخدمة فيصل وجعل من نفسه مؤرخا وقائداً عسكرياً وسياسيا لتلك الثورة يتجاهل في كتابه الملء بالأغاليط «أعمدة الحكمة السبعة» دور فقيدنا الحسيني، الذي لم يترك فيصلاً حتى صار على مقربة من دمشق، فغادر عبر قطار درعا ـ سمخ ـ حيفا إلى غزة وشارك في النضال ضد بريطانيا ووعد بلفور وتشرشل وهربرت صموئيل الى أن تم نفيه مجددا الى بئر السبع، كما عاد في عام ١٩٢٥ الى صديقه سلطان باشا الأطرش ليشاركه في الثورة السورية ضد فرنسا.

● ويبدو أن فقيدنا قد بدأ في هذه الفترة نشاطا صحفيا واسعاً، إذ عثرت له على عدة مقالات ومراسلات صحفية في جريدة الكوكب القاهرية في عام ٩١٩ وقمت بتصوير بعض هذه المقالات التي كان يوقع بعضها بالحرفين الاولين من اسمه (ح. ح) ويبدو لي أنه كان يوقع مقالاته الاكثر خطورة باسم مستعار آخر، خاصة وانه كان يكتب في أكثر من صحيفة مثل: صوت الحق، الكرمل، الدفاع، فلسطين وغيرها. وتبدو فترة العشرينات بالنسبة لحمدي الحسيني فترة سجن ونفي وكتابة حيث سجن ونفي وحددت اقامته غير مرة، ثم تكرر ذلك سنة ١٩٣٧ إذ كان خلال اضراب الست أشهر المعروف عام ١٩٣٦ عضواً في اللجنة المنظمة في منطقة غزة، وعضوا في المؤتمر الفلسطيني. وكان رحمه الله عضوا في قيادة حزب الاستقلال الى جانب المثقفين الفلسطينيين الكبيرين محمد عزت دروزه واكرم زعيتر، إلا أنه لم يكن نشيطاً في هذا الحزب فقد صنف نشاطه الى جانب الشيوعيين الفلسطينيين وإن لم ينضم إلى الحزب الشيوعي في أية مرحلة من مراحله.

● وكان فقيد الثقافة الوطنية الفلسطينية معروفاً كمناضل على مستوى عالمي إذ حضر عام ١٩٢٦ مؤتمرا ضد الاستعمار عقد في كولونيا بالمانيا، ولبى دعوة من ستالين وزار الاتحاد السوفياتي سرا، وانتخب «وهو سجين في فلسطين» رئيساً فخرياً لمؤتمر مكافحة الاستعمار الذي عقد في برلين عام ١٩٢٩ ومن دلائل شهرته النضالية العالمية ارسال الدوتشي الايطالي موسوليني، اليه رسولاً يعرض التعاون ضد بريطانيا، فقال حمدي الحسيني للرسول: يبدو أنه غاب عن ذهن الدوتشي انني ضد كل الاستعمار، بما فيه الاستعمار الايطالي في ليبيا.

وفي عام ١٩٤٥ رفضت سلطات الانتداب البريطاني نجاحه في الانتخابات لبلدية غزة، نظر لملفه المعادي لها. واعتزال الحسيني العمل السياسي عام ١٩٥٠ ورفض المشاركة في حكومة عموم فلسطين أو المشاركة في ضم باقي فلسطين الى المملكة الاردنية الهاشمية.

وككثير من مثقفي جيله ترك حمدي الحسيني الكثير من المخطوطات عن أدب القوة والحجاج بن يوسف الثقفي والغزالي والرصافي وفي علم النفس وغيرها.

سهيل الخالدي

مقتطفات من أعمال حمدي الحسيني

غزة

أذكر أنني قرأت رواية البؤساء لفيكتور هوكو قبل سنسن، ويعلم الله انني بكيت قبل اتمامها أكثر من مرتين مع اني أعلم علم اليقين أنها لم تكن الا تخيلات شاعر أراد بها بث عاطفة الاحسان في نفوس لرغنياء. وأذكر مشاهد مؤلمة مرت علي أثناء الحرب العامة وكان لها من دموعي أوفر نصيب. ولكن ما أشاهده الآن في جوانب غزة من روايات البؤس التي مثلها مئات البائسين وألوف البائسات على مسارح الحقيقة. وما أراه في أركانها من معظمات المصائب ومجسمات الآلام قدملك على قلبي ودمعي ولساني وقلمي.

منذ عشرة أشهر تقريبا تألفت في غزة (جمعية مساعدة الأيتام) وأخذت على عاتقها تأسيس ملجأ لأيتام غزة الذين أفقدتهم الحرب آباءهم وعائليهم وأصبحوا شردا في الشوارع يركضون وراء اللقمة ولايستطيعون اليها سبيلا. فاستحسن الجميع هذا المشروع الخيري الجميل وتأكدنا نجاحه لما لاقاه هذا المشروع الخيري الجميل من الأحمر الأميركية بما يلزم التلاميذ من المعلمين والملابس وتبرع ذوو المروءات بأموال بلغ مجموعها ثلثمائة جنيه تقريبا وعلمنا أن غزة المسكينة بدأت تشعر بضمد جراحها المؤلمة وتتمنى لو يدوم لها اسهاف المسعفين واحسان المحسنين.

وعلمنا حينئذ أن الملجأ يقبل ستين يتيما وأربعين يتيمة ويزيد هذا العدد بزيادة التحسين على مرّ السنين المقبلة. فشكرنا الله شكراً جزيلا على هذه النعمة التي أنعمها على هؤلاء المساكين. تخليصا لأرواحهم من أخطار الموت. ولنفوسهم من أشراك الذل والهوان.

زرنا الملجأ بعد افتتاحه بأشهر لتقر عيوننا برؤية أولئك المساكين يرتعون في بحبوحة العيش. فرأينا هناك مبعث الأحزان ومجلبة الآلام. رأينا وجوها عليها سيماء الذل وصفرة الاهمال الصحي. وعيونا أشبه بمصائد الذباب، رأينا أطفالا عددهم كالبارومتر يزيد وينقص. تارة يغلبون خادمهم الشيخ على شيخوخته فيهربون وطورا يغلبهم الشيخ على ضعفهم فيلقطهم من الشارع ويوصد عليهم الباب ويبقى وإياهم في هرج ومرج الى أن يسدل الليل حجابه فينامون في غرفتين مفروشتين بالحصير خاليتين من النور والهواء المطلق كثكنات الجند التركي. ويعلم الله لولا أن رأينا ذلك العدد القليل من الأيتام لايلبسون إلا بعض ما تبرعت به الجمعية الأميركية من الملابس ويأكلون شيئا من الطعام الذي يتبلغون به لقضى علينا الاسف والحزن. ولكن مع الاسف لم يطل مكث أولئك الأيتام في ملجأهم بل أقفل منذ أيام فهام أولئك المساكين على وجوههم يتسولون ويستجدون بعد أن أخلدت نفوسهم الى العزة والترفع عن السؤال وأجسامهم الى الراحة من عناء التسفل والدناءة ولا أعلم السبب الحقيقي الذي قفل هذا الملجأ.



بريد فلسطين
غزة

قضت الطبيعة على غزة وهي باب الشام لمصر وباب مصر للشام أن تكون كرة بين أرجل القطرين تعتروها مصائب الكر والاقدام وتجتاحها ويلات الهرب والانهزام كأن الدهر لم يوجدها الا مسرحاً تمثل الحروب عليه روايات فظائعها وويلاتها. ولتكون قرارة أحزان الانسانية وآلامها وكان الدولة التركية لم تحكمها الا لتجعلها انموذج الجهل بين البلاد وعنوان الظلم أمام العالم. وكأن نار الحرب العامة لم تشب إلا للقضاء على هذا المسكينة فنهبها الترك وأعوانهم وقذفوا بأبنائها الى مهاوى الجندية العثمانية والمهاجرة الجائرة والنفي والجوع والمرض والموت. وكأن الحرب لم تضع أوزارها إلا لتفقد غزة تلك الآمال الكبيرة بمساعدة اخواتها الفلسطينات وبنات عمها السوريات والمصريات. كأنها دعية بينهن أو دخيلة عليهن. وكأنها لم تفتد فلسطين وسورية بفؤادها ولم تفتح لمصر قلبها وأحشائها، فصرفن عنها كل معونة واسعاف ويخلن عليها بنظرة حنوّ أو كلمة اشفاق.

نعم ان جيش الحلفاء خلصها من أنياب الموت ودولة الانجليز خففت من آلامها ولكنها لاتستطيع أن تكفر عن كل سيئات البشرية نحو هذه البلاد المنكودة الحظ.

نظرة الى خرائب غزة المحزنة وأنقاصها المتهدمة وعروشها الخاوية وساحاتها المكسوّة بشظايا القذائف النارية ورصاص البنادق وأطلالها اللابسة ثوب الحداد من أبخرة المدافع وغازات القذائف وأحجارها القاطن فيها تلك البقية من أولئك البؤساء الذين تجرعوا بالأمس أقداح الهلاك أشكالا وألوانا. هناك يرى الشاعر ما يوحى اليه بأبلغ آيات الرثاء والكاتب بأحسن أساليب الاستعانة والخطيب بأفصح عبارات المساعدة لهذه المدينة البائسة. شقيقة طراودة وأخت نيوى وبابل وبطر وتدمر وجارة عسقلان وابنة عم مداين صالح واستدرار أكف نصراء الانسانية وضامدى جراحها ومكفري سيئات الحرب العامة ومعيني منكوبيها وبائسيها. لهذه المصابة في سويدائها بأنواع المصائب أنبه نفوس المحسنين وأحرك عواطف الأجود الخيرين.

التقرير الاول

تأسيس لجنة العمل النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

على أثر اجتماع الجزائر غير الشرعي في ١٩٨٧/٢/٨، أصدر فرع سورية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بياناً مشتركاً مع فرع لبنان دعيا فيه الكتاب والصحفيين الفلسطيني لقول كلمتهم في هذا الاجتماع غير الشرعي ودراسة أوضاع الاتحاد على ضوء نظامه الداخلي.

وكون الكتاب والصحفيون الفلسطينيون لجنة تحضيرية لدراسة الوضع بشكل شامل. وفي ١٩٨٧/٣/١٥. دعت هذه اللجنة إلى اجتماع عام استمر سبع ساعات في مقر الفرع في سورية.

وأكد المجتمعون أن ماجرى في الجزائر يشكل خرقاً للنظام الداخلي وأنه جاء لتكريس خط اليمين السياسي المنحرف.

● آ – البيان الصحفي:

وقد أصدر المجتمعون في نهاية اجتماعهم يوم ١٩٨٧/٣/١٥ البيان الصحفي التالي:

التقى حشد من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، في مقر فرع الاتحاد بدمشق الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٩٨٧/٣/١٥ بناء على دعوة اللجنة التحضيرية المكونة لهذا الغرض وتدارسوا وضع الاتحاد، بعد اجتماع الجزائر غير النظامي وقد أقروا الوثائق التالية:

أولاً – أزمة الاتحاد وطبيعتها السياسية والنقابية.

ثانياً – برنامج المهمات للمرحلة المقبلة.

ثالثاً – البيان السياسي.

وقد أنهي الاجتماع في الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل واتفق المجتمعون على اللقاء ثانية بعد أن تكون اللجنة التحضيرية، قد استكملت مشاوراتها. وأكد المجتمعون:

١ – أن اجتماع الجزائر، شكل خرقاً للنظام الداخلي لأن عضويته غير نظامية حيث حضر الاجتماع أعضاء في الاتحاد لم ينتخبوا للمؤتمر، وأشخاص لم يكتسبوا العضوية، وليسوا كتاباً ولاصحافيين. وبالتالي فان اجتماع الجزائر هو استمرار لانشقاق صنعاء.

٢ – ان اجتماع الجزائر كرس خط «عرفات السياسي»، وهو خط موضع صراع في الساحة الفلسطينية، وفي قواعد الاتحاد، وقد عقد الاجتماع غير النظامي لتكريس هذا الخط، لأن أي اجتماع نظامي لايمكن أن يقر ذلك.

وسيواصل الكتاب والصحفيون الفلسطينيون النضال للدفاع عن النظام الداخلي للاتحاد، ولجعل الاتحاد نقابة حقيقية، تعبر عن ارادتهم، وتصون حقوقهم وتعزز دورهم الثقافي والسياسي.

وتحدد الوثائق التي أقرها الاجتماع التداولي التوجهات السياسية والنقابية والمهات العملية للكتاب والصحفيين الذين يعارضون نهج اجتماعي صنعاء والجزائر الانشقاقي نقابياً والاستسلامي سياسياً.

● ب – عرض أزمة الاتحاد:

وكانت اللجنة التحضيرية قد قدمت عرضا لأزمة الاتحاد العام للكتاب والصحفيين والفلسطينيين هذا نصه.

أيها الزملاء الكتاب والصحفيون.

ان من أهداف هذا الاجتماع أن يدرس وضع اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين أثر اجتماع الجزائر ٨٧/٢/١١/٨ الذي حرص الداعون إليه والمشاركون فيه أن يسموه مؤتمراً.

ولما كان الاجتماع المذكور غير نظامي، لأن الداعين إليه والمشاركين فيه تعمدوا خرق النظام الداخلي للاتحاد، وخاصة المواد (١٢، أ- ب - ج، ١٣ أ - ب -) المتعلقة بكيفية معالجة أي خلل يحصل في الاتحاد (المادة ١٤ب) وبعضوية المؤتمر، فاننا نجد من الضروري مناقشة موضوع اجتماع الجزائر، ومشكلة الاتحاد عامة، لنستطيع تحديد طبيعة أزمة الاتحاد عامة.

من الواضح لكم جميعاً ان ما حدث في اجتماع الجزائر ليس وليد صدفة ولا ابن الساعة، لأن تجربة الاتحاد عرفت، منذ محاولات انشائه اتجاهاً غير نظامي، عمل بأساليب مختلفة، في اتحادنا، وفي كل الاتحادات، لاحباط التجربة النقابية، ولخلق نقابات واتحادات مشوهة، لاتحمل من الحقيقة غير الاسم.

وكانت هذه المحاولات، تنصب على ميدانين:

الأول: ميدان العضوية، حيث يرفع إلى كل اتحاد منتسبون، لاتتوافر فيهم شروط العضوية، كأن يرفع موظفون عاديون، أو حتى قراء أميون للانتساب لعضوية اتحاد الكتاب والصحفيين. وذلك لمنع بناء نقابة حقيقية وللتحكم في النتائج السياسية والنقابية. ولدينا الكثير من الأمثلة على طلبات قدمت لأشخاص لاتخولهم مؤهلاتهم حق العضوية.

الثاني: ميدان قيادة النقابات: حيث تفرض القيادات اتباعها، دون التفات للكفاءة، أو الالتزام النقابي أو حتى الالتزام السياسي.

ولقد حاول العديد من الكتاب والصحفيين، منذ بدء السعي، لتكوين اتحاد الكتاب والصحفيين أن يجنبوا اتحادهم الوقوع في هذا المأزق، ولذلك صمموا أن يبنوا نقابة، تلتزم بمبادىء نقابية واضحة محددة، ليستطيعوا أن يسهموا في خدمة الحركة الثقافية والقضية الفلسطينية.

وكان واضحاً لهؤلاء ان قوة أية نقابة تنبع من أمرين: الأول، عضوية حقيقية، تضم أوسع قطاع من العاملين في حقل معين، والثاني، قيادة نقابية تمثل الاتجاهات الوطنية والديمقراطية، وتعبر عن ارادة قواعدها في المجالين النقابي والسياسي.

إلا أن هذا اصطدم بخط أخر، لايؤمن بوجود النقابات، ولايحترم قواعد العضوية، ويسعى دائماً لفرض قيادات موالية له، بعيدة عن قواعدها وجماهيرها، ولم يتمثل هذا الخط في قيادة تنظيم واحدة، وان كانت قيادة «فتح» آنذاك رأسه، بل كان موجوداً لدى كل التنظيمات بأشكال مختلفة، ولذلك فان موضوع الالتزام بقواعد العضوية ظل ضعيفاً، وكل الذي كان يهم قيادات المنظمات عدد المقاعد التي تحصل عليها في قيادات الفروع وفي الأمانة العامة.

ولقد ساعد اتجاه «اقتسام الغنائم» لدى قيادات المنظمات قيادة عرفات على المضي في برنامجها لتدمير المنظمات الشعبية، وعلى الاستخفاف بكل الأصول والقواعد التي وضعتها المؤتمرات لصيانة العضوية والديمقراطية والحقوق النقابية.

ومن الطبيعي أن يزداد هذا الصراع حدة، بعد طرح مشروع التسوية المرحلية، وبروز معارضة شعبية

ونقابية له.

ولما كان اتحادنا اتحاداً نشطاً في الدفاع عن ضوابط العضوية والممارسة الديمقراطية، وفي مواجهة خط التسوية، زاد الصراع احتداماً فيه، لأن قيادة عرفات والقوى السائرة في نهجها كانت تريد كل الأصوات، وتحويل النقابات إلى أدوات في يدها تستخدمها في تمويه طبيعة التسوية، ومحاولة اخفاء طابعها الاستسلامي.

ولذلك شهدت انتخابات الفروع، منذ أواخر ١٩٧٣ صراعاً حقيقياً، استهدف تطويع الاتحاد، وفرض قيادات عليه، تجعل من الاستسلام حلاً وطنياً، وتعتبر مهمتها الرئيسية محصورة في خدمة القيادات، لافي خدمة نضال شعبنا والدفاع عن أهداف نضالنا ومبادئه، وتطوير الحركة الثقافية الفلسطينية وخوض النضال لضمان حقوق أعضاء الاتحاد في العمل والسفر والمحاكمة والعلاج.. الخ.

ولقد انتصر الخط النقابي الوطني الديمقراطي، خلال هذه المرحلة ومنذ ١٩٧٢ حتى ١٩٨٠ في ثلاثة ميادين:

الأول: الدفاع عن مبادىء العضوية النقابية، ورفض سياسات اغراق الاتحاد بعضوية غير حقيقية.

إلا أن المدافعين عن الخط النقابي الديمقراطي اضطروا أحياناً لتقديم تنازلات ثانوية، بسبب عنف الضغوط الممارسة، وفي سبيل تجنب الانجرار إلى معارك لاتخدم القضية، ومن أجل تحقيق الأهداف العامة.

وكان من أسباب هذه التنازلات تعدد مصادر الضغوط ومحاولاتاقتسام الغنائم، وعدم احترام مبادىء العضوية، والبحث عن مكاسب رخيصة إلا أن هذه التنازلات ظلت ثانوية، إلى حد، ولم تؤثر سلبياً في مسيرة الاتحاد العامة.

الثاني: ضمان ممارسة ديمقراطية. في انتخابات الفروع والامانة العامة، وضمان صيغة جبهوية سياسية وثقافية، تضم كل الاتجاهات حتى عندما كان هذا غير حاصل في اللجنة التنفيذية أو مؤسسات المنظمة الأخرى. ولذلك فان الخلافات السياسية لم تمنع وجود المختلفين معاً في اطار واحد.

الثالث: بذل كل الجهود الممكنة للحيلولة دون فرض قائمة القيادات على الأعضاء، ومحاولة المحافظة على الجبهة الثقافية الموحدة، ورفض مصادرة حق المؤتمرات في اختيار قياداتها. وكان على هذا الاتجاه أن يقدم هنا تنازلات أكبر نسبياً لضمان بقاء الحركة الثقافية جزء من الحركة الوطنية، ولضمان مشاركة الجميع، وحتى لاتبرر الانسحابات لأحد.

ولكن هذا كله، أخذ يتعرض للمزيد من الأخطار، بعد توقيع السادات اتفاقيتي كامب ديفيد ومحاولات القيادة الفلسطينية الرسمية اللحاق به. ولذلك اشتدت حملات الملاحقة والمطاردة، حتى كان المؤتمر الثالث «١٩٨٠» الذي فرض مكانه وزمانه، ورتبت ظروفه، بحيث يحاصر الاتجاه النقابي الوطني والديمقراطي في الاتحاد، وتفرض عليه تنازلات مهمة، يعرفها الجميع.

ولما لم ينجح هذا كله في جعل كل قيادة الاتحاد، تقف إلى جانب قيادة عرفات في تحوله السياسي باتجاه

الاستسلام، دعا عرفات إلى ما سمي «مؤتمر صنعاء» (نيسان ١٩٨٤)، دون مشاركة ثلثي أعضاء الأمانة العامة، ودن توافر النصاب القانوني، ونصب قيادة جديدة للاتحاد، تمثل خطه السياسي، وان كانت لاتحظى بالشرعية النقابية. وهنا بات للكتاب والصحفيين الفلسطينيين اتحادان، الأول في دمشق، والثاني في تونس، واتخذ الصراع أشكالا جديدة.

وبينما حاولت أمانة «مؤتمر صنعاء» غير الشرعي أن تكتسب حق التمثيل العربي والدولي لكل الكتاب والصحفيين، كانت أمانة دمشق تموت شيئاً فشيئاً لأن الأعضاء الفاعلين فيها، وخاصة الأمين العام يحيى يخلف وعضوي السكرتارية بسام أبو شريف وجميل هلال، كانوا معنيين بترتيب «صفقة جديدة» مع أمانة صنعاء أكثر مما كانوا معنيين بخوض الصراع السياسي والنقابي للدفاع عن مباديء النظام الداخلي للاتحاد، ودوره السياسي والنقابي.

وفي هذا الوقت طرح المعنيون بالوحدة الحقيقية على أمانة دمشق ضرورة أن تعمل لتطوير أوضاع الاتحاد وان تعد برنامجاً للوحدة، وأن تشترك قيادات الفروع وأعضاءها. في خوض معركة الوحدة، وقدمت مشاريع شفوية ومكتوبة كذلك. ولكن قيادة أمانة دمشق كانت لاتبدو معنية بأكثر من اجراء الحوار مع ممثلي أمانة صنعاء.

واجتمع أعضاء الأمانة العامة في دمشق تحت الحاح بعض منهم، ووضعوا برنامجاً للحوار مع الطرف الآخر، تمثل تنظيمياً بالتزام عضوية مؤتمر البوريفاج وعدم الاعتراف «باجتماع صنعاء» غير النظامي، ويضع سياسيا ضوابط لأي اتفاق، أهم مافيها التنديد باتفاق عمان والمطالبة بالغائه وقطع العلاقات مع نظام كامب ديفيد.

واتضح فيما بعد، وقبل انعقاد اجتماع الجزائر بقليل، ان وفد أمانة دمشق توصل إلى اتفاق مع وفد «أمانة صنعاء» يخالف هذه المباديء تنظيمياً، إذ جرى الاتفاق، مع اعتماد عضوية البوريفاج، على اعتماد عضوية معينة من كل الفروع، تلغي العضوية النظامية تماما.

وقد ظل هذا الأمر مخفياً، وتعمد موقعوا الاتفاق من أمانة دمشق اخفاء ذلك حتى تكشف، قبل اجتماع الجزائر بقليل، كما ذكرنا.

وأتم ممثلوا أمانة دمشق خروجهم على أسس الاتفاق السياسي، عندما ذهبوا إلى اجتماع اللجنة التحضيرية في الجزائر، وأقروا الاتفاق السياسي الذي اعتمد أساساً لاجتماع الجزائر الأخير ٨ـ١١/٢/١٩٨٧، وهو لايعلن مقاطعة نظام كامب ديفيد، ويحيل المطالبة باسقاط اتفاق عمان إلى القيادة السياسية التي وقعته، ليجعل الحركة الثقافية الفلسطينية تبدو واهنة في صراعها مع التسوية الاستسلامية وليجعل موقفها مرهوناً بتكتيكات القيادات السياسية.

وهكذا وجد ملتزمو النظام في الاتحاد أن ممثلي أمانة دمشق، تنازلوا عن الخيار النظامي، من حيث العضوية، لأنهم لم يتمسكوا بأحد الخيارين النظامين المطروحين.

أـ عضوية المؤتمر الثالث /أ و/ بانتخابات في كل الفروع، وتعتمد نتائج المؤتمر الثالث، حيث لايمكن أن تجرى انتخابات، كما هي حال لبنان، كما وجد أنصار الاتجاه السياسي الملتزم بخط نظام الاتحاد الداخلي ان وفد أمانة دمشق عقد صفقة سياسية مع ممثلي عرفات وان هذا الوفد ناور، وتحاشى مناقشة الاتفاقات الحقيقية مع الفروع وأعضاء المؤتمر والأعضاء، ولذلك فإن الحريصين على وحدة الاتحاد نقابياً، وعلى الالتزام بنظامه الداخلي، واحترام اراء كل أعضائه، حاولوا أن يقنعوا الطرف الآخر بالتأجيل، ولو شهرين، وبمناقشة كل القضايا، ولمحاولة الوصول إلى اتفاق يصون مباديء النظام الداخلي للاتحاد. إلا أن هذا كله لم يحظ بأي احترام، وعقد اجتماع الجزائر في حينه.

ولقد كشف اجتماع الجزائر، والبيانات والتصريحات التي نشرت خلاله وبعده مايلي:

أولاًـ ان الأطراف السياسية التي وقعت اتفاق اللجنة التحضيرية لاجتماع الجزائر وهي: فتح (عرفات) والجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية والحزب الشيوعي الفلسطيني والجبهة العربية وجبهة التحرير الفلسطينية بجناحيها تعتبر أن الاتفاق السياسي الذي عقدته هو الأساس، وانه خطوة على طريق الوحدة الوطنية، ولذلك فاجتماع الجزائر توحيدي لم تخرج عليه إلا طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة)، وبتجاهل هؤلاء جميعاً ان الخط السياسي الذي اتفقوا عليه هو خط مختلف عليه، وانه خط جناح في الساحة الفلسطينية فقط، مهما كان عدد المنظمات الت تؤيده ولقد رضي المشاركون جميعاً بفرض هذا الخط، دون أي اعتبار لوجهات نظر الاتجاه الآخر، القوي في الاتحاد كما يعرفون، ولقد خضع المشاركون لسياسة عرفات دون مواربة، وتخلوا عن المطالبة بمقاطعة نظام كامب ديفيد، ولم يدينوا زيارة بريز للقاهرة والمغرب.. الخ ومع ذلك فانهم يعتبرون اتفاق الجزائر السياسي برنامج وحدة وطنية. ان الجهات التي تعارض الاتفاق المشار إليه، تمثل عدة منظمات سياسية غير الصاعقة، وهي قواعد وطنية عريضة من الاتحاد، وشخصيات ثقافية بارزة وكتاب وصحفيون ملتزمون من كل الفروع.

ثانياً: ان الأطراف الموقعة اتفاق الجزائر، تتجاهل الخرق التنظيمي الذي ارتكبته، وهو خرق فاحش في أكثر من ميدان، وأهمها:

أـ تجاوز الاسلوب النظامي لمعالجة مشاكل الاتحاد، وهو دعوة مجلس الاتحاد قبل اتخاذ أي قرار.

بـ اللعب بالعضوية، اذ أن الذين حضروا لم يكونوا كلهم منتخبين من الفروع، اذ أباحت اللجنة المركزية التحضيرية تعيين ممثلين عن كل الفروع تقريباً. كما أن الانتخابات التي جرت في تونس وقبرص لم تكن نظامية، من حيث العضوية. وزاد الخرق فحشاً أن أعضاء المؤتمر المشاركين في اجتماع الجزائر وافقوا على حضور أعضاء معينين، دون انتخاب، وعلى حضور أشخاص كثيرين ليسوا أعضاء أبداً وليسوا كتاباً ولاصحفيين.

ولعل ملاحظات الهدف «الخجول» العدد ٨٥٣ تاريخ ٢٣/٢/٨٧ تكفي الدلالة على كل ذلك، حتى يكون ممكناً دراسة قائمة حضور اجتماع الجزائر، وتحديد الأعاء وغير الأعضاء.

أيها الزملاء والصحفيون :

ان ماجرى، يعكس من الزاوية السياسية التهافت السياسي وراء سياسات عرفات، بعد أن أفلست، وثبت انجرارها وراء الحلول الاستسلامة الامريكية الرجعية. كما يعكس استعداد بقية القيادات السياسية المشاركة في اجتماع الجزائر لفرض خط سياسي على الاتحاد، مستخفين بآرء أعضائه. ويكثر هؤلاء الحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية، وهم يتحدثون عن اجتماع الجزائر، دون أن يذكروا كيف تقوم وحدة بخرق القواعد النظامية وتبني سياسات غير متفق عليها. أما من الناحية النقابية، فان ماجرى، يؤكد اصرار المنظمات المشاركة في اجتماع الجزائر وأعضاء الاتحاد الذين حضروه على خرق مبادىء الاتحاد خرقاً فاحشاً، وتكوين تجمع غير نظامي بديلاً له، ومن الواضح أن الداعين لاجتماع الجزائر، والمشاركين فيه انهم لن يستطيعوا أن يدعوا لاجتماع نظامي، وأن يحققوا النتائج السياسية والنقابية، التي حققوها في اجتماع الجزائر، المرتب لاستخراج النتائج التي صدرت عنه فعلاً.

وأمام ذلك كله، يجد كل الملتزمين بخط الاتحاد نقابياً أن عليهم الدفاع عن نظام الاتحاد، لضمان بناء نقابة حقيقية، تمثل ارادة الكتاب والصحفيين ومصالحهم والدفاع عن اطره، لضمان التعبير عن ارادتهم تعبيراً ديمقراطياً. ومنع مصادرة هذه الارادة من أي طرف كان.

وفي الوقت الذي يكثر فيه المشاركون في اجتماع الجزائر الحديث عن الوحدة التي حققوها، نرى فيما حدث استمراراً على نهج صنعاء، وامعاناً في خرق النظم والمبادىء النقابية وامتهانها، وأصراراً على تبني سياسات انشقاقية سياسياً، تحاول تغطية الانشقاق بالحديث عن الوحدة.

ان احترام مبادىء الاتحاد ونظامه الداخلي، هو الأساس لوحدته النقابية. واحترام كل الاتجاهات السياسية، هو الأساس للوحدة سياسيا. ولن تقوم أية وحدة سياسية، تتجاهل اتجاهات وطنية أساسية.

ولذلك فان وحدة المدافعين عن الاتحاد ونظامه الداخلي ومبادئه النقابية والسياسية ضرورية لكشف عملية التزوير التي جرت ولخوض النضال النقابي والسياسي اللازم للتعبير عن ارادة القواعد النقابية الملتزمة بالتعبير الحقيقي عن الحركة الثقافية الفلسطينية.

● جـ ـ ورقة عمل:

وأقر المجتمعون ورقة المهام التالية للجنة العمل النقابية :

ان لجنة العمل النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين تسعى للدفاع عن الثقافة الوطنية التقدمية ولترسيخ مفاهيم العمل النقابي والتنظيمي في صفوف الاتحاد وفق نظامه الداخلي، وتكرس لجنة العمل النقابية نضالها من اجل استعادة الاتحاد على الأسس الديمقراطية والنظام الداخلي وتتابع المهام النقابية والتنظيمية التي تخلت عنها قيادة الاتحاد في اجتماعي صنعاء والجزائر غير الشرعيين وذلك بتشكيل

اللجان الفرعية او الفروع في مختلف المناطق والاقطار على اساس النظام الداخلي وتهيئة الظروف لعقد المؤتمر الشرعي للاتحاد.

كما تتولى لجنة العمل النقابية مهاماً :

أ ـ على الصعيد النقابي والتنظيمي :

١ ـ تنظيم ورعاية العاملين في حقل التأليف والكتاب والصحافة والاعلام.

٢ ـ الدفاع عن حقوق واعضائه وحماية انتاجهم ونشره وتعميمه.

٣ ـ العمل على حماية اعضائه مادياً ومعنوياً في حال تعرضهم لعمل تعسفي والدفاع عن مصالحهم المهنية.

٤ ـ القيام بتنظيم العلاقات مع الفروع والاعضاء الملتزمين باهداف لجنة العمل النقابية.

٥ ـ تأمين عقد لقاءات للاعضاء المنخرطين في هذا الاطار او لممثليهم.

ب ـ على الصعيد الثقافي والسياسي :

١ ـ النضال عبر كافة الوسائل والانشطة من اجل تعزيز وابراز الموقع الثقافي الفلسطيني التقدمي المعادي لنهج المساومة والانحراف، والتمسك بالميثاق الفلسطيني والثوابت الوطنية المنبثقة عنه.

٢ ـ تعميق وتطوير المحتوى الديمقراطي والكفاحي لثقافتنا الوطنية، وتعزيز دور الكاتب الفلسطيني باعتباره ضمير شعبه، والامين على المصالح الاستراتيجية العليا لامته العربية.

٣ ـ الاتصال بالاتحادات والمؤسسات والهيئات العربية والدولية.

٤ ـ العمل على تنظيم سلسلة من النشاطات الثقافية، وذلك من خلال :

ـ اقامة الندوات.

ـ اصدار النشرات والكتب.

ـ اصدار مجلة دورية تعبر عن الخط الثقافي والسياسي الملتزم بالثورة والتحرير الكامل.

● د ـ البيان السياسي :

ثم اصدر الكتاب والصحفيون الفلسطينيون في اجتماعهم المذكور البيان السياسي التالي :

يعلن الكتاب والصحفيون الفلسطينيون المجتمعون في مقر فرع الاتحاد في دمشق، يوم ١٥/٣/٨٦

انهم التقوا من اجل اعلان التمسك بالمبادىء العامة التي اقرتها مؤتمرات الاتحاد الثلاثة الاولى (الاول بيروت ٧٢ والثاني ، تونس ٧٧ والثالث بيروت ١٩٨٠ ، والتي جسدها النظام الداخلي للاتحاد وانهم مصممون على مواصلة النضال من اجل اعادة بناء الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ليكون نقابة حقيقية لهم ، تحشد صفوفهم وتدافع عن مصالحهم وتعبر عن ارادتهم وتجسد مواقفهم الوطنية وحرصهم على بذل كل الجهود لاعادة الاعتبار للثقافة الوطنية ، ولتوفير كل الوسائل اللازمة لتطويرها ولاسهام المثقفين في تطوير نضال شعبهم من اجل التحرير والعودة . وحماية ثقافته الوطنية من كل عوامل التصفية والتشويه التي تهددها .

ويزيد من قناعة هؤلاء الكتاب والصحافيين بكل ذلك ، ما تتعرض له القضية الفلسطينية من محاولات التصفية وما تتعرض له الثقافة الوطنية الفلسطينية من اخطار الطمس والتشويه . وهو ما يدفعهم جميعاً الى رص الصفوف ، والى البحث عن اسباب الوحدة الحقيقية ، وتعرية كل السياسات التي تقود الى التسلط والشرذمة والاقتتال والانخراط في الصراعات الجانبية .

ولما كان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين هو الاطار الذي ارتقاه الكتاب والصحافيون ليكون جامعاً يجمعهم ورابطة توحد صفوفهم فان المجتمعين يعلنون تمسكهم به ، واصرارهم على وحدته ، وعملهم لتحقيق هذه الوحدة ، على اساس مبادىء نظامه الداخلي وهم يعلنون بالمقابل تنديدهم الشديد بكل السياسات التي اتبعت منذ انشاء الاتحاد والتي استهدفت اغراقه بعضوية غير حقيقية وابعاد الكفاءات الثقافية عنه ، وتحويله الى واجهة ثقافية ـ سياسية مبتذلة .

ولقد اساءت هذه السياسات منذ المؤتمر الاول للثقافة الوطنية الديمقراطية والمثقفين الوطنيين الديمقراطيين ، وللقضية الوطنية عامة . واستمرت هذه السياسة في محاصرة الاتحاد والتضييق عليه ، ومحاولة تخريب مؤتمرات فروعه ومؤتمراته العامة حتى قادت الى الاجتماع الانشقاقي في صنعاء سنة ١٩٨٤ ، ثم الى اجتماع الجزائر الانشقاقي سنة ١٩٨٧ وهي السياسة عينها التي اتبعت مع النقابات والاتحادات الاخرى ، من الطلاب الى المرأة ومن العمال الى الشبيبة .

ان اجتماع الجزائر كاجتماع صنعاء يقوم على دعامتين رئيسيتين هما :

اولاً ـ ان المشاركين في الاجتماعين تعمدوا خرق الاسس النظامية للاتحاد دون اي اعتبار للنظام الداخلي ، ودون اي احترام لقواعد العلاقات النظامية في النقابات ، ولآراء المنتظمين فيها . ولذلك فان المشاركين لم يهتموا بقواعد العضوية للمؤتمر ولا بالاجراءات النظامية في عقده ، ولم يحترموا آراء زملائهم الذين نبهوهم الى هذا الخلل مراراً وتكراراً . مما قاد الى مخالفات نظامية فاحشة اهمها انتهاك قواعد العضوية في المؤتمر والاتحاد .

ثانياً : ان الداعين الى الاجتماعين والمشاركين فيهما ، حاولوا ان يثبتوا خطأً سياسياً للاتحاد يتناقض مع الميثاق الوطني ومع اهداف نضال شعبنا لتحرير ارضه كما انه خط ترفضه الاغلبية من كتاب شعبنا وصحفييه

وقطاعات من جماهير شعبنا ولما كان الداعون للاجتماعين والمشاركون فيهما ، يعرفون ان كتاب شعبنا وصحفييه لا يمكن ان يقروا هذا الخط الاستسلامي فعمدوا الى عقد اجتماعين غير نظاميين حشدوا فيهما الاتباع والانصار من الكتاب والصحفيين وغيرهم لمحاولة اعطاء شرعية رسمية لخط سياسي مختلف عليه وللهرب من قضية الوحدة الوطنية الحقيقية الى وحدة جزئية لا تقوم على اساس سليم نقابياً ، ولا تتمتع بالتأييد الواسع شعبياً وتثير المزيد من الخلافات فعلياً .

ان هذه السياسة تقوم على المراهنة على الحلول الاستسلامية فعلياً وتستند الى الانظمة والقوى العربية الرجعية وتتعمد دائماً تخريب مؤسسات (م . ت . ف) والمنظمات الشعبية وعدم السماح ببناء مؤسسات ونقابات قادرة فعالة توحد قوى شعبنا وتؤطر طاقاته الهائلة في معركة التحرير .

وتواصل هذه السياسة برنامجها في تعميق الانشقاق في الساحة الفلسطينية وفي تقديم التنازلات السياسية وضرب المؤسسات السياسية والنقابية ، مراهنة على « حلول دعاوية » تثبت الوقائع كل يوم انها جزء من مخطط التصفية الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي .

ولعل اخطر ما في اجتماع الجزائر انه جاء في هذا الوقت ليبارك للقيادة الاستسلامية المتسلطة تسلطها ، وليضفي الشرعية على تنازلاتها السياسية من خلال الموافقة على مشروعها السياسي وليسقط الاعتراضات على سياساتها الانشقاقية وليبرر مخالفاتها النظامية وليجعل من انحرافها وتسلطها وتفردها واستخفافها « سياسة وحدة وطنية » .

ويؤسفنا ان تنجر قوى سياسية وطنية الى مثل ذلك ، وان تلتزم بنتائجه بعد ان خبرته مراراً وتكراراً .

ان الكتاب والصحفيين المجتمعين في مقر فرع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين اذ ينظرون الى ذلك كله باهتمام عميق وقلق زائد يؤكدون انهم معنيون بالمحافظة على التراث النضالي للثقافة الوطنية الفلسطينية ، من نجيب نصار الى غسان كنفاني ومن عبد الرحيم محمود الى كمال ناصر وابو سلمى الى كل هؤلاء الذين ناضلوا دفاعاً عن الارض والحرية وشرف الكلمة وذاقوا معاناة التشريد والسجن والتعذيب والقتل كما ان هؤلاء الكتاب يؤكدون حرصهم على التمسك بتقاليد اتحادهم النضالية والعمل على جعله قاعدة ثقافية وطنية تضم كل الكتاب والصحفيين الفلسطينيين من جميع الاتجاهات والمذاهب السياسية وهم لذلك يجددون العهد على ما يلي :

اولاً ـ ان يعملوا على الصعيد النقابي لوحدة الاتحاد على اساس نظامه الداخلي وان يعدوا لعقد مؤتمرهم الشرعي دون كلل معتبرين ان اعادة بناء الاتحاد وجعله نقابة حقيقية هدفاً مهماً يستحق منهم العناية اللازمة لانهم يرون ان قيام نقابة حقيقة للكتاب والصحفيين اسهام في بناء قاعدة وطنية للثقافة وللنضال من اجل تحرير الارض وضمان من ضمانات الدفاع عن حقوق الكتاب والصحفيين ومصالحهم وحماية لارادتهم من الطمس والتشوية .

وهم لذلك يمدون ايديهم لكل زملائهم المعنيين بذلك ، من كل الاتجاهات وسيبذلون كل الجهود رغم

العقبات والعوائق ورغم المحاولات التي تبذل للحيلولة دون ذلك .

كما انهم يمدون ايديهم لكل زملائهم في النقابات الاخرى : العمال ، المرأة ، الطلاب .. الخ من اجل بلورة خط نقابي ديمقراطي وطني في هذه النقابات والنهوض بها ، بعد ان امعنت فيها ايدي التخريب ومنعتها من القيام بدورها النقابي والوطني .

ثانياً ـ التعميم سياسياً على مقاومة كل عوامل القصور والتداعي في الساحة الفلسطينية والعمل على استنهاض همم الجماهير وقواها الوطنية لاعادة بناء الحياة الوطنية بما يكفل استمرار النضال لتحقيق اهداف شعبنا الكبرى في تحرير الارض كلها والعودة الى ارض الوطن وتصفية آثار المأساة التي يعيشها شعبنا منذ النكبة سنة ٤٨ .

وهذا يتطلب :

١ ـ حشد كل القوى الوطنية والديمقراطية في صفوف شعبنا لاستعادة وحدة (م . ت . ف) على اسس وطنية ديمقراطية معادية للامبريالية ـ الصهيونية والرجعية تجعلها قادرة على توحيد ارادة شعبنا في النضال من اجل التحرير واحباط كل محاولات تجريده من سلاحه وتفتيت قواه ومنعه من مواصلة نضاله لتحرير ارضه .

٢ ـ النضال لاسقاط كل السياسات التي تجر نضال شعبنا الى المأزق القاتل وعلى رأسها : المراهنة على الحلول الامريكية والتعاطي مع سياسات كامب ديفيد ونظام كامب ديفيد واتفاق عمان واعلان القاهرة والاتصالات مع المنظمات والقيادات الصهيونية وربط نضال شعبنا بالانظمة العربية الرجعية المستسلمة .

٥ ـ ويقف المجتمعون وقفة خاصة امام صمود شعبنا في الارض المحتلة امام كل محاولات الاقتلاع والتهجير واصراره على مواصلة النضال بكل الاشكال دفاعاً عن ارضه وكرامته واذ يحيي المجتمعون كل جماهير شعبنا الصامدة هناك ويثنون على صمودها وبلائها في المعركة يطالبون جماهير شعبنا العربي وقواها الوطنية والديمقراطية بتطوير المساندة المادية والمعنوية التي تقدم للصامدين هناك وبالوقوف في وجه كل السياسات الرسمية العربية التي تفتح ابواب الاستسلام باقامة علاقات مع العدو الصهيوني او اجراء اتصالات معه او محاصرة المقاومة والتضييق عليها .

وينبه المجتمعون الى مخاطر سياسة التقاسم الوظيفي بين النظام في الاردن والقيادة الصهيونية في فلسطين المحتلة ، لان هدف هذه الصيغة التعايش مع الاحتلال وتصفية المقاومة ، وتنفيذ المخطط الامريكي ـ الصهيوني الجديد الرامي الى تطبيع العلاقات بين الدول العربية والكيان الصهيوني دون اي تغيير في الحدود .

٤ ـ العمل على اقامة علاقات نضالية صحيحة مع كل القوى الوطنية والديمقراطية العربية وحشد قوى الجماهير العربية كلها لتحرير فلسطين ومحاربة الامبريالية الامريكية وتحقيق اهداف امتنا في الوحدة والتحرر والتقدم الاجتماعي .

٥ ـ تطوير علاقات شعبنا بالدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي وبكل حركات التحرر الوطني والاحزاب والقوى القومية والديمقراطية العاملة في سبيل كسر اغلال العبودية والاستغلال .

والمجتمعون بعد هذا كله ، يرون في استمرار الحرب ضد المخيمات مأساة لا يجوز السكوت عليها ، ولذلك فانهم يطالبون كل المعنيين بالعمل على وقف هذه الحرب العدوانية ورفع الحصار وضمان حق شعبنا في العمل من اجل تحرير ارضه وهم اذ يدينون استمرار حرب المخيمات وحصارها يعلنون حرصهم على لبنان وعلى وحدته وسلامته وامنه ، وعلى اقامة علاقات نضالية مع كل قواه الوطنية والديمقراطية وجماهيره ويؤكدون ان تمزيق لبنان ، وهدر دماء ابنائه جزء من المخطط الامبريالي ـ الصهيوني الرامي الى تصفية القضية الفلسطينية .

واذ يؤكد المجتمعون حرصهم على كل المكتسبات بين القوى الوطنية الفلسطينية التي حققها الشعب الفلسطيني بنضاله يؤكدون ضرورة اقامة علاقات ديمقراطية في الساحة الفلسطينية واللجوء دائماً الى الحوار الديمقراطي وتأكيد خط الوحدة ضد الانقسام والتمسك بالمبادىء الوطنية التي كرسها نضال شعبنا وعلى رأسها تحرير الارض المحتلة .

ويؤكد المجتمعون ايضاً ايمانهم بدور الثقافة الوطنية في هذه المعركة وحرصهم على زيادة دورها في تنمية الوعي الوطني العام وفي تعميق الالتزام الوطني وتعميم التوجهات الديمقراطية .

ويعد المجتمعون ان يكون اجتماعهم هذا بداية لعمل نقابي وثقافي يخدم قضيتهم ويعيد الاعتبار للقيم النقابية والثقافية النضالية ويسهم في العمل من اجل بناء الوحدة السياسية الحقيقية المنطلقة من المبادىء الوطنية .

عاش الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين اطاراً لوحدة كل الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وبوتقة لوحدة آرائهم .

عاش النضال من اجل الوحدة السياسية الحقيقية وحدة كل القوى المصممة على التحرير ، المعادية للاستسلام .

والمجد والخلود للشهداء من الكتاب والصحافيين وكل شهداء شعبنا الفلسطيني وامتنا العربية .

والنصر للمقاومة .

● هـ ـ تكوين لجنة العمل النقابية :

وفي نهاية الاجتماع تم الاتفاق على تكوين لجنة العمل النقابية التي اصدرت البيان التالي عن تكوينها :

ان اللجنة التحضيرية التي تكونت من كتاب وصحفيين فلسطينيين ، وبعد ان تم عقد مؤتمر الجزائر غير الشرعي في ١٩٨٧/٢/٨ ، تعلن انها انجزت مهمتها حسب النظام الداخلي للاتحاد ، بعد اتصالات مع

الفروع ، وفي ضوء نتائج الاجتماع الموسع التداولي الذي عقدته يوم ١٩٨٧/٣/١٥ بتشكيل لجنة العمل النقابية من الزملاء الآتية اسماؤهم :

اعضاء الامانة السابقون :

١ ـ ناجي علوش
٢ ـ ناجي العلي
٣ ـ خالد ابو خالد
٤ ـ فايز قنديل
٥ ـ عبد الرحمن غنيم
٦ ـ هاني مندس
٧ ـ د . فتحي موسى

رؤساء وأمناء سر الفروع :

٨ ـ نزيه ابو نضال ـ رئيس فرع لبنان
٩ ـ كمال الخالدي ـ رئيس فرع سوريا
١٠ ـ احمد البطراوي ـ رئيس فرع ليبيا
١١ ـ د . باسم سرحان ـ امين سر فرع الكويت

شخصيات ثقافية وصحفية :

١٢ ـ عبد الرحمن الكيالي
١٣ ـ علي الخطيب
١٤ ـ محمد الاسعد
١٥ ـ د . صبري حلاوة
١٦ ـ عوني الصادق
١٧ ـ غالب هلسا
١٨ ـ مصطفى الحلاج
١٩ ـ حمزة برقاوي

وقد اجتمعت لجنة العمل النقابية واقرت برنامج العمل الذي يوزع مع هذا البيان ، والذي يعتبر جزءاً مكملاً للوثائق التي اقرها الاجتماع التداولي الموسع للكتاب والصحافيين الفلسطينيين .

ان اللجنة تصر على ضرورة عقد مؤتمر شرعي للاتحاد . تتحقق فيه وحدة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين على اساس النظام الداخلي الذي تم انتهاكه لفرض خط سياسي جديد على الاتحاد ، يتناقض مع خطه الاساسي الملتزم بنهج الثقافة الوطنية التحريرية الديمقراطية .

وان لجنة العمل النقابية ، قد لاحظت بروز خطر حقيقي على قضية شعبنا وحركته الوطنية التحريرية ، يتمثل في الاتجاه المتصاعد لسير الخط السياسي السائد في (م . ت . ف) نحو التعايش مع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الراهن في وطننا المغتصب (فلسطين) ونحو التخلي شيئاً فشيئاً عن تبني ثقافة ثورية هدفها تحرير الوطن وتوحيد شعبنا على ترابه ، وقد تجلى هذا الاتجاه في ممارسات ومواقف الهيئات القيادية المختلفة ، اذ جندت وسائلها وعبأت جهودها الفكرية والثقافية والسياسية لنشر مفاهيم المساومات الاستسلامية وطمس مفاهيم الصراع مع العدو الصهيوني واستحالة التعايش السلمي معه .

لذلك تعلن اللجنة انها ستعمل لتحقيق وحدة الاتحاد على اسس وطنية ديمقراطية تتبنى ثقافة ثورية تهدف لاحباط خطط الاستسلام المبيتة لشعبنا الفلسطيني ، وتهتم بتعميق وعيه الوطني والعربي والانساني ، فتبنيه على اسس علمية ، تكفل للشبيبة والاجيال الصاعدة ، تربية عصرية تقدمية تغرس حب الوطن والالتزام بتحريره ، وتحمي التراث لحفظ الشخصية القومية المستنيرة وتنشط المواهب العقلية والفنية والجسدية وتحرر العقل والفكر وتحترم الفضائل والقيم الخلقية الانسانية وتغذي الاحساس بالكرامة وتنمية وتقيم المرء بحسب اعماله وتأخذه بالمسؤولية وتحاسبه عليها وتلتزم بالتوفيق بين حرية الفرد ومصلحة الجماعة وتثبت الشعور بحب الحياة والفرح بها والتفاؤل بالمستقبل وتقدس الدفاع عنها وعن مكتسبات الانسان الحضارية .

وستجعل اللجنة الممارسة العملية على اساس هذا الخط دليل مصداقيتها .

ولذلك ، فانها تدعو كل الكتاب والصحفيين المعنيين باحترام الثقافة والادب والحريصين على تعميق دورهما في حياتنا ومعركتنا الى حشد الطاقات لخوض هذه المعركة المعادية للتخلف والجهالة والاستخفاف بالثقافة والادب والديمقراطية والمعادية لكل اطروحات الاستسلام .

كما تعلن اللجنة رفضها ومقاومتها لكل دعوات الحوار والتطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني .

ان اللجنة تحرص على التوكيد بانها تلتزم بخط وطني ديمقراطي مستقل معاد للسياسات الاستسلامية وضمن اطار الحركة الوطنية الفلسطينية .

وسيكون شعار اللجنة في العمل : تحقيق وحدة الاتحاد من خلال عقد مؤتمر شرعي وحسب النظام الداخلي للاتحاد ، وخدمة قضايا الثقافة الوطنية الملتزمة بقضية التحرير ووحدة الشعب والارض .

لجنة العمل النقابية
للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

التقرير الثاني

النشاط الثقافي والسياسي للجنة العمل النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

اولاً

● رغم أن لجنة العمل النقابية فوجئت باغتيال رئيسها الفنان الشهيد ناجي العلي في لندن، إلا انها تمكنت من تجاوز الصدمة وتابعت موضوع كشف مؤامرة اغتياله كما وضعت برنامجاً ثقافياً تضمن عقد عدة ندوات نفذت بالكامل في مواعيدها حتى يوم ١٩٨٧/١٢/٨ يوم انطلاقة الانتفاضة الشعبية في فلسطين المحتلة حيث بدأت اللجنة برنامجاً جديداً آخر يواكب هذه الانتفاضة البطولية.

وكان النشاط الثقافي والسياسي المبرمج خلال اشهر ايلول وتشرين اول وتشرين ثاني وكانون أول، كما تم تنفيذه هو كالتالي:

البرنامج الثقافي

لشهر أيلول وتشرين أول وتشرين ثاني وكانون أول ١٩٨٧

الموعد	عنوان الندوة
الثلاثاء ١/٩/١٩٨٧	محمد عزة دروزة ـ مناضلاً ومفكراً ومؤرخاً، ندوة بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده.
الثلاثاء ٦/١٠/١٩٨٧	ازمة العمل النقابي الفلسطيني من خلال تجربة العمل النقابي ـ نموذج اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ ندوة بمشاركة ممثلي المنظمات النقابية الفلسطينية.
الثلاثاء ١٠/١١/١٩٨٧	الوحدة الوطنية الفلسطينية ندوة بحضور بعض ممثلي الحركة الوطنية الفلسطينية.
الثلاثاء ٨/١٢/١٩٨٧	الشعر الفلسطيني حلقة بحث لدراسة مختلف جوانب الشعر الفلسطيني.

مكان الندوات: مقر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ فرع سوريا.

الموعد: الساعة السادسة مساء

آ ـ بيان عن قمة عمان:

وبطبيعة الحال فإن لجنة العمل النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين تواكب الحركة السياسية لقضية شعبنا العربي الفلسطيني، لذلك فإنها على اثر اعلان نتائج مؤتمر قمة عمان التراجعي أصدرت البيان السياسي التالي:

ان لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين التي قامت لتعبر عن الموقف الوطني الملتزم لكل المثقفين الفلسطينيين الملتزمين بخط التحرير اذ ترى من واجبها ان تعلن موقفها الواضح عن نتائج القمة العربية، بصدد القضية الفلسطينية يهمها ان تؤكد على مايلي:

١ ـ ان قومية المعركة والمسؤولية القومية لاتبيح لاي نظام ان يعتبر اعادة العلاقات مع نظام كامب ديفيد عملا من اعمال السيادة. فأية سيادة تلك تبيح التنازل عن حقوق السيادة القومية في فلسطين، باسم سيادات الانظمة القطرية.

ان قمة الحكومات القطرية، اباحت بهذا القرار لكل نظام عربي، ان يعتبر الاعتراف بالكيان الصهيوني

عملا من اعمال السيادة، وفتحت المجال بذلك لكل اشكال الاستسلام الثنائي او الجماعي.

واننا اذ ننبه الى خطورة هذا القرار، ندعو كل الجماهير العربية الى تحديد موقف صارم منه حتى لايتكرس سابقة وحتى لايقود الى تبرير كل انواع الاستسلام.

٢ ـ ان القمة تجاهلت وجود الاساطيل الاطلسية في الخليج، كما تجاهلت التدخل الاميركي السافر، واعتبرت ان من حق دول الخليج ان تتخذ من الاجراءات ماتراه مناسبا لحماية ارضها وامنها. ولكن القرار لم يشر الى ان الاستعانة بالاعلام الاميركية والاساطيل الاميركية، واستعانة بعدو لدود للامة العربية، متآمر على امنها ومستقبلها او متحالف استراتيجيا مع العدو الصهيوني ضد الامة العربية جمعاء.

٣ ـ ان مواقف قيادة م. ت. ف على هذا كله ينسجم مع خطها الاستسلامي، وسياساتها المرتبطة بالنهج الاستسلامي العربي. وترى اللجنة ضرورة تعرية انخراط قيادة المنظمة في هذه العملية الاستسلامية الخطرة التي تمس أمن قضيتنا وشعبنا.

ولذلك، فان لجنة العمل النقابية. تدعو كل الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الى مايلي:

اولاً: اثارة هذه القضايا على اوسع نطاق وتعبئة الجماهير ضد هذا النهج الاستسلامي عبر الكتابة وعقد الندوات واللقاءات المحدودة والجماهيرية.

ثانياً: وضع برامج لمناقشة هذه القضايا مع اتحادات الكتاب والصحفيين العرب وغيرهم ومع نقابات العمال والمعلمين والاتحادات النسائية وغيرها من المنظمات الشعبية.

ان اخطار تصفية القضية تتفاقم، ولا يجوز لحريص على القضية الفلسطينية ان يظل صامتا.

ب ـ بيان حول الانتفاضة:

وعلى اثر اندلاع الانتفاضة الشعبية في وطننا المحتل بمختلف مناطقه أصدرت اللجنة التصريح الصحفي التالي:

تتواصل انتفاضة شعبنا المجيدة وتتصاعد يوما بعد يوم حدة مواجهة جماهيرنا للآلة العسكرية الصهيونية. ورغم كل محاولات القمع والتنكيل والقهر التي تقوم بها تلك الآلة لاسكات صوت جماهيرنا البطلة، الا ان صوت الانتفاضة يعلو على صوت الرصاص، ليصل الى كل ارجاء العالم، كما يتسع مداها ليشمل مدن وقرى ومخيمات الضفة والقطاع من غزة الى نابلس الى مخيمات جباليا وبلاطة وعسكر وغيرها. ويسقط الشهداء في مواجهة آلة العدو العسكرية عزلا من كل سلاح سوى سلاح الحجارة والزجاجات الحارقة وحب فلسطين والاستعداد للتضحية والاستشهاد من اجلها.

ان انتفاضة جماهيرنا الباسلة في الوطن المحتل تؤكد في هذا الوقت بالذات على جملة من الحقائق اهمها.

اولاً: أنها امتداد لتراث شعبنا النضالي في مواجهة الغزوه الصهيونية منذ بدايتها. وليست سوى تعبير عن

تعدد اشكال المواجهة التي تبتدعها الجماهير في ظل اختلال ميزان القوى لغير صالحها.

وبعد اربعين عاما على قرار تقسيم فلسطين وانشاء الكيان الصهيوني تؤكد الانتفاضة وتعزز رفض الجماهير الفلسطينية والعربية الاقرار بوجود الكيان والتعايش معه على اساس الامر الواقع مما يشكل صفعة قوية لنهج الاستسلام والخضوع الفلسطيني والعربي لارادة العدو الصهيوني الامبريالي هذا النهج الذي يسقط من اعتبارات المواجهة مصلحة جماهير الامة العربية في التصدي للعدو كما يسقط امكاناتها غير المحدودة في عملية المواجهة هذه.

ثانياً: جاءت هذه الانتفاضة في اعقاب عملية قبية مستلهمة روحها البطولية. هذه العملية التي كشفت ان امكانات تصعيد الكفاح المسلح لاتحدها حدود في ظل قرار سياسي يوفر ارادة القتال والمواجهة وليس العكس. وهذا التزامن بين عملية قبية وانتفاضة شعبنا الحالية يؤكد على حقيقة ترابط ووحدة النضال الوطني الفلسطيني خارج الوطن المحتل وداخله، مما يكشف خطورة نهج الاستسلام الفلسطيني على اجهاض امكانات النهوض الوطني في ساحة المواجهة الرئيسية ضد العدو الصهيوني، اي الوطن المحتل، وعلى اضعاف قدرة جماهيرنا هناك في الصمود والمواجهة، واشاعة أجواء الاحباط في صفوفها.

ثالثاً: ان الدعم العملي لانتفاضة شعبنا، على الصعيد الفلسطيني انما يتمثل في التصعيد الفعلي للكفاح المسلح، بوصفه الشكل الرئيسي للنضال، وتوظيف كل الامكانات في سبيل الارتقاء به وتطويره وذلك على أساس التمسك الحازم بالهدف الاستراتيجي للثورة، وعلى قاعدة توظيفه في خدمة استمرار الصراع وديمومته وليس العكس..

اننا في اللجنة النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، اذ نحيي جماهير شعبنا في الوطن المحتل وانتفاضتها الباسلة، واذ نجل ونكبر شهداءها الابرار نتوجه لكل الكتاب والصحفيين والمثقفين المحبين للحرية في كل انحاء العالم افرادا ومنظمات وندعوهم للوقوف الى جانب شعبنا وكشف الجوهر الفاشي العنصري للاستيطان الصهيوني في فلسطين واساليبه في قمع وقهر شعبنا الفلسطيني.

عاشت انتفاضة شعبنا الباسلة

المجد والخلود لشهدائها الابرار

٨٧/١٢/١٥

اللجنة النقابية

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

جـ ـ حول الارهاب الصهيوني:

وبعد أن شدد العدو الصهيوني من قبضته العنصرية واعماله الهمجية ضد أهلنا ومخيماتنا في وطننا العربي الفلسطيني المناضل، أصدرت لجنة العمل النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين التصريح التالي:

تصريح صحفي صادر عن لجنة العمل النقابي للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تناقلت وكالات الانباء خلال الايام الماضية وضع بعض المخيمات الفلسطينية في فلسطين المحتلة، واغلاقها، واعتبارها مناطق عسكرية، مما يتيح لقوى القمع والارهاب الصهيونية القيام بأعمال القتل والتنكيل، والاعتقالات، وخاصة ان السلطات العسكرية الصهيونية قد منعت رجال الصحافة والاعلام من الدخول الى تلك المخيمات.

وهذا مايعيدنا الى مجازر ١٩٥٦ التي ارتكبتها القوات الصهيونية اثناء العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة.

اننا نهيب بالاتحادات، والمنظمات، والنقابات الصحفية، فضح هذه الجرائم المنظمة التي ترتكب بحق شعبنا العربي الفلسطيني، ونطالب الهيئات الدولية بادانة تلك الممارسات العنصرية المخالفة لابسط قواعد حقوق الانسان.

١٩٨٨/١/١٢

لجنة العمل النقابي

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

د - زيارة:

ومن أجل بحث سبل دعم الانتفاضة قام وفد من اللجنة بزيارة الدكتورة السيدة نجاح العطار وزيرة الثقافة في القطر العربي السوري.

واصدرت اللجنة البلاغ الصحفي التالي:

قام وفد من لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين برئاسة الأخ ناجي علوش امين سر اللجنة بمقابلة السيدة وزير الثقافة في القطر العربي السوري. حيث تم في هذا اللقاء تداول سبل تدعيم انتفاضة الشعب العربي في الارض المحتلة، وتدارس الانشطة الثقافية المتنوعة في هذا المجال، وقد أكدت السيدة وزيرة الثقافة التضامن المطلق مع انتفاضة شعبنا ومع نضال كتابه وصحفييه الوطنين، وعن وضع كل امكانات وزارة الثقافة في خدمة التحرك النضالي الوطني الفلسطيني.

لجنة العمل النقابية

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين



ثانياً

● تضامناً مع انتفاضة الاهل في الوطن المحتل أقامت لجنة العمل النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وفرع الاتحاد في دمشق سلسلة من النشاطات ففي ١٩٨٨/١/٢٥ أقام الفرع مهرجاناً للشعر والاغنية على مسرح صالة الحمراء بدمشق شارك فيه عدد من الشعراء العرب والفلسطينيين وفرقة الجذور وفي ٨٨/٢/٨ انتقل المهرجان الى قاعة الخالصة في مخيم اليرموك.

واعتباراً من ١٩٨٨/٢/٢ صدر العدد الاول من الجريدة الاسبوعية صدى الانتفاضة التي واكبت على مدي تسعة أعداد نشاط أطفال الحجارة وانتفاضتهم في وطننا المحتل.

وبمناسبة مرور أربعين عاماً على قيام الكيان الصهيوني أقامت اللجنة ندوة بتاريخ ٨٨/٦/٢٨ شارك فيها كل من انعام رعد وهاني مندس وعبد الحسين شعبان. وبحلول الذكرى الاولى لاستشهاد رئيس اللجنة الفنان المناضل ناجي العلي أقامت اللجنة المركزية مهرجاناً خطابياً في قاعة الخالصة بمخيم اليرموك تحدث فيها كل من الإخوة ناجي علوش وخالد أبو خالد ونزيه أبو نضال.

وفي ٨٨/١١/١٥ أقامت اللجنة ندوة عن الابعاد العسكرية للصراع العربي الصهيوني شارك فيها كل من ابراهيم كاخيا، أمين عطايا وبسام العسلي وأدارها ناجي علوش.

وفي ٨٨/١١/٢٢ أقام فرع الاتحاد أمسية قصصية عربية لقصاصين من فلسطين والخليج العربي شارك فيها كل من حسن حميد، أحمد نجم، يوسف جاد الحق، يوسف ضمرة، ليلى العثمان، فوزية رشيد، وعقب علي الامسية الدكتور محمود موعد وأدارها خالد أبو خالد.

تصريح صحفي صادر عن لجنة العمل النقابي للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تناقلت وكالات الانباء خلال الايام الماضية وضع بعض المخيمات الفلسطينية في فلسطين المحتلة، واغلاقها، واعتبارها مناطق عسكرية، مما يتيح لقوى القمع والارهاب الصهيونية القيام بأعمال القتل والتنكيل، والاعتقالات، وخاصة ان السلطات العسكرية الصهيونية قد منعت رجال الصحافة والاعلام من الدخول الى تلك المخيمات.

وهذا مايعيدنا الى مجازر ١٩٥٦ التي ارتكبتها القوات الصهيونية اثناء العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة.

اننا نهيب بالاتحادات، والمنظمات، والنقابات الصحفية، فضح هذه الجرائم المنظمة التي ترتكب بحق شعبنا العربي الفلسطيني، ونطالب الهيئات الدولية بادانة تلك الممارسات العنصرية المخالفة لابسط قواعد حقوق الانسان.

١٩٨٨/١/١٢

لجنة العمل النقابي

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

د ـ زيارة:

ومن أجل بحث سبل دعم الانتفاضة قام وفد من اللجنة بزيارة الدكتورة السيدة نجاح العطار وزيرة الثقافة في القطر العربي السوري.

واصدرت اللجنة البلاغ الصحفي التالي:

قام وفد من لجنة العمل النقابية لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين برئاسة الأخ ناجي علوش امين سر اللجنة بمقابلة السيدة وزير الثقافة في القطر العربي السوري. حيث تم في هذا اللقاء تداول سبل تدعيم انتفاضة الشعب العربي في الارض المحتلة، وتدارس الانشطة الثقافية المتنوعة في هذا المجال، وقد أكدت السيدة وزيرة الثقافة التضامن المطلق مع انتفاضة شعبنا ومع نضال كتابه وصحفييه الوطنين، وعن وضع كل امكانات وزارة الثقافة في خدمة التحرك النضالي الوطني الفلسطيني.

لجنة العمل النقابية

لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين



ثانياً

● تضامناً مع انتفاضة الاهل في الوطن المحتل أقامت لجنة العمل النقابية للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وفرع الاتحاد في دمشق سلسلة من النشاطات ففي ١٩٨٨/١/٢٥ أقام الفرع مهرجاناً للشعر والاغنية على مسرح صالة الحمراء بدمشق شارك فيه عدد من الشعراء العرب والفلسطينيين وفرقة الجذور وفي ٨٨/٢/٨ انتقل المهرجان الى قاعة الخالصة في مخيم اليرموك.

واعتباراً من ١٩٨٨/٢/٢ صدر العدد الاول من الجريدة الاسبوعية صدى الانتفاضة التي واكبت على مدي تسعة أعداد نشاط أطفال الحجارة وانتفاضتهم في وطننا المحتل.

وبمناسبة مرور أربعين عاماً على قيام الكيان الصهيوني أقامت اللجنة ندوة بتاريخ ٨٨/٦/٢٨ شارك فيها كل من انعام رعد وهاني مندس وعبد الحسين شعبان. وبحلول الذكرى الاولى لاستشهاد رئيس اللجنة الفنان المناضل ناجي العلي أقامت اللجنة المركزية مهرجاناً خطابياً في قاعة الخالصة بمخيم اليرموك تحدث فيها كل من الإخوة ناجي علوش وخالد أبو خالد ونزيه أبو نضال.

وفي ٨٨/١١/١٥ أقامت اللجنة ندوة عن الابعاد العسكرية للصراع العربي الصهيوني شارك فيها كل من ابراهيم كاخيا، أمين عطايا وبسام العسلي وأدارها ناجي علوش.

وفي ٨٨/١١/٢٢ أقام فرع الاتحاد أمسية قصصية عربية لقصاصين من فلسطين والخليج العربي شارك فيها كل من حسن حميد، أحمد نجم، يوسف جاد الحق، يوسف ضمرة، ليلى العثمان، فوزية رشيد، وعقب علي الامسية الدكتور محمود موعد وأدارها خالد أبو خالد..

دمشق-الازبكية - الجمهورية العربية السورية - ص. ب ٨١٥٧

الثمن ٣٥ ل. س أو مايعاد